

كِتَابُ الْفَلَاحَةِ الْأُنْدُكُسِيَّةِ

لِلأَبِي نَزَكَرِيَّا، يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْعَوَّامِ الْإِسْبِيلِيِّ
الْمُتَوَفَّى فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ (٦هـ) / (١٢م) تَقْرِيباً

الدِّرَاسَةُ وَالتَّحْقِيقُ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

عَنِّي بِدِرَاسَتِهِ وَتَحْقِيقِهِ وَشَرْحِهِ نُحْبَةُ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ الْمُخْتَصِّينِ
بِتَكْلِيفٍ مِنْ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُمُرْدِيَّةِ:

أ.د. أنور أبوسويلم أ.د. سمير الدروبي أ.د. علي إمرشيد محاسنة

منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

كِتَابُ الْفَلَاحَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ

لِأَبِي نَزَكَرَتَا؛ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْعَوَّامِ الْإِشْبِيلِيِّ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي أخرج أمته من الجهل إلى العلم، ومن الظلمات إلى النور، وحثهم على الصلاح والفلاح، ودعاهم إلى خير العمل والنجاح، وبعد...

فإنَّ أستاذنا رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الموقر -مدَّ الله في عمره- ما يزال منذ عقدين يلهج بضرورة تحقيق كتب الفلاحة العربية، ويدعو إلى ذلك، ويحث عليه، لما لهذا التراث العلمي العربي الحي من قيم معرفية وعلمية ما يزال العمل جارياً عليها، وما زالت تجارها نافعة للمزارعين والدارسين حتى الآن، ونزيد التراث العلمي الإنساني حصباً وعمقاً.

ووجدنا أنَّه لا بد من تحقيق هذه الرغبة، وإنجاز هذا العمل، وكلف أستاذنا عبد الكريم خليفة ثلاثتنا: أنور أبو سويلم، وسمير الدروبي، وعلي محاسنة بالقيام بتحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوَّام، وذلك بعد موافقة المكتب التنفيذي لمجمع اللغة العربية الأردني على هذا المشروع.

وزودنا مجمع اللغة العربية بما لديه من مخطوطات كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوَّام، واستجلب منها ما يمكن استجلابه، وشرعنا في العمل المتواصل منذ سنتين ونيف، باذلين أقصى جهد ممكن، وقاطعين سود الليالي وبياض الأيام، وساعين أشد السعي إلى الإكمال والإتمام، حتى أتمَّ الله علينا نعمته بتحقيق الغاية والمرام، وتمكَّنَّا من إنجاز هذا العمل.

والفلاحة في لغة العرب: الزراعة، ولفظتها مشتقة من الفَلَح وهو البقاء في الخير، وفلاحُ الدهر: بقاءه، وحَيَّ على الفلاح، أي: هَلُمَّ على بقاء الخير. أما في اصطلاحهم فإنَّها علم يعرف من خلاله كيفية تدبير النباتات والحيوانات المتعلقة بالفلاحة، وهو ضروري لبقاء الإنسان؛ لأنَّه مشتق من الفلاح وهو البقاء.

ويبدو أن لفظة "الفلاحة" كانت مستخدمة في لغة العرب قبل الإسلام، وبقي استعمالها مطرداً في المصادر العربية حتى عصرنا، ونجد حضورها واضحاً في أغلب المعاجم العربية منذ الخليل بن أحمد الفراهيدي وحتى آخر معجم عربي صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني في مطلع القرن الحادي والعشرين. ولكن تداول هذه اللفظة في المغرب العربي في الإدارة والإعلام والاستعمال الشعبي أكثر منه في المشرق العربي الذي تشيع فيه لفظة "الزراعة"، علماً بأن لفظة "الفلاحة" شائعة في الأوساط الشعبية في بلاد الشام، وخاصة في بلدنا الأردن.

إنَّ الفلاحة والمعرفة بما ضاربة بجذورها في الأرض العربية في وادي الأردن وعلى الساحل الشامي، وعلى ضفاف الرافدين في العراق، وعلى جنبات نهر النيل بمصر، إذ كانت الزراعة الباعث الأول لقيام تلك الحضارات العروبية والشرقية العريقة التي بنت المدن، وأقامت السدود، ووضعت التقاويم، وقامت السلالات الحاكمة، ونظمت العمل والإدارة، ووطورت العلوم والآداب.

ويبدو أنَّ الكنعانيين والفينيقيين قد ازدهرت لديهم حركة التأليف في الفلاحة، فألف ماجون القرطاجي موسوعته في الفلاحة، وبعد تدمير الرومان لقرطاج قبل الميلاد بقرنين من الزمان تقريباً، ترجمت موسوعة ماجون إلى اليونانية، ونسي اسم ماجون، وأصبح علم الفلاحة يونانياً بعد أن كان قرطاجياً عربياً.

وكان تراث الشرق قد حمل إلى اليونان والرومان، وترجم إلى لغاتهم ونسب إليهم، قبل فتوحات الإسكندر وبعدها، ثم ترجم تراث العرب العلمي في الأندلس وغيرها من مراكز العلم في صقلية والراين إلى اللاتينية وما تفرع عنها من اللغات الأوروبية، وانتحل الأوروبيون أغلب هذا التراث، أو جعلوه مجهول المؤلف، ومن ذلك كتاب ابن بصَّال الأندلسي في الفلاحة.

إنَّ الحضارة الإسلامية قد استقبلت بصدر رحب كل العلوم والأفكار والمعارف الإنسانية التي جادت بها قرائح الأمم، وتعهد العرب النافع المفيد منها بترجمته إلى اللغة العربية، ونقلت منذ النصف الثاني من القرن الهجري الثاني كتب: الطب والكيمياء والفلك والهندسة والفلاحة وغيرها، وقد نسبوا هذه الكتب لأصحابها معترفين بفضلهم، ومقدرين لعلمهم، فحفظ المسلمون تراث الإنسانية بكل صدق وأمانة علمية ومنهجية، بحيث بدا عملهم خارقاً في تاريخ الفكر الإنساني، كما يعترف بذلك المنصفون من المستشرقين.

إنَّ كتب الفلاحة والنبات والحشائش والبيطرة وطبّاع الحيوان كانت ممّا ترجم إلى لغة العرب، وعرفوا دياسقوريدس، وأرسطو، وقسطوس، وأفليمون وغيرهم من علماء الفلاحة السريان واليونان.

ولم تقتصر جهود العرب على ترجمة كتب الفلاحة والنبات، بل هبّ عشرات اللغويين يؤلفون في النبات والشجر، والغرس والنخل، والخيل والشاء. وجهود الأصمعي وأبي زيد الأنصاري وابن الأعرابي وأبي حاتم السجستاني والجاحظ وغيرهم معروفة.

ويبقى أبو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) مقدماً عليهم جميعاً، وذلك بعد إنجاز كتابه الذائع الصيت في "النبات" والذي جاء في ستة أجزاء ضخمة، وعوّل عليه علماء الفلاحة والنبات تعويلاً كبيراً، إلّا أنّ أغلب هذا الكتاب ما زال مفقوداً.

ويمكن للدارس القول: إنّه قد نشأت مدارس فلاحية في العالم الإسلامي، أولها مدرسة بغداد التي يمثلها حنين بن إسحاق، والجاحظ، وأبو حنيفة الدينوري، وابن وحشية وغيرهم، ولكن هذه المدرسة لم تستطع أن تتجاوز الكتب المترجمة، سوى أبي حنيفة الذي تركّزت جهوده على أسماء النباتات وصفاتها، ومنابتها وخصائصها العلاجية وغير ذلك.

أمّا المدرسة الثانية فهي المدرسة الشامية المصرية، ويمثلها ابن ممتي، وابن فضل الله العمري، والوطواط الكتبي، والنويري والغزي والنابلسي، ولكنها مدرسة ضعيفة -فيما نعلم- ولم تقدم كتاباً أصيلاً في الفلاحة، بل

عاشت هذه المدرسة في ظل كتاب "الفلاحة النبطية" وغيره من المصادر المشرقية والأندلسية، بل إنَّ علمها في الفلاحة كان نقلاً من غيرهم، ولم نجد لديهم تجارب فلاحية بالمعنى الحقيقي والعملي.

والمدرسة الثالثة هي المدرسة اليمنية، فقد ازدهرت الزراعة في اليمن في ظل الدولة الرسولية في القرنين السابع والثامن الهجريين، وألّف بعض ملوكهم كتباً في الفلاحة تدل على مراعاة الظروف المناخية للبيئة اليمنية.

أمّا المدرسة الفلاحية الرابعة، فهي المدرسة الأندلسية التي بدأت نشاطها في قرطبة زمن الخلافة، وقوي عودها على الأخص في القرنين الخامس والسادس الهجريين خلال فترة ملوك الطوائف والأمراء المرابطين، وتركزت المراكز الرئيسة لإنتاج هذا الأدب في قرطبة وطليلة وإشبيلية وغرناطة، فظهر في الأندلس كبار علماء الفلاحة أمثال: ابن وافد الطليطلي، وابن بصّال الطليطلي، وابن أبي الجود، وابن حجاج الإشبيلي، وأبي الخير الإشبيلي، والطغفري أو الحاج الغرناطي، وابن العوام الإشبيلي وغيرهم من فرسان هذا الميدان.

إنَّ علماء الفلاحة في الأندلس يشكلون مدرسة فلاحية حقيقية تعتمد العلم النظري وتهتم به، ولكنها تركز بشكل أساس على التجارب الفلاحية، والتطبيق العملي لأمر الفلاحة وشؤونها.

ويبدو أنَّ ظروف الأندلس الاقتصادية والسياسية والثقافية بعد انهيار الخلافة، وتقويض الجماعة، قد مكّنت أعلام هذه المدرسة من نقل أفكارهم ومعارفهم إلى حيز التطبيق، إذ وفر لهم ملوك الطوائف الحداثق والجنّات، والمختبرات الزراعية، وتباروا في تطوير زراعات ذات مردود اقتصادي مرتفع، وقام بعضهم برحلات واسعة إلى المغرب العربي وبلاد الشرق بحثاً عن النباتات والبذور والمصادر، والمعرفة الزراعية التي لا عهد لهم بها، فتراكمت لديهم خبرات النبط واليونان والعرب والفرس والرومان، إضافة إلى بيئتهم الأندلسية الخصبة، ذات الأمطار الغزيرة، والسهول الفسيحة، والأنهار المادية، والمناخ الملائم.

وتقوم نظرة الأندلسيين للفلاحة على التبجيل والاحترام، وهي عندهم من أهناً المكاسب وأشرفها كما يقول ابن العوّام؛ لأنَّ صاحبها يكسب قوته من جدّه وكده، وعمله وعرقِ جبينه، ولذلك امتنّها بعض الأطباء والفقهاء والكتاب، وخير من يعبر عن ذلك الموقف الإيجابي من مهنة الفلاحة الطبيب حمدين بن أبّا القرطبي الذي عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وكان لا يركب دابة إلاّ من نتاجه، ولا يأكل إلاّ من محصوله، ولا يلبس إلاّ من كتّان ضيعته.

لقد أدرك الأندلسيون، أن نجاح زراعتهم، وتحقيق فائض الإنتاج لديهم، هو مصدر بقائهم، وهو الرافد الحقيقي لقوتهم الاقتصادية والعسكرية، ولذلك سعوا إلى الاكتفاء الذاتي فلاحةً وصناعةً وتجارةً، وسبقوا من قال في عصرنا "ويل لأمة تأكل مما لا تزرع، وتلبس مما لا

تصنع". أي إن الأندلسيين سعوا بكل ما لديهم من معرفة ومهارة، ورغبة حقيقية في العمل إلى استصلاح كل شبر من أرض بلادهم، وجرّ الماء إليه بكل وسيلة ممكنة حتى تحولت بلادهم إلى جنات وارفة الظلال، وروضات ومنتزهات تضرب بها الأمثال في الحسن والرونق والبهاء والجمال، في قرطبة والرصافة والصمادحية وإشبيلية وبلنسية التي وصفت بأنها قارورة عطر لفوح أشجارها وأزهارها، وحللها السندسية التي كأنّها أذنان الطواويس.

ولله در شاعرهم إذ يقول:

إنَّ للجنة بالأندلس مُجْتَى حُسْنٍ وَرِيًّا نَفْسِ
وإذا ما هبت الريح صباً صَحْتُ وَاشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلَسِ

إنَّ الزراعة هي المقوم الأساس للبقاء، وانعدام الزراعة يعني الفقر والمجاعات، وتحقيق الأمن الغذائي مُقَدَّمٌ على غيره، وهو أمر أُخَلَّتْ به أمتنا -في حاضرها- إخلالاً عظيماً، فالعرب يستوردون أكثر من نصف غذائهم، والتصحر يغلب على أرضهم، ومياهم بيد أعدائهم تبني عليها السدود للتحكم في كل قطرة ماء يمكن أن يكون بها قوام زراعتهم ومعيشتهم، والدور والقصور زحفت على الأرض الزراعية الخصبة، وهذه الأمور الخطيرة يجب أن تستدرك، وأن نسعى لتحقيق أمننا الغذائي الذي مبناه على الإبداع والتطوير الزراعي، وهو ما سعى إليه أجدادنا علماء الفلاحة في الأندلس من قبل، عندما زرع ابن العوام أرضاً يئسَ مَنْ قبله

من علماء الفلاحة من زراعتها، وسبق إلى فكرة الرّي بالتنقيط توفيراً لكل قطرة ماء.

إنّ ابن العوّام الأندلسي مؤلف كتاب "الفلاحة الأندلسية" من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ألف موسوعته الضخمة في الفلاحة في بلدته إشبيلية وأجرى تجاربه الزراعية في جبال الشّرف الأعلى المطلّة على إشبيلية، بعد إفادته من كل المصادر الشفوية والخطية النظرية والعملية المتاحة.

لقد لفت ابن العوّام من خلال موسوعته "الفلاحة الأندلسية" انتباه علماء الفلاحة من الأوروبيين وغيرهم إلى ما لديه من روح تجريبية تقوم على إدامة التجربة الفلاحية، لغاية تعليل الظواهر الزراعية، ورصد نتائجها، جامعاً إلى ذلك كل ما لديه من معرفة نظرية واسعة استمدّها من النبط واليونان والعرب والأندلسيين، وهذا المنهج التجريبي كان راسخاً في الفكر الفلاحي الأندلسي، وبوحي منه قام ابن العوّام بعشرات التجارب الفلاحية الناجحة، فكان بذلك واحداً من كبار علماء الفلاحة في الأندلس من ناحية، كما أنّه حفظ تراث من سبقه من علماء الفلاحة الأندلسيين من ناحية أخرى.

لقد أدرك الأسبان منذ قرنين ونيف القيمة الكبرى لهذا الكتاب فترجمه بانكويري إلى الإسبانية، ثم ترجم بعدها إلى الفرنسية والأوردية والتركية والإيطالية والإنجليزية لقيمتها العلمية الكبرى في ميدان الفلاحة نظرياً وعملياً.

ومن المفارقات العجيبة أن عملاً كهذا يترجم إلى هذه اللغات العالمية، ولكنه يبقى مهملاً في لغته العربية؛ لأن الجامعات العربية لا تدرس العلوم العصرية باللغة العربية، بل إن الإنجليزية والفرنسية هما اللغتان اللتان تحتلان مكانة اللغة العربية في جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية والأكاديمية، وكل دارٍ أحق بالأهل كما يقال، إلا في خبيث من المذاهب رجس.

ومن الأسئلة المطروحة: لمن نُدرّس الزراعة؟ ولمن نكتب أبحاثنا في الزراعة؟ وأين الكتب التي تم تعريبها في هذا الميدان؟ وقد طرحنا هذه الأسئلة على المختصين الذين يدرسون الفلاحة في جامعاتنا فلم نجد لديهم جواباً. ثم نقول: هل المزارع في صعيد مصر، أو غور الأردن، أو في أهوار العراق، أو في أرض الجزيرة الفراتية يفهم الإنجليزية حتى نكتب أبحاثنا الزراعية بها؟! وهل الطالب العربي بحاجة إلى دراسة علم الزراعة بغير لغته؟!!

لقد اعترف مؤرخو العلوم عند العرب أمثال مايرهوف وألدوميلي، وزغريد هونكه، ولكير وغيرهم بالجهد العظيم الذي قدمه ابن العوام في كتابه فأصبح بذلك من أبرز علماء النبات في تاريخ العلم الإنساني.

واكتسب كتاب ابن العوام "الفلاحة الأندلسية" أهميته من نواحٍ عديدة، فهو يمثل الفلاحة الأندلسية خير تمثيل، وحفظ لنا هذا الكتاب مادة ضخمة من مصادر مفقودة أو شبه مفقودة، ولذلك فإنه يُعدُّ أهم مصدر في تاريخ الفلاحة، وحفظ نصوصها، كما أنه أصبح مصدراً مهماً لكل الكتب التي ألُفت في الفلاحة في العصور التالية لعصره.

ويكشف لنا ابن العوَّام عن كثيرٍ من المصادر المفقودة سواء المشرقية منها أم المغربية، ويبين لنا الكم الهائل من التحريفات والتصحيفات والسقط في مصادر الفلاحة المطبوعة.

والكتاب مصدر أصيل للمعرَّب والدخيل في الألفاظ الفلاحية، وجاء الكتاب حافلاً بألفاظ العامة، وعجمية أهل الأندلس، ولغة الأمازيغ والنبط والروم وغيرها، وهو بذلك يعكس بذلك الجو الإنساني المتسامح الذي أضفاه الإسلام على الأندلس، فتحدث الناس العربية، واستعملوا البربرية، والأعجمية الإسبانية، وأشبهت قرطبة وإشبيلية وغيرها من حواضر الأندلس بغداد في قبولها لكل عرق وجنس وملة ودين، دون تسلط أو إكراه من الحاكمين العرب، فَعَمَّت الحضارة، وازدهر الإبداع، حتى ساد التعليم بقاع الأندلس كلها، في حين كانت القراءة والكتابة في أوروبا محصورة في عددٍ قليلٍ من رجال الدين كما يقول رينهارت دوزي، ممَّا يؤكد مقالة روجيه غارودي عندما تساءل عن أسوأ عام عرفته فرنسا الفرنجية؟ فأجاب هو عام معركة بواتيه سنة (١١٤هـ / ٧٣٢م) عندما تراجعت جيوش الفتح الإسلامي أمام بربرية الفرنجة.

وتقوم فلاحة ابن العوَّام على منهج علمي صارمٍ رفض فيه صاحبه السحر والعزائم والطلسمات التي تسربت إلى فلاحة النبط واليونان، وبني كتابه على منهج علمي سديد يؤمن بالتجربة المبنية على الرصد والملاحظة وتسجيل النتائج كما أسلفنا.

لقد جاء هذا العمل في قسمين، الأول: دراسة للكتاب، وقد اشتملت هذه الدراسة على ستة فصول:

الفصل الأول: دلالة لفظة الفلاحة اللغوية والاصطلاحية في المعاجم اللغوية، وكتب تصنيف العلوم عند العرب، وكتب الفلاحة.

الفصل الثاني: ابن العوام، حياته ومؤلفاته.

الفصل الثالث: مصادر الكتاب.

الفصل الرابع: أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" وقيمه العلمية.

الفصل الخامس: نشرات الكتاب وترجماته.

الفصل السادس: نسخ الكتاب الخطية ومنهجية العمل في التحقيق.

أمّا القسم الثاني من الكتاب، فكان النص المحقق اعتماداً على نسخة باريس، ونسخة المتحف البريطاني، ونشرة المستشرق بانكويري التي ترجمت إلى الإسبانية عام (١٨٠٢م).

وزودنا الكتاب بجهاز نقدي كامل يشتمل على مقابلة النسخ تخريج النصوص، وضبط الألفاظ، والتعريف بالأعلام، وشرح دلالات المصطلحات والأدوات، وكل ما هو بحاجة إلى شرح أو تحقيق.

وأردفنا العمل بفهارس فنية واسعة لأسماء النبات والحيوان والأمراض والترب والأدوات والمصطلحات... الخ.

وبناءً على اقتراح تقدم به أنور أبو سويلم عند شروعنا في العمل، فإنَّ اللجنة العلمية المكلفة من قِبَل مجمع اللغة العربية بتحقيق هذا الكتاب، قد توزعت إنجاز هذا العمل على النحو التالي:

١. المقدمة والدراسة والفهارس الفنية الشاملة وثبت المصادر والمراجع من عمل سميع الدروبي.

٢. تحقيق المجلد الأول من الكتاب (ويشمل الأجزاء الأول، والثاني، والثالث) نهض به أنور أبو سويلم.

٣. تحقيق المجلد الثاني من الكتاب (ويشمل الأجزاء الرابع، والخامس، والسادس) نهض به علي محاسنة.

وقد تولى كل عضو من لجنة التحقيق مراجعة عمل زميله قراءةً وتدقيقاً وتوثيقاً وضبطاً وتقويماً وتعديلاً وتصحيحاً وإضافةً، وكل ما يجعل العمل لحمة واحدة وبنية متحدة، وكياناً متكاملًا.

وختاماً فلا بد لنا من شكر أستاذنا رئيس مجمع اللغة العربية على رعايته واهتمامه بهذا العمل، وشكر الأمين العام لمجمع اللغة العربية عبد الحميد الفلاح العبادي، وشكر الأساتذة محمد عدنان البخيت ونوفان الحمود، وجاسر أبو صافية، على ما أسدوه لهذا العمل.

لقد تم إنجاز هذا العمل بعون الله في غرة شهر رمضان المبارك من عام (١٤٣٢هـ) الموافق للأول من شهر آب عام (٢٠١١) للميلاد في

جامعة مؤتة قرب مشهد المناحة، حيث جعفر وزيد وابن رواحة، عليهم
الرضوان، والروح والريحان في هذا الشهر المبارك.

المحققون:

علي إرشيد المحاسنة

سمير الدروبي

أنور أبو سويلم

القسم الأول من الكتاب

الدراسة

الفصل الأول: لفظة الفلاحة بين دلالتها اللغوية والاصطلاحية .

الفصل الثاني: ابن العوام، حياته ومؤلفاته .

الفصل الثالث: مصادر الكتاب .

الفصل الرابع: أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" وقيمه العلمية .

الفصل الخامس: نشرات الكتاب وترجماته .

الفصل السادس: نسخ الكتاب الخطية ومتهجية العمل في التحقيق .

الفصل الأول

لفظة "الفلاحة" بين دلالتها اللغوية والاصطلاحية:

أ. الدلالة المعجمية.

ب. الدلالة في كتب تصنيف العلوم.

ج. الدلالة في كتب الفلاحة.

الفصل الأول

لفظة "الفلاحة" بين دلالتها اللغوية والاصطلاحية

كتاب "الفلاحة الأندلسية" من المؤلفات الموسوعية في مجاله، سعةً وخصباً ومشمولاً، وكمالاً وإحاطةً، وهذا يقتضي منا تحديداً دقيقاً لمعنى "الفلاحة" التي غابت عن وسائل الإعلام والصحافة في المشرق العربي، ولكنّها بقيت متداولة في بعض البيئات الفلاحية في بلاد الشام ومصر.

أمّا في المغرب العربي، فإنّ لفظة الفلاحة ما زالت مستخدمة في دواوين الدولة، وفي وسائل الإعلام، وفي الاستعمال الشعبي، وسنحاول الوقوف على الدلالة المعجمية والاصطلاحية للفظ الفلاحة في المعاجم اللغوية، وكتب تصنيف العلوم، وفي كتب الفلاحة نفسها.

أ. الدلالة المعجمية:

لقد تكرر لفظ "الفلاحة" في أبرز المعاجم العربية القديمة حتى نصل إلى آخر معجم أصدرته المجامع اللغوية العربية في عصرنا، وهو "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" الذي أصدره مجمع اللغة العربية الأردني عام (٢٠٠٦).

ونبدأ بأول معجم عربي، وهو "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ/ ٧٩١م)، الذي يقول: "فلح: الفلاح، والفَلَحُ لغة: البقاء في الخير، وفَلَحُ الدَّهْر: بقاؤه. وَحَيَّ عَلَى الْفَلَّاح، أي: هَلِّمْ عَلَى بقاء

الخير. والفَلَحُ: الشَّقُّ في الشَّفَّةِ في وسطها. والفَلَّاحُونَ: الزَّرَّاعُونَ.
والفَلَّاحُ: المُكَارِي [وإنَّما قيل له فَلَاحٌ تشبيهاً بالأَكَّار]، قال: "وَفَلَاحٌ
يسوق له حِمَاراً"^(١).

والملاحظ أنَّ أبا بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد الأزدي
(ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م)، قد كان أكثر استيعاباً وتوضيحاً لدلالة "فلاحة"
من سلفه الخليل بن أحمد الفرهيدي، ولعلَّ مردُّ ذلك إلى ما طرأ على
مدلول هذه اللفظة من اتساع دلالي، وخاصة بعد ترجمة كتب في الفلاحة
من الآرامية أو السريانية القديمة، ومن اليونانية إلى لغة العرب، وقد كان
الفارق الزمني بين الأول والثاني قرابة قرن ونصف من الزمان، وقد مضت
الأمَّة قُدُماً في معارج الرقي العلمي، وما تبع ذلك من انسياب ثروة لفظية
هائلة إلى لغة العرب.

يقول ابن دريد الأزدي: "... وفلحتُ الشيء أفلحه فلحاً إذا
شققتَه أو قطعتَه، ومنه المثل: "إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ"، وسُمي الأَكَّار
فلاحاً؛ لأنَّه يشقُّ الأرض، وجعله ابن أحمر: (المُكَارِي)، فقال:

لها رطلٌ تَكِيلُ الزيتَ فيه وفَلَاحٌ يَسُوقُ لها حِمَاراً

وصناعة الفَلَاحُ: الفِلاحة"^(٢).

(١) الفرهيدي، العين: ٢٣٣/٣-٢٣٤.

(٢) ابن دريد، جوهرة اللغة: ١٧٧/٢.

ولعلّ ابن دريد أول من استخدم لفظة "الفلاحة" من المعجميين
القدماء.

أمّا أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت: ٣٧٠هـ/٩٩٥م) -
وهو المعروف بشدة طلبه، وفحصه عن المصادر لمواده المعجمية - فقد أفاد
من سابقه: الفراهيدي والأزهري، وزاد دلالة "الفلاحة" توضيحاً وتقريباً
للقارئ، يقول:

"والفَلَّاحُ: الأَكَّارُ، وإِنَّمَا قِيلَ: فَلَاحٌ؛ لَأَنَّهُ يَفْلَحُ الأَرْضُ أَي يَشْقُهَا،
قال: والفَلَحُ: الشَّقُّ فِي الشَّفَّةِ... الحَرَّانِي عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ: الفَلَحُ: فَلَحتُ
الأَرْضَ إِذَا شَقَقْتُهَا لِلزَّرْعَةِ.

قال: والفَلَحُ: شَقٌّ فِي الشَّفَّةِ السُّفْلَى. ويقال: أَفْلَحْتُ الأَرْضَ إِذَا
شَقَقْتُهَا لِلحَرثِ.

وقال الزَّجَّاجُ: الفَلَّاحُ: الأَكَّارُ، والفِلَاحَةُ صِنَاعَتُهُ. قال ويقال:
فَلَحتُ الحَدِيدَ إِذَا قَطَعْتَهُ. قال: يقال لِلْمُكَّارِيِّ فَلَاحٌ، وإِنَّمَا يُقالُ لَهُ فَلَاحٌ
تَشْبِيهاً بِالْأَكَّارِ، ومنه قول عمرو بن أحمَرِ الباهلي:

لِها رِطْلٌ تُكَيِّلُ الزَّيْتَ فِيهِ وفَلَّاحٌ يَسوقُ لَهَا حِمَاراً^(١)

ولم يذكر صاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، لفظة
"الفلاحة"، واكتفى بالقول: "فلح، الفلاح: السَّحُورُ... والفَلَّاحُونَ:

(١) الأزهرى، تهذيب اللغة: ٧٢/٥-٧٣.

الملاحون. والأَكَّارُ يقال له: الفَلَّاحُ. والمُكَارِي: فَلَاحٌ^(١). والجديد عند
الصاحب بن عباد أن الفلاحين تأتي بمعنى الملاحين.

ولم يخرج إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) في
شرحه لمادة فلاحه عمن تقدمه من أصحاب المعاجم، إلا أنه أول من
ضبط لفظة "الفلاحه" عندما قال: بالكسر أي بكسر الفاء، يقول:
"وَفَلَحْتُ الأرض: شققتها للحرث. ومنه سُمِّي الأَكَّار فلاحاً.
وَالْفِلَاحَةُ، (بالكسر) الحِرَاثَةُ"^(٢).

وجاء في مادة (فلح) عند محمود بن عمر الزمخشري (ت:
٥٣٨هـ/١١٤٣م):

"وأحسبُك من فَلَاحَةِ اليمن، وهم الأَكْرَة؛ لأنَّهم يفلحون الأرض
أي يشقونها"^(٣).

ولا ندري علّة إضافة "فَلَاحَة" أي جمع فلاح إلى اليمن، ولعلّ مرد
ذلك؛ إلى أن اليمن هي أخصب بيئة زراعية عند العرب قبل الإسلام،
ولعلّ هذا القول كان متداولاً بين الناس منذ العصر الجاهلي أو فيما تلاه
من عصور.

(١) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة: ١٠٥/٣.

(٢) الجوهري، الصحاح (فلح): ٣٩٢/١-٣٩٣.

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة (فلح).

أما اللغوي اليميني نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ— / ١١٨٧م) فهو أوّل معجمي عرّف الفلاحة بأنّها الزراعة، يقول: "الفلاحة، بالحاء الزراعة"^(١)، ولم يزد على ذلك.

وتعريف الحميري على وجازته، يطابق ما جاء في مقدمة كتاب "الفلاحة الرومية"، يقول قُسطا بن لوقا البعلبكي: "هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزراعة، وما يتعلق بها، ممّا لا يستغني عنه المزارعون وغيرهم من النّاس عن علمه"^(٢). فقسطوس لم يقل الفلاحة ولا الفلاحين، وإنّما قال: الزراعة والمزارعين.

ولم يشر أبو الفتح ناصر الدين المطرزي (ت: ٦١٠هـ / ١٢١٣م) في معجمه الموسوم بـ "المُغرب في ترتيب المغرب" إلى "الفلاحة".

ونجد ابن منظور المصري (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م) صاحب "لسان العرب"، قد أفاد ممّن سبقه من المعجميين، فجاءت مادة "فلاحة" في معجمه أكثر وضوحاً وتفسيراً، واستيعاباً وإشباعاً في دلالاتها، يقول: "والفلحُ: مصدر فلَحَت الأرض إذا شققتهما للزراعة. وفَلَحَ الأرضَ للزراعة يَفْلَحُها فَلَاحاً إذا شقها للحرث. والفَلَّاح: الأكّار، وإنّما قيل له فَلَاح؛ لأنّه يَفْلَحُ الأرض أي يَشْقُها، وحِرْفَتُهُ الفِلاحة، والفِلاحة، بالكسر: الحِرَاثة؛ وفي حديث عمر: اتقوا الله في الفَلّاحين؛ يعني الزرّاعين الذين

(١) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٥٢٤٩/٨.

(٢) البعلبكي، الفلاحة الرومية، ص ٨٩.

يفلحون الأرض أي يشقونها، والفَلَح: شقٌّ في الشَّفة السفلى، والفَلَحَة:
القَرَّاح الذي اشتق للزرع؛ عن أبي حنيفة؛ وأنشد لحسان:

دَعُوا فَلَحَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دَوْنَهَا

طِعَانِ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ

يعني المزارع؛ ومن رواه فَلَجَاتِ الشَّامِ، بالجيم، فمعناه ما اشتق من
الأرض للدِّبَار [وهي البُقْعُ من الأرض تزرع]".

والفَلَّاح: المُكَارِي، التهذيب: ويقال للمُكَارِي فَلَاحٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ
الْفَلَاحُ تشبيهاً بِالْأَكَّارِ...^(١).

واللافت للنظر، أن ابن منظور قد أربى على ما تقدمه من المعجميين
باطلاعه على مصادر جديدة، ذات علاقة بالفلاحة، وهو كتاب "النبات"
لأبي حنيفة الدينوري الذي يُعَدُّ بحق مؤسساً لعلم النبات عند العرب.

وفوق ذلك، فإن ابن منظور قد رجع إلى كُتُبِ آثَارِ الصَّحَابَةِ
وأخبارهم وسيرهم، وما نقل عنهم في كتب الأموال والخراج، فأتى بقول
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي يحث فيه على الرفق
بِالْفَلَاحِينَ؛ لأنَّ في ذلك صلاحاً للبلاد والعباد، وديمومة للزرع والحصاد،
ورخصاً في أسعار الأقوات.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فلح).

وتمتاز مادة (فلح) عند الفيومي (ت: ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) بأنها قصيرة، ولكنها مُكثَّفة، يقول:

"فلحتُ الأرضَ فلحاً، من باب (نفع): شققتها للحرث. والفَلْحُ: الشق، والجمع: فُلُوحٌ، مثل: فَلَسَ وفُلُوسَ: والأَكَّارُ: فلاح، والصناعة فِلاحة، بالكسر، وفلحتُ الحديدَ فلحاً أيضاً: شققته وقطعته، وأفْلَحَ الرجل بالألف: فاز وظفر"^(١).

وجاءت مادة "فلح" عند مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ / ١٤١٤م) مختصرة، فقال: "الفلاحة: الحِرَاثة، والفلاح: الملاح والأكَّار، والمكاري"^(٢).

أمَّا محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) خاتمة المعجميين القدماء، والمعروف بسعة مصادره وموارده، وتدقيقه وتحقيقه، فإنه قد حشد لُبَابَ ما في المعاجم القديمة في مادة "فلاحة"، وجاء شرحه لها من أوفى وأكمل ما في المعاجم من تعريف بدلالة هذه المفردة، يقول:

"قلت" فليس في كلام العرب كُله أجمع من لفظة الفلاح لخيري الدُّنيا والآخرة، كما قاله أئمة اللِّسان، والفَلَح: الشَّقُّ والقطع. قال

(١) الفيومي، المصباح المنير، ص ٤٨.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (فلح).

شيخنا: الفَلَحُ وما يشاركه كالْفَلَقِ والفَلْدِ والفَلْدِ ونحو ذلك يَدُلُّ على الشَّقِّ والْفَتْحِ، كما في الكشف، وصَرَّح به الرَّاعِبُ وغيره.

والفَلَّاحُ: المَلَّاحُ، وهو الذي يَخْدُم السُّفْنَ. وفَلَحَ الأرضَ للزَّراعة يَفْلَحُها فَلَاحاً، إذا شَقَّها للحرث.

والفَلَّاحُ: الأَكَارُ؛ لأنَّه يَفْلَحُ الأرضَ، أي يَشَقُّها، وحِرْفَتُهُ الفِلاحة. وفي الأساس [أساس البلاغة]: وأحسبُك من فَلَاحَةِ اليمن، وهم الأَكَرَةُ؛ لأنَّهم يَفْلَحُونَ الأرضَ أي يَشَقُّونها، والفَلَّاحُ: المُكَارِي، تشبيهاً بالأَكَارِ، ومنه قولُ عَمْرٍو بنِ أَحْمَرَ البَاهِلِيِّ:

لها رِطْلٌ تَكِيلُ الزَّيْتَ فيه وفَلَّاحٌ يَسوقُ لها حِمَاراً

وقيل لأهل الجَنَّةِ مُفْلِحُونَ لفوزهم ببقاء الأبد.

وأَفْلَحَ بالشيء عاش به، وقال ابن سيدة: الفَلَحَةُ، مُحَرَّكَةٌ: القَرَّاح من الأرض الذي اشْتَقَّ للزَّرْعِ، عن أبي حنيفة، وأنشد لحسان:

دَعُوا فَلَاحَاتِ الشَّامِ قد حَالَ دُونَهَا

طِعَانٌ كَأَفْوَاهِ المَخَاضِ الأَوَارِكِ

يعني المَزَارِعَ.

ومن رواه: "فَلَجَاتِ الشَّامِ"، بالجمع، فمعناه ما اشْتَقَّ من الأرض للدُّبَارِ [البقع من الأرض تزرع]، كلُّ ذلك قول أبي حنيفة، كذا في اللسان.

والفَلاحة، (بالفتح)، وضبطه صاحب اللسان (بالكسر): "الحِراثة وهي حِرْفَةُ الأَكَّار..."^(١).

ويلاحظ أن الزبيدي هو أول من ضبط لفظة "الفَلاحة" بالفتح وبالكسر أيضاً، كما أنَّه يعزو الأقوال إلى قائلها بدقة، فهو لم يرجع إلى كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات، بل نقل قوله عن اللسان، فأشار إلى أبي حنيفة نقلاً عن اللسان.

ومن مصادر الزبيدي في هذه المادة: الزمخشري، وابن سيده الأندلسي، وابن منظور المصري، وغيرهم، وتاجه يُعدُّ بحق موسوعة لغوية محيطية بجمهرة ما جاء في المعاجم العربية القديمة مع إضافات أصيلة إلى مواد أسلافه من المعجميين.

ومعروف لدى الباحثين أنَّ المعاجم القديمة تعتمد في مادتها على ما صحَّ وفصح لدى العرب، وما تسرَّب إليها من ألفاظ الحياة العامة، ومن المغرب والدخيل كان قليلاً^(٢)، وجُلُّ مادتها مستقاة من العصر الجاهلي والإسلامي وحتى بداية العباسي.

(١) الزبيدي، تاج العروس، (فلح).

(٢) انظر: سميح الدروبي: "المغرب والدخيل في المعاجم العربية القديمة بين دلالاته المعجمية واستعماله اللغوي: لفظة "الفهرست" أنموذجاً: مقاربات في اللغة والأدب [٤]، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ١٣-٤٤.

أمّا المستشرق رينهارت دوزي، فإنّه قد كشف عن دلالات أخرى، واستعمالات وصيغ جديدة لمفردة "الفلاحة"؛ لأنّه تتبع استعمال هذه المفردة في المصادر التي جاءت بعد عصر الاحتجاج اللغوي.

يقول دوزي: "أفلح: فلّح، زرع. وأفلح الشجر: زرعه. وأفلح القمح: زرعه. وأفلحت الشجرة: نمت.

فَلَاحَة: حقل مزرعة، حقل، ضيعة.

فَلَاحَة: محصول، ريع، غلّة.

فَلَاحَة الحيوانات: تربية الحيوانات.

شيخ الفلاحة: هو في مراکش وكيل أملاك السلطان الخاصة، وهو يشرف على زراعة الأراضي، وتربية المواشي، وتربية الخيل، وكل الأملاك الخاصة بالسلطان.

فَلَّاح: الفلّاح في مراکش هو رئيس بستان السلطان.

فَلَّاح: فظ، خشن، غليظ، بربري، حلف، كزّ، جافي، رجل يجهل أصول اللياقة والأدب.

الفلاحون: فرقة النصيرية في شمالي سورية^(١).

(١) دوزي، تكملة المعاجم العربية: ١٠٧/٨-١٠٨.

ومِمَّا هو لافت للنظر، أن دوزي قد قدَّم دلالات جديدة للفظـة "الفلاحة"، حيث إنَّه لم يكتفِ بما وَقَفَتْ عنده المعاجم القديمة، بل تتبع دلالات لفظة فلاحـة في مصادر العصور التالية.

وفوق ذلك، فإنَّه قد أفاد مِمَّا كتبه غيره من المستشرقين في معاجمهم الثنائية، الأمر الذي يؤكد على ضرورة تقصي تطور استعمالات هذه المفردة في مختلف المصادر التراثية منذ عصر التدوين وحتى وقتنا الحاضر؛ لأنَّ المعاجم القديمة —على ضخمة الجهود المبذولة في صنعها— أوصدت أبوابها أمام الدلالات والمعاني الجديدة التي تكتسبها الألفاظ بتطور العصور والحضارة والعمران، وهذا مِمَّا سينهض به المعجم التاريخي الذي يقوم اتحاد المجامع العربية على رعايته وجمع مادته في هذه الأيام^(١).

وقال المعلم بطرس البستاني (ت: ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م) وهو أبرز المعجميين اليسوعيين في نهاية القرن التاسع عشر، والمصدر الأساس لمن جاء بعده من المعجميين اليسوعيين^(٢):

"فلح الرجل الأرض يفلحها فُلحاً شقها. والفلاحة: الحراثة وصناعة

(١) كاتب هذه السطور هو ممثل الأردن في الهيئة العلمية للمعجم التاريخي، وقد شارك في إعداد قائمة مصادر هذا المعجم الذي نأمل أن ترى باكورته النور قريباً بعون الله.

(٢) انظر: سمير الدروي: "حياة لفظة فهرس في المعاجم اليسوعية"، بحث مقدم لجامعة منوبة في تونس، تكريماً للأستاذ إبراهيم مراد، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

الفلاح. والفَلَّاح: المَلَّاح والحرَّاث والمُكَّاري، ويطلق عند أهل المدن على من يسكن الجبال والأرياف"^(١).

ويذكر المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة في ستينيات القرن الميلادي الماضي: "الفلاحة: القيام بشؤون الأرض الزراعية من حرث وري وزرع ونحو ذلك، الفلاح: محترف الفلاحة ملاح السفينة. ج (فلاحون)"^(٢).

أمَّا "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" الذي أصدره مجمع اللغة العربية الأردني، وهو من المعاجم التي صدرت في مطلع القرن الحادي والعشرين، فقد ورد فيه: "فلاحة: العمل في المزرعة من نكش وعزق وزراعة وسقاية. فلاح، مرابي: فلاح يقوم بأعمال الفلاحة من حرث وبذر وحصاد، يأخذ مقابل ذلك ريع المحصول، ويأخذ مالك الأرض ما يتبقى من الغلَّة"^(٣).

قلنا: ومن الدلالات التي أخلت بها المعاجم العربية الحديثة، أن لفظة "الفلاحة" تطلق في بلاد الشام وخاصة لهجة الفلاحين والبدو في الأردن - على الأرض الزراعية نفسها سواء زرعت أو لم تزرع.

(١) البستاني، محيط المحيط، ص ٧٠٠.

(٢) مجمع اللغة العربية، القاهرة، المعجم الوسيط: ٧٠٠/٢.

(٣) مجمع اللغة العربية الأردني، معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن، ص ٧٢٦.

ب. الدلالة الاصطلاحية للفظ الفلاحة في كتب تصنيف العلوم عند العرب:

لعلّ الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ - ٨٦٨هـ) من أوائل الذين أشاروا إلى أن "الفلاحة" علم يُعلّم لأبناء الرعية، يقول:

"ووجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يُعلّمهم الكتابة والحساب، ثم لعب الصّوّالجة والرّمي في التّنّبوك [قوس]... وبعد ذلك الفروسية، واللّعب بالرماح والسيوف والمشاوله والمنازلة والمطاردة، ثم النّجوم واللّحون، والطّب والهندسة، وتعلّم النرد والشطرنج، وضرب الدّفوف والأوتار، والوقع والتّفخ في أصناف المزامير.

ويأمرون بتعلم أبناء الرعيّة الفلاحة والتّجارة والبنيان والصياغة، والخياطة، والسرد والصّبغ، وأنواع الحياكة، نعم حتى علموا البلابل وأصناف الطير الألحان"^(١).

ويقول الجاحظ في موضع آخر:

"ألا ترى أن اليونانيين الذين نظروا في العلل لم يكونوا تجاراً، ولا صناعاتاً بكفهم، ولا أصحاب زرع وفلاحة، وبناء وغرس...

وكانت الملوك تُفرّغهم، وتُجري عليهم كفايتهم، فنظروا حين نظروا بأنفسٍ مجتمعة، وقوة وافرة، وأذهان فارغة، حتى استخرجوا الآلات

(١) الجاحظ، رسائل الجاحظ: ٣٢/٣.

والأدوات...^(١).

ويقول أيضاً: "وكذلك العرب لم يكونوا تجاراً ولا صُنَّاعاً، ولا أطباءً ولا حُساباً، ولا أصحاب فِلاحة، فيكونوا مَهَنَةً، ولا أصحاب زرعٍ لخوفهم صَغَارِ الجزية...^(٢).

ويقول الجاحظ في كتاب آخر من كتبه:

"... وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب، وليس له طبيعة في الكلام؛ وتكون له طبيعة في الفِلاحة؛ وتكون له طبيعة في الحُدَّاء أو في التعبير، أو في القراءة بالألحان، وليست له طبيعة في الغناء...^(٣).

إنَّ إنعام النظر، والتدقيق في نصوص الجاحظ السالفة يبين لنا الآتي:

أولاً: إنَّ الجاحظ يُعدُّ الفِلاحة أحد العلوم التي تكتسب بالتعلم.

ثانياً: إنَّ الفِلاحة عند الجاحظ مهنة كغيرها من المهن كالتجارة والحِدادة والخياطة والصباغة.

ثالثاً: إنَّ الفِلاحة وغيرها من المهن والحِرَف كانت مخصوصة بأبناء العامة الذين يحصرّون في هذه المهن، ويتوارثونها جيلاً بعد جيل.

(١) المصدر السابق: ٢١٤/٣.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦/٣.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين: ٢٠٨/١.

رابعاً: إنّ الطبقة الأرستقراطية في المجتمع، وهم أبناء الأغنياء، والوزراء والقواد، ورجال الدولة، وأصحاب النفوذ والسلطان، يأنفون من هذه المهن، وهم يتعلمون الفروسية، وركوب الخيل، والموسيقى، والطب والهندسة وغيرها.

خامساً: إنّ مهنة الفلاحة والحياكة، والحداة والبناء والصياغة، تجعل من أصحابها عرضة للامتهان والذل والصغار، وفرض الضرائب والإتاوات التي يقررها أصحاب السيوف والأقلام على الصناع والزراع وأرباب الحرف.

سادساً: إنّ مدلول "الفلاحة" عند الجاحظ مرتبط بالزراع والغرس والإقامة في الأرض وخدمتها.

سابعاً: يعدّ الجاحظ البراعة في الفلاحة موهبة من المواهب التي يمكن تعزيزها بالدربة والتعلم.

وعلاوة على ذلك، فإنّ ما صوره الجاحظ عن وضع الفلاحة في عصره، وأنّها مهنة إذلال واحتقار، تقوم على سطوة وقسوة وسلط عمال الخرج، وجلالوزة الدولة على من يمتنون هذه الحرفة، يبدو واقعياً إلى حد كبير.

ولعلّ هذا ما يفسر لنا ما أورده ابن وحشية الكسداني مترجم كتاب "الفلاحة النبطية" عن السريانية أو الآرامية القديمة بخصوص موقف السلطان من الفلاحين، حيث اقتبس ابن وحشية نصاً نسبته لصحيفة الملك

جرماني التي وصّى فيها ابنه قائلاً: "إِنَّ حَبَّ الحنطة والشعير وغيرهما من الحبوب، إنّما تكبر حتى تصير كالنوى، إن يسمّن الملك زوارعي [كذا] الضياع، فإنّه كلّما سمن أرباب الضياع، سمن الحب الذي يزرعونه، يريد بذلك أنّ الملك إذا سامح الثّناء، وأرباب الضياع والمزارع، سمن الحب الذي يزرعونه، والمساحة والإرفاق هو أن لا يتقصى عليهم في الخراج والأداء، وأن يترك لهم منه، ويتفاضل عنهم حتى يستغنوا، وتتسع أحوالهم... فاعدل في رعيّتك وانصف الضعيف من القوي..."^(١).

ويبدو أن أمر الفلاحة، وحال أصحابها قد ازداد سوءاً بمرور القرون، عندما تسلط العسكر من التركمان والديلم والفرس، والسلاجقة والترك، والجركس والألبان والعثمانيين وغيرهم على البلاد والعباد، وأقطعت الأراضي للقادة العسكريين، وأصبح الفلاح والفلاحة رمزاً للشقاء والرق والعبودية، وكل أنواع القهر والتسلط على المُنتَجين الحقيقيين الذي يعيش المجتمع بكل طبقاته وفئاته عالية على جهدهم وكدحهم، وقد نص المقرئزي (ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) على ما آل إليه أمر الفلاحة في زمانه، يقول:

"هذه الآبدة التي يقال لها اليوم "الفلاحة"، ويُسمى المزارعُ المقيم بالبلد "فَلاحاً قرّاراً" فيصير عبداً قنّاً لمن أُقطع تلك الناحية؛ إلاّ أنّه لا يرجو

(١) ابن وحشية، الفلاحة النبطية: ٤١٠/١.

قَطُّ أَنْ يُبَاعَ وَلَا يُعْتَقَ، بَلْ هُوَ قِنٌْ مَا بَقِيَ، وَمَنْ وَلَدَ لَهُ كَذَلِكَ"^(١).

وَأَلْحَقَ أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَارَابِيُّ (ت: ٣٣٩هـ / ٩٢١م)
النَّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي مَهْمَتُهُ النَّظَرُ بِالْأَجْسَامِ الطَّبِيعِيَّةِ^(٢).

وَيَسْتَغْرِبُ الْبَاحِثُ مِمَّا صَنَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ
النَّدِيمِ (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) فِي كِتَابِهِ الْجَلِيلِ الْمَوْسُومِ بـ "الْفَهْرَسْتِ"،
وَالَّذِي صَنَفَ فِيهِ الْعُلُومَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْرُدْ فِيهِ الْفَلَاحَةَ عِلْمًا مُسْتَقِلًّا، بَلْ
أَلْحَقَ مَا تَمَّ تَرْجُمَتُهُ مِنْ كُتُبِ النُّبْطِ فِي الْفَلَاحَةِ بِكُتُبِ السَّحَرِ
وَالطَّلَسَمَاتِ^(٣)، عَلِمًا بِأَنَّ النَّدِيمَ كَانَ رَائِدًا وَبَارِعًا فِي تَقْسِيمِهِ لِلْعُلُومِ
وَالْمَعَارِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

أَمَّا الْخَوَارِزْمِيُّ (ت: ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) فِي كِتَابِهِ "مِفْتَاحِ الْعُلُومِ"
فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَفْظَةَ "الْفَلَاحَةَ"، وَلَكِنَّهُ يَجْعَلُ عِلْمَ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ
مِنَ الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ، يَقُولُ: "وَأَمَّا الْعِلْمُ الطَّبِيعِيُّ، فَمِنْ أَقْسَامِهِ: عِلْمُ الطَّبِّ،
وَعِلْمُ الْآثَارِ الْعُلُويَّةِ أَعْنِي الْأَمْطَارَ وَالرِّيَّاحَ، وَالرَّعُودَ وَالْبُرُوقَ، وَنَحْوَهَا،

(١) المقرئري، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: ٢٣٠/١، وانظر:
السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٥٤-٥٥، الأسدي، التيسير والاعتبار
والتحرير والاختبار، ص ٧٢-٩٦، ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع
الملوك: ٣١٣/٢-٣١٤.

(٢) الفارابي، إحصاء العلوم، ص ١١٩.

(٣) انظر: النديم، الفهرست: ٣٤٠/٢ (بتحقيق: أيمن فؤاد سيد).

وعلم المعادن والنبات والحيوان..."^(١).

ويأتي ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ / ١٠٤٦م)، ويبرز للناس رسالته الذائعة الصيت في "مراتب العلوم"، ويبين أن من العلوم ما قد درس ولم يعد قائماً، كالسحر والطلسمات، ومنها ما زال قائماً وبقيت حاجة الناس إليه. وبعد تحذيره من المخرقين والكذابين والمشعوذين، يحث الناس على تعلم ما هو نافع لهم من العلوم، فيقول: "وإنما الواجب أن يهتم المرء بالعلوم الممكن تعلمها، التي قد ينتفع بها في الوقت، وأن يؤثر منها بالتقديم ما لا يتوصل إلى سائرهِ إلاَّ به، ثم الأهم فالأهم، والأُنفع فالأُنفع"^(٢).

فابن حزم يؤكد الغاية النفعية في تعلم العلوم، ولذلك فإنه يجانب كثيراً من مصنفي العلوم عند العرب كالكندي والفارابي والنديم والخوانساري، ويدخل في نطاق العلوم ودائرته ما أهمله القدماء، ولم يعدوه علماً، ولذا فإننا نجده يقول:

"وعند التحقيق وصحة النظر، فكلُّ ما عُلم فهو علم، فيدخل في ذلك علم التجارة والخياطة والحياكة، وتدبير السفن، وفلاحة الأرض، وتدبير الشجر ومعاناتها وغرسها، والبناء وغير ذلك.

(١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٦٢.

(٢) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم: ٦٢/٤.

إِلَّا أَنَّ هَذِهِ إِنَّمَا هِيَ لِلدُّنْيَا خَاصَّةٌ فِيمَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ فِي
مَعَاشِهِمْ"^(١).

فابن حزم كما نرى هنا خرج عن دوائر التقييد، والحدود الضيقة التي فرضها المشاركة على دوائر العلوم، وانطلق إلى آفاق جديدة أكثر رحابة واتساعاً، وجاء ذلك نتيجة طبيعية أملاها الواقع الجديد الذي تجلّى في جهود الأندلسيين في التأليف في علوم النبات والطب والفلاحة وغيرها من العلوم، ولاسيّما أَنَّ الرجل عاش في العصر الذي تشكلت فيه فعلياً مدرسة فلاحية أصيلة في الأندلس يمثلها عَرِيب بن سعد القرطي، والزهرراوي، وابن الجواد، وابن وافد، وابن اللُّونقة، والطغوري، والجلبي، وابن حجاج الإشبيلي، وأبو الخير الإشبيلي إلى أن نصل إلى ختام مسكهم وهو الموسوعي النحرير، والفلاح الكبير، ابن العوّام الإشبيلي مصنف "الفلاحة الأندلسية" التي مثلت جهود الأندلسيين عامة، وجهود ابن العوّام خاصة في علم الفلاحة.

وعلى الرغم من أن ابن حزم قد سلك "الفلاحة" في عِدَاد العلوم النافعة، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَحْدِ لَنَا هَذَا الْعِلْمَ، وَلَمْ يَقْدَمْ لَهُ رِسْماً أَوْ تَعْرِيفاً، وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ -فِيمَا نَعْلَم- إِلَى أَنْ جَاءَ الطَّبِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَاعِدِ الْأَنْصَارِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَكْفَانِيِّ (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، الَّذِي عَاشَ فِي دَوْلَةِ الْمَمَالِكِ الْأُولَى، وَشَهِدَ لَهُ بِالْفَضْلِ وَالْعِلْمِ، وَإِتْقَانِ الْحِكْمَةِ

(١) المصدر السابق: ٨١/٤.

والرياضة كُتَّابُ السَّيَرِ والتراجم في ذلك العصر^(١).

لقد عرّف ابن الأكفاني علم الفِلاحة قائلاً:

"علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه إلى تمام نشوئه.

وهذا التدبير إنّما هو بإصلاح الأرض بالماء، وبما يخلخلها ويحميها من المعفّات كالسّماذ ونحوه مع مراعاة الأهوية، ويختلف باختلاف الأماكن، ولذلك إنّما يوافق أرض العراق القوانين النبطية المودعة في كتاب الفلاحة الذي نقله ابن وحشية، وكذلك الشام وديار بكر وجزيرة الأندلس، إنّما يوافقها الفلاحة الرومية، وأرض مصر إنّما يوافقها الفلاحة المصرية.

وإن كانت كلّها تشترك في أمور كلية.

ومنفعته: زكاة الحبوب والثمار ونحوها، وهو ضروري للإنسان في معاشه، ولذلك اشتق اسمه من الفلاح، وهو البقاء، ومن لطائفه: إيجاد بعض نتائجه في غير وقته، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها على بعض"^(٢).

(١) انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٥/٢، أعيان العصر وأعيان النصر:

٢٢٥/٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة: ٣/ ٣٦٦ ترجمة رقم (٣٢٦٤).

(٢) ابن الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، ص ١٨٧.

ومعلوم أن ابن الأكفاني من الحكماء التراجمة في العصر المملوكي، وقد عُرف ببراعته في الطب والهندسة والفلسفة، والمنطق والحساب^(١)، وغيرها من العلوم، ولذلك فإننا لا نستغرب منه هذا التعريف الدقيق - الذي ربما كان أول من قال به - لعلم الفلاحة.

فالفلاحة عنده هي معرفة كيفية العناية بالنبات منذ زراعتها وحتى اكتمال نشوئها، وهذا العلم يقوم على إصلاح الأرض، والعناية بها سقاية وسماذاً، كما أنه يختلف من بيئة إلى أخرى وفقاً للعوامل الجوية، والظروف المناخية، وعلم الفلاحة له قوانينه وضوابطه التي تعرف من مصادره الأساسية كالفلاحة النبطية، والفلاحة الرومية.

وعلم الفلاحة عند ابن الأكفاني غايته أن بقاء الإنسان حياً منوطاً به، فهو ضروري لبقائه، وله منفعة شرعية تتمثل في أداء زكاة الحبوب والثمار، كما أنه علم قابل للبحث والتطوير كما يقول: "ومن لطائفه إيجاد بعض نتائجه في غير وقته، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها على بعض"^(٢).

ومِمَّا هو لافت للنظر، أن الفلاحة عند ابن الأكفاني فرع من العلم الطبيعي الذي "يبحث فيه عن أصول الجسم المحسوس من حيث هو

(١) انظر: سمير الدروبي: "أصناف التراجمة في العصر المملوكي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة (٢٧)، العدد (٦٥)، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص ٢٧.

(٢) ابن الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ص ١٨٧.

مُعَرَّض للتغيير في الأحوال والثبات فيها"^(١)، وقد اشتمل هذا القسم عنده على علم الطب، وعلم البيطرة والبيزرة، وعلم الغراسة، وعلم تعبیر الرؤيا، وعلم أحكام النجوم، وعلم السحر، وعلم الطلسمات، وعلم السيمياء، وعلم الكيمياء، وعلم الفلاحة، وعلم الرمل، والقول في الهندسة^(٢).

ومِمَّا هو مستغرب أنَّ ابن الأكفاني ذكر فلاحة ابن العوام على أنَّه من مصادر البيطرة والبيزرة، يقول: "ومن كتب البيزرة، القانون الواضح، وفي كتاب الفلاحة لابن العوام من البيطرة والبيزرة جملة كافية"^(٣)، ولم يذكره في معرض حديثه عن علم الفلاحة، واكتفى هناك بذكر "الفلاحة النبطية" و"الفلاحة الرومية"^(٤).

أمَّا عبد الرحمن ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، فإنَّه قد جعل الفلاحة تالية لعلم الطب، وسابقة على علم السحر والطلسمات، يقول: "الفلاحة، هذه الصناعة من فروع الطبيعيات، وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشؤه [كذا في الأصل] بالسقي والعلاج، وتعهده بمثل ذلك. وكان للمتقدين بها عناية كبيرة، وكان النظر فيه

(١) المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص ١٨٧.

عندهم عاماً في النبات من جهة غرسه وتنميته، ومن جهة خواصه وروحانيته، ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهيكل المستعملة ذلك كله في باب السحر. فعظمت عنايتهم به لأجل ذلك. وترجم من كتب اليونانيين كتاب "الفلاحة النبطية" منسوبة لعلماء النبط، مشتملة من ذلك على علم كبير، ولمّا نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، وكان باب السحر مسدوداً، والنظر فيه محظوراً، فاقترضوا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له ذلك، وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة، واختصر ابن العوام كتاب "الفلاحة النبطية" على هذا المنهاج، وبقي الفن الآخر منه مغفلاً.

ونقل مسلمة في كتبه السحرية أمهات من مسائله، كما ذكره عند الكلام على السحر إن شاء الله، وكُتِبُ المتأخرين في الفلاحة كثيرة، ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج، وحفظ النبات من حوائجه [كذا ولعل الصواب جوائحه] عوائقه، وما يعرض في ذلك كله، وهي موجودة^(١).

وعندما تحدث ابن خلدون عن علوم السحر والطلسمات، قال:

"ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل، مثل: "الفلاحة النبطية" من أوضاع أهل بابل...، ثم جاء مسلمة بن أحمد الجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات، فلخص جميع تلك الكتب وهذبها،

(١) ابن خلدون، المقدمة: ١٠٢٨/٣.

وجمع طرقها في كتابه الذي سَمَّاه "غاية الحكيم". ولم يكتب أحدٌ في هذا العلم بعده^(١).

والملاحظ هنا في أنَّ تعريف ابن خلدون لعلم الفلاحة جاء مركزاً على العلاقة الأولية بين السحر والطلسمات وبين علم الفلاحة، مع إشارة ابن خلدون إلى تخلص علماء الفلاحة المسلمين من سيطرة السحرة وأصحاب الطلاسـم والروحانيات على صنعتهم، وعدَّ ابن العوَّام مثالاً على المنهج الإسلامي الذي قطع وشائج الفلاحة مع الغيبيات والروحانيات، وحوّلها إلى علم يبحث في المحسوسات.

أمّا قول ابن خلدون: إنّ ابن العوَّام كان مختصراً أو ملخصاً لفلاحة النبط، فإنَّه حُكِّمَ يخلو من الدقّة والصواب، ولا يُسلّم به على إطلاقه، وكذلك قوله: إنّ فلاحة النبط مترجمة عن اليونان، بحاجة إلى تحريك وإعادة نظر، وسيأتي ردنا على ذلك في فصل تالٍ من فصول هذه الدراسة.

وجعل أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ—/ ١٤١٨م) "علم الفلاحة" من العلوم المكملّة لصناعة الكاتب في ديوان الإنشاء المملوكي، وذلك بعد تمكنه من الأصول والقواعد التي تقوم عليها صناعة الإنشاء، وخاصة بعد أن تعددت مهام كاتب الإنشاء، وتوسعت

(١) المصدر السابق: ٣/١٠٣٠-١٠٣١.

صلاحياته^(١)، يقول القلقشندي: "منها ما تكمل به صناعته، وتعظم مكانته: كعلم الكلام، وأصول الفقه، وسائر الأحكام، والمنطق والجدل، وأحوال الفرق والنحل والملل، وعلم العروض... وحساب الدور والوصايا... والعلم بالفلاحة، وأصول المساحة، وعلم عقود الأبنية..."^(٢).

أي إنَّ الفلاحة أصبحت من العلوم التي يتوجب على رجل الدولة -وهو كاتب السر أو كاتب الإنشاء- أن يُلمَّ بها؛ لأنَّ الزراعة من الأعمدة الأساسية التي يقوم عليها اقتصاد الدولة، وهي أيضاً قوام وجودها العسكري المرتكز على نظام الإقطاع للأرضي لكبار الأمراء والجُند في عصر القلقشندي، وفي بعض العصور السابقة على عصره.

وفوق ذلك، فإنَّ العلوم الطبيعية عند القلقشندي اثنا عشر علماً، أولها علم الطب، وآخرها علم ضرب الرمل، وقد جاء ترتيب علم الفلاحة الحادي عشر بين هذه العلوم^(٣).

ويُعدُّ كتاب أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (ت: ٩٦٨هـ/١٥٦٠م) والموسوم بـ"مفتاح السعادة ومصباح السيادة، في

(١) انظر: العمري، عرف التعريف في المكاتبات، ص ٧٧-٨٠ (بتحقيق: سمير الدروبي).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى: ١٤/١٢١.

(٣) المصدر السابق: ١/٤٧٤-٤٧٦.

موضوعات العلوم" موسوعة في تاريخ العلوم، وقد عرف بكثرة تشقيقاته وتفريعاته لأنواع العلوم المختلفة، وقد عرّف طاش كبرى زاده الفلاحة بقوله: "علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات من أول نُشُوئه إلى منتهى كماله، بإصلاح الأرض، إمّا بالماء، أو بما يخلخلها ويحميها من المعفّات: كالسماد ونحوه، أو يحميها في أوقات البرد، مع مراعاة الأهوية، فيختلف باختلاف الأماكن، ولذلك تختلف قوانين الفلاحة باختلاف الأقاليم. ومنفعته: زكاة الحبوب والثمار ونحوهما. وهو ضروري للإنسان في معاشه، ولذلك اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء.

ومن لطائفه: إيجاد بعض نتائجه في غير أوانه، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها ببعض إلى غير ذلك.

ذكر أبو بكر بن وحشية في كتابه المسمى بـ "الفلاحة عن النبط": أن من دار حول شجرة الخطمي، وتطلع بالنظر إلى ورودها، وأدام ذلك فإنّها تحدث فرحاً في النفس، وتزيل عنه الهم والحزن^(١).

ويتبين لنا أن عند النظر فيما أورد طاش كبرى زاده الآتي:

أولاً: إنّ زاده قد اعتمد اعتماداً كلياً في تعريفه لعلم الفلاحة على ما جاء عند ابن الأكفاني في كتابه "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في

(١) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: ٣٠٨/١.

أنواع العلوم"، فقد نقل طاش كبري زاده منه نقلاً حرفياً مع التقديم والتأخير، والحذف وزيادة بعض الكلمات.

ثانياً: إن طاش كبري زاده قد خالف كلاً من ابن الأكفاني، وابن خلدون في ترتيبه لعلم الفلاحة بين العلوم، إذ جاء التدرج عنده على النحو التالي: علم البيطرة، علم الببيرة، علم النبات، علم الحيوان، **علم الفلاحة، علم المعادن.**

وهو ترتيب منطقي وعلمي، ونظن أنه لم يكن مسبوقاً إليه، بينما عدّ ابن الأكفاني وابن خلدون، علم الفلاحة قريباً من السحر والطلسمات وهي علوم زائفة.

ثالثاً: إن طاش كبري زاده قد زاد على تعريف ابن الأكفاني، الاقتباس من كتاب "الفلاحة النبوية" فيما يتعلق بالتأثير النفسي الإيجابي الذي تتركه بعض النباتات على الإنسان.

رابعاً: لم يحدد طاش كبري زاده مصدراً أساسياً لعلم الفلاحة عند العرب، ويبدو لنا أنه لم يقف على شيء مما تركه الأندلسيون في علم الفلاحة.

وقدّم **حاجي خليفة** (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) صاحب أوسع مصدر لتاريخ الكتب العربية الإسلامية، تعريفاً لعلم الفلاحة، وجاء تعريفه منقولاً بنصه عما قاله طاش كبري زاده في "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" السابق ذكره، يقول:

"علم الفلاحة: قال صاحب مفتاح السعادة، وهو علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات..."^(١).

وفوق ذلك، فإنّ حاجي خليفة لا يعرفنا بأيّ من كتب الفلاحة في الأندلس على كثرتها وأهميتها، ولعلّ مردّ ذلك إلى عملية التدمير والحرق البشعة التي تعرضت لها الكتب العربية بعد سقوط غرناطة، عندما عرضت بالمزاد العلني في ساحات غرناطة^(٢)، ومن اشترى واحداً منها وحرقه عُدّ ذلك قرباناً إلى الرّب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ حاجي خليفة قد ألّف كتابه "كشف الظنون" بعد ضياع الأندلس، وجناية محاكم التفتيش الباغية على جُلّ مصادر التراث الأندلسي على الرغم من تشبث المورسكيين بتراثهم، ومحاولة إخفائه وحفظه عن أعين الجهاز البوليسي الرهيب لتلك المحاكم غير الإنسانية.

وقد جاءت معلومات حاجي خليفة عن كتب الفلاحة في المشرق نزرة، يسيرة، فهو يذكر فلاحة ابن وحشية والفلاحة الرومية^(٣).

ويقدمُ محمد علي الفاروقي التهانوي المتوفى في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، تعريفاً مقتضباً لعلم الفلاحة، فيقول:

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١٢٨٨/٢؛

انظر: رييرا، التربية الإسلامية في الأندلس، ص ١٤٥-١٤٧.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١٢٨٩/٢، ١٤٤٧.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون: ١٢٨٨/٢.

"علم الفلاحة: وهو علم تُتعرّف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه إلى تمام نشوئه، وهذا التدبير إنّما هو بإصلاح الأرض بالماء وبما يخلخلها، ويحميها: كالسماد والرّماد، مع مراعاة الأهوية، فيختلف باختلاف الأماكن"^(١).

فجلّ كلام التهانوي مأخوذ حرفياً من ابن الأكفاني من جهة، كما أنّه جعل علم الفلاحة تالياً لعلم أحكام النجوم، وعلم السحر، وعلم الطلسمات، وعلم السيمياء، وعلم الكيمياء، ولعلّه في هذا كان متابعاً لابن خلدون أو قريباً من منهجه في ترتيب العلوم.

أمّا خاتمة مؤرخي تاريخ العلوم عند العرب من القدماء، فهو صديق بن حسن القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م)، فقد جاء تعريفه لعلم الفلاحة نقلاً عمّا قال ابن خلدون، وطاش كبري زاده^(٢).

وأضاف القنوجي: "قال في مدينة العلوم: ومن لطائف علم الفلاحة اتخاذ بعض نتائجه في غير أوقاته، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها ببعض إلى غير ذلك"^(٣).

(١) التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون: ٦٣/١.

(٢) انظر: ابن خلدون، المقدمة: ١٠٢٨/٣؛ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة: ٣٠٨/١.

(٣) انظر: القنوجي، أبجد العلوم، ج ٢، ق ٢، ص ٩٩.

ولكننا لم نجد كتاباً بعنوان "مدينة العلوم"، والنص المعزى إلى مدينة العلوم منقول عن ابن الأكفاني^(١)، أو عن طاش كبري زاده^(٢).

وبناءً على ما تقدم ذكره من المصادر التي صنفت العلوم عند العرب، فإن مؤلفيها قد قصروا "علم الفلاحة" على الأرض وإصلاحها، وسقايتها وتسميدها، وزراعة النبات فيها، ثم العناية بالنبات المزروع من بداية زرعه أو غرسه، وحتى اكتمال نموه، مع مراعاة الظروف والبيئات المختلفة.

وفوق ذلك، فإن مؤرخي العلوم عند العرب لم يلتفتوا إلى فلاحه الحيوان التي خصها ابن العوام بجزء كامل من سفره الجليل الموسوم بـ "الفلاحة الأندلسية".

(١) انظر: الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ص ١٨٧.

(٢) انظر: طاش كبري زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة: ٣٠٨/١.

ج. دلالة لفظة "الفلاحة" في كتب الفلاحة:

إنَّ المطلع على تاريخ حركة التدوين عند العرب منذ مطلع العصر العباسي، يدرك أن اللغويين والحكماء والمترجمين قد بذلوا جهوداً ضخمة في وضع المؤلفات ذات العلاقة بالنبات والشجر والغراس والكلاء، والأنواء والحيوان، وكل ما له علاقة بالفلاحة أو الزراعة.

فجابر بن حيان (ت: ٢٠٠هـ / ٨١٥م) له "كتاب النبات"، وأبو عمرو الشيباني (ت: ٢٠٦هـ / ٨٢١م) له "كتاب النخلة"، وأبو زيد الأنصاري (ت: ٢١٥هـ / ٨٣٠م) له "كتاب الشجر والكلاء"، والأصمعي (ت: ٢١٦هـ / ٨٣١م) له "كتاب النخل والكرم"، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) له "كتاب النبات والشجر" و"كتاب النخل" و"كتاب السحاب والمطر والأزمة والرياح"، وابن الأعرابي (ت: ٢٣١هـ / ٨٤٥م) له "كتاب النبات والبقل" و"كتاب صفة الزرع" و"كتاب صفة النخل"، وابن السكيت (ت: ٢٤٤هـ / ٨٥٨م تقريباً) له "كتاب النبات والشجر"^(١)، وغيرهم الكثير من اللغويين والنحويين والإخباريين الذين بذلوا جهوداً مضيئة وعظيمة في تدوين الألفاظ المتعلقة بالزرع والكلاء، والنبات والنخيل، وغيرها من ضروب النباتات والحشائش البرية والمزروعة.

(١) انظر: أبو الحاج، الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي، ص ٢٧-٣٨، وانظر: إقبال، معجم المعاجم، ص ١١٥-١١٩.

ويبدو أنَّ أول كتاب عُنون بـ "كتاب الفلاحة" عند العرب هو كتاب أنطوليوس بلياس الحكيم البيروني، وقد نقله إلى العربية بطرك الإسكندرية، ومطران دمشق سنة (١٧٩هـ / ٨٠٥م)، وقدمت هذه الترجمة لخالد بن يحيى البرمكي (ت: ١٩٠هـ / ٨٠٥م)^(١).

وربما كان "كتاب الفلاحة" لحنين بن إسحاق العبادي (ت: ٢٦٠هـ / ٨٧٣م)، أول كتاب أُلّف وعُنون بـ "الفلاحة" عند العرب^(٢). ثم توالى بعد ذلك الكتب الموسومة بـ "الفلاحة" سواء أكانت معربة أم مؤلفة.

ويُعد كتاب "الفلاحة الرومية" لقسطا بن لوقا البعلبكي المتوفى في حدود (٣٠٠هـ / ٩١٢م)، وما زال الخلاف قائماً بين الباحثين حول هذا الكتاب فيما إذا كان مترجماً أم مؤلفاً، فقد ذكر حاجي خليفة: "كتاب الفلاحة الرومية- تأليف الحكيم قسطوس بن إسكوار إسكينه، وترجمة سرجس بن هليا الرومي من الرومي [اليوناني] إلى العربي، يشتمل على اثني عشر باباً، وعَرَّبَه أيضاً قسطا بن لوقا البعلبكي، واسطاط، وأبو زكريا يحيى بن عدي، وكانت ترجمة سرجس أكمل وأصلح من غيرها.

(١) انظر: أبو الحاج، الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي، ص ٤٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢١٩/٦-٢٢٩.

(٢) انظر: ابن أبي إصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ١٥٦/٢ (ط الهيئة المصرية).

وترجم هذا الكتاب بالفارسية [كذا في الأصل]، وسمّاه الفرس كتاب "بورنامة"، وترجمه بعض المترجمين من الفارسية إلى العربية، فلم يأت به على ما يجب من الترتيب والكمال"^(١).

ويرى محقق كتابه "الفلاحة الرومية" أنّه من تأليف قسطا بن لوقا البعلبكي، وأنّ قسطا هو قسطوس، وهو شامي الأصل^(٢).

ولا ريب في أن حسم أمر الخلاف في حقيقة كون هذا الكتاب مؤلفاً أم مترجماً، يحتاج إلى مزيد من الاستقصاء، وموازنة بين ترجمات الكتاب المختلفة، ويحتاج إلى الاطلاع على أصوله اليونانية، وغير ذلك من أدوات التحقيق العلمي الجاد.

وعلى الرغم من أنّ الكتاب يحمل عنوان "الفلاحة الرومية"، وأنّ كل جزء من أجزائه يشير إلى هذا الاسم، كقوله: "الجزء الأول من كتاب الفلاحة الرومية في هيئة الأفلاك"^(٣)، الجزء الثاني من كتاب الفلاحة الرومية "المساكن والأرض"^(٤)... إلخ، فإنّ قسطوس أو قسطا بن لوقا لم يستخدم كلمة الفلاحة، أو الفلاحين، أو الإفلاح، في موضوعات كتابه،

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون: ١٤٤٧/٢.

(٢) قسطا بن لوقا، الفلاحة الرومية، ص ٥٣ (مقدمة المحقق).

(٣) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣١.

بل استخدم لفظة الزراعة والمزارعين والزُّراع، يقول: "هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزراعة، وما يتعلق بها، ممّا لا يستغني عنه المزارعون"^(١)، ويقول: "قال قسطوس: قصدنا أن نذكر في هذا الجزء اختيار المساكن... وما يصلح للزراعة والرعي..."^(٢)، ويقول: "وينبغي للزُّراع أن يُكثر [كذا في الأصل] تعهد ذكور النخل وإناثه..."^(٣).

وترجم أبو بكر أحمد بن علي الكسداني المعروف بابن وحشية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كتاب "الفلاحة النبطية" من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وهو يستخدم ترجمته لفظة "الفلاحة" وما اشتق منها، يقول: "واعلموا أنّه معطي الفلاحة للأرض..."^(٤)، ويقول أيضاً: "لأنّ هذا الكتاب إنّما حرّكتني على نظمه إلهنا زحل؛ لأنّ الفلاحة له كلّها، وعمارة الأرضين وإصلاح النبات..."^(٥)، ويقول: "وأنا أدخل في ذكر الفلاحة بعد فراغي من تدبير فلاحة الزيتون"^(٦)، ويقول: "واعلموا أنّ فلاح هذه الشجرة وغيرها من الشجر الذي هو مثلها، وغير ذلك من

(١) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٧.

(٤) ابن وحشية، الفلاحة النبطية: ١١/١.

(٥) المصدر السابق: ١٨/١.

(٦) المصدر السابق: ٢٠/١.

النبات، إلى أن يبلغ إلى أصغر النبات وأدونه، ليس يكون إفلاحه وغرسه،
ودفع ما يندفع عنه من العلامات في كل البلدان متساوياً... والذي أذكره
في هذا الكتاب من الفلاحة للشجر... وقد كان يمكننا أن نعلم الفلاحة
في إقليم إقليم بحسب مزاجه، ومسامته الكواكب له"^(١).

وبناءً على ما تقدم ذكره من الشواهد، والاستخدام المكثف للفظه
"الفلاحة"، فإن ابن وحشية قد أشاع هذه اللفظة في العصور التالية،
وأصبحت هذه اللفظة أساسية في تسميات الكتب التي تناولت الفلاحة.

وفوق ذلك، فإن دلالة الفلاحة عند ابن وحشية مرتبطة بزراعة
الأشجار والنباتات المختلفة، مع مراعاة اختلاف البلدان والمناخات.

كما أن الفلاحة -عنده- مرتبطة بالأرض والتربة التي لا بُدَّ من
تعهد ما يزرع فيها بالإصلاح والعمران.

والملاحظ أن التأليف الفلاحي في الأندلس قد ازدهر ازدهاراً عظيماً
في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حتى أطلق بعض الباحثين اسم
الثورة الفلاحية في الأندلس على هذه الفترة، قال الطاهري:

"يكاد يجمع المهتمون بكتب الفلاحة على الإقرار، بأن ذروة العطاء
في هذا الحقل المعرفي قد تحققت خلال القرن الخامس الهجري. ولم يتردد
البعض عن القول بحدوث ثورة فلاحية حقيقية خلال هذا العصر المتميز

(١) المصدر السابق: ٣٥/١.

باختلال المركزية السياسية إثر انهيار نظام الخلافة بقرطبة، وقيام الطوائف بمجموع البلاد الأندلسية"^(١).

ومن أبرز المؤلفات الفلاحية الأندلسية التي أُلِّفَتْ إبان عهد ملوك الطوائف، كتاب "المقنع في الفلاحة" لأحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي الذي أُلِّفه سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م)^(٢).

ويبدو أنَّ هذا الكتاب لم يصل إلنا كاملاً، ولكنَّ ابن حجاج الإشبيلي يستخدم لفظي الزراعة والفلاحة في كتابه "المقنع في الفلاحة"، يقول: "ذكر أهل الفلاحة أجمعون إن أنت أخذت جلد ذيب..."^(٣).

ويقول: "زراعة العدس... زراعة الحمص... زراعة الباقلا... زراعة الترمس"^(٤).

ويقول: "وقد أتيت بأحسن ما ذكره أصحاب الفلاحة في كتبهم في الحمام... وقد رأيت أن أتبع ذلك بما ذكره الحكماء غير الفلاحين من أجناسه وهدايته..."^(٥).

(١) الطاهري، الطب والفلاحة في الأندلس بين الحكمة والتجريب، ص ٨٥.

(٢) انظر: ابن العوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٠/١ (قديم).

(٣) ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص ١١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤-١٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٢.

والملاحظ أنَّ ابن حجاج الإشبيلي يقصر معنى الفلاحة على العناية بالتربة والزبول والماء، والنبات وزراعته، ولم يدخل الحيوان في دلالة الفلاحة، يقول: "وقد أتيت على أحسن ما ذكرته الفلاسفة في الفلاحة وعمارة الأرضين، بأوجز قول وأقربه من الصواب. وأمَّا ما ذكروه من تخير البقر والغنم، والخيول، والبغال، والحمير، وعلاج أدوائها، ودفع الآفات عنها، وما يصلح لها من العلف، وتخير مواضع الرعي، ووقت الإنزاء فهو أشبه بالبيطرة منه في الفلاحة. وقد ذكرت جميع ذلك في كتابي "البيطرة" وتقصيته في جميع الحيوان على ما وجدت الفلاسفة فيه، ولم آل فيه الاجتهاد، ولا معنى لإعادة معنى واحدٍ في كتابين"^(١).

فموقف ابن الحجاج واضح في الفصل بين فلاحة النبات، وتربية الحيوانات، وهو يرى أنَّ موضوع الحيوانات أدخل في باب البيطرة، ولكنَّه عاد واستدرك قائلاً: "وأمَّا ما ذكروه في علاج النحل والحمام والدجاج والطواويس، فإني أذكره هنا لِمَا فيه من المنافع، والأنس في الضياع والبساتين؛ ولأنَّه أمر يسير لا يمكن أن يفرد فيه كتاب لقلته"^(٢).

أما شيخ الفلاحين الأندلسيين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصَّال الطليطلي الذي عاش في القرن الخامس الهجري وصاحب كتاب "القصد والبيان" المطبوع بعنوان "كتاب الفلاحة"، فإنَّه يستخدم لفظة

(١) المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٧.

الزراعة والزرع والزريعة، يقول: "وتترك بعد الزراعة عامين... وتزرع زريعة التين أول شهر مارس..."^(١)، ويقول: "ويكون زرع الزريعة في شهر فبراير"^(٢)، ويقول: "زراعة الكراويا: زراعتها قريبة من زراعة الكمون في الحرث والوقت"^(٣)، ويقول: "الباب الخامس عشر في زراعة الرياحين ذوات الزهور وما شاكلها من الأحباق وسائر الشجر"^(٤).

وألّفينا ابن بصّال قد استخدم لفظة "الفلاحة" في كتابه، ولكن الغالب عليه استعماله للفظ (الزراعة) وما اشتق منها، يقول: "الباب الثالث في ذكر السرّقين: اعلم أنّ السرّقين المستعمل في صناعة الفلاحة ينقسم إلى سبعة أنواع: فزبل الخيل والبغال والحمير نوع واحد..."^(٥)، ويقول: "الباب السادس عشر، وهو باب جامع لمعانٍ غريبة، ومنافع جسيمة من معرفة المياه والآبار، واختزان الثمار، وغير ذلك ممّا لا يستغني عن معرفتها أهل الفلاحة إذ هي من تمام أعمالها واستكمال فائدتها"^(٦).

(١) ابن بصّال، كتاب الفلاحة، ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٩.

(٦) المصدر السابق، ص ١٧٣.

ويقول: "ومن جيد أعمال أهل الفلاحة إحكام العمل في اختزان الثمار وعلاجها حتى لا تفسد فمن ذلك التفاح..."^(١).

وبناءً على ما تقدم فإنَّ الفلاحة هي صناعة عند ابن بصَّال، ومعنى الفلاحة -عنده- أشمل وأوسع من معنى الزراعة التي تشتمل على العناية بالأرض والنبات، كما أنَّ صناعة الفلاحة تمتد لتشمل: المياه، وخزن الثمار ومقاومة الآفات الزراعية إلى غير ذلك من الأعمال الكثيرة التي تنضوي تحت مسمى "الفلاحة"، ويياشرها الفلاحون.

وعند نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يؤلف الملك الرسولي، الأشرف عمر بن يوسف بن رسول (ت: ٦٩٦هـ/ ١٢٦٩م) وهو أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن، وعرف بحبه للعلم والعلماء، وله كتب في الصيدلة والطب، والإسطرلاب والأنساب وغيرها، وقد ألَّف في الفلاحة كتاباً وسمه بـ "مُلح الملاحه في علم الفلاحة"، وأفرد البيطرة بكتاب آخر عنوانه بـ "المغني في البيطرة"^(٢).

يقول الملك عمر الرسولي: "ووضعت على حكم اصطلاح أهل المعرفة في اليمن، بعد البحث معهم في كل ما فيه من صنف وفن، وسميته بـ "ملح الملاحه في معرفة الفلاحة"، ورتبته على سبعة أبواب هي: الباب

(١) المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٢) انظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: ٢٨٤/١.

الأول: فيما يحتاج إليه من الفلاحة في معرفة أوقاتها للزرع والغرس، وأعمال الأرض وإصلاحها، الباب الثاني: في الزرع وما يلحق به..."^(١).

فالفلاحة عند الملك عمر بن رسول هي الزراعة، وإصلاح الأرض وما يتعلق بذلك من أعمال، ولذا فإننا نجده يستخدم في كتابه لفظة: الزرع، يزرع، والزارعين، يقول:

"اللوبياء: صنفان: حمراء وبيضاء، ومن الصنف [كذا في الأصل] البليضاء صنف تسميه الزارعون في تهامة الوابية، وجميع أصنافها يزرع كما يزرع الماش في الجبال..."^(٢).

وعند منتصف القرن الثامن الهجري يؤلف ملك رسولي آخر هو الأفضل عباس بن علي بن داود الرسولي (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) كتاباً في الفلاحة هو "بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين" الذي جاءت فيه لفظة الفلاحة بمعنى الزراعة والغرس والعناية بالأرض، يقول: "وقد شجعني ما تفضل الله به عليّ من مطالعة الكتب المدونة في الفلاحات، والأفعال المجربة في الأوقات، المروية عن الثقات في معرفة زراعة الأشجار المثمرات..."^(٣)، ويقول: "زعم بعض أهل الفلاحة: أن

(١) الأشرف الرسولي، ملح الملاحه في معرفة الفلاحة، ص ١٣-١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٣) الأفضل الرسولي، بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين: ٣/١.

مبتدأ قصب السكر كان عكراً شأ، فسقي بالعسل...^(١)، ويقول: "الباب الخامس: في أوقات الفلاحة، وما يحتاج إليه من أمورها"^(٢)، ويقول: "واعلم أن للزراعة ولغرس الأشجار أوقاتاً من هذه الفصول، وفي هذه الشهور على ما يأتي ذكره.

فإذا أخلّ الزّارع، أو من يريد الغرس بالوقت الذي وُقت للزّرع والغرس؛ لم ينجب زرعه، ولم ينمُ غرسه، ولا يكاد يُثمر، ويصعب عناء الفلاح، وتعظم مشقته..."^(٣).

فجلي عند عباس الرسولي أن الفلاح هو الزّارع، وأن الفلاحة هي الزراعة لا فرق بينهما.

وفي مطلع القرن الثامن الهجري صنف محمد بن إبراهيم بن يحيى الشهير بالوطواط الكتبي (ت: ٧١٨هـ / ١٣١٨م) موسوعته المعروفة باسم "مناهج الفكر ومباهج العبر"، وأفرد قسمها الرابع والأخير للحديث عن النبات، والملاحظ أن الكتبي يستخدم في موسوعته في الأعم الأغلب لفظة "الفلاحة"^(٤).

(١) المصدر السابق: ١١/١.

(٢) المصدر السابق: ١٥/١.

(٣) المصدر السابق: ٨٣/١.

(٤) الوطواط الكتبي، مناهج الفكر ومباهج العبر، القسم الرابع، ص ٢٦٤.

وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي يكتب مؤلف مجهول كتاباً سَمَّاهُ بـ "مفتاح الراحة لأهل الفلاحة"، والمؤلف شامي مصري كما يبدو من مادة كتابه، فهو يذكر غور الأردن وبيسان^(١)، ويذكر الفلاحة المصرية^(٢).

ومِمَّا هو لافت للنظر، أنَّ هذا المؤلف المجهول يستخدم كلمة **الفلاحة** في كتابه استخداماً واسعاً، وقلَّما يستخدم كلمة الزراعة، يقول:

"في فلاحه الحبوب والقطاني... في فلاحه البقول... في فلاحه النبات ذي النوى... في فلاحه أنواع الرياحين"^(٣).

ويقول:

"قال أصحاب الفلاحة..."^(٤)، ويقول: "القول في إفلاح الحنطة"^(٥)، ويقول: "القول في إفلاح الشعير... القول في إفلاح الذرة... القول في إفلاح الباقلاء... القول في إفلاح الحمص... القول في إفلاح العدس..."^(٦).

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٨١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠١.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٥) المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٦) المصدر السابق، ص ١٢٦-١٢٩.

ويلاحظ أنَّ هذا المؤلف المجهول يستخدم اللفظ (إفلاح) بمعنى (فلاحة) كما يستشف من الشواهد السالفة، ويجري كتابه على هذا النمط من الاستعمال.

وأبرز محمد بن محمد الغزي الدمشقي (ت: ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م) كتابه الموسوم بـ "جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة" في دمشق في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس الميلادي.

وتتضح دلالة الفلاحة عند الغزي من خلال مقدمة كتابه الآنف الذكر، يقول:

"فهذا كتاب يُعَوَّلُ في علم الفلاحة عليه، ويرجع في عمارة الأرض إليه، حيث اشتمل على بديع شؤون الملاحة في صنيع فنون الفلاحة، من كل تركيب عجيب، وتطعيم غريب، وتوليد وتشكيل، وتحسين وتجميل. وعلاج علل الأرض والنبات، ودفع سائر الآفات، ووضع كل ما يغرس ويزرع في إبانته، بالنسبة إلى زمانه ومكانه، ومعرفة التلقيح والتذكير، والكسح والتشمير، وحرث الأرض وقلبها، وكيفية زرعها ونصبها، وتعميرها بالزبل بما يناسب من الأزبال والأرمدة والأتبان، وترتيب السقي في سائر الأحيان، وما يُسقى بالأمطار، وحفر الآبار والأنهار، وصفات العمّال في جميع الأعمال، ووضع الطلسمات، وادخار الفواكه والأقوات، وأمارات الخصب، وعلامات الجذب"^(١).

(١) الغزي، جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة: ١/٢.

فالفلاحة عند الغزي تتركز على إصلاح الأرض وعلاجها، وزراعة النبات فيها، وتعهدها بالحرث والتسميد والسقي، وجَرّ المياه إليها. ولكن الغزي عاد أدراجه، وجعل الطلّسمات من أعمال الفلاحة، مع أنّه كان فقيهاً وطبيباً، ويبدو أن غلبة التصوف عليه هي التي هوت به من يفاع التفكير العلمي السليم، إلى حضيض الطلاسم والخزعبلات والسحريات، بحيث يَعْقِدُ الباب السابع من كتابه للطلاسم^(١).

ومن خلال تتبع لفظة "الفلاحة" في أبرز ما وصل إلينا من كتب الفلاحة: النبطية والرومية، والأندلسية واليمنية، والشامية والمصرية، يتجلى لنا أن جُلَّ هذه المصادر يحصر الفلاحة في موضوع الأرض والزرع والغرس، والنبات والمياه والسماذ وما يتعلق بالزراعة، سوى كتاب "الفلاحة الرومية" الذي اشتملت فلاحته النبات والحيوان، وكذلك ابن حجاج الإشبيلي الذي تناول في فلاحته تربية الحمام والنحل والدجاج والطواويس فقط^(٢).

ويقدم ابن العوّام الإشبيلي في موسوعته الجلييلة "الفلاحة الأندلسية" تعريفاً واضحاً ودقيقاً للفلاحة، فيقول:

"ومعنى فلاحة الأرض: إصلاحها، وغراسة الأشجار فيها، وتركيب ما يصلحه التركيب منها، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها، وإصلاح

(١) انظر: المصدر السابق: ٢/٢، ٥٤٧-٥٥٨.

(٢) انظر: ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص ٦٧-٧٨.

ذلك، وإمداده بما ينفعه ويجوده، وعلاج ذلك بما يدفع -بمشيئة الله- الآفات عنه، ومعرفة جيّد الأرض، ووسطها، والدون منها.

وهذا هو الأصل الذي لا يُستغنى عنه، ومعرفة ما يصلح أن يزرع أو يغرس في كل نوعٍ منها، من الشجر والحبوب والخضر، واختيار النوع الجيد من ذلك. ومعرفة الوقت المختص بزراعة كلّ صنف منها، والهواء الموافق لذلك، وغراسة ما يُغرس فيها، وكيفية العمل في الزراعة وفي الغراسة أيضاً.

ومعرفة أنواع المياه التي تصلح للسقي لكلّ نوعٍ منها، وقدره ومعرفة الزُّبُول وإصلاحها، وما يصلح منها لكلّ نوعٍ من أنواع الأشجار والخُضَر والزَّرْع والأرض.

وكيفية العمل في عمارة الأرض قبل زراعتها، وبعد غراستها، وتزويلها، وتعديلها لجري الماء عليها بعد سقيها، وتقدير ما يحتمل من الأرض من أنواع البذر، وصفة العمل في التذكير [التلقيح]، وعلاج الخضر والأشجار من الآفات اللاحقة لها، وتدبير ذلك كله، والقيام عليه بما يصلحه، حتى يُدرك فائده، ويكثر -بمشيئة الله- عائِدُهُ، وكيفية العمل في اختزان الحبوب، وفواكه الأشجار، وفوائد الثمار، وشبه هذا ممّا يلحق به -إن شاء الله-^(١).

(١) ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٢٧٤/١.

وأضاف ابن العوام قائلاً:

"وإني لما استوفيتُ -بعون الله- القول في ذلك بحسب الغرض المقصود إليه، أضفت إلى ذلك **فلاحة الحيوانات** التي لا غنى عن استعمالها في فلاحة الأرض، وبعض الأطيوار التي تتخذُ في الضياع، وفي المنازل للانتفاع بها، ووصف الجيد منها، ونُوعته، ووجه العمل في إنتاجها، وسياستها، وعلاج بعض أدوائها، ولواحق ذلك وما يتعلق به"^(١).

وعند النظر في هذا التعريف الضافي الجامع المانع الذي يقدمه ابن العوام للفظـة "الفلاحة" فإننا يمكن أن نستشفالآتي:

أولاً: إن ابن العوام هو الوحيد الذي قدم تعريفاً مقصوداً وواضحاً ومفصلاً من بين مؤلفي كتب الفلاحة الذين جاءت تعريفاتهم عرضية، أو أمكن استنباطها وتركيبها من خلال مقدماتهم لمصنفاتهم الفلاحية.

ثانياً: إن ابن العوام جعل الفلاحة علماً قائماً على العناية بالنبات والعناية بالحيوان الذي لا غنى للفلاحين عن استعماله، أو يتخذه الفلاحون للانتفاع به، فالفلاحة عنده، فلاحة النبات وفلاحة الحيوان.

ثالثاً: إن ابن العوام يتابع المدرسة الرومية في الفلاحة التي تهتم بالنبات والحيوان في آنٍ واحدٍ، ورائده في ذلك هو كتاب قسطوس الموسوم بـ"الفلاحة الرومية" الذي جمع فيه بين العناية بالنبات والحيوان.

(١) المصدر السابق، ١/٢٧٥.

رابعاً: إنّ فلاحه النبات عنده جاءت مفصلة من حيث العناية بالأرض وإصلاحها، وغراسة الأشجار فيها، وزراعة الحبوب، واختيار الأنواع الجيدة من الغراس والبذور، ومعرفة أنواع السماد المناسبة للتربة، ومعرفة المياه وأنواعها، وتحضير الأرض قبل زراعتها، وعلاج النبات من الآفات الزراعية التي تطرأ عليها، إلى أن نصل إلى تمام العملية الزراعية، وجني المحصول والثمار، والعمل على تخزينها.

خامساً: إنّ ابن العوّام حدد مقصوده من فلاحه الحيوان فيما بعد، مدخلاً في ذلك البقر والضأن والمعز واختيار الأنواع الجيدة منها، والعمل على تكاثرها، ثم أدخل الحيوانات المستخدمة في الفلاحة وغيرها كالخيل والبغال والحمير والإبل، وما يتعلق بصفاتها وتكاثرها، وتسمينها، وعلاجها من أدوائها وعللها، كما أدخل الكلاب: كلاب الصيد والحراسة التي تقوم بحراسة الأغنام، والمزارعين والبيوت في الأرياف والجبال، ولكن لسوء الحظ سقط الباب الأخير المتعلق بهذا الحيوان من كل النسخ الخطيّة، والنسخة المطبوعة فلاحه ابن العوّام.

سادساً: إنّ تعريف ابن العوّام للفلاحة هو أقرب التعريفات لما تقوم به كليات الزراعة المعاصرة من دراسة للإنتاج النباتي والحيواني، وما يتبع ذلك من تجارب وتطبيقات عملية على الأصناف النباتية والحيوانية.

سابعاً: لعلّه يمكن القول: بأن ابن العوّام هو الأب الحقيقي لعلم
الفلاحة أو الزراعة الحديثة، بناءً على هذه النظرة الشاملة والعميقة لهذا
العلم.

* * * * *

الفصل الثاني

ابن العوّام ، حياته ومؤلفاته

الفصل الثاني

ابن العوّام، حياته ومؤلفاته

اسمه ونسبه:

تضمّنت الأصول الخطية لكتاب "الفلاحة الأندلسية" اسم الرجل كاملاً، فهو يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي، وكنيته: أبو زكريا، ولا شك في أنّ تواطؤ الأصول الخطية لكتابه على ذكر اسمه كاملاً، ثم اتفاقها على هذا الاسم يؤكد صحته، لأننا نعلم أنّ كثيراً من المخطوطات لا تتواتر روايتها، ولا تتفق على نسب واحد للمؤلف، بل إنّ بعضها قد يكون مجهول المؤلف، أو قد تكون منحولة لغير مؤلفيها.

فقد نُسب للجاحظ خمسة عشر أثراً ليست له، والإمام الغزالي نُحل إليه ما لا يقل عن ثمانية وأربعين أثراً، وكذلك الإمام جلال الدين السيوطي وغيرهم الكثير من أعلام الحضارة الإسلامية^(١).

وتبين لنا من خلال البحث في المصادر القديمة، أنّ أول من ذكر ابن العوّام هو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، يقول: "وفي كتاب الفلاحة لابن العوّام من البيطرة والبيزرة جملة كافية"^(٢)، فابن الأكفاني اكتفى بذكر اسم الشهرة

(١) انظر: سميح الدروبي، ظاهرة التعدد والكثرة في مؤلفات السيوطي، ص ١١٧-١١٨.

(٢) ابن الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ص ١٧٥.

وهو "ابن العوَّام"، وذكر كتابه "الفلاحة" عند الحديث عن علم البيطرة والبيزرة، ولم يذكره ابن الأكفاني في تعريفه لعلم الفلاحة، ولعلَّ مبرر ذلك أن شهرة كتاب ابن العوَّام في الفلاحة تغني عن ذكره، كما أن ابن الأكفاني كان يكتفي بأسماء الشهرة لأبرز المصنفين الذين ذكرهم في كتابه "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد" الذي كان هدفه الأساس تقديم تعريفات موجزة للعلوم، وإرشاد القارئ إلى أهم المصنفات فيها.

وذكر ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ابن العوَّام، مكتفياً باسم شهرته، يقول: "واختصر ابن العوَّام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج"^(١)، أي أنَّ ابن العوَّام قام بتجريد كتاب "الفلاحة النبطية" من السحر والطلسمات. وما ذكره ابن خلدون له أهميته من حيث أنَّه قد عاش في البيئة الأندلسية والمغربية، وكان قريباً من مصادرها وكتبها الرائجة بين القراء في مختلف الفنون والعلوم.

وعندما تحدث أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ / ١٤١٨م) عن موضوعات العلوم، قال:

"علم البيزرة: من الكتب المصنفة فيه كتاب القانون الواضح، وفي كتاب "العلاجين" لابن العوَّام جملة كافية من البيطرة والبيزرة"^(٢).

(١) ابن خلدون، المقدمة: ١٠٢٨/٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى: ٤٧٤/١.

واللافت للنظر في قول القلقشندي، أنّه يذكر ابن العوّام باسم الشهرة، ممّا يدل على انتشار اسم هذا الرجل في المشرق والمغرب، ومعة المشاركة له بابن العوّام، علماً بأن القلقشندي كان مجايلاً لعبد الرحمن بن خلدون، فهل عرف القلقشندي ذلك من ابن خلدون؟ أم عرفه من طريق ابن الأكفاني صاحب "إرشاد القاصد" الذي اكتفى بذكر ابن العوّام، ولم يزد على ذلك؟ أو أنّ كتاب ابن العوّام "الفلاحة الأندلسية" كان موجوداً في سوق الكتب القاهرية التي كانت يومها أشهر سوق للكتاب في العالم؟ أو أنّ كتاب الفلاحة الأندلسية كان موقوفاً في خزائن كتب المدارس التي كانت منتشرة في مدن دولة المماليك؟^(١)

وكل هذه الاستفسارات تحتاج إلى وثائق ومصادر جديدة، قد تظهر في قابل الأيام.

أمّا ما جاء في "صبح الأعشى" من ذكر لكتاب "العلاجين" لابن العوّام، فهو غير صحيح، ويبدو أن ناشري الكتاب قد صحفوه وحرفوه، ولعلّ المقصود كتاب "الفلاحين" الذي ربما كان اسماً ثانياً شهر به كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام.

وإشارتنا ابن خلدون والقلقشندي مهمتان، وإن لم تقدما لنا توثيقاً كاشفاً لحياة هذا الرجل.

(١) انظر: العمري، عرف التعريف في المكاتبات، ص ٤١ (بتحقيق: سمير الدروبي).

وقد تنبّهت إلى أهمية هاتين الإشارتين الخافتتين المستشرقة
إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، فقالت:

"لقد ظلت رسالة ابن العوّام لوقت طويل المرجع الوحيد في الزراعة
الأندلسية، بيد أن المفارقات أبقت شخصية المؤلف مجهولة بشكل يكاد
يكون كاملاً، فالرسالة لا تقدم لنا حول سيرة ابن العوّام إلا نُتْفَاءً نزرّة،
كما أن المؤلفين العربيين الوحيديين اللذين يشيران إليها، وهما المؤرخ ابن
خلدون، والجغرافي المشرقي القلقشندي، لم يعرفا ابن العوّام على ما يبدو
إلا معرفة قليلة وعابرة"^(١).

قلنا: لم يكن ابن خلدون والقلقشندي أول من أشار إلى فلاحه ابن
العوّام، بل سبقهما ابن الأكفاني، وتلاههما الغزي كما ذكر سابقاً، ونأمل
بظهور مصادر جديدة تكشف لنا المزيد عن حياة ابن العوّام.

وألّف محمد بن محمد العامري المعروف بالرضي الغزي (ت:
٩٣٥هـ/١٥٢٩م) كتابه المعروف بـ "جامع فرائد الملاحه في جوامع
فوائد الفلاحه"، وكان كتابُ ابن العوّام في الفلاحه واحداً من مصادره
الأساسية ونقل منه كثيراً بعزو، وبغير عزو.

وكان الغزي أحياناً يكتفي باسم شهرته: "قال ابن العوّام"^(٢)،

(١) سانشيز: "الزراعة في إسبانية المسلمة"، ضمن كتاب: الحضارة العربية
الإسلامية في الأندلس: ١٣٤٧/٢.

(٢) الغزي، جامع فرائد الملاحه في جوامع فوائد الفلاحه، ص ٥٨٣.

ولكنه ذكر كنيته واسمه مرتين، فقال: "أبو زكريا، يحيى بن العوام"^(١)، ولعلّ الغزي أول مصدر يذكر هذه الفائدة العلمية عن ابن العوام.

وذكر إسماعيل باشا البغدادي كنية ابن العوام، وشهرته، واسمه كاملاً مرتين، يقول: "ابن العوام: أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي الأندلسي المعروف بابن العوام"^(٢).

ويقول البغدادي أيضاً: "كتاب الفلاحة لأبي زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن العوام الإشبيلي"^(٣).

وجاء في "معجم المطبوعات العربية والمعربة" ليوسف إيلان سركيس: "الشيخ أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد، الشهير بابن العوام الإشبيلي"^(٤).

أمّا اسمه ولقبه وكنيته عند خير الدين الزركلي، فهو: "يحيى بن محمد بن أحمد، الشهير بابن العوام الإشبيلي، أبو زكريا"^(٥).

واللافت للنظر أنّه لا خلاف بين المصادر القديمة والحديثة في كنية

(١) المصدر السابق، ص ١٣٨، ٣٦١.

(٢) البغدادي، هدية العارفين: ٥٢٠/٦.

(٣) البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون: ٣٢٠/٤.

(٤) سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ص ١٩٤.

(٥) الزركلي، الأعلام: ١٦٥/٨.

الرجل وشهرته واسمه، ولعل مصدرهم جميعاً هو الأصول الخطية لكتاب
الفلاحة الأندلسية.

أمّا المعاصرون كالبغدادي وسركيس والزركلي، فإنّ مصدرهم هو
-فيما نرجح- نشرة بانكوييري الإسباني الذي ترجم "الفلاحة الأندلسية"
إلى الإسبانية قبل قرنين ونيف من الزمان.

مولده ووفاته:

ما زال تاريخ مولد ابن العوّام مجهولاً للباحثين كافة، ولم يذكر مصدر قديم أو مرجع حديث تاريخاً محدداً لولادة هذا الرجل.

فقد ذكر محمد عبد الله عنان -وهو صاحب الباع الطويل في تاريخ الأندلس وحضارته-: "وأماً ابن العوّام الإشبيلي، فهو حسبما يرد ذكر اسمه في كتابه: أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي.

ولكنّا لا نعرف كذلك سوى القليل عن حياته ونشأته، بل لا نعرف متى عاش بالضبط، وكل ما نعرفه أنّه عاش في إشبيلية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي"^(١).

وسكت المستشرق بالنتيجة عن تاريخ مولده، واكتفى بالقول: "ومن أعلام النباتيين الأندلسيين، أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوام، صاحب كتاب الفلاحة"^(٢).

وكررّ فريد جحا ما ذكره بالنتيجة بشأن ابن العوّام، قال: "ولا نكاد نعرف شيئاً عن حياته، وكل ما نعرفه أنّه كان يعيش حوالي نهاية القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وأن أصله من إشبيلية"^(٣).

(١) عنان، علماء الزراعة الأندلسيون، مجلة العربي، العدد ١٤٤، سنة ١٩٧٠، ص ٨٨.

(٢) بالنتيجة، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٧٥.

(٣) فريد جحا: التراث العربي الأندلسي في ميدان النبات، بحث مقدم ضمن ندوة "إسهامات العرب في علم النبات"، الكويت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٦٦.

ويبدو أن الجهل بتاريخ مولد هذا الرجل، وتاريخ وفاته، ينسحب على جمهرة علماء الفلاحة من الأندلسيين، تقول إكسبيراثيون غارثيا سانشيز:

"ظهرت في القرنين الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والسادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أكبر وأهم نواة للرسائل الزراعية، مثل: رسائل ابن وافد، وابن بصّال، وأبي الخير، وابن حجاج، والطغري وابن العوّام، بيد أنّ المصادر العربية، والسّير الذاتية منها بوجه الخصوص، لا توفر لنا معلومات كافية حول هؤلاء الكتّاب. إنّ الشح في المعلومات، بالإضافة إلى الطابع التعميمي والوجيز لمختلف المخطوطات الزراعية الأندلسية، يجعلان من الصعوبة بمكان دراسة هذا الموضوع"^(١).

وإذا لم يكن هناك أية إشارة، أو تلميح، أو قرينة، أو خبر يمكن من خلاله استشفاف التاريخ التقريبي لولادته أو تحديدها، فإنّنا نجد تضارباً وخلافاً وتباعداً في التاريخ المعطى لوفاته بين الباحثين المعاصرين.

وبالباحثون منقسمون في تاريخ وفاته إلى أربعة أقسام:

الأول: يجعل تاريخ وفاته في أربعينيات القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، والقائل بذلك هو إسماعيل باشا البغدادي المتوفى في مطلع القرن العشرين.

(١) سانشيز، الزراعة في إسبانيا المسلمة، ضمن كتاب "الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ١٣٧١/٢.

فقد ذكر البغدادي في "إيضاح المكنون في الذيل على كشف
الظنون"، ما نصه:

"كتاب الفلاحة لأبي زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن
العوام الإشبيلي في حدود سنة (٥٤٠) أربعين وخمسمائة"^(١)، وقد تابعه
على ذلك أحمد الطاهري^(٢).

وذكر البغدادي نفسه في كتابه "هدية العارفين" أن ابن العوام كان
في أواسط القرن السادس ولعله توفي في حدود سنة (٥٤٥) خمس وأربعين
 وخمسمائة"^(٣).

ولم يشر البغدادي إلى مصدره في هذين التاريخين اللذين يجعلان
وفاة ابن العوام في منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

والثاني: يحدد تاريخ وفاة ابن العوام بسنة (٥٨٠هـ / ١١٨٥م)
تقريباً، ويمثل ذلك خير الدين الزركلي الذي جاء في قاموس أعلامه: "ابن
العوام... نحو (٥٨٠هـ / نحو ١١٨٥م)^(٤).

(١) البغدادي، إيضاح المكنون: ٣٢٠/٤.

(٢) الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد،
ص ١٦٧.

(٣) البغدادي، هدية العارفين: ٥٢٠/٦.

(٤) الزركلي، الأعلام: ١٦٥/٨.

ويمثله أيضاً مصطفى الشهابي الذي يقول: "فأبو زكريا، يحيى بن محمد المعروف بابن العوّام الإشبيلي (توفي في نحو سنة ٥٨٠هـ)، صاحب كتاب "الفلاحة الأندلسية" المشهور"^(١).

ولم يذكر لنا كل من الزركلي والشهابي مصدرهما في تحديد هذا التاريخ التقريبي لوفاة ابن العوّام، وهو سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٥م).

والثالث: يرى أن وفاة ابن العوّام كانت في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فقد نقل محمد زهير البابا عن الموسوعة الإسلامية، ما نصه: "لقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية لمحة مختصرة عن ابن العوّام، جاء فيها ما يلي: هو أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي، صنف كتاباً كبيراً في الفلاحة عنوانه "كتاب الفلاحة"، ولا نكاد نعرف شيئاً عن حياة هذا المؤلف، وكل ما نعرفه أنه كان يعيش حوالي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وأن أصله من إشبيلية"^(٢).

ويشير توفيق فهد إلى أن عهد ازدهار الفلاحة العربية ينتهي مع ابن العوّام الذي كتب مؤلفه في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، أي السادس الهجري، قال: "وينتهي مع ابن العوّام، الذي كتب في نهاية القرن الثاني

(١) الشهابي: تأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوروبية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م، مجلد ٣٦، ج ٢، ص ١٨٣.

(٢) الباب، المؤلفات العربية في علمي الفلاحة والنبات، ص ٢٣، انظر: *Ibn al - Awwam* في (EI).

عشر تقريباً، عهد الازدهار الذي عرفته الزراعة عند العرب في الأندلس" ^(١).

وتابعه على ذلك عز الدين فراج ^(٢)، وحكمت نجيب عبد الرحمن ^(٣).

وهناك بعض الإشارات التي تدل على أنه كان موجوداً في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، فقد ذكر أحمد عيسى أن ابن العوام نقل عن الحاج الغرناطي الذي كان حياً سنة (٥٥٣هـ) ^(٤).

وأشار المستشرق خوان فيرنث إلى أن ابن العوام كان حياً في سنة (٥٧١هـ / ١١٧٥م) ^(٥).

وينقل الطغنري أو الحاج الغرناطي في كتابه "زهر البستان ونزهة الأذهان، عن ابن رشد ^(٦)، ولعله محمد بن أحمد بن رشد قاضي الجماعة

(١) فهد، "علم النبات والزراعة"، ضمن: موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج ٣، انظر ص ١٠٨٤.

(٢) فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص ٦٥.

(٣) انظر: عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٣٣٥.

(٤) عيسى، تاريخ النبات عند العرب، ص ١٠٥.

(٥) فيرنث، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ص ٦٩.

(٦) الطغنري، زهر البستان ونزهة الأذهان، ورقة: ١٠.

بقرطبة (ت: ٥٢٠هـ / ١١٢٦م)^(١) أي إنَّ الحاج الغرناطي كان حياً بعد هذا التاريخ وهو من مصادر ابن العوَّام.

الرابع: يرى أنَّ حياة ابن العوَّام قد امتدت حتى بداية القرن السابع الهجري، تقول سانشيز:

"ويمكن الاستنباط أيضاً بأنَّ ابن العوَّام كان ملاكاً ميسور الحال، توزعت حياته بين القرنين السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، والسابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، على الرغم من أنَّنا نجهل تاريخ ولادته ووفاته"^(٢).

(١) انظر: الزركلي، الأعلام: ٢/٧.

(٢) سانشيز: الزراعة في إسبانيا المسلمة، ضمن كتاب الحصار العربية الإسلامية في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٧٤.

موطن ابن العوّام:

تجمع المصادر على نسبة ابن العوّام إلى مدينة إشبيلية في الأندلس، وهناك إشارات وأخبار متعددة في كتابه "الفلاحة الأندلسية" تعزز ذلك وتدلل عليه.

ومعروف أنّ إشبيلية من أهم المدن الأندلسية، وقد وصفها الحميري بأنّها:

"مدينة بالأندلس جليلة، بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام"، وهي كبيرة عامرة، لها أسوار حصينة، وأسواقها عامرة، وخلقها كثير، وأهلها مياسير، وجُلّ تجارهم الزيت، يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً، فيجتمع هذا الزيت من الشّرف، وهو مسافة أربعين ميلاً كلها في ظل شجر الزيتون والتين، أوّل مدينة إشبيلية، وآخره مدينة لَبْلَة، وسعته اثنا عشر ميلاً، وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة بالحمامات والديار الحسنة، وبين الشرف وإشبيلية ثلاثة أميال. ومدينة إشبيلية موفية على النهر الكبير، وهو في غربيها..."^(١).

وما ذكره الحميري عن إشبيلية، وجبل الشّرف، يعطي صورة باهرة

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨-١٩؛ وانظر: بالباس، المدن الأسبانية الإسلامية، ص ٢٢٦-٢٢٨؛ حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية: ٨٧-٧٠/١.

عن الازدهار الزراعي والاقتصادي لهذه القاعدة المهمة من قواعد الأندلس التي كانت من أركانه الرئيسة قبل تداعي هذه المدينة، وسقوطها بيد الغزاة الأسبان سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م).

ويستدل ممّا ذكره الحميري — وهو الأندلسي العارف ببلاده — أنّ إشبيلية كان يسودها الرخاء، وتصل تجارتها إلى الآفاق البعيدة، وفيها مئات القرى والتجمعات الزراعية والضيايع، علماً بأنّ كل ضيعة منها تحتوي على "ناعورة ومسجد ومدرسة لتعليم القرآن"^(١).

وفي كتاب "الفلاحة الأندلسية" إشارات كثيرة إلى قيام ابن العوّام بتجاربه الزراعية في جبل الشّرف، ومتابعته لهذه التجارب لسنوات عديدة^(٢).

يقول ابن العوّام: "لمّا احترقت أغصان الزيتون في جبل الشّرف، رأيت قوماً قَلَمُوا نباتها الذي قام في مواضعها في العام الأول من نباتها، فبطلت وفسدت تلك المقلّمة، وكذلك ما قلم منها في العام الثاني"^(٣).

فهو يروي لنا واحدة من مشاهداته الزراعية في جبل الشّرف، إذ

(١) بولتر، نباتات الصباغة والنسيج، ضمن كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج ٢، ص ١٣٩٧.

(٢) انظر: ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ١٩٧/٣؛ وانظر: الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس، ص ١٣٤-١٣٦.

(٣) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ١٩٧/٣.

يبدو أن حريقاً هائلاً قد قضى على مساحات واسعة من شجر الزيتون التي عادت ونبتت في عامٍ تالٍ، كما يذكر ابن العوّام، ثم قَلَّمها الفلاحون إلا أنّها لم تنجح.

ومِمّا يؤسّف عليه أنّ ابن العوّام لم يحدد لنا تاريخ هذه الحادثة، وليته ذكر لنا تاريخاً محدداً لمثل هذه المشاهدات والحوادث التي قد تمكن الباحثين من حلّ كثيرٍ من الجوانب الخفية في سيرة هذا الرجل، وسير غيره من علماء الفلاحة الأندلسيين.

ويقص لنا ابن العوّام مشاهدة أخرى وقعت له في جبل الشّرف، فيقول: "رأيت جملة من الأشياخ بالشرف، يفعلون بذرق الحمام مثل هذا، ورأيت أصل زيتون قد طرح عند أصله وقر دابة من ذرق الحمام، في يوم كثير المطر، فلم يضره ذلك، وأعلمني ثقة أنّ رجلاً طرح ذرق الحمام في أصول زيتون قبل شهر (يناير) وذلك في الخريف، فلم يضرّها ذلك"^(١).

والمتتبع لكتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام، يقف على عشرات الأخبار التي كان جبل الشّرف مسرحاً لها، وهي تدور حول مشاهداته الزراعية، وتجاربه على النبات والأشجار، واستصلاح الأراضي الزراعية، والقضاء على الحشرات، ودفع القوارض والآفات النباتية إلى غير ذلك ممّا يتصل بأعمال الفلاحة.

(١) المصدر السابق: ٢٧٣/٣.

مؤلفات ابن العوَّام:

١. الفلاحة الأندلسية: وهو موضوعنا في هذا العمل وسيأتي الحديث عن تحقيق نسبته لابن العوَّام في فصل قادم.
٢. رسالة في تربية الكروم: وهي رسالة نشرها المستشرق منكادا في استوكلم في سنة (١٨٨٩م)، ولم نقف عليها^(١).
٣. عيون الحقائق وإيضاح الطرائق: وهي رسالة مخطوطة توجد في تشستريتي برقم (٤٠١٩)^(٢)، ولكن عند مراجعة المخطوط الموسوم بـ "عيون الحقائق وإيضاح الطرائق" تبين أنَّه من تأليف أبي القاسم محمد بن محمد المعروف بالعراقي، وأنَّ موضوع الكتاب يدور حول السحر والعزائم والشعوذات، وهو أمر لا يستقيم مع فكر ابن العوَّام ومنهجه التجريبي العلمي الذي اطرَّح كل أنواع السحر والعزائم والطلسمات المتصلة بالفلاحة النبطية.
٤. المنزل الريفي: ذكره ناصر حسين صفر، فقال: "من الكتب الزراعية التي لها علاقة بهذا الخصوص كتاب "المنزل الريفي" الذي ألفه ابن العوَّام، وهو يعتبر خلاصة أحسن الوسائل الزراعية في ذلك العهد،

(١) سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة: ١٩٤/١؛ الزركلي، الأعلام:

١٦٥/٨.

(٢) الزركلي، الأعلام: ١٦٥/٨.

وفيه يشرح بالتفصيل لأهم صفات وأعراض أمراض الحيوانات الداجنة التي تعيش بالمتزل الريفي، وكيفية تربية هذه الطيور ورعايتها، والأدوات المستعملة في تربيتها"^(١).

قلنا: لعلّ صفرًا توهم اسم هذا الكتاب اعتماداً على ما جاء عند ابن العوّام في "الفلاحة الأندلسية" في القسم الأخير منه الذي يُعنى بتربية حيوانات المزرعة، والحيوانات الأليفة: كالدجاج والطواويس وغيرها.

٥. كتاب **العلاجين**: الذي ذكره القلقشندي^(٢) في موضوع البيطرة والبيطرة، ويبدو أن الأمر لا يعدو أن يكون تحريفاً عن لفظة "الفلاحين" وهو ما قصده القلقشندي.

* * * * *

(١) صفر، دراسة مقارنة في كتب التراث الزراعية، بحث في مجلة المورد،

١٩٨٥، مجلد ١٤، عدد ٤٤، ص ١٣٧.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**: ١/٤٧٤.

الفصل الثالث
مصادر الكتاب

الفصل الثالث

مصادر الكتاب

إنَّ الدارس لكتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام يُدهش من تنوع مصادر موسوعته الفلاحية، وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه المستشرقة الإسبانية سانشير، فقالت:

"إنَّ كتاب الفلاحة مجموعة كبيرة من الإحالات على نصوص أندلسية ومشرقية، بيد أنَّه في هذه الخاصية بالذات تكمن إحدى أكثر ميزاته أهمية، وبعثاً على الاهتمام، إذ لا يشكل العمل موجزاً للنظريات الزراعية السابقة فحسب، بل يمكنه أن يعيننا أيضاً على إعادة صياغة النصوص الأصلية لبعض المؤلفين، خصوصاً للفترة الأندلسية، الذين وصلت أعمالهم بشكل مبتور أو مجزوء.

ويحتوي كتاب الفلاحة، وهو أحد المؤلفات القلائل التي وصلت إلينا كاملة، جميع المعارف الزراعية والحيوانية الشائعة في وقته، كما يستوعب التراث البستاني السابق ويختصره، ويمحصه ويحييه في آن واحد، ثم إنَّه يرسي فوق ذلك تقليداً للتأمل المصاحب للتجربة، مثلما يقول المؤلف: "ولم أثبت فيه شيئاً من رأيي إلا ما جربته مراراً فصح"^(١).

(١) سانشير: "الزراعة في إسبانيا المسلمة"، ضمن كتاب "الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس"، ج ٢، ص ١٣٧٥.

قلنا: إنَّ رأي سانشيز في مصادر ابن العوَّام، وفي القيمة العلمية لكتابه "الفلاحة الأندلسية" مقبول إلى درجة كبيرة، وهو رأي باحثه صدر عنها بعد دراسة وافية لكتاب ابن العوَّام، ولكن قولها إنَّ كتاب ابن العوَّام قد وصل إلينا كاملاً غير صحيح، إذ سقط الباب الأخير من الكتاب والمتعلق بتربية الكلاب.

وأشار محمد زهير البابا إلى استفادة ابن العوَّام من "جميع المؤلفات التي ظهرت واشتهرت قبله في علم الفلاحة، وخاصة كتاب "الفلاحة النبطية" لابن وحشية، وكتاب الفلاحة الرومية لقسطوس الرومي، كما استفاد من بعض المؤلفات المشابهة التي ظهرت في بلاد الأندلس..."^(١).

وعلى الرغم من أهمية الرأيين المتقدمين لسانشيز والبابا، فإنَّهما يقيان في إطار العموميات فيما يتعلق بمصادر ابن العوَّام في فلاحته، ولذا فإنَّ التعرف على هذه المصادر وقيمتها العلمية، ومعرفة مدى إفادة ابن العوَّام منها، لا يكون إلاَّ بعد تقسيمها وتصنيفها على وفق موضوعاتها.

إنَّ المتتبع لمصادر ابن العوَّام في قسمي كتابه: النباتي والحيواني، يلحظ أنَّ مصادر الرجل قد تنوعت وتعددت، ويمكن تقسيمها بعد سبرها إلى الآتي:

(١) البابا: "التركيب والإنشاد في علم الفلاحة عند العرب"، الموسم الثقافي لجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٥٤.

أولاً: المصادر القديمة.

ثانياً: تجاربه الفلاحية.

ثالثاً: مشاهدات ابن العوّام ومعاينته الميدانية لأُمور الفلاحة.

رابعاً: رواياته الشفوية عن الفلاحين.

أولاً: المصادر القديمة:

ونبدأ بالمصادر القديمة التي نهل ابن العوّام من معينها العذب وموردها الكثير الزّحام، حيث تعددت وتفرعت، فمنها ما هو نبطي، ومنها ما هو رومي، ومنها ما هو أندلسي، ومنها ما هو معجمي أو لغوي، ومنها ما هو أدبي إلى غير ذلك، وبناءً على هذا التنوع والتعدد، فإنّنا نحاول حصر مصادر فلاحته القديمة في الآتي:

أ. الفلاحة النبطية:

إنّ كتاب "الفلاحة النبطية" المنسوب لابن وحشية الكلداني من المصادر الأساسية التي اعتمدها ابن العوّام، وقد نص على ذلك صراحة في مقدمته، مبيناً أنّه كان انتقائياً في أخذه من "الفلاحة النبطية"، وأنّ ما أخذه منها كان مبنياً على الاستحسان والاختيار للمادة التي يراها مناسبة لفكره وبيئته، ومنهجه ورؤيته لعلم الفلاحة، يقول: "واعتمدت أيضاً مع ذلك على ما استحسنته، ممّا تضمّنته الكتب المذكورة بعد هذا، منها: كتاب الفلاحة النبطية؛ تأليف: قوثامي، وهو مبني على أقوال جُلّة الحكماء وغيرهم، وذكر فيه أسماءهم، وعدد منهم: آدم، وصغريث،

وينبوشاد، وأخنوخا، وماسي، ودوناي، وطامثري وغيرهم^(١).

وربما وقع ابن خلدون في وهم، عندما قرأ في مقدمة ابن العوَّام لكتابه "الفلاحة" قوله عند الحديث عن الفلاحة النبطية: "وربما اختصرت ذكر هذا الكتاب، وأثبت له علامة، وهي (ط)"^(٢)، ولو فرضنا أن النسخة التي كانت بين يدي ابن خلدون قد أخلت بلفظة "ذكر"، فإنَّه يفهم من ذلك أن عمل ابن العوَّام كان اختصاراً لفلاحة النبط، وسيأتي ردُّ مقالة ابن خلدون فيما بعد.

لقد رجع ابن العوَّام مئات المرات إلى "الفلاحة النبطية"، والتقط منها ما رآه مناسباً لكتابه، وقد تعددت طرقه في الإشارة إلى هذا الكتاب، وقد جاءت اقتباساته من الفلاحة النبطية على النحو التالي:

- وفي الفلاحة النبطية^(٣) في غراسة الكروم المُرَّشة... وفي الفلاحة النبطية^(٤) أيضاً... وفي الفلاحة النبطية^(٥) أيضاً.

- قال قوثامي في الفلاحة النبطية^(٦).

(١) ابن العوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٤/١ (قديم).

(٢) المصدر السابق: ٢٤/١.

(٣) ابن العوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٣٨٢/٢.

(٤) المصدر السابق: ٣٨٨/٢.

(٥) المصدر السابق: ٣٨٩/٢.

(٦) المصدر السابق: ٢٥٧/١/٢؛ ٢٧٥/٢؛ ٢٨٦/٣؛ ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٥.

- وفي الفلاحة النبطية قال قوثامي^(١).
- قال صغريث^(٢).
- قال صغريث في الفلاحة النبطية^(٣).
- قال ينبوشاد^(٤).
- قال ماسي^(٥).
- قال ماسي السُّوراني^(٦).
- قال أبو بكر بن وحشية^(٧).
- قال طامثري^(٨).
- قال طامثري الكنعاني^(٩).

(١) المصدر السابق: ٥٣/٢، ٢١٨، ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق: ١٧٩/٢، ٣٢١، ٣٩٩؛ ٢٤٢/٣، ٢٤٤، ٢٨٦، ٣٥٨.

(٣) المصدر السابق: ٥٢٣/٣.

(٤) المصدر السابق: ١٥٩/٢، ٢٩٧، ٤٠٥؛ ٢٦٨/٣، ٣٥٩، ٣٦١، ٤٤٥.

(٥) المصدر السابق: ٣٩٦/٢، ٤٠٣، ٤٠٥.

(٦) المصدر السابق: ٢٤١/٣، ٣٦٤، ٤٨١.

(٧) المصدر السابق: ٢٢٠/١.

(٨) المصدر السابق: ٩٠/٢.

(٩) المصدر السابق: ٤٠٨/٢؛ ٣٦٧/٣، ٣٦٨.

- قال آدم^(١).

- قال أنوحا^(٢).

- قال أنوحا وماسي وطامثرى^(٣).

إنَّ اقتباسات ابن العوَّام من الفلاحة النبطية في معظمها جاءت بالمعنى، وإن جاءت حرفية في بعض الأحيان، ولكن دوره في إعادة صياغة هذه الاقتباسات كان واضحاً.

وفوق ذلك، فإنَّ منهجية ابن العوَّام في الرجوع إلى كتاب "الفلاحة النبطية"، وإشاراته الدقيقة إلى ما أخذه عنه، تنفي بشدة فكرة ابن خلدون القائلة بأنَّ فلاحة ابن العوَّام اختصار لفلاحة النبط، وستأتي مناقشة رأي ابن خلدون في الفصول القادمة كما أسلفنا.

ب. كُتُب الفلاحة الرومية:

يبدو أنَّ كتاب "الفلاحة الرومية" لقسطوس الرومي، هو أهم المصادر الفلاحية اليونانية التي رجع إليها ابن العوَّام مباشرة، وعادة ما يشير إليه ابن العوَّام بقسطوس، وعند الرجوع إلى كتاب "الفلاحة الرومية" المطبوع على أنَّه من تأليف قسطا بن لوقا البعلبكي، نجد أنَّ

(١) المصدر السابق: ٣٩٢/٢.

(٢) المصدر السابق: ١٣٧/٢، ٣٩١، ٣٩٥؛ ٣٦٤/٣.

(٣) المصدر السابق: ٢٨٥/٣.

النصوص التي اقتبسها ابن العوَّام متطابقة إلى درجة كبيرة مع نصوص "الفلاحة الرومية"، علماً بأنَّ أغلب النصوص المأخوذة عن قسطوس كان مرجعه فيها هذا الكتاب^(١).

ويبدو أن كتاب "المقنع" لابن حجاج الإشبيلي كان مصدراً مهماً لابن العوَّام في نقل آراء علماء الفلاحة من: اليونان والرومان والبيزنطيين، والأفارقة، والإسبان^(٢)، والدارس لكتاب ابن العوَّام في الفلاحة يجد جملة وافرة من علماء اليونان والرومان الذين عوّل على آرائهم، ونقلها في النبات والحيوان، وأمور الفلاحة ومتعلقاتها، منهم:

- أرسطوطاليس^(٣).
- أبوليوس^(٤).
- أفليمون حيث اعتمد على كتابه "قود المياه"^(٥).
- أنطربليوس^(٦)، ويصفه بالأفريقي أحياناً.
- آنون، وقد وصفه بالماهر في الفلاحة^(٧).

(١) انظر: ابن العوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٢/٢٧، ٣٥، ٣٦٢، ٤١٥، ٤٧١.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١/٢١-٢٣.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٣/٢٩١، ٤٧٨، ٥٠٧.

(٤) المصدر السابق: ٣/٣٥٦.

(٥) المصدر السابق: ١/٢٩٣، ٢٩٥.

(٦) المصدر السابق: ٢/١٩٤؛ ٣/٢٦١، ٤١٠، ٥١٨.

(٧) المصدر السابق: ٢/٧٠، ٢٩٦، ٣/٣٥.

- بارون الرومي^(١).
- بروانطيوس^(٢).
- بريعالوس^(٣).
- بولعالوس^(٤).
- بيردون^(٥).
- جالينوس^(٦).
- ديموقراطيس^(٧)، وقد ينعتة أحياناً باليوناني.
- سادهمس^(٨)، وينعتة أحياناً بـ "العالم".

(١) المصدر السابق: ١٧٥/٢.

(٢) المصدر السابق: ١٧٦/٢؛ ١٩٥/٣.

(٣) المصدر السابق: ١٦١/١، ١٦/٦.

(٤) المصدر السابق: ٦٣/٢، ٧٠، ٧٨، ١٤٣، ١٥١، ١٧٧، ٢٠٠، ٢١٧؛
٣٤٠/٢؛ ٢٩/٣، ٣٠٣، ٣٥٦.

(٥) المصدر السابق: ٢٦٨/٢؛ ٢٢١/٣، ٣٧٥.

(٦) المصدر السابق: ٢١٩/٣.

(٧) المصدر السابق: ٢١٥/٣.

(٨) انظر: المصدر السابق: ١٩/٢، ١٥٤، ١٦١، ١٧٧ / ٢١٥، ٣٢٧؛ ٣٢/٣، ٣٤.

- سمانوس^(١).
- سوديون^(٢).
- سولون^(٣).
- سيداغوس^(٤)، ويصفه بالأسباني أحياناً.
- طاربتيوس^(٥).
- قروراطيقوس^(٦).
- قسطوس^(٧).
- كسينوس^(٨).

(١) انظر: المصدر السابق: ٧٠/٢، ١٨٩، ٢٦٧؛ ٣/٣٤.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٣٥٨/١، ٣٦٠؛ ٢/٣٢٧.

(٣) انظر: المصدر السابق: ١٨٠/١، ٣٥٩؛ ٢/١٩٨، ٢٦٩؛ ٣/٢٢٢.

(٤) انظر: المصدر السابق: ١٨١/١؛ ١٧٠/٢؛ ١٧٦، ٢٤/٣؛ ٣٢٨، ٣٥٣؛ ٦/١٢-١٣، ١٧، ٢٨، ١٠٢، ٢٧٠، ٢٧١.

(٥) انظر: المصدر السابق: ٢/٢٦٧.

(٦) انظر: المصدر السابق: ٧١/٢، ٢٠٨، ٢١٧، ٢٧٦.

(٧) انظر: المصدر السابق: ١٧٧/١، ٢٣٨، ٢٤٢-٢٤٣، ٣٠١؛ ٢/٢٧، ٣٥، ٣٦٢، ٤١٥، ٤١٧.

(٨) انظر: المصدر السابق: ٨٧/٢، ٤٩/٣، ٣٤٣، ٣٤٦؛ ٦/١٢، ١٤، ١٨-١٩، ٢٥.

- مرسينال^(١)، وأحياناً ينعته بالطنيسي.

- مرغوطيس^(٢).

- منهاريس^(٣).

- مهرانيس^(٤)، وأحياناً يصفه باليوناني.

- يونيوس^(٥).

إنَّ قيام ابن العوَّام بهذا التوثيق الدقيق لأسماء علماء اليونان وآرائهم في الفلاحة، جعل من كتابه مصدراً مهماً في التعرف على أصول هذه النصوص، يقول بوراوي الطرابلسي: "وألف ابن العوَّام موسوعة في الفلاحة، حملت عنوان كتاب الفلاحة، جمع فيها كل ما كتبه القدماء في فن الفلاحة، وقد ساعدتني هذه الموسوعة كثيراً في التعرف على أصل النصوص الرومية والنَّبَطِيَّة" ^(٦).

(١) انظر: المصدر السابق: ١٥٥/٢، ١٩٨، ٢١٦، ٣٥٨؛ ٧/٣، ٣٤، ١٩٤.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٨٧/٢، ١٣٦، ١٧٨، ٣١٩، ٣٢٦.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٢٩/٢.

(٤) انظر: المصدر السابق: ١٩٠/٣، ٣٢٧، ٤٣٥.

(٥) انظر: المصدر السابق: ١٩/٢؛ ٧/٣، ٨، ١٥، ٣٢١-٣٢٩.

(٦) الطرابلسي، نشأة علم الفلاحة العربي، ص ١٩.

وفوق ذلك، فقد وقر في الحس الثقافي عند خاصة أهل الأندلس،
أنهم ورثة اليونان حضارياً في موضوع الزراعة على وجه الخصوص،
حيث فخروا بأنهم: "يونانيون في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب
الغراسات، واختيارهم لأجناس الفواكه، وتديبرهم لتركيب الشجر،
وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر، وصنوف الزهر"^(١).

وينقل المقرئ عن ابن غالب نصاً آخر يعضد ما ذهبنا إليه، يقول
في حديثه عن أهل الأندلس: "فهم أشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت؛
ولأنَّ اليونانيين سكنوا الأندلس، فورثوا ذلك عنهم"^(٢).

وأورد المراكشي خبراً طريفاً في ترجمته لأحد علماء النبات والطب
في الأندلس، ويدل خبره على قوة الامتزاج الثقافي بين الأندلس وبلاد
اليونان، يقول: "علي بن عبد الله: إشبيلي، أبو الحسن غلام الحرّة، كان
أديباً... ذا مشاركة في الطب، وتقدم في معرفة النبات، وله "شرح في
كتاب دياسقوريدس" أفاد به، وضبط كثيراً من أسماء الأدوية المذكورة
فيه، تلقاها عن مملوكته أنه القريقية، وكانت وقعت إليه من سبي سرقوسة
صقلية، وكانت أمها قابلة عارفة للحشائش والأدوية..."^(٣).

(١) المقرئ، نفع الطيب: ١٥١/٣.

(٢) المصدر السابق: ١٥٢/٣.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة: السفر الخامس، القسم الأول، ص ٢٣٩.

والمقصود باليونانيين هنا الرومان، ولكن حبذا لو عرف الأندلسيون أن أجدادهم قد جاءوا إلى الأندلس قبل دخولهم إليها زمن الفتح الإسلامي-، من أرض كنعان وفينيقيا، وأنشأوا فيها حضارة زاهرة قبل غزوها من قبل الرومان^(١).

ج. كتب الفلاحة الأندلسية:

لا شك في أن مدرسة الفلاحة العربية في الأندلس قد نمت وتطورت، وأفادت من المعارف النبطية واليونانية، ومن جهود مؤلفي المشرق العربي في الفلاحة.

وقد تراكمت لدى هذه المدارس مواد معرفية كبيرة، إضافة إلى مناسبة البيئة الأندلس للزراعة والنبات، وهي المعروفة بكثرة مياهها وأمطارها، وما تبع ذلك من ظروف اقتصادية وسياسية، واجتماعية وتشريعية، مكنت هذه المدرسة من التطور والازدهار والإبداع، ولذا فإن كتاب ابن العوام في الفلاحة هو ختام مسك هذه المدرسة الفلاحية الأندلسية من جانب، وهو صاحب الفضل في "ذيوغ صيت المدرسة الفلاحية الإشبيلية في أوساط الدارسين منذ فترة مبكرة"^(٢) من جانب آخر.

(١) انظر: غلاب، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، ص ٤٨٤-٤٨٦.

(٢) الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر ابن عباد، ص ١٦٧.

وقد نصّ ابن العوّام على أبرز أعلام الفلاحة الأندلسية الذين نقل من كتبهم، وأفاد من تجاربهم، وقد عكست لنا مقدمته تقويماً دقيقاً لمصادر الفلاحة الأندلسية، مع بيان لقيمة كل واحدٍ منها وميزته، وممّن ذكره ابن العوّام من علماء الفلاحة في الأندلس.

١. ابن حجاج الإشبيلي:

هو أول الفلاحين الأندلسيين الذين اعتمد ابن العوّام كتبهم، يقول: "واعتمدت على تضمينه كتاب الشيخ الفقيه أبي عمر ابن حجاج -رحمه الله- المسمى بـ "المقنع"، وهو الذي ألفه سنة ست وستين وأربعمائة، وهو مبني على آراء أجلة [كذا في الأصل ولعلها جلة] الفلاحين، والمتكلمين، نقل فيه نصوصهم، وعزاها إليهم، وعددهم ثلاثون رجلاً. والمقدمون منهم: يُونيوس، وبارون..."^(١).

والملاحظ أنّ ابن العوّام قد قدّم في كتابه ابن حجاج الإشبيلي، وذكر اسم كتابه "المقنع" صراحة، كما أنّه وصفه بالشيخ والفقيه والإمام، وكان غالباً ما يأتي بذكر اسمه مقروناً بالترحم عليه، كما أنّ ابن العوّام قد نهل من معين "المقنع" حتى ارتوى، ولذلك فإنّه يمكن القول بكل اطمئنان: إنّ ما هو مطبوع من "المقنع" لا يمثل ثلثه، وأنّه يمكن من خلال مراجعة فلاحة ابن العوّام، استدراك ثلثي هذا الكتاب المفقود جُلّه.

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٣/١.

أما سرُّ تقديم ابن العوَّام لابن حجاج الإشبيلي على غيره من علماء الفلاحة الأندلسيين، فربما عاد ذلك إلى انتماء الاثنين إلى مدينة إشبيلية، وأمَّا الترحم عليه، فربما كان ابن حجاج من شيوخه أو شيوخ شيوخه، أو أنَّ بين يديه نسخة من كتاب "المقنع" بخط ابن حجاج نفسه، ولكن إثبات ذلك يحتاج إلى مزيد من الوثائق والمخطوطات، والنصوص الجديدة التي تكشف لنا أسرار هذه المدرسة الفلاحية العظيمة التي يلف الغموض سير أغلب رجالها وأخبارهم.

ولعلَّ من الملائم الإشارة إلى أن اعتماد ابن العوَّام على كتاب ابن حجاج الإشبيلي، جاء في الأعم الأغلب في الجانب النظري، وفي معرفة آراء فلاحي الروم، والإسبان والأفارقة^(١) وغيرهم، ودليلنا على ما تقدم ذكره قول ابن العوَّام في كتابه:

"وقد مت في فلاحه الأرضين، ما أثبتته الشيخ الخطيب أبو عمر بن حجاج -رحمه الله- في كتابه من آراء القدماء المذكورين في ذلك"^(٢).

٢. ابن بصَّال الطليطلي الأندلسي:

أمَّا المصدر الثاني من مصادر الفلاحة الأندلسية التي اعتمدها ابن العوَّام، فهو كتاب ابن بصَّال الطليطلي في الفلاحة، يقول ابن العوَّام:

(١) انظر: المصدر السابق: ١٥٠/٢، ٢٥٤، ٢٩٥، ٣٧٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٧/١.

"... وعلى كتاب الشيخ أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن بصّال الأندلسي - رحمه الله - وهو المبني على تجاربه وعلامته على وجه الاختصار (ص)"^(١).

ولعلّ الكتاب المقصود هو "القصد والبيان" الذي لم يصل إلينا كاملاً، وأصله كتاب ضخّم عنوانه: "ديوان الفلاحة"، وقد اختصره ابن بصّال أو أحد تلاميذه وسّمّاه "القصد والبيان"^(٢)، ولابن بصّال كتاب ثالث بعنوان: "الشجر والنبات"^(٣).

لقد كان ابن بصّال من مفاخر الأندلسيين في علم الفلاحة، وبلغ من اعتدادهم بعمله وفضله، وتقدمه على غيره من علماء الفلاحة في الشرق والغرب، أنّ عدّوه من الفضائل والخصوصيات الأندلسية، فقال أحدهم: "ومنهم ابن بصّال صاحب "كتاب الفلاحة" الذي شهدت له التجربة بفضله"^(٤).

ولد ابن بصّال الأندلسي في طليطلة^(٥)، ويبدو أنّه قد تتلمذ فيها

(١) المصدر السابق: ٢٤/١.

(٢) انظر: G.S. Colin, "Filaha" EI^٢.

(٣) انظر: ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٤٢٠/٣.

(٤) المقرئ، نفح الطيب: ١٥١/٣.

(٥) انظر: ابن سعيد المغربي، المَغْرِب في حُلَى المغرب: ٩/٢.

على يدي أبي المطرف، عبد الرحمن بن محمد اللخمي المعروف بابن وافد (ت: ٤٦٧هـ/١٠٧٤م)^(١)، ثم خلفه في الإشراف على حديقة المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة، ثم فرّ منها ابن بصّال -بعد سقوطها بين يدي ملك الإسبان ألفونسو السادس سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) - إلى إشبيلية حاضرة المعتمد بن عباد، حيث تولى هناك الإشراف على حديقته المسماة بـ "حائط البستان" أو "جنة السلطان"، فالتف حوله بعض التلاميذ، وكان أبو الخير الإشبيلي واحداً منهم، يقول في حديثه عن نبت اللوبيا: "وقد رأيته عندنا في جنة السلطان، وكان قد ازدرعها الشيخ الفلاح ابن بصّال"^(٢).

ولعل هذا الخبر، وغيره من الأخبار النّرة اليسيرة هو الذي جعل المستشرقة سانشيز تخرج إلى نتيجة مفادها، أنّ وجود ابن بصّال في إشبيلية كان السبب في نشوء مدرسة فلاحية بها، تقول: "لقد أدى وجود ابن بصّال في إشبيلية إلى نشوء مدرسة هناك، يمكن عدها امتداداً لتلك المدرسة الزراعية البدائية التي كانت قد ظهرت إبان فترة الخلافة بقرطبة بتأثير الطبيب الزهراوي، والتي انتقلت فيما بعد ولوقت قصير إلى طليطلة، إذ استطاع ابن بصّال أن يستقطب حوله مجموعة من الشخصيات التي لها اهتمامات علمية متقاربة، دانت له بالمهارة، وعدته أستاذاً لها، اعترافاً منه

(١) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص ٥، ج ٩، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات: ٤٦٢/١.

بمعارفه الزراعية الجمّة"^(١).

ويتضح أنّ ابن بصّال قد أدى فريضة الحج ماراً بصقلية، وطاف في بعض بلاد المشرق كمصر وبلاد الشام والحجاز، ويبدو أنه جلب معه ما لدى المشاركة من خبرات معرفية في الفلاحة، أو ما بين أيديهم من المصادر الفلاحية التي لم تصل إلى الأندلس^(٢).

ويلاحظ أنّ ابن العوّام، قد أفاد في كتابه من التجارب الفلاحية الكثيرة التي دونها ابن بصّال في كتابه، حيث بيّن ابن العوّام ذلك في مقدمته، عندما وصف عمل ابن بصّال قائلاً: "وهو المبني على تجاربه"^(٣).

أمّا طريقة ابن العوّام في الأخذ من ابن بصّال، فإنّه قد جعل الحرف (ص) اختصاراً لكتاب (ابن بصّال)، وغالباً ما يذكر في كتابه: "قال ابن بصّال"^(٤)، وأحياناً يشير إليه بـ "قال أبو عبد الله"^(٥)، وقد يقول: قال أبو

(١) سانشيز: "الزراعة في إسبانيا المسلمة"، ضمن كتاب: "الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس": ١٣٧٣/٢، وانظر: عادل محمد علي: "علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لابن بصّال"، مجلة المورد، المجلد (٦)، العدد (٤)، سنة ١٩٧٧، ص ٢٠٣-٢٠٧.

(٢) انظر: G.S. Colin, "Filaha", EI^٢.

(٣) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٤/١.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٣٠٨/٢، ٣٠٩، ٣٢٢.

(٥) انظر: المصدر السابق: ٣٤٩/٢؛ ٤٦/٣، ٤٩، ٦٦.

عبد الله بن البصَّال^(١)، وقد يقول أيضاً: "ومن كِتَابِي الشيخين: أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن بصَّال، والحكيم أبي الخير رحمهما الله"^(٢)، وقد يقول: "قال ابن بصَّال وأبو الخير الإشبيلي"^(٣)، وقد يقول: "من كتاب الشجر والنبات لابن بصَّال"^(٤).

٣. أبو الخير الإشبيلي:

يقول ابن العوَّام عند حديثه عن مصادر الفلاحة الأندلسية التي رجع إليها في كتابه: "وعلى كتاب الشيخ الحكيم أبي الخير الإشبيلي - رحمه الله - مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين، وعلى تجاربه. وعلامته (خ)"^(٥).

لقد كان كتاب أبي الخير الإشبيلي في الفلاحة من أهم مصادر ابن العوَّام، حيث رجع إليه عشرات المرات، ولكن عند مقابلتنا للنصوص التي اقتبسها ابن العوَّام^(٦) على ما هو مطبوع بعنوان "كتاب في الفلاحة" لأبي

(١) انظر: المصدر السابق: ٢٢٥/٣.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١٥٩/١، ١٨١، ٢٣٣.

(٣) انظر: المصدر السابق: ١٧٩/١.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٤٢٠/٣.

(٥) المصدر السابق: ٢٥/١.

(٦) انظر: المصدر السابق: ٤٣٦-٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٥؛ ٥٧/٣.

الخير الإشبيلي، لم نجد هذه النصوص هناك، بل قد نجد أحياناً تشابهاً بينهما في المعنى، مما يدل بجلاء على أن كتاب الفلاحة المطبوع منسوب لأبي الخير وليس له، وقد وجدنا بعض نُقُول ابن العوَّام في كتاب "عمدة الطبيب" لأبي الخير الإشبيلي، وخاصة فيما يتعلق بأصناف النباتات والبقول المختلفة.

ومن حسن الحظ أن محمد العربي الخطابي قد كشف عن كتاب أبي الخير الموسوم بـ "عمدة الطبيب في معرفة النبات" وأثبت صحة نسبة هذا الكتاب لأبي الخير الإشبيلي.

إنَّ أبا الخير المذكور آنفاً، قد أمدنا بشذرات قليلة، ولكنّها كبيرة القدر، جليلة الخطر في الكشف عن المدرسة الفلاحية الإشبيلية التي كان أبو الخير وابن بصَّال والطغنري، ثم ابن العوَّام من مؤسسيها، وكبار أعلامها.

يقول أبو الخير الإشبيلي في حديثه عن أنواع الياسمين: "وهذه الأنواع كلها بناحية بلنسية وصقلية، والإسكندرية وخراسان، أخبرني به غير واحدٍ منهم ابن بصَّال وابن عربي"^(١).

ويقول عند الحديث عن أنواع نبات اسمه (يَبرُوح): "وأراني هذا النوع ابن بصَّال، وأخبرني أنه جَلَب بزره من الشام، وازدرعه بطُليطلة فأُنجب"^(٢).

(١) أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب: ٨٣٥/٢.

(٢) المصدر السابق: ٨٣٦/٢.

ويتحدث أبو الخير عن النشاط الزراعي لشيخه ابن بصّال في "جنة السلطان"، فيقول:

"ويسمى بالهليّون البستاني، وبالطينية كانتس، ويعرف بخشب الحية، ورأيت هذا النوع، قد ازدرعه ابن بصّال بجنة السلطان، وعرفت صورته"^(١).

ويورد أبو الخير خبراً طريفاً عن شيخه ابن اللّونقة^(٢) حول جلب (الهليج الهندي)، فيقول:

"وأراني منه الحكيم أبو الحسن ابن اللّونقة ثلاث حبّات، وذكر أنّها جلبت للمأمون بن ذي النون بطليطلة من الهنديّ [كذا]، وهو عزيز الوجود؛ لأنّه ينبت بالهند الأعلى، وهو أقاصي الهند..."^(٣).

ويكشف لنا أبو الخير عن بعض المجالس والدروس العلمية المتعلقة بأمور النبات، فيقول: "تذاكرت عند الشيخ أبي الحسن ابن اللّونقة -رحمه

(١) المصدر السابق: ٨١٣/٢.

(٢) هو علي بن عبد الرحمن بن يوسف الأنصاري، من ولد سعد بن عبادة، أبو الحسن الطليطلي، ويُعرف بابن اللّونقة، كان فقيهاً بصيراً بالطب، وله فيه تعاليق، توفي بقرطبة سنة (٤٩٩هـ) تقريباً. انظر: المراكشي، الذيل والتكملة: ٢٥٠/٥-٢٥١؛ ابن الزبير، صلة الصلة: ٤/ الترجمة ١٦٣؛ الذهبي، المستملح من كتاب التكملة، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٣) المصدر السابق: ٨٩/١.

الله - ذات يوم نبات الفاونيا، وما ذكر فيه، ورأينا كلام (د)، (جـ)،
وأن صفة ما ذكر الشيخان مطابق لصفة ورد الحمير فقال الشيخ...^(١).

والمقصود بـ(د) ابن وافد الأندلسي، وبـ(ج) ابن الجبلي وهما من
علماء الفلاحة الأندلسية.

ويحدثنا أبو الخير الإشبيلي عن رؤيته للصنف الهندي من نبات
(هليلج)، فيقول: "ولم أرَ من الهندي إلا حبة واحدة - على سني - كانت
عند شيخني الذي قرأت عليه الصناعة، وهو أبو الحسن ابن اللونقة - رحمه
الله - وصف لي أنه أخذها من جملة كانت عند الحكيم ابن وافد - رحمه
الله - وكان يفخر بها لغرابتها"^(٢).

قلنا: إن هذه الأخبار الطريفة تدل بوضوح على الآتي:

- أولاً: إن الفلاحة قد أصبحت علماً وصناعة في الأندلس، لها
شيوخها وعلمائها الذين تؤخذ عنهم.
- ثانياً: إن بعض علماء هذه المدرسة الذين قصدوا المشرق لأداء فريضة
الحج، ولكنهم وجدوا في هذه الرحلة الدينية المباركة فرصة متاحة
للتعرف على جهود المشاركة في علم الفلاحة، وجلب ما لديهم من
نباتات لا توجد بأرض الأندلس.

(١) المصدر السابق: ٦٢٣/٢.

(٢) المصدر السابق: ٨١٣/٢.

- **ثالثاً:** إنّ بعضاً من ملوك الطوائف قد شجعوا البحث الفلاحي، وأعدوا الحقائق التجريبية لكبار علماء الفلاحة، مع توفير الرعاية والتشجيع التامين لهم.

- **رابعاً:** إن أعلام مدرسة الفلاحة الأندلسية، قد رعوا نجباء تلاميذهم الذين اهتموا بعلم الفلاحة، وأطلعوهم على خبراتهم، ومعارفهم ومصادرهم، ممّا جعل هذا العلم راسخاً في الأندلس، يتناقله جيل عن جيل.

وبناءً على ما تقدم، فإنّ ابن العوّام قد أفاد من هذه البيئة العلمية الأندلسية الزاهرة في فن الفلاحة، ولا نستبعد أن يكون ابن العوّام قد لقي ابن بصّال وأبا الخير الإشبيلي؛ لأنّه يصف كل واحدٍ منهما بـ "الشيخ"، وقد يقول: "الشيخان" كما مرّ بنا، ودليلنا على ذلك أن أبا الخير الإشبيلي يذكر شيخه ابن اللوّثقة بلفظة "الشيخ" أو "شيخه" ^(١) ويترحم عليه، وكذلك فإنّ ابن العوّام يذكر ابن حجاج الإشبيلي، وأبا الخير الإشبيلي بلفظة "الشيخ" ويترحم عليهما ^(٢).

وعلاوة على ذلك، فإنّه قد يفهم من كلام أبي الخير الإشبيلي، أنّه عندما ألّف كتابه "عمدة الطبيب" كان مُسنّاً، حيث يقول: "على

(١) انظر: أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب**: ٦٢٣/٢، ٨١٣.

(٢) انظر: ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢١/٢، ١٥٠، ٢٩٥.

سنّي" ^(١) أي إنّه كان قد عمّر طويلاً، فلعل ابن العوّام قد عاصره، وأخذ عنه علم الفلاحة.

وقد أفاد ابن العوّام من كتاب أبي الخير في الفلاحة -الذي هو في حكم المفقود الآن- في الجانبين النظري والعملي، أي من نقولات أبي الخير عمن تقدمه من علماء الفلاحة.

وأفاد أيضاً من تجاربه الفلاحية، ورمز لكتاب أبي الخير في الفلاحة بالحرف (خ) ^(٢).

٤. الحاج الغرناطي:

أشار ابن العوّام في مقدمة كتابه "الفلاحة الأندلسية" إلى رجوعه إلى كتاب الحاج الغرناطي، يقول:

"وكتاب الحاجّ الغرناطي، وعلامته (غ)" ^(٣).

والدارس لمصادر التراث الأندلسي، يجد أنّ الحاج الغرناطي هو الوحيد الذي خصته المصادر الأندلسية بترجمة مفردة، في حين أنّ غيره من علماء الفلاحة كانت تأتي أخبارهم عرضاً، وقلّما يلتفت إليهم في كتب الأدب والسّير والتراجم؛ لأنّ جُلّ التراجم كانت مقصورة على الوزراء

(١) أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب: ٨١٣/٢.

(٢) انظر: ابن العوّام: ٢٥/١.

(٣) ابن العوّام، المصدر السابق: ٢٥/١.

والكتاب والشعراء^(١) عند أغلب كتب التراجم، ولاسيما بعد القرن السادس الهجري.

لقد حظي الحاج الغرناطي بترجمة قصيرة في كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة"، يقول لسان الدين بن الخطيب، "محمد بن مالك المُرِّي الطُّغْنري: من أهل غرناطة، من ذوي البيتية والحسب فيها... أديب نبيل، شاعر، على عهد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس صاحب غرناطة... وكان من أهل الفضل والخير والعلم.

من تواليفه كتابه الشهير في الفلاحة، وهو بديع، سَمَّاه "زهر البستان ونزهة الأذهان"، عبرة في الظرف. قال: وجرى له مع سَمَاحَة خليفة عبد الله بن بلقين قصّة... كان حيّاً سنة ثمانين وأربعمئة. وأمر أن يكتب على قبره..."^(٢).

فنص ابن الخطيب يكشف لنا أن الرجل غرناطي، وأنّه أديب شاعر، وقد اتصل بأمراء غرناطة من الصنهاجيين مادحاً لهم، وكان كتابه في الفلاحة "زهر البستان" مشهوراً في زمن ابن الخطيب، كما أنّه كان حيّاً في سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م).

(١) انظر: ابن بسام الششتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق ١، م ١، ص ٢٣-٣٢، وكانت عبارته التي يبدأ فيها كل قسم من أقسام كتابه: "وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء، وأعيان الكتاب والشعراء، جملة موفورة".

(٢) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ٢/٢٨٢.

ويبدو لنا أن سرّ وجود هذه الترجمة في مصادر التراجم الأندلسية، أن الطغنري كان شاعراً لا فلاحاً، فالشعراء والكتاب الوزراء والفقهاء والقضاة، وممن لفّ لفهم، وكل من كان متصلاً بالسلطان تحفظ سيرته، وتدون أخباره - كما أشرنا من قبل -، أما العلماء في الفلاحة والأطباء والحكماء - بشكل عام - فقلّما يفوز أحدهم بترجمة أو خبر إلا ما جاء عرضاً، أو كان أحدهم شاعراً أو كاتباً أو قاضياً.

وتشير بعض الدراسات إلى أن الطغنري قد ترك غرناطة متوجهاً إلى المرية، وهناك أجرى تجاربه الزراعية في حدائق القصور الملكية في (الصمادحية)، وذلك بعد رحلاته إلى شمال أفريقيا وبلاد المشرق، ثم انضم إلى حلقة ابن بصّال العلمية في الفلاحة في إشبيلية، وقد "أهدى الطغنري مؤلفه الموسوم بـ "زهرة البستان ونزهة الأذهان" إلى حاكم غرناطة المرابطي، أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين.

وعلى الرغم من أن هذا العمل وصل إلينا ناقصاً بأكثر من النصف، إلا أنه يُعدُّ واحداً من أفضل الرسائل الزراعية الأندلسية نظاماً وترتيباً، إذ تمتزج فيه المعرفة النظرية بالخبرة والتجربة الحيتين، وتنم قراءته عن معرفة عميقة وواسعة بموضوعات شتى كالطب والبستنة والنحو وغير ذلك^(١).

ويتضح لنا ممّا سبق، أن الحاج الغرناطي المعروف بالطغنري، كان

(١) سانشيز، "الزراعة في إسبانيا المسلمة"، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ١٣٤٧/٢، وانظر: G.S. Colin, "Filaha", EI^٢.

يجمع بين النظرية والتطبيق في الفلاحة، شأنه شأن أبي الخير الإشبيلي، ولذلك، فإنه قد جاء المصدر الرابع في الأهمية وفقاً لترتيب ابن العوَّام لمصادره في الفلاحة الأندلسية، ورجع إليه عشرات المرات في كتابه^(١).

٥. ابن أبي الجواد:

لقد عدَّ ابن العوَّام "كتاب ابن أبي الجواد"^(٢) واحداً من مصادره في الفلاحة، على الرغم أنَّه لم يرجع إليه إلا مرة واحدة في حديثه عن تساقط ثمر شجر التين^(٣)، ولعله كان يعزو إليه في جملة علماء الفلاحة الأندلسيين الذين عزا إليهم دون ذكر أسمائهم.

ولكننا لم نقف على اسم كتاب هذا الرجل كاملاً في المصادر، وتذكر سانشيز معلومة مهمة عن ابن أبي الجواد، قالت:

"ونجد في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي نصاً آخر في علم الزراعة، تم نشره مؤخراً، من دون تسمية مؤلفه، على الرغم من أن كل البيانات المتوفرة تشير إلى ما يبدو إلى كاتب مغمور هو ابن الجواد، وتنحصر مادة العمل المذكور، الموزعة على عشرة فصول، في ثلاثة من

(١) انظر: ابن العوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٣٣/٢، ١٤٥، ١٦٤، ٢٥٦، ٢٧٧-٢٧٨، ٣٢٣، ٣٤٦؛ ٥٧/٣، ٢٠٦، ٢٠٧؛ ٤٤٢/٣؛ ٢٨٣/٦.

(٢) المصدر السابق: ٢٥/١.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٣٢٨/٣.

ميادين علم الزراعة، هي: زراعة الأشجار، والبستنة، والجنانة"^(١).
وللأسف فإننا لم نتمكن من الوقوف على هذا الكتاب المنشور
حديثاً في إسبانيا على الرغم من جدنا في طلبه.

٦. عَرِيب بن سعد:

لم يحدد لنا ابن العوّام عنوان كتاب عَرِيب في الفلاحة، ولكن عريباً
كان مؤرخاً وكاتباً وطبيباً، فقد اختصر تاريخ الطبري وكتب له صلةً،
وكانت وفاته في سنة (٣٦٩هـ/٩٨٠م)^(٢).

ويبدو أنّ كتاب عَرِيب الذي رجع إليه ابن العوّام هو "كتاب
الأنواء" الذي وصل مخطوطاً بخط عبري، وتوّلى نشره دوزي وبيلا مع
النص العربي^(٣).

يقول فؤاد سزكين في حديثه عن كتاب الأنواء لعريب: "وهذا
الكتاب من كتب الأنواء الأندلسية القليلة التي وصلت إلينا، وكان على ما
يبدو ذائع الصيت في الأندلس، وفي الغرب النصراني من خلال الترجمة

(١) سانشيز: "الزراعة في إسبانيا المسلمة"، ضمن كتاب: "الحضارة العربية
الإسلامية في الأندلس": ١٣٦٩/٢.

(٢) انظر: بانثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد السابع، ص ٥٠٨-٥٠٩؛ شاحت
وبزورث، تراث الإسلام، ق ١، ص ٣٠٥.

اللاتينية له. وعلى الرغم من أن الثوابت العددية فيه لا تتفق مع الأحوال الأندلسية؛ لأن المؤلف اعتمد -في جمعها- على مصادر تقليدية في الأنواء ألفت في بلدان أخرى وبخاصة مصر، فإن المعلومات المتصلة بالفلاحة والإدارة خلال القرن الرابع/ العاشر في هذا الكتاب ذات أهمية عظيمة كما يرى شارل بيل^(١).

والملاحظ أن ابن العوام قد رجع إلى عريب بن سعد في موضوع تغذية النبات وأمراضه^(٢)، ورجع إليه في موضوع حمل الخيل، وإنزاء الفحول عليها، يقول: "وقال عريب بن سعد الكاتب القرطبي: مدة حمل الرمكة من يوم علوقها إلى يوم وضعها عشرة أشهر"^(٣).

وفي الجملة كانت إحالات ابن العوام على عريب بن سعد القرطبي قليلة.

د. كتب البيطرة وعلاج الحيوان:

لقد اعتمد ابن العوام على مصدرين أساسيين في البيطرة، حيث ذكر لنا "محمد بن يعقوب بن حزام" ولم يسم مصنفه، وتبين لنا أنه بغدادى عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد ألف كتاباً

(١) سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد السابع، ص ٥٠٨-٥٠٩.

(٢) ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٤٧٤/٣.

(٣) المصدر السابق: ٥٤/٦، ٥٦.

بعنوان "الفروسية والبيطرة"، للخليفة العباسي المتوكل، وتمام اسمه: أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن غالب بن علي بن أخي حزام الخُثَلِي، وله أكثر من كتاب في الفروسية وركوب الخيل^(١)، ولعله "أبي" بدل: "أخي"؛ لأنَّ العرب لا تقول: "أخي فلان".

وقد رجع إليه ابن العوَّام مرات كثيرة، ونقل عنه نقولاً طويلاً قد تزيد عن صفحة أحياناً^(٢)، ويبدو أنَّ هذا الكتاب من الكتب الأمهات والأصول في علم البيطرة عند العرب على قلتها.

ورجع في موضوع حِران الخيل إلى كتاب البغدادي^(٣)، ولعله محمد بن يعقوب بن أخي حزام السالف الذكر.

أما مصدره الثاني في موضوع الخيل والبيطرة، وسياسة الدواب وغيرها، فهو موسى بن نصر الذي لم نقف له على ترجمة أو خبر، وقد أفاد منه ابن العوَّام في رياضة الخيل وركوبها وعلاجها^(٤)، وربما كان موسى بن نصر أندلسياً.

(١) انظر: النديم، **الفهرست**: م ٢، ص ٣٤٨ (تحقيق: أيمن فؤاد سيد)؛ سزكين، **تاريخ التراث العربي**، المجلد الثالث (طب، صيدلة، علم الحيوان، البيطرة حتى نحو ٥٨٩هـ): ٢/٥٨٩.

(٢) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٣٨/٦، ٤٠-٤٢، ٥٥، ٦٨، ٧٢، ٨٦، ١٠٩، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٨.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ١٢٨/٦.

(٤) انظر: **المصدر السابق**: ٤٦/٦، ٦٢، ٨٣، ٨٦، ٩٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٠-١٥٢.

هـ. كتب الأدب واللغة والنبات:

حيث رجع ابن العوَّام في فلاحته إلى مصدرين أساسيين في هذا الموضوع، وهما كتاب "الحيوان" للجاحظ^(١)، وكتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة^(٢)، وخاصة فيما يتعلق بأوصاف الحيوان وعيوبها وطبائعها.

ويبدو أن ابن العوَّام قد رجع إلى كتب: محمد بن سلام، والأصمعي وأبي عبيدة، وغيرهم من كبار اللغويين، ولكننا لم نجد نصّاً محدّداً معزّواً لهم في كتبهم المطبوعة في الخيل أو اللغة^(٣).

وأفاد ابن العوَّام من كتاب "النبات" لأبي حنيفة الدّينوري، الذي رآه البغدادي في "مجلدات كبار ستة"^(٤). وهذا الكتاب وغيره من كتب النبات المؤلفة في المشرق قد حملت الأندلس، ودرس في الحلقات العلمية هناك؛ يقول ابن خير الإشبيلي: "كتاب النبات؛ لأبي حنيفة، وكتاب الأنواء له، وكتاب القبلة له، حدثني بها شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي رحمه الله، عن أبي علي الغساني - رحمه الله - قال: حدثني بها إجازة أبو عبد الله محمد بن محمد بن بشير المعافري عن أبي الوليد هشام بن عبد

(١) انظر: المصدر السابق: ٢٤٥/٦، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٨٠.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٤٥/٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٩، ٧٣-٧٥، ٧٧، ٧٩.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٤٦/٦، ٧٢، ٧٧، ١٩٤، ٢٢٠، ٢٣٣.

(٤) البغدادي، خزانة الأدب، ص ٥١.

الرحمن الصابوني، عن أبي القاسم علي بن إبراهيم بن محمد التميمي
الدهكي البغدادي، عن أبي الوداع لبيب بن عبد الله عن أبي حنيفة أحمد
بن داود الدينوري مؤلفها رحمه الله^(١).

و. كتب الأدوية والأغذية:

رجع ابن العوام إلى كتاب "الأغذية" لأبي مروان عبد الملك ابن زهر
الأندلسي، وإلى كتاب "منافع الأغذية ودفع مضارها" لأبي بكر الرازي.

ثانياً: التجارب الفلاحية العملية:

لعلّ التجارب الفلاحية العملية من أهم مصادر ابن العوام في كتابه
هذا، فقد قام ابن العوام في جبل الشرف، وفي قرى إشبيلية، وفي قصور
أمراء المرابطين، وربما الموحدين، بمجموعة من التجارب الفلاحية
الناجحة، التي روى لنا تفصيلاتها وكيفية إجرائها، يقول: "لي: رَكَبْتُ
أقلاماً من كمثرى سُكْرِي في شجرة سفرجل كبيرة، ولم يكن فيها موضع
أملس يصحّ للتركيب إلاّ على نصف قامة من وجه الأرض صاعداً؛
فركبتها فيه، وأدخلت عليها ظرفاً كبيراً مثل خابية، وعملت فيه مثلما
تقدم من وضع التراب فيه؛ فَعَلِقَ ذلك التركيب، وطلع من عامه نحو
عشرة أشبار، وجاد وأطعم.

(١) ابن خير الإشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص ٣٧٦-٣٧٧؛ وانظر: ابن
العوام، الفلاحة الأندلسية: ٤٦٤/٢؛ ريبر، التربية الإسلامية في الأندلس،
ص ١٥٠-١٥٤.

وبعد أعوامٍ انكسر ذلك الظرف، وزال التراب عن أصل السفرجلة؛ فإذا الأصل قد عفن كُله، وصارت الأقالام عروفاً نفدت في تراب ذلك الظرف، إلى أن غابت في الأرض، وصارت أصولاً لتلك الأقالام تغذي منها؛ إلا أن فيها ضعفاً من حمل الأعلى؛ فأعدت لها ظروفًا أُحر، وأدخلت التركيب فيها، وملأتهما بالتراب، وبقيت كذلك أعواماً ثم انكسرت، فألفت تلك العروق قد تقوّت، فدعمتها بالخشب لتقوى على حمل الأعلى، فكانت كذلك، وغلّظت وصارت كأنّها شجرة كُثرى نابتة غير مركبة، واستمرت على الإطعام أعواماً كثيرة.

فهذا دليلٌ واضح بأن الظروف لجميع الأشجار، متفقها ومختلفها أفضل من الطين والحرق"^(١).

فنحن أمام تجربة فلاحية مكتملة العناصر، إذ حدد هدفه من إجراء التجربة، وهياً لها الظروف والأحوال المناسبة، وقام بالملاحظة المباشرة، ورصد تطورات التجربة، وأدخل عليها ما رآه مناسباً لها، هادفاً الوصول إلى النتيجة المرجوة، وأعاد التجربة مرة ثانية حيث حققت الهدف المرجو منها، ثم خلاص إلى نتيجة مبنية على الدليل الذي وصفه بالوضوح وتأكد منه من خلال المحاولة والخطأ.

ويبدو أن ابن العوام كان متصلاً ببعض أمراء المرابطين الذين كانوا يحكمون الأندلس، وكان يجري التجارب الفلاحية في حدائق قصورهم

(١) ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٧٧/٣-٧٨.

وَمُتَنَزَّهَاتَهَا، فَقَدْ أَجْرَى تَجْرِبَةً عَلَى السَّرَجِينَ (السَّامِد)، وَكَرَّرَ هَذِهِ التَّجْرِبَةَ مَرَاراً - وَعَلَى مِدَارِ سَنَوَاتٍ - حَتَّى تَحَقِّقَ لَدَيْهِ نَجَاحَهَا وَفَائِدَتَهَا الْعَمَلِيَّةَ^(١).

وَلَسْنَا بِصَدَدٍ حَصَرَ هَذِهِ التَّجَارِبَ الْكَثِيرَةَ الْمُنْتَوَعَةَ الَّتِي بَاشَرَهَا ابْنُ الْعَوَّامِ بِنَفْسِهِ، وَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ نَتَائِجِهَا، وَلَكِنْ هَذَا الْمَنْهَجُ التَّجْرِبِيُّ يَبْقَى مُصَدِّراً أَصِيلاً وَمَهْماً مِنْ مَصَادِرِ كِتَابِهِ الْجَلِيلِ، بَلْ إِنَّ هَذِهِ التَّجَارِبَ مِنْ أَسْرَارِ عَظَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ، وَبَوَاعِثِ الْإِهْتِمَامِ بِهِ، وَتَرْجُمَتِهِ إِلَى سِتِّ لُغَاتٍ عَالَمِيَّةٍ مِنْذَ قَرْنَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ وَحَتَّى الْآنَ.

ثَالِثاً: مَشَاهِدَاتُ ابْنِ الْعَوَّامِ وَمَعَايِنَاتُهُ الْمِيدَانِيَّةُ لِأُمُورِ الْفَلَاحَةِ:

يَقُولُ ابْنُ الْعَوَّامِ وَاصِفاً مَا قَامَ بِهِ الْفَلَاحُونَ عِنْدَ غَرْسِهِمْ لِلْأَنْقَالِ:

"وَبَعْضُ الْفَلَاحِينَ يَرَى أَنَّ يُقَشَّرَ مِنْ سَاقِ الثَّقَلَةِ إِذَا كَانَ قَشْرُهَا قَدْ حَشُنَ، نَحْوَ الثُّلُثَيْنِ مِمَّا تَوَارِيهِ الْأَرْضُ مِنْهَا، حَتَّى يَتَوَصَّلَ إِلَى الْقَشْرَةِ الرَّقِيقَةِ اللَّاصِقَةِ بِعُودِهَا، وَحِينَئِذٍ يَغْرِسُهَا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ فِي قَشْرِ الثَّقَلَةِ هُنَاكَ حُشُونَةٌ. وَلَا يَتَحَرَّكُ شَيْءٌ مِنَ التَّرَابِ الْقَرِيبِ مِنْ أَصْلِ الشَّجَرَةِ الْمَغْرُوسَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُوْذِي عُرُوقَهَا لَضَعْفِهَا، وَلَا سِيَّمَا تُقْلُ شَجَرُ الزَّيْتُونِ، فَإِنَّ عُرُوقَهَا بِمَقْرَبَةٍ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى أَنْ تَسْكُنَ وَتَقْوَى، وَحِينَئِذٍ تُعَمَّمُ، وَلَا بُدَّ مِنْ قَطْعِ شَيْءٍ مِنْ عُرُوقِهَا عِنْدَ الْعِمَارَةِ، وَلَا سِيَّمَا تُقْلُ الزَّيْتُونُ وَشَبِهُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يُبَالِغُ فِي الْمَشَقِّ، وَلَا فِي الْحَفْرِ عِنْدَ عِمَارَةِ تُقْلِ الزَّيْتُونِ الْقَرِيبَةِ

(١) انظر: المصدر السابق: ٢٥٣/١، وانظر: بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ص ٣٩.

العهد بالغراسة لأجل عروقتها، حذراً من قطعها. وقد رأيت ذلك عياناً وقد أضرب بها" (١).

ويقول أيضاً:

"لي: رأيت ذلك عياناً في شجر الزيتون المحرم، فيما قطع منه بالحديد قبل أن يُطعم، فإنه فسد وبطل، ولا سيما ما نُقل منه في أول عامٍ من قيامه ونباته" (٢).

رابعاً: الروايات الشفوية عن الفلاحين:

لقد روى ابن العوام عن مجموعة من الأشخاص الذين لم يتمكن من تحديد شخصياتهم أو الوصول إلى مؤلفاتهم، يقول: "وأخبرني ابن عرفان أنه ركب الزيتون في التفاح، فعلق وغضر ونما" (٣).

ويقول: "وأخبرني الفقيه علي بن شهاب، أنه رأى الكمثرى قد ركب في شجر الرمان، فعلق أحسن عُلق" (٤).

ويقول: "لي: رأيت جملة من الأشياخ بالشرف يفعلون بذرق الحمام مثل هذا. ورأيت أصل زيتون قد طُرح عند أصله وقر دابة من ذرق

(١) المصدر السابق: ٤٠/٢.

(٢) المصدر السابق: ٤٧/٢.

(٣) المصدر السابق: ٣٧/٣.

(٤) المصدر السابق: ٣٧/٣.

الحمام في يوم كثير المطر، فلم يضره ذلك. وأعلمني ثقة أن رجلاً طرح ذرق الحمام في أصول زيتون قبل شهر (يناير)، وذلك في الخريف، فلم يضرها ذلك"^(١).

وقال في حفظ العنب على شجره في آنية الفخّار: "أخبرني ثقة أنّه رآه قد فسَدَ بمماسته لآنية الفخّار"^(٢).

ويروي عن بعض الثقات أخباراً تتعلق بالفلاحة في المغرب وخاصة في مدينة سجلماسة^(٣). ويلاحظ أن مشاهدات ابن العوّام قد تكون معززة بروايته عن الثقات الذين يأنس فيهم الخبرة، ويطمئن إلى صدق أقوالهم.

وبناءً على ما تقدم، فإنّنا نلاحظ أن مصادر ابن العوّام قد تنوعت أشكالها وتعددت ضروبها، إذ رجع إلى عدد كبير من المصادر في: الفلاحة، والبيطرة، وطباع الحيوان، والأدوية، والأغذية، والغراسية، والأدب واللغة.

وعلاوة على ذلك، فإنّ تجاربه العلمية في الحقول والجبال، والحدائق السلطانية، ومشاهداته ومباشراته لأموال الزراعة، وروايته عن الثقات من الفلاحين، تشكل رافداً جديداً، وأصيلاً لمصادره الكثيرة في موسوعته الجليّة في الفلاحة.

(١) المصدر السابق: ٢٧٣/٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٩٣/٣.

(٣) المصدر السابق: ٣٦٥/٢.

وينماز كتاب ابن العوَّام "الفلاحة الأندلسية" بشراء مصادره وكثرتها، مقارنة مع غيره ممَّن كتبوا في الفلاحة من المشارقة، فجمهرتهم يعتمد بضعة مصادر وكفى، ومثال ذلك ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) في كتابه "مسالك الأبصار" القسم الخاص بالحيوان والمعادن والنبات، نجده يرجع إلى "الفلاحة النبطية"، وإلى كتاب أبي حنيفة الدينوري في "النبات"، وإلى كتاب ابن البيطار في "الأدوية والأغذية"، وكتاب ابن زهر في "حفظ الصحة"^(١).

وفعل كل: من النويري^(٢)، والغزي^(٣) والناقلي ما فعله العمري من حيث الاكتفاء بعدد قليل من المصادر، أو تلخيص أعمال الآخرين، وهو ما فعله الناقلي.

وكان بعض مؤلفي كتب الفلاحة يهيم مصادره وقلما يشير إلى بعضها^(٤).

* * * * *

(١) انظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار (في الحيوان والنبات والمعادن)، ص ٢١٥، ٢٢١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٤٠٦، ٤٠٩.

(٢) انظر: النويري، نهاية الأرب: ٥/١١، ٧، ١١، ١٤، ٢٦، ٢٨، ٤٣، ١٠٧، ٣١٧، ٣٢٨.

(٣) الغزي، جوامع فوائد الفلاحة، ص ٦، ٢٠١، ٣٧٣، ٤١٣.

(٤) انظر: أبو الحاج، الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي، ص ١٣.

الفصل الرابع

أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام

وقيمته العلمية

الفصل الرابع

أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام وقيمتها العلمية

إنَّ الدارس لكتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام، والناظر في غيره من كتب الفلاحة العربية التي تقدمته أو التي كتبت من بعده، يدرك الأهمية الكبرى لمثل هذه الموسوعة الفلاحية التي نرى أن بعضاً من ملامح أهميتها وقيمتها العلمية يبرز في الآتي:

تخليص علم الفلاحة العربية من الفكر الميثولوجي الأسطوري،
والنظر إليها على أنها صناعة لها أصولها ومناهجها وأهدافها.

فالقارئ لأهم مصادر الفلاحة المشرقية — وهو الكتاب الذي ترجمه ابن وحشية الكسداني (الكلداني وتعني النبطي) في نهاية القرن الثالث^(١) الهجري — في ضوء الحرية الممنوحة للترجمة في ذلك العصر^(٢) — يدرك مدى تغلغل الفكر الوثني والأسطوري إلى تلك الترجمة، إذ جاء في ذلك الكتاب ما نصه: "احذروا شرّ هذه الإله، إذا كان غايظاً [كذا]، أو مغرباً من الشمس أو مستتراً بشعاعها، أو في وسط رجوعه. فصلوا له

(١) انظر: ابن وحشية، الفلاحة النبطية: ٥/١.

(٢) انظر: سمير الدروبي، "منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي"، مجلة ترجمان، جامعة عبد المالك السعدي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، المغرب، مجلد ٨، عدد (١)، ١٩٩٩، ص ٥٦-٦١.

هذه الصلاة التي قدّمنا بها له هاهنا، ودخنوا لصنمه، وأنتم تصلون له هذه الصلاة، بالجلود العُتق، والشَّحم، والقُدود، والخشاف الموتى، وأحرقوا له أربعة خشافة موتى... فإذا صليتم وهو ساخط، فأعيدوا له الصلاة والقربان وهو راضٍ... واعلموا أنّه معطي الفلاحة للأرض... وهو أوحى إلى القمر بما أودعته كتابي هذا، وأوحاه القمر إلى صنمه، وعلمنيه الصنم كما علمتكم. فاحتفظوا بذلك؛ فإنّهُ معاشكم الذي تسكنون، وزكا زروعكم وثماركم الذي هو مادة حياتكم..."^(١).

فالكلدان يعتقدون —حسبما ترجم ابن وحشية— زحلاً والشعري اليمانية والقمر وغيرهما من الكواكب آلهة، وهذه الآلهة توحى إلى الأصنام التي تعلم البشر فنون الفلاحة.

ونظرة الكلدانيين للفلاحة، أنّها مستمدة من الأجرام السماوية التي تُعد في نظرهم آلهة، لها أبناءؤها، ولها أصنامهم، فإنّ العناية بالرُّقى والسحر، والعزائم والشعوذات، قد تفشت في كتاب الفلاحة النبطية، ولعلّ الباعث للنديم على درج ابن وحشية الكلداني ضمن أصحاب الحيل والطلسمات، والمشعبذين والمعزمين، والسحرة وأصحاب التَّيرنجيات^(٢)—

(١) ابن وحشية، الفلاحة النبطية: ١١/١، وانظره: ١٨/١، لم نغير لغة ابن وحشية على ما فيها من أخطاء.

(٢) انظر: النديم، الفهرست: ٢م، ج١، ص ٣٣٣-٣٤٢ (بتحقيق: أيمن فؤاد السيد).

هو ما غلب على كتابه الفلاحة من فكر وثني، يعتقد بتعدد الآلهة، وبتقديم القرابين لهم، وبالعناية بالسحر والطلسمات، ويذهب بعض الباحثين إلى أن هدف صاحب كتاب "الفلاحة النبطية" هو: خدمة السحر، وإضفاء شيء من الواقعية على الاعتقادات الكلدانية الحرائية (الصابئة) في ألوهية الأجرام السماوية^(١).

إن ابن العوام الأندلسي وهو المحيط -بلا شك- بمادة "الفلاحة النبطية" قد أخذ منها ما رآه مناسباً لبيئته، وموافقاً لعقيدته، ومتصفاً بالمنهجية العلمية التي تقوم على التجريب، ويثبتها العقل.

فالفلاحة عند ابن العوام صناعة، يتخذها الإنسان لتأمين قوته ومعاشه، والنبى ﷺ حث المسلمين على عمارة الأرض وإصلاحها وغرسها، وهي طريق موصلة لصلاح المعاش والمعاد، حيث يقول واصفاً حال الناظر في كتابه بأنه "يريد أن يتخذ من هذا الفن صناعة، يصل بها -بحول الله- إلى معاشه، ويستعين بها على قوته، وقوت عياله وأطفاله، وجد فيه خاصته، وبلغ فيه إرادته، واستعان بذلك على منافع دنياه، ومصالح أخراه، بتوفيق الله إياه، إذ بالغراسات والزراعات تكثر -بمشيئة الله تعالى- الأقوات. وقيل: إنَّ إلى ذلك أشار النبى ﷺ فقال: اطلبوا الرزق في خبايا الأرض"^(٢).

(١) انظر: غنيمات، علم الفلاحة عند الأندلسيين، ص ٣٣.

(٢) ابن العوام، الفلاحة: ٢٦٢/١.

فأهداف الفلاحة ومراميها عند ابن العوَّام، تختلف عن ذلك الفكر الميثولوجي المرتبط بالغيبيات والخرافات، والأساطير والسحرة والشياطين، ولذا فإن كتاب ابن العوَّام قد برأ من تلك الأوصاف والأوصار، والعقائد الوثنية التي كسطها الإسلام من عقول إتباعه؛ لأنَّها علم زائف لا يستند إلى العقل، ولا يصل إلى الحقيقة، علماً بأنَّ بعضاً من دارسي تاريخ تطور الفكر الإنساني والعقل البشري، يسمون السحر بـ "العلم الزائف"^(١).

إنَّ كتاب "الفلاحة النبطية" من أهم المصادر الكثيرة المتنوعة التي اعتمدها ابن العوَّام، ونقل عنها كثيراً من المواد والآراء لصغريث، وبينوشاد وقوثامي، وغيرهم من علماء النبط في الفلاحة، ولكن ابن العوَّام استبعد عقائدهم وآراءهم التي لا تتفق مع الرؤية الإسلامية، وتخالف المنهج العلمي التجريبي الذي يستبعد تدخل الأفلاك والأجرام السماوية في الحياة: الإنسانية، والحيوانية، والنباتية، إلا بمقدار ما تؤثر هذه الأجرام في الحرارة واليبوسة، والبرد والمَدَّ والجزر، واختلاف الفصول وتقلبها، وما يرتبط بذلك من تغيرات مناخية، وأحوال جوية.

وفوق ذلك، فإنَّ كتاب "الفلاحة النبطية" قد احتوى مواد مختلفة نسبها المترجم ابن وحشية لماسي السوراني، وللكنعانيين، وللسورانيين وإلى غيرهم^(٢) من الأقوام والأمم، جاعلاً من إقليم بابل مركزاً لكل

(١) انظر: مالىنوفسكي، السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ص ٩٣.

(٢) انظر: أبو الحاج، الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي في المشرق العربي بين القرن الثالث

(٩م) والقرن العاشر (١٦م)، ص ٦٤.

الأقاليم، ولكن ابن العوّام لا يروي شيئاً من تلك الرويات التي ربما ترجح لديه أنّها مجرد اختلاق وادعاء من ابن وحشية، وغيره من علماء النبط وسحرتهم ومشعوذهم.

ولا ريب في أنّ ابن العوّام من العلماء الأندلسيين المبدعين في الفلاحة، وقد استطاع بمنهجيته العلمية الصارمة ذات الأهداف العملية الواضحة، أن يقطع العلاقة، وأن يفك الارتباط، بين ما هو غيبي أسطوري سحري خرافي، وبين ما هو تجريبي علمي واقعي عقلي في علم الفلاحة، ممّا يعني ارتقاء في العقل البشري، وتقدماً في تاريخ العلم الإنساني ومناهجه في البحث العلمي.

وفوق ذلك، فإن صناعة الفلاحة وتعلم تجاربها، والإفادة من خبرات السابقين إليها كانت هدفاً مقصوداً عند ابن العوّام، ولم تسخر الفلاحة عنده لخدمة أهداف عقائدية، أو تصورات غيبية، أو مذاهب دينية كما هو الحال عند صاحب "الفلاحة النبطية"، بل أصبحت علماً مبنياً على الأخذ من المصادر الموثقة، ولعلّ هذا ما يفسر لنا قوله: "وكفيتك الاستمداد بآراء أهل الغباوة من أهل البداوة الذين لا علم عندهم، ولا تلوّح (بيان) لديهم، على طول ممارستهم لهذه الصنعة، وارتباطهم بها. وعدلت بك عنهم إلى آراء جلة الحكماء، وذوي البصيرة النبلاء، فهم القدوة، ومن سواهم ليس بأسوة، فلا تصغين إلى قول البله الجفاة، ورأي أهل الغباوة والعتاة..."^(١).

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٧٤/١.

وكأن ابن العوَّام أدرك أن كثيراً ممَّا يتناقله عوام الفلاحين من أمور الفلاحة تغلب عليه الخرافة، وهو بعيد عن العلم الحقيقي، بل إن أكثر معارف العامة تقوم على التقليد، ومتابعة الجهل بجهل مثله، وعدم قبول التطور العلمي والآراء الجديدة في الفلاحة.

– الدعوة إلى الاقتصاد في استعمال الماء وترشيد استهلاكه والاكتفاء بما هو ضروري منه، ومواصلة البحث عن مصادر جديدة للري:

مما لا شك فيه أن الماء هو أساس كل حياة إنسانية، أو حيوانية، أو نباتية، ولذلك تضمنت كتب الفلاحة فصولاً طويلة في إنباط المياه، وجرها وتوزيعها على النبات بأنواعه المختلفة، وعرفوا: الماء العذب، والماء المرّ، والماء الزعاق، وانتفعوا بالعيون والأنهار، وأحسنوا الإفادة من مياه الأمطار في الزراعة والرّي، واستغلوا جميع أنواع المياه في الرّي حتى الماء المرّ، والماء الزعاق تمت الإفادة منه في ري الحنّس والهندباء، والملوخية والكتّان، والقرع، والباذنجان، والحناء وغيرها من النباتات التي تنمو باستخدام المياه غير العذبة^(١).

ويبدو أن ابن العوَّام كان مهتماً بالبحث عن مصادر جديدة للمياه، وهو لم يكتفِ بما عرفه القدماء من أنواع المياه: الحلوة، والمرّة، والمالحة، بل قام بالتجريب، واستخدم مصادر المياه الموجودة في بيئته الأندلسية، وقام بفحص إمكانية سقي بعض المزروعات بالمياه المعدنية، ولكنّه وجدها

(١) انظر: ابن العوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٥٢٢/١.

غير صالحة، يقول مسجلاً إحدى نتائج أبحاثه الفلاحية: "لي: وأما المياه الحديدية، والكبريتية، والنحاسية، وشبهها فغير موافقة للنبات. وأفضل المياه (العذب) كما تقدم القول فيه"^(١).

أما ماء المطر العذب الذي هو هبة السماء إلى الأرض، وبه تتفجر العيون، وتجري الأنهار، ويعم خيره الإنسان والحيوان والنبات، فإن ابن العوام يسميه الماء المبارك، وهو أقل أنواع المياه المستخدمة في الشرب والرّي تكلفة، ولذلك، فإن ابن العوام حريص أشد الحرص على الإفادة منه في سقي المغروسات، وذلك باستخدام الأسلوب المناسب، وهو أن تكون حفرة الشجرة واسعة ذات عمق معين، ثم يهال عليها التراب ليصل إلى نصف الحفيرة، ثم تترك حتى يصيبها ماء السماء مرات فتروى، ثم تسوى بالتراب البري بعد غراستها بأشهر.

يقول ابن العوام واصفاً نتيجة طريقته السابقة في الغرس: "ولي: عملت بهذا؛ فرأيت بركة، ولم أحتج إلى سقيها في فصل الحرّ. وإن احتاجت إلى سقي في فصل الحرّ، فلا يُصبُّ الماء عند أصلها، لكن يُصب على بُعدٍ منها؛ لكي يصل إلى أصلها من تحت التراب، فإنّها إن جعل الماء عند أصلها، وغار فيما بينها وبين ساقها دخل حرّ الشمس من ذلك الخلل فأضرّ بها".

فقول ابن العوام السابق يكشف لنا -بما لا يدع مجالاً للشك- عن

(١) ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٥٢٤/١.

حرصه الشديد على توفير الماء، والاقتصاد به في فصل الصيف الحار، عندما ينقطع القطر، ويزحف الجفاف، وتلهب حرارة الصيف الأراضي الجافة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط التي تُعد الأندلس جزءاً منها.

وعلاوة على ذلك، فإنَّ طريقة الري القائمة على تسريب الماء إلى أصل الشجرة من الجوانب، وعدم إراقتها على أصلها مباشرة، تمنع حرَّ الشمس عن الساق من جانب، وتؤدي إلى توزيع الماء في التربة بحيث يصل إلى أصلها دون تعرض ذلك الساق إلى الشمس الساقطة عليه والمضرة به.

– إضاءة جوانب من الحياة الاقتصادية في الأندلس:

يقوم الاقتصاد على: الزراعة، والتجارة، والصناعة، وتبقى الزراعة أهم دعائم الاقتصاد في بلاد الأندلس ولاسيما في تلك العصور التي لم تبدأ بها الثورة الصناعية التي أحدثت -فيما بعد- انقلاباً واسعاً في التاريخ الإنساني، يقول صلاح خالص: "كان المجتمع الأندلسي مجتمعاً زراعياً قبل كل شيء، يعتمد في حياته على الزراعة والأرض، ومن ثم تأتي التجارة والصناعة لتكملا ما تعجز الزراعة عن سده من حاجات السكان"^(١).

لقد ازدهرت الفلاحة في الأندلس، ورفدت الاقتصاد الأندلسي بإنتاج زراعي وفير، وذلك لما تحققه للفلاح من عيش كريم، ولما تمدُّ به

(١) خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، ص ٣٧.

أسواق المدن من منتوجاتها الوفيرة التي تؤدي إلى رخص الأسعار، وجعل الغذاء في متناول غالبية الناس، وما قد يتبع ذلك من قيام الصناعات المعتمدة على زراعة القطن والكتان وغيرهما من النباتات - إلى حدٍ ما -.

والملاحظ أن النظرة الاجتماعية للفلاح الأندلسي كانت تقوم على احترام مهنة الفلاحة، وعدم ازدراء الفلاحين، أو التسلط عليهم وإذلالهم، أو استبعادهم وهدر كرامتهم الإنسانية، كما هو الحال في مشرق العالم الإسلامي^(١).

ويرى ابن العوّام مؤلف "الفلاحة الأندلسية" أن: "فلاحة الأرض هي أهنأ المكاسب جملة، وأربحها، وأقربها إلى النجدة والسلامة، واكتساب الأجر"^(٢).

فالفلاحة عند ابن العوّام تدرُّ على الفلاح الدخل المادي المناسب، كما أنَّ من يحترفها أو يتخذها صناعة له، يكتسب الأجر عند الله، فالفلاح إذن قائم بتوفير قوته، وقوت الناس، ومأجور عند الله - عز وجل - فهي كالعبادة والطاعات التي يؤجر عليها الإنسان؛ لأنَّها سبب الكسب الحلال، والبُعد عن المال المشبوه الذي يتحصل من الإتاوات

(١) انظر: السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٥٤-٥٥؛ الأسدي، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، ص ٧٢-٩٦؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع الملك: ٣١٣/٢-٣١٤؛ ابن الحاج، المدخل: ٦-٣/٤.

(٢) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٧١/١.

والمكوس والمظالم، والاحتكارات التجارية.

وينقل ابن العوَّام قولاً لابن حزم الأندلسي، وهو الوزير الخطير والكاظم الكبير، والفقيه النحرير، بخصوص الفلاحين، يقول: "اعلموا أن الراحة، واللذة، والسلامة، والعزَّ، والأجر في أصحاب فلاحه الأرض إذ كانت الأرض عشرية فقط"^(١).

ولمّا كان ابن حزم وهو الفقيه المجتهد، ورجل الدولة القدير، عارفاً بأحوال الأراضي، وتوزيعها، وملكياتها في الأندلس، فإنّه يوضح لنا حال المزارعين الأندلسيين الذين يعملون في الأرض المملوكة للدولة، ويؤدون لها عشر الإنتاج، فهم في راحة من مطالبات ملاك الأراضي بالأجور، أو نسبة ما من ريع الأرض ومحصولها، وهو ممّا قد يكون باهظاً أو محققاً في حق الفلاح، الأمر يجعله تحت رحمة المالك أو الإقطاعي، أو الظروف الجوية المتقلبة والمضطربة، وما قد يتبعها من الخصب أو القحط، وقد يضطر المزارع إلى الدين لأداء ما يطلبه صاحب الأرض ممّا يجعل مثل هذا الفلاح في أسوأ الأحوال، ويضطره للمدينين والإقطاعيين الذين يتسلطون عليه، وينهبون ما تحصل لديه.

ويشير ابن العوَّام إشارة خفية إلى تفتت الملكيات الزراعية في الأندلس، وتوزعها على أماكن متباعدة، ممّا يعيق استثمارها على الوجه الأمثل؛ لأنّها تحتاج إلى كثير من أصحاب الأيدي العاملة، وكأنّ ابن

(١) المصدر السابق: ٢٧١/١.

العَوَّام يدعو إلى تجميع الملكية الزراعية لصغار المزارعين، وحصرها في مكانٍ واحدٍ -إن أمكن- لما في ذلك من توفير في النفقات، وترشيد في استخدام الأيدي العاملة، يقول: "واعلموا أن القليل المجتمع من المال خيرٌ وأسلم، وأعلى وأنفع من الكثير المتفرق؛ لأنَّ المُجْتَمِعُ يقوم به الواحدُ، والمتفرق يحتاج إلى ناظر في كل قطعة"^(١).

- دراسة الحياة الاقتصادية في الأندلس:

ويتحدث ابن العَوَّام عن أساليب ريِّ المزروعات، فمنها ما يسقى بماء المطر، ومنها ما يسقى من العيون والأنهار دون الحاجة إلى وسائط أو أدوات وآلات معينة.

أما الأراضي التي تسقى بالآلات كالنواعير^(٢) والسواقي، والخطارات، أو تسقى بالدلاء التي ترفعها السواقي باستخدام الإبل والحمير والبغال؛ فإنَّ تكلفة الإنتاج الزراعي فيها عالية، ممَّا يؤثر سلبياً على تسويق المحصول، فتكون تكلفة الإنتاج ونفقاته عالية على الفلاح، وتصبح الأسعار مرتفعة على المستهلك معاً، الأمر الذي يؤدي إلى خسارة المنتج والمستهلك، وقد يؤدي إلى كساد الإنتاج الزراعي الذي لا يمكن تخزين أكثره إلى فترات طويلة، كالخُضَر والبقوليات والفواكه.

(١) ابن العَوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٧٢/١.

(٢) انظر: ابن العَوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٧١/١.

ومِمَّا لا ريب فيه أنَّ ابن العوَّام وهو العالم الفلاحي الذي أحب الفلاحة، وأخلص لها علماً وعملاً، وعاشها نعيماً وبؤساً، أدرك أنَّ النفقات المالية التي تحتاجها الأرض الزراعية، هي من أهم الأخطار والكوارث التي تهدد الفلاح، وتجعل مصيره ومصير أسرته رهينة بيد الدائنين أو الإقطاعيين وأصحاب النفوذ، بل قد يصبح الأمن الغذائي للمجتمع بأسره معرضاً لخطر محقق، وفي مهب رياح الوباء والغلاء.

وربما أدى ذلك إلى فناء الأقوات وانعدام موارد البقاء، لذلك فإنَّ ابن العوَّام يوجه إرشاده إلى الفلاح عند سقي الأرض: "لا ينبغي أن يستعمل فيه ماء التّواعير، إلّا أن يُضطرَّ إليها، ولا معاش له من سواها، ويتولّاها بنفسه، فإنّه إن لا يتولاها بنفسه عظمت مؤوّناتها عليه، وقلت معونتها له، وربما اقتضته مؤونة الدّابة والآلة على جميع الحاصل، وربّما اقتضته زيادة عليه"^(١).

إنَّ من يُنعم النظر في النص السابق، يدرك أنَّ ابن العوَّام بحكم مهنته وممارسته للفلاحة، وعيشه بين الفلاحين، ومعرفته بأحوال التسويق في إشبيلية خاصة، وفي الأندلس عامة قد يخلص إلى الآتي:

- أولاً: تحريض المزارعين على العمل بأنفسهم، دون الاستعانة بالأيدي الزراعية المأجورة، إلّا في حالة الحاجة الماسة، لما يترتب على ذلك من نفقات تضاف على تكاليف الإنتاج الزراعي.

(١) المصدر السابق: ٢٧١/١-٢٧٢.

- **ثانياً:** إنّ إدارة النواعير وصيانتها والإشراف عليها، يتطلب نفقات عالية، ولذلك فإنّه يجب على المزارع ألا يستخدمها في الري إلاّ مضطراً، والمعروف أن العرب في الأندلس قد وضعوا ضوابط لعملية الري وتوزيع المياه على الفلاحين، وأنشأوا محكمة مختصة بذلك، وهي المعروفة باسم محكمة بلنسية، التي تتولى إصدار الغرامات على المخالفات المرتكبة في أعمال الرّي، وكان لها قضاة وجباة، ونوابير وأمانة سر يتولون النظر في قضايا المزارعين، وتوزيع الري، وجباية الأموال من المخالفين^(١).

ويبدو أنّه قد أقيمت على غرار هذه المحكمة محاكم أخرى ترعى شؤون المياه والري في الأقاليم الأندلسية.

- **ثالثاً:** دعوة المزارعين إلى الاقتصاد في النفقات الزراعية، وأن يتدبروا أمر تكاليف الإنتاج التي ربما كانت عالية، ممّا يؤدي إلى تساوي كفتي التكلفة الزراعية، وقيمة المنتج الزراعي، الأمر الذي يؤدي إلى خروج المزارع بلا ربح، وما يتبعه من نتائج خطيرة تؤدي إلى انهيار الزراعة وتردي أحوال المعيشة؛ لأنّ الفلاح يضع جهده ووقته، وماله بلا فائدة. وإذا لم يراع المزارع قضية الترشيح في تكاليف

(١) انظر: الحايك: "محكمة المياه في بلنسية"، ضمن الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب: إسهامات العرب في علم المياه، الكويت، ١٩٨٨، ص ١٩٣-٢١٥.

الإنتاج، فإنه قد يخرج من موسمه الزراعي مديناً، وتلك هي الكارثة التي تؤدي إلى اعتزال المزارع صناعة الفلاحة، وهجره لأرضه، والتخلي عنها لمن هم أقوى منه مالياً على استثمارها وإعمارها؛ فيصبح تابعاً يدور في فلکهم، بعد أن كان سيداً حراً في أرضه ومزرعته.

إن ما طرحه ابن العوَّام في هذه المسألة في غاية الأهمية والخطورة بالنسبة للفلاح العربي في هذه الأيام، إذ أصبحت زراعة الأرض مكلفة في الرِّي والبذور، والآلات الزراعية، والأيدي العاملة المرتفعة الأجر، وغدا الإنتاج من الأرض غير قادر على تسديد تكاليف فلاحتها، فيقع الفلاح -نتيجة لهذا الخلل الكبير، والفساد الخطير، والتفاوت المثير، بين تكاليف الإنتاج وأثمان المحصولات الزراعية- في براثن الدائنين والبنوك، والشركات الزراعية التي لا ترحم فقره وعجزه، فيهجر أرضه ويتخلى عنها؛ لأنَّ العمل فيها لا يهيئ له العيش الكريم، وقد يفرُّ من الأرض المنتجة إلى المدينة التي غالباً ما يعيش فيها عيش الذلة والمسكنة، حيث لا يجد عملاً إلا في المهن المذلَّة أو الأعمال ذات الأجر المتدني، ويكتوي بغلاء أسعار المدينة بعد أن كان في أرضه موفور العيش الكريم.

إن نجاح الزراعة وتحقيق الربح منها، هدف في حد ذاته عند ابن العوَّام، ولكن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق المعرفة الصحيحة بفن الفلاحة، فالغاية النفعية، والجدوى الاقتصادية، يمكن أن يصل إليها الفلاح إذا تمكن من مُراعاة ظروف بيئته، وعرف الأنواع

الملائمة من النبات، والبذور المحسنة، والغراس الجيدة المناسبة لتلك البيئة، وتوفرت له المياه الصالحة للري، وعرف: "كيفية العمل في عمارة الأرض قبل زراعتها، وبعد غراستها، وتزيلها وتعديلها لجري الماء عليها بعد سقيها، وتقدير ما يحتمل من الأرض من أنواع البذر، وصفة العمل في التذكير [التلقيح]، وعلاج الخضر والأشجار من الآفات اللاحقة لها، وتدبير ذلك كله، والقيام عليه بما يصلحه حتى يدرك فائدته، ويكثر - بمشيئة الله - عائده، وكيفية العمل في اختزان الحبوب، وفواكه الأشجار"^(١).

فالعمل الفلاحي، لغايات الإنتاج الزراعي التي تعود على الفلاح بالخيرات، وتدر له الإدارارات، وتحقق له الأرباح الوفيرة، والخيرات الكثيرة، لا بد له - في نظر ابن العوام - من العلم والمعرفة التامين بالأنواع والأصناف المناسبة من: البذار، والغراس، والسماذ، والعلم الحقيقي بطريقة الري، وتلقيح النباتات، ومقاومة الآفات والحشرات، وجني المحصول وتخزينه، أي إن الفعل الفلاحي ليس عملاً عشوائياً، ولا تقليداً أعمى لمن تقدم من المزارعين، وأهل البادية الذين يتعاطون الزراعة، بل هو عملية منظمة لها أصولها، وأسسها التي يجب على الفلاح معرفتها والعمل بمقتضاها، إذا ما أراد جلب المنافع المادية لنفسه، ولأسرته، ولجتمعه.

إن الدارس لكتاب ابن العوام، يجد تنوعاً واسعاً في زراعة الأشجار

(١) ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٢٧٤/١.

بأصنافها، والحبوب بأنواعها: كالقمح، والشعير، والأرز، والذرة،
والقطاني: كالحمص والتُّرمس والكِرسنة، والبقول، والقطن، والكتان،
وغيرها من النباتات والأنواع التي تستخدم غذاء ودواء، وصناعة وزينة.
ولم ينسَ ابن العوَّام الثروة الحيوانية التي تُعدُّ أساسية في خدمة العمل
الزراعي والقيام بأعمال حرثه ونقله، وجنيه ودرسه، وتسويقه وخزنه،
وتسهم في توفير الغذاء الحيواني للإنسان^(١).

ويبدو أن الإنتاج الزراعي للمحاصيل الزراعية في الأندلس كان
وفيراً، ممَّا أدى إلى تصدير فائضه إلى الأقطار المجاورة والبعيدة، وحمله
شرقاً وغرباً، فقد حدثنا الحميري عن محصول الزيتون الوفير الذي كان
يكثر إنتاجه في جبل الشَّرَف، حيث كان ابن العوَّام يجري فيه تجاربه
الفلاحية على أشجار الزيتون وغيرها من النباتات كما ذكرنا من قبل،
يقول الحميري: "الشَّرَف: من سواد إشبيلية بالأندلس، وهو جبل شريف
البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، فراسخ في فراسخ طويلاً وعَرْضاً، لا
تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه، واشتباك غصونه، وزيته من أطيب
الزيوت، كثير الريع عند العَصْرِ، لا يتغيَّر على طول الدَّهْرِ، ومن هناك
يتجهز به إلى الآفاق بَرّاً وبحراً... ويقال: إنَّ في الشَّرَف ثمانية آلاف قرية
عامرة، وديارها حسنة..."^(٢).

(١) انظر: ابن العوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٣١٤/١.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠١؛ الروض المعطار، ص ٣٣٩-٣٤٠.

فنص الحميري السابق إشارة صريحة إلى جودة الإنتاج الإشبيلي لمحصول الزيت، وإلى تصديره إلى مختلف البلدان براً وبحراً، وذلك لوفرة محصوله، وكثرة إنتاجه. ويدل على وجود كثافة بشرية تتكون من بضعة آلاف من القرى تعتمد في اقتصادها وعيشها على هذه الشجرة المباركة المعطاء، في تلك التربة الطيبة التي تستغلها السواعد الأندلسية الجادة العاملة.

ويخبرنا ابن العوام بأن: "الزيتون نُقل من أفريقية إلى الأندلس بعد القحط الكبير الذي جفت فيه غروسها وأشجارها"^(١). والخبر له دلالاته في حرص الأندلسيين على ديمومة ثورتهم الزراعية التي كانت العمود الفقري لحياهم الاقتصادية التي يعني ازدهارها حفظ دينهم وديانهم، ومعادهم ومعاشهم، وتمكينهم من الصمود في وجه أعدائهم من الفرنج الذين يريدون اقتلاعهم من جزيرتهم، التي تحولت بدأهم وعملهم وعلمهم إلى جنات وارفة.

ولم يفت ابن العوام الإشارة إلى رأي ابن حزم في الزيتون، الذي يرى فيه سلعة إستراتيجية كالقمح والأرز والذرة وغيرها من المنتجات الأساسية، يقول ابن حزم: "الزيتون قوت عند الضرورة لا عند الرخاء"^(٢). أي أن الزيتون مادة غذائية أساسية لا يستغنى عنها في أوقات

(١) ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٩٣/٢.

(٢) المصدر السابق: ١٠٤/٢.

المجاعات والأزمات الاقتصادية التي تهدد الوجود المادي للبشر، وتجعل حاجتهم للغذاء ماسة لغاية الحياة والبقاء.

- مواصلة التجارب الزراعية لاستصلاح الأرض الجديدة القابلة للزراعة أو نقل أنواع جديدة من النباتات لم تعهدها من قبل:

لقد أدرك الفلاحون القدماء سطوة البيئة، وقوة تأثيرها على الإنسان والحيوان والنبات، وعرفوا بالتجربة أن لكل شجر ونبات، بيئته المادية المناسبة، وعجزوا عن نقل الشجر النابت في الأرض الخصبة إلى الأرض القاحلة، أو الرملية، أو نقله من الأرض الحلوة إلى الأرض المالحة، أو من السهل إلى الجبل، وكذلك الماء الذي يُسقى به النبات، فلا يسقى النبات بالماء المالح إن كان يسقى بالماء العذب الحلو سابقاً.

ويبدو أن أمر مراعاة الظروف البيئية، قد أصبح أمراً مسلماً به عند الفلاحين، ولكن ابن العوام لم ييأس من إمكانية الاستصلاح للأراضي، والنقل للنبات من أرض إلى أخرى؛ لأنه عالم تجريبي يريد أن يصل إلى النتائج عن طريق التجربة العملية، ويبدو أنه لم يكن مؤمناً بكثير من المُسَلِّمات التي وقرت في الأذهان، وأوصدت أبواب البحث فيها، وتوقف الباحثون عن محاولة طرحها مجدداً.

وقد تمكن ابن العوام بفضل مثابرته، ومنهجه التجريبي من نقل غراس الزيتون إلى أرض رملية، وذلك بعد أن نقل لتلك الأرض تربة طيبة ساعدت هذه الغراس على أن تضرب بجذورها في هذه البيئة الرملية التي لم

تنجح فيها زراعة هذه الغراس من قبل.

يقول ابن العوام واصفاً تلك التجربة الناجحة: "لي: غَرَسْتُ نَقْلَات زَيْتُون بِالشَّرَفِ فِي مَوْضِعٍ كَثِيرِ الرَّمْلِ، وَفِيهِ نَدَاوَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ، بِتَرَابٍ آخَرَ طَيِّبٍ مَنَقُولٍ إِلَيْهَا، فَنَجَبْتُ، وَكَانَ قَدْ غُرِسَ قَبْلَ ذَلِكَ مَرَّاتٍ فِي مَوَاضِعٍ تِلْكَ الثَّقَلُ بِأَرْضِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ نُقْلُ زَيْتُونٍ فَلَمْ تَنْجُبْ"^(١).

- الإفادة من كثير من المُخَلَّفَاتِ والبقايا الطبيعية، والبشرية، والنباتية والصناعية، في الفلاحة زراعة وإخصاباً، وعلاجاً وسماداً:

فقد ذكر لنا ابن العوام أن شجرة النارج (البرتقال) إذا أصابتها علة، فإنه يُصب في أصولها دُمُ الماعز الحار الذي يجودها، وكذلك يوافق النارج دُمُ الإنسان المستخرج من الحِجَامَةِ^(٢).

أمّا علاجُ مرض اليرقان الذي يصيب أشجار الأترج والنارج والليمون، ويؤدي إلى صفرة أوراقها، فإنه يكون بكشف التراب عن أصولها، وجعل رماد الحمامات في تلك الأصول، ثم يرد عليها التراب، فتعود إلى نضارتها السابقة، وينقل ابن العوام عن ابن البصّال أن ذلك العلاج صحيح مجرب، أمّا إذا لم ينجع هذا العلاج فالحل أن: "يجعل في أصلها دُمُ المعز، فإن عُدِمَ فدمُ الإنسان المخرج بالفصد والحجامة، فتبرأ إن شاء الله تعالى"^(٣).

(١) ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٣٨/٢-٣٩.

(٢) المصدر السابق: ٤١٨/٣.

(٣) المصدر السابق: ٤١٩/٣.

ويذكر ابن العوَّام أن الصفرة الحادثة في شجرة الجوز، والظاهرة في أوراقها وثمارها، تكون بصب الدَّم في أصلها: "أيُّ دمٍ كان، وأوقفه لها دَمَ الجمال، وإن خلط بالدَّم الماء الحارَّ"^(١).

أما اليرقان الذي يعرض للزروع والأشجار، فإنَّه يعالج بأخذ قرنٍ ثورٍ "ويجعل في نارٍ بعر غنم، ويدخن به الزرع من جهة تهب فيها ريح الشمال عليه، فإنَّ ذلك الدُّخان إذا مرَّ على الزرع أذهب عنه اليرقان"^(٢).

أمَّا مقاومة الدود الذي يعتري أصول شجر الفاكهة، فإنَّه يؤخذ رماد الحمامات، ويضاف إليه الملح والزبل بمقادير معينة، ويلقى على أصول الشجر المصاب، يقول: "يؤخذ رماد الحمام، ونحو سُدُسِه من الملح، وجزءان من الزبل، وجزءان من التراب الطيب، تراب وجه الأرض الطيبة، ويخلط نَعْمًا في أصلها على قدرٍ كبرها وصغرها، من قفتين إلى أربع قفف، فإن كان في زمن الحرِّ فتسقى بالماء العذب"^(٣).

– مكافحة الأمراض النباتية وما يعرض للنباتات والأشجار من الحشرات والديدان والقوارض والزواحف بالمواد الكيماوية والعضوية المركبة:

يذكر ابن العوَّام نقلًا عن الحاج الغرناطي صاحب "زهر البستان

(١) المصدر السابق: ٤٢٨/٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٣٣/٣.

(٣) المصدر السابق: ٤٣٥/٣.

ونزهة الأذهان" أن علاج الثآليل الحادثة في شجر الإجاص، يكون بإضافة زبل الإنسان إلى أصلها، أمّا إذا تدودت ثمرتها، فإنّه يُصب في أصلها عكر النبيذ وعكر الخل^(١).

أمّا علاج الدود الذي يطراً على شجر الفاكهة، في خارجها وفي داخلها، فإنّ الفلاح يعالجه بخلط مقدارين متساويين من القير والكبريت، ويدخن به الشجر، ممّا يؤدي إلى موت الدود العالق بالشجر ظاهراً وباطناً^(٢).

وكذلك يمكن معالجة الدود الحادث في الشجر، بخلطة تتكون من رماد الحمامات الأسود، والملح والرمل والتراب، ثم يجعل ذلك الخليط حول أصول النبات^(٣).

ويقاوم البق والقمل المتولد في نبات القنبط بأن "يُدخنَ بالخمِر والكبريت، تُجَعَلُ المَجمَرة في وسط منبت القنبط، والدُّخان يرتفع منها حتى يَحْتَنق الموضع بالدُّخان"^(٤).

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٤٢٦/٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٣٦/٣.

(٣) المصدر السابق: ٤٣٦/٣.

(٤) المصدر السابق: ٤٣٨/٣.

وهناك علاج آخر لطرد البق والقمل، والبراغيث المتطفلة على النبات المذكور آنفاً، ويكون هذا العلاج بإحضار الخلّ الجيد، ويُحل فيه الكبريت والأنزدروت، ثم يرش هذا المحلول على أصول نبات القُنَيْطِ مِمَّا يؤدي إلى فرار تلك الهوام^(١).

وتقتل الحيات والدود الكبار المهاجمة لمنابت القُنَيْطِ بمزج مرارة البقر بَدَرْدِي الزيت، أو بأخذ نبات الشُّبْرَم ذي اللبن، ثم يطبخ طبخاً جيداً بعد تقطيعه، ويصب ماؤه في أصول القُنَيْطِ، مِمَّا يؤدي إلى هلاك الوزغ والدود الكبار^(٢).

ويُعالج البق والبراغيث الكائنة في الثمار بنقع السَّيْكَرَان في الماء يوماً وليلة، ثم يخلط بخلّ ثقيف، ثم يُرش به الثمر^(٣).

وتعالج الأشجار التي يخاف عليها من تسلق النمل، بأن يدلك ساقها بحجر أملس، ثم يُطلى فوق الجزء المدلوك، وتحتة بمغرة محلولة بالماء، والمغرة هي مسحوق أكسيد الحديد، وربما تم منع صعود النمل إلى الشجر بطلي الساق بالقطران المخلوط بالروث المدقوق^(٤).

(١) المصدر السابق: ٤٣٨/٣.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٤٣٨/٣.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٤٤٠/٣.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٤٤١/٣.

وينقل ابن العوام عن كتاب "الأكار" وصفة لطرد النمل والزناير والدبر والنحل، وذلك بأن يُسحق الفودنج والكبريت، ويُذر مسحوقهما على جحور هذه الحشرات^(١).

أمّا علاج الأشجار المجروحة، فيكون بخلط الزفت والنطرون، ثم تلطيخ مواضع الجراح^(٢).

ولسنا بصدد تتبع الصفات والأدوية، والمركبات التي تُعالج بها أمراض النبات بها، أو تطرد الحشرات والهوام الغازية للأشجار والنباتات، وهي كثيرة ومبثوثة في ثنايا هذه الموسوعة الفلاحية الضخمة، ولكن من المؤكد أنّ كثيراً من هذه المركبات والأدوية الكيماوية والعضوية كانت ناجعة، وأنّ الفلاحين الأندلسيين قد استعملوا ما وصلت إليه أيديهم من زيت وقطران، ومغرة وزفت، وخمر وكبريت ونطرون، وغيرها من المواد الكيماوية، إمّا مفردة أو مركبة مع غيرها.

– الألفاظ المعربة والدخيلة والعامية:

إنّ وجود الألفاظ المعربة والدخيلة في لغة العرب من الظواهر اللغوية اللافتة لانتباه عند القدماء والمعاصرين من الباحثين.

وقد ورد اللفظ المعرب في الشعر الجاهلي، وفي القرآن الكريم، بل

(١) انظر: المصدر السابق: ٤٤٢/٣.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٤٤٦/٣.

وضعت معاجم مختصة بالمعرب الوارد في القرآن الكريم، وهو ما قام به الإمام جلال الدين السيوطي في "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" بعد بحث وفحص في المصادر لسنين طويلة^(١)، ويرى إبراهيم بن مراد أن ما فعله السيوطي يُعدُّ "أول معجم تجمع فيه الألفاظ القرآنية الأعجمية"^(٢).

وعندما ترجمت الكتب العلمية النافعة^(٣) في العصر العباسي كان من ضمن المترجمات كتب: الفلاحة، والصيدلة، والحشائش والأعشاب، والحيوان والنبات وغيرها من العلوم الطبيعية^(٤).

وكان كتاب ديسقوريدس اليوناني في الأدوية والحشائش من الكتب التي ترجمها اصطف بن باسيل في بغداد، كما ترجم هذا الكتاب في الأندلس زمن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (حكم ٣٠٠ -

(١) انظر: السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، ص ١٦٨، الزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢٦٨/١ - ٢٩٤؛ سمي الدروبي، الرمز في مقامات السيوطي، ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية: ٦٣/١.

(٣) انظر: سمي الدروبي، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، ص ١١ - ٢٤.

(٤) انظر: الطرابلسي، نشأة علم الفلاحة العربي، ص ٧٩ - ٨٨؛ سمي الدروبي، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، ص ٣٥ - ٤١.

٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م)، عندما أهديت إليه نسخة مصورة من الكتاب من بيزنطة^(١).

ولعلّ كتاب ديسقوريدس في الحشائش من الكتب القليلة بل النادرة التي حظيت بترجمتين، واحدة في مشرق العالم الإسلامي، والثانية في مغربه.

وبناءً على ما تقدّم ذكره من ترجمة واسعة لكتب الفلاحة والنبات من اللغات: السريانية، واليونانية، والفارسية، وأكثر هذه المترجمات كان من مصادر ابن العوّام الأساسية، وخاصة "الفلاحة النبطية" لابن وحشية، و"الفلاحة الرومية" لقسطوس، فإنّنا نجد حضوراً واضحاً للألفاظ المعربة والدخيلة في كتابه "الفلاحة الأندلسية".

ولسنا بصدد حصر الألفاظ المعربة الواردة في فلاحه ابن العوّام ودرسها، ولكنّنا نسرد بعضاً من هذه الألفاظ المعربة والدخيلة، ومن الألفاظ العامية التي أدرجها ابن العوّام في موسوعته الجليّة، منها: السّرْمَق، الإسفانخ، الشونيز^(٢)، المرزنجوش، والتّرْنجان، والبادروج^(٣)، والقيقب^(٤)،

(١) انظر: أحمد عيسى، تاريخ النبات، ص ٣٨؛ ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، ص ٢١-٢٢.

(٢) انظر: ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٣٥/٤.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٢٣٢-٢٣٣/٤.

(٤) المصدر السابق: ٣١١/٤.

والبَادَرُوج^(١)، والفُودَنْجَات، والبَابُونَج، والْبَرَشَاوَشَان^(٢)، والحَنْدَقُوقَا،
والقَنْطُورِيُون^(٣)، والمَرْجِيَقَل^(٤)، والقَسْطَرُون^(٥)، والإِسْقِيل^(٦)،
والْعَرَانِيُون^(٧)، والأنزِدَرُوت^(٨)، والفُودَنْج^(٩)، ونَطَرُون^(١٠)، وأَفْسَنْتِينَا،
والفُودَنْج^(١١)، والرَّازِيَانَج^(١٢)، والأسَارُون^(١٣)، والأَزَادَرَحْت^(١٤)،
والقِرَاصِيَا^(١٥)، والمَازَرِيُون، والمَاهُودَانَة، والعَطْنِيثَا، وبنطانيلون^(١٦)... الخ.

(١) المصدر السابق: ٣٧٩/١؛ وانظر: أدّي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٤.

(٢) المصدر السابق: ٥٣٠/١؛ وانظر: دّي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٤.

(٣) المصدر السابق: ٥٣١/١؛ وانظر: الجواليقي، العرب، ص ٢٦٦؛ المحي، قصد السبيل:
٤٤١/١.

(٤) المصدر السابق: ٥٤٧/١.

(٥) المصدر السابق: ٣٣/٣.

(٦) المصدر السابق: ٥٩/٣.

(٧) المصدر السابق: ٣٠٦/٣.

(٨) المصدر السابق: ٤٣٨/٣.

(٩) المصدر السابق: ٤٢٢/٣.

(١٠) المصدر السابق: ٤٤٦/٣.

(١١) المصدر السابق: ٥١٨/٣؛ وانظر: المحي، قصد السبيل: ٢٤٥/٢؛ داود الأنطاكي،

تذكرة أولي الألباب: ٢٥٢/١.

(١٢) المصدر السابق: ٥٢٦/٣.

(١٣) المصدر السابق: ٢١٥/٥.

(١٤) المصدر السابق: ٢٩٦/٣.

(١٥) المصدر السابق: ١٦١/٤.

(١٦) المصدر السابق: ٢٣٩/٥.

ومِمَّا هو جدير بالذكر، إنّ كتب الفلاحة الأندلسية مثل: "زهر البستان ونزهة الأذهان" للطغنري، و"القصد والبيان" لابن بصّال، و"المقنع في الفلاحة" لابن حجاج الإشبيلي وغيرها، قد استخدمت المغرب والدخيل في علم الفلاحة، ولكن استخدام ابن العوّام كان أوسع وأكبر.

وعند الرجوع إلى كتب المغرب والدخيل، وجدنا أنّها قد أدخلت بكثير من هذه الألفاظ المعربة التي أوردها ابن العوّام في فلاحته، ممّا يشكل مصدراً جديداً لمادة المغرب والدخيل في لغة العرب.

وربّما امتاز كتاب ابن العوّام "الفلاحة الأندلسية" عن غيره من كتب الفلاحة بتعدد اللغات التي تسربت ألفاظها إلى كتابه من ناحية، كما أنّه نصّ على أصول بعضها من ناحية أخرى^(١).

أمّا أهم اللغات التي استخدم ابن العوّام ألفاظها المعربة في كتابه الفلاحية، فهي:

- اليونانية: القيقب، الجونة، البقطري، والترمدانات^(٢).

- الفارسية: الليموا^(٣)، السبستان^(٤)، البهرامج^(٥).

(١) انظر: المصدر السابق: ٢٥٨/٢، ٢٨٣.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٣١١/٤، ٣٦٣-٣٦٥، ١٤١/٣، ١٢/٤.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٢٨٣/٢.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٢٨٥/٢.

(٥) انظر: المصدر السابق: ٢٥٨/٢.

- أعجمية أهل الأندلس: فريق أفرنند^(١)، المطرونية^(٢).

- البربرية: التاكوت^(٣)، الجوذر^(٤).

- العبرية: العُنصرة^(٥).

- العامية الأندلسية: الفختة^(٦).

- الهندية: الكاذي^(٧).

- السريانية: اليبروح^(٨).

ولا يخفى على الدارسين أن تسرب مثل هذه الألفاظ للغة العرب أمرٌ غير منكور، وهو مصدر ثراء لهذه اللغة العظيمة، التي أصبحت لغة العلم والحضارة والدبلوماسية مدة نيفت على الألف عام، وتم من خلال هذه اللغة، ووفقاً لسياسة التسامح التي تبناها المسلمون، صهر كلِّ الثقافات والمعارف الإنسانية في قالب عربي إنساني لا يعرف تعصباً، أو

(١) انظر: المصدر السابق: ٢٥٨/٢.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١٢٥/٢.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٢٤١/٥.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٢٨٦/٤.

(٥) انظر: المصدر السابق: ١٦٧/١.

(٦) انظر: المصدر السابق: ٢١٣/٣، ٢١٤.

(٧) انظر: المصدر السابق: ٢٩٣/٤.

(٨) انظر: المصدر السابق: ٢٨٨/٤.

اضطهاداً، أو تهميشاً لأصحاب العقائد والديانات أو الملل والنحل الأخرى.

يقول سمير الدروبي واصفاً موقف التسامح عند المسلمين من الترجمة والتراجمة والمتضمن: "الإباحة الشرعية، والحث على الترجمات النافعة المفيدة للأمة، نجد أن منهجهم يقوم على توفير الحرية الفكرية للمترجم والنص في آنٍ واحد، فالترجمون على اختلاف مللهم وأديانهم ومذاهبهم من اليهود والنصارى: الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية، والمارونية، وكذلك الصابئة، والزرادشت، تنسموا جواً نقياً من المحبة والتقدير والاحترام، وعدم الإكراه على اعتناق دين الدولة الإسلامية"^(١).

لقد كان جو التسامح والمحبة من سمات الحضارة الإسلامية أينما حلّت، ولكن التمازج والاختلاط بين كل مكوناتها وعناصرها كان في الأندلس أكبر وضوحاً، وأكثر إشراقاً، ولاسيّما الاختلاط في ميدان اللغات والديانات، وأساليب الأكل واللباس والغناء، كما لاحظت المستشرقة ماريا روزا مينوكال^(٢).

(١) سمير الدروبي، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، ص ٣٧؛ وانظر: غومس، الشعر الأندلسي، ص ٤٣.

(٢) انظر: مينوكال، الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، ص ٣٩ - ٤٤؛ الجراري: أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع، ضمن مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، إبريل، مايو، يونيو، ١٩٨١، ص ١٤ - ١٩.

– الكشف عن شخصية أبي الخير الإشبيلي، وتحقيق نسبة كتابه
"الفلاحة":

وأبو الخير الإشبيلي من كبار الأطباء وعلماء الفلاحة، الذين عاشوا في الأندلس في نهاية القرن الخامس ومطلع القرن السادس الهجريين ويكشف كتابه الموسوم بـ "عمدة الطبيب في معرفة النبات" عن صلته بابن اللُّونْقَة (ت: ٤٩٨هـ / ١١٠٤م)، وعن صلته أيضاً بابن بَصَّال صاحب كتاب "الفلاحة"، وكلاهما من أهل طليطلة، وقد فرّا منها عندما اجتاحتها الإِسبَان عام (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)، ثم أقاما في إشبيلية وتنقلا في غيرها من المدن الأندلسية.

والغموض ما زال يلف شخصية أبي الخير الإشبيلي، ولكن كتاب "الفلاحة" لابن العوّام يقدم للدارسين معلومات ثمينة تساعد في الكشف عن شخصية أبي الخير وكتبه، حيث يقول ابن العوّام في مقدمته التي سرد فيها كثيراً من مصادره في كتابه "الفلاحة الأندلسية": "وعلى كتاب الشيخ الحكيم أبي الخير الإشبيلي (رحمه الله)، وهو مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين، وعلى تجاربه، وعلامته (خ)"^(١).

فنص ابن العوّام الآنف ذكره، أفاد المحقق الفاضل محمد العربي الخطابي في التعرف على شخصية أبي الخير الإشبيلي التي فقدت من المصادر الأندلسية من ناحية، وزادت من أدلة الخطابي على عزو كتاب

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٨١/١.

"عمدة الطبيب في معرفة النباتات" لأبي الخير الإشبيلي من ناحية أخرى، يقول الخطابي: "نقل ابن العوام عن أبي الخير عدداً كبيراً من المعلومات، وذكره أكثر من مائة وتسعين مرة، وعول على آرائه في كثير من أغراض الفلاحة، ولاسيما ما يتصل منها بوصف أعيان النبات وأجناسه وأنواعه. وهذا ما دفعني إلى إجراء مقارنة بين الأقوال المنسوبة إلى أبي الخير في كتاب ابن العوام، وما يناسبها من مواد كتاب "عمدة الطبيب"، فوجدت بينهما تشابهاً في الأسلوب، وطريقة الوصف، وتقارباً في المعنى، ممّا يوحي بأن ابن العوام لم يقتصر على النقل من كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي..."^(١).

قلنا: إن المقابلات الدقيقة بين ما اقتبسه ابن العوام من كتاب "الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، وبين الكتاب المطبوع باسم "كتاب في الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، تثبت وتؤكد عدم وجود تطابق بين النص المنقول.

والأصل المنقول عنه، مما يكشف لنا بجلاء أن كتاب "الفلاحة" المطبوع في فاس على نفقة القاضي سيدي التهامي الناصري الجعفري سنة (١٣٥٧هـ) لا تصح نسبته لأبي الخير الإشبيلي، وأن الكتاب المطبوع فيه نقول كثيرة من كتاب "المقنع في الفلاحة" لابن حجاج، وذلك في الصفحات (١-٨٤)^(٢).

(١) أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات: ١٨/١ (مقدمة المحقق).

(٢) انظر: أبو الخير الإشبيلي، الفلاحة، ص ٢-٨٤.

وفيه نصوص منقولة عن كتاب "زهر البستان" للطنجري^(١).

وربما اشتمل كتاب أبي الخير في الفلاحة على نقولات أخرى من مصادر فلاحية أندلسية لم تذكر بالاسم، والمطبوع على وجه العموم نسخة ملفقة مجمعة من عدة مصادر، ولكنه يبقى مهماً في دراسة الفلاحة الأندلسية.

وتأسيساً على ما تقدم ذكره، فإن كتاب "الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، لم تعرف له نسخة خطية موجودة الآن، وأنه لا بد من البحث عنه، وفحص المخطوطات الفلاحية الموجودة في المكتبات، ومراكز المخطوطات في أرجاء العالم المختلفة، فلعله مضمن في إحدى هذه المخطوطات، أو لعله نسب لغير أبي الخير، ومن غير المستبعد وجوده كاملاً في إحدى المكتبات العامة أو الخاصة.

ومِمَّا هو جدير بالذكر، أن المرحوم محمد عيسى صالحية قد وصل إلى هذه النتيجة من قبل، وذلك في مداخلته لبحث فريد جحا الموسوم بـ "التراث العربي الأندلسي في ميدان علم النبات" الذي قدمه في الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، والمنعقدة في الكويت سنة (١٩٨٣)، يقول صالحية في المداخلة المذكورة أعلاه أنه: "قام بجمع النصوص التي وردت في كتاب الفلاحة لابن العوام، وقابلها بكتاب أبي الخير جملة جملة، وكلمة كلمة، فلم يجد نصاً واحداً من نصوص ابن العوام

(١) انظر: ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص (د).

في كتاب أبي الخير. واستنبط من ذلك أن يكون أحدهم نسب الكتاب لأبي الخير، وأمر نسبة الكتب إلى غير أصحابها ولاسيما في كتب الفلاحة -كثير شائع"^(١).

والخلاصة في هذا الشأن أن كتاب ابن العوام في الفلاحة قد حفظ لنا شذرات كثيرة من كتاب "الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي وكتاب ابن بصّال في الفلاحة، وكتاب ابن حجاج الإشبيلي "المقنع" وغيرها من كتب الفلاحة الأندلسية، وأن هذه النصوص تشكل نقطة الانطلاق في البحث عن هذه المصادر الفلاحية الأصلية التي لا توجد لها نشرات علمية كاملة حتى الآن.

ونأمل أن تحقيق هذا الكتاب ونشره، سيكون مبعثاً للبحث عن مصادره من جديد، ولاسيما بعد زيادة الاهتمام بالتراث العربي في الفلاحة تحقيقاً ودراسة.

- براعة الأندلسيين في حفظ المحاصيل والثمار أطول فترة ممكنة خوفاً عليها من العوامل والظروف الجوية والعفونة، وغيرها من المهلكات للثمار والمحاصيل:

ويظهر ممّا أورده ابن العوام أنّه يراعي أمرين في تخزين المحاصيل والثمار وحفظها:

(١) فريد جحا، التراث العربي الأندلسي في ميدان علم النبات، ضمن أبحاث "الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، الكويت، ١٩٨٣، ص ٣٨٤.

الأول: اختيار الأجواء الباردة والبيئة النظيفة، يقول: "ينبغي أن يختار لاختزان الفواكه وغيرها المواضع الباردة، ذوات الرائحة النظيفة، وذوات الفوائج غير القبيحة، ولا يقرب شيء من الفواكه من حب السَّفَرَجَل، ولا يُخزن معها، فَإِنَّهُ يُضَرُّ بالرَّطْبَةِ منها"^(١).

الثاني: إثبات ما صح بالتجربة في موضوع حفظ الثمار، فمثلاً يقول ابن العَوَّام: "وإذا أردت أن يبقى العنب في الدَّالية، أو في الجَفْنَةِ، وتقطفه متى شئت، فتعمل خرائط (أكياس) من كتان، ويدخل في كلَّ خريطة منها عنقود ناضج سليم، ويربط فمها عليه في عموده، أو في أصل العُنقود، فيبقى غضاً زماناً، صحيح مجرب"^(٢).

وابن العَوَّام لا يعول على مصدر من المصادر التي رجع إليها أكثر من تعويله على التجارب الدقيقة، التي تقوم على الملاحظة الدقيقة المستمرة، والرصد الحسي المباشر ممَّا كان يقوم به شخصياً، فهو لا يأخذ أقول فلاحي النبط، أو الروم، أو الأفارقة، أو غيرهم على أَنَّها مسلمات صحيحة، ونتائج كلية لا تقبل التعديل.

إنَّ ابن العَوَّام يتابع تجارب المتقدمين، محاولاً الاستفادة ممَّا وصلوا إليه، ولكنَّه يعدل ويطوِّر على تلك المحاولات والتجارب، ويضيف إلى ما قالوه ووصفوه رأيه الخاص.

(١) ابن العَوَّام، الفلاحة النبطية: ٤٨٥/٣.

(٢) ابن العَوَّام، الفلاحة الأندلسية: ٤٩١/٣.

وهذا ما فعله في موضوع تخزين الثمار وحفظها، فقد أورد في كتابه ما قاله قسطوس بشأن حفظ الكرمة، يقول: "إذا عُمد إلى أول ما يطلع من الكرم، فقطع وطرح عنه، ثم يُسقى ذلك الكرم، ويُنقى، فإنه يثمر مرةً أخرى عنباً مؤخراً، فإذا نضج فيُجعل كل عنقود في بستوقة (آنية من فخار) من خزف، وتُعلّق بأغصان الكرم؛ لئلا يسقطها الريح، ويُطَيّن فيها بَحْصٌ، ليَحْمِي ما فيها من الرّيح، فإنّ ذلك العنب يَبْقَى غُضاً إلى (ديماه) وهو أول الربيع، ولا يفسد".

والظاهر أن ابن العوّام قد جرّب هذه الطريقة التي مصدرها قسطوس في حفظ العنب دون أن يدركه الفساد لفترة زمنية ما، ولكنه لم يجد هذه الطريقة مطردة، أو صحيحة في كثير من الأحوال، ولذلك فإنّ تجربته الخاصة قد هدته إلى تطوير الطريقة القسطوية في حفظ ثمر الكرمة، فقال ابن العوّام -مضيفاً لما عند قسطوس، وصدر رأيه بلفظه: "لي" التي تعني أن الرأي من تجاربه-: "يثقب في الآنية ثقب للهواء- كما ذكر في الأترج في باب الملح- ولا يماسّ شيء من العنب الآنية، فإن ماسّه فسد"^(١).

ولم يكتفِ ابن العوّام بتجربته الخاصة في موضوع حفظ العنب وتخزينه، وزيادة في التثبت والتحقق من نجاعة وصحة ما أضافه، فإنه يستشهد بقول أحد الثقات الذين يطمئن إلى أقوالهم؛ لأنّهم من أهل

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٤٩٣/٣.

الخبرة والتجارب في هذا الأمر، يقول: "أخبرني ثقة أنّه رآه قد فسَد بمماسته لآنية الفخار"^(١).

والملاحظ أن مصدره في فساد العنب بمماسة وعاء الفخار، لم يرو قوله عن آخرين، بل كان خبرةً مبنيةً على الرؤية البصرية والمشاهدة الحقيقية، وليس الخبر كالخبر كما يقال.

ويتحدث ابن العوّام عن الوسائل التي تحفظ ثمر الأترج من الثلج والصقيع، يقول: "وإذا طُلي ثمره بخصّ معجون بالماء، بقي الشتاء كله في ثمرته، ولم يضره الثلج، وتُستر ثمرته عن الثلج بأكنة من الألواح والقصب، وتُغطى بالحُصُر لأنّ الصرّ يهلكها"^(٢).

– تسمية الأدوات الزراعية المستخدمة في الأندلس:

إنّ كتاب "الفلاحة الأندلسية"، هو أوسع كتب الفلاحة الأندلسية وأشملها، ولذا فإننا نجد قد ذكر في جُلّ أبوابه وفصوله كمية وافرة من الأدوات الزراعية المستخدمة في إعداد التربة، وحرث الأرض وتسميدها، وتفتيت الترب وتمهيدها، وتركيب النباتات وتقليمها، وإنباط المياه وتوزيعها، وحصاد النبات ودرسها، وتخزين الحبوب والثمار وحفظها، ومكافحة الحشرات والآفات الزراعية الضارة، وتربية الحيوان والعناية به،

(١) المصدر السابق: ٤٩٣/٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٧٤/٢.

إلى غير ذلك من أعمال الفلاحة المختلفة.

يقول ابن العوّام في إشارة منه إلى بعض الآلات المستخدمة في الريّ:
"والقسم الثاني: شاق مُتعب، وهو السقي بالآلات مثل: النواير
والسواقي، والدلاء التي تدور بها الإبل والحُمُر والبغال، وأقلّها
الخطّارات..."^(١).

والخطّارات كما عرفها صاحب النفح: "صنف من الدواليب
الخفاف يستقي به أهل الأندلس من الأودية، وهو كثير على وادي
إشبيلية، وأكثر ما يباكرون به العمل في السحر"^(٢).

فنص ابن العوّام السابق يشير إلى تنوع وسائل وأدوات الري التي
تُدار بالجهد الإنساني والحيواني، وبقوة الماء وغيرها من ضروب الطاقة
المتاحة في ذلك الزمن.

وأشار ابن العوّام إلى بعض الأدوات المستخدمة في تركيب
الأشجار، يقول: "وتوضع الأقلام بطروف من فخّار جُدّد وغيرها،
مثقوبة إلى أسفل بقدر ما يدخل الفرع من ذلك الثقب. وتملأ تلك
الظروف بالتراب الطيب المذكور قبل ذلك، وشبهه من تراب وجه
الأرض.

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٧١/١.

(٢) المقرئ، نفح الطيب: ٤٥٤/٣.

وَيُقَدَّمُ بِإِعْدَادِ هَذِهِ الظُّرُوفِ قَبْلَ ابْتِدَاءِ الْعَمَلِ. وَيَكُونُ قَدْرُ تِلْكَ
الظُّرُوفِ فِي كِبَرِهَا وَصِغَرِهَا عَلَى قَدْرِ السَّاقِ أَوْ الْعُصْنِ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي
رِقَّتِهِ وَغِلَظِهِ. وَيُقَصَّدُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ التَّرْكِيبِ فِي وَسْطِ الظَّرْفِ. وَصِفَتُهُ
أَنْ يَكُونَ مِنْ فَخَّارٍ مِثْلَ: الْمَحَابِسِ أَوْ الْقَوَادِيسِ أَوْ الْقُدُورِ الْكِبَارِ، وَشَبَهُ
ذَلِكَ" (١).

فَالْقَارِئُ يَدْرِكُ أَنَّ عَمَلِيَّةَ التَّرْكِيبِ عَمَلِيَّةٌ مَعْقَدَةٌ، تَسْتَخْدِمُ فِيهَا عِدَّةُ
أَدَوَاتٍ، وَتَكُونُ ذَاتَ أَحْجَامٍ وَأَشْكَالٍ وَمَقَادِيرَ مُخْتَلِفَةٍ، وَهِيَ مَصْنُوعَةٌ مِنْ
الْخَزْفِ وَغَيْرِهِ، حَيْثُ ذَكَرَ: ظُرُوفَ الْفَخَّارِ الْمُثْقَبَةِ، وَالْمَحَابِسِ، وَالْقَوَادِيسِ
وَالْقُدُورِ الْكِبَارِ. كَمَا أَنَّ اسْتِخْدَامَ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةٍ مُسَبِّقَةٍ،
وَبِرَاعَةٍ فَنِيَّةٍ فِي الْعَمَلِ بِهَا فِي مَوَاضِعِهَا الْمَلَائِمَةِ أَثْنَاءَ عَمَلِيَّةِ التَّرْكِيبِ.

وَفَوْقَ ذَلِكَ، فَإِنَّ كُلَّ عَمَلٍ فَلَاحِيٍّ يَحْتَاجُ إِلَى تَضَافُرِ عَدَدٍ مِنْ
الْأَدَوَاتِ الْخَزْفِيَّةِ، وَالْمَعْدِنِيَّةِ وَالنَّبَاتِيَّةِ، وَالْحَيَوَانِيَّةِ، وَلِذَا فَإِنَّا لَا نَسْتَغْرِبُ
وَرُودَ أَسْمَاءِ عَشْرَاتِ الْأَدَوَاتِ، وَالْأَوَانِي، وَالْمَعْدَاتِ الْفَلَاحِيَّةِ، عِنْدَ ابْنِ
الْعَوَّامِ: الْجَوْنَةُ، الْكُوزُ، خَايِيَّةٌ، إِسْفَنْجَةٌ بَحْرِيَّةٌ، مَنَشَارٌ، مَنَجَلٌ، سَكِينٌ،
قَادُوسٌ قَصْرِيَّةٌ، غَرْبَالٌ، الْجَفَتُ، الْمَنْقَارُ، أَنْابِيْبُ النِّحَاسِ، بِسْتَوْقَةٌ مِنْ

(١) ابْنُ الْعَوَّامِ، الْفَلَاحَةُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ: ٧٣/٣.

خزف، قدر نحاس، ديس (حصير)، جرة، قواصر، المساحي، السوافي،
الهواوين، الأزيار، القفة^(١)... الخ.

تقول المستشرقة الإسبانية إكسبيراثيون غارثيا سانشير الأستاذة في
قسم التاريخ في جامعة غرناطة: "الأدوات الزراعية: يظهر أثر التقاليد
الرومانية جلياً في هذا الميدان، بيد أن ذلك لا يعني غياب أثر التقاليد
المشرقية، وبصورة عامة يمكن القول: إن أدوات الزراعة كانت مصنوعة
في أغليبتها من الحديد، وكانت بسيطة، على الرغم من تنوعها الكبير".

وتستمر سانشير قائلة: "وهنا ينبغي الإشارة إلى دراسة حديثة
أعدت مسحاً شاملاً ودقيقاً لأدوات الزراعة المذكورة في جميع
المخطوطات الزراعية الأندلسية، ما حقق منها، وما لم يحقق وينشر بعد،
إذ نجد فيها تنوعاً عظيماً لهذه الأدوات، يربو مجموع المحصي منها على
الثمانين، بضمنها ستون أداة مستقلة، والبقية أدوات مكملة لها، أو مضافة
إليها"^(٢).

(١) انظر: ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٧٥/٣، ١٣٨، ١٥٦، ١٥٨، ٤٠٨،
٤٤٠، ٤٥٢-٤٥٣، ٤٦٣، ٤٩٣، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٩، ٤/١٢، ٤٦، ٩٥،
١٠٧، ١١٠، ١٧٢، ٢٧٤، ٣٤٤.

(٢) سانشير، "الزراعة في إسبانيا المسلمة"، ضمن كتاب "الحضارة العربية
الإسلامية في الأندلس": ٢/١٣٧٩-١٣٨٠.

قلنا: إن تقديم المستشرق سانشيز الأثر الروماني في موضوع الأدوات الزراعية على الآثار الشرقية أمر مجانب للحقيقة، بل خارج عليها في موضوع الفلاحة الأندلسية بخاصة والشرقية عامة؛ لأن علم الفلاحة نشأ في الشرق على ضفاف الرافدين والنيل، وغور الأردن، وأنهار بلاد الشام، وفي أرض بابل وكنعان، والتقاليد الفلاحية في بلاد المشرق موغلة في القدم، وقد جسدها فلاحة النبط، وهم عرب امتهنوا الزراعة، والفعاليات الزراعية على ضفاف نهر الأردن وفي أرض الشرق العربي تعود إلى آلاف السنين قبل أن يعرف لليونان أو الرومان وجود حضاري.

وفوق ذلك؛ فإن الرومان كانوا مجرد نقلة لتراث الشرق في قرطاج وغيرها، يقول محمد زهير البابا في حديثه عن مرقس فارون الروماني الذي ألف كتاباً في الفلاحة، وعدد فيه أسماء من سبقه من المؤلفين في علم الفلاحة، ثم قال: "إن جميع هؤلاء يفوقهم شهرة ماجو القرطاجي، الذي جمع في ثمانية وعشرين كتاباً، كتبت باللغة الفينيقية، جميع الموضوعات التي عالجوها مستقلين"^(١).

وقد فصل ذلك الباحث التونسي الطرابلسي في كتابه العميق عن نشأة علم الفلاحة العربي، يقول: "رغم تضارب الآراء حول الفلاحة القرطاجية، فإن روما سعت إلى نقل موسوعة ماجون، بُعيد تدمير قرطاج

(١) البابا، المؤلفات العربية في علم الفلاحة والنبات، ص ٥، مقالة على الشبكة العنكبوتية.

سنة (١٤٦) قبل المسيح، عندما أمرت لجنة سنأثوريه تحت إشراف دقيمانوس وسلافوس بالترجمة، كانت هذه الموسوعة عند ترجمتها تتكون من (٢٨) كتاباً، ترجمها من البونية [الفينيقية أو الكنعانية] إلى اليونانية كسيوس دنيس الأوتيقي بعد أن اختصرها من (٢٨) إلى (٢٠) كتاباً، وكان ذلك سنة (٨٨) قبل المسيح.

لقد قلل وارون من أهمية موسوعة ماجون، فاعتبر أن ما فعله هذا العالم القرطاجي لا يتعدى مجرد تجميع نصوص زراعية كثيرة ومتنوعة، كانت من قبل مقاطع متناثرة في عديد من الكتب. لكن قولاً عارض هذا الموقف، عندما وصف ماجون بأنه أب علم الاقتصاد الريفي، الذي نجح في تأليف أول موسوعة في علم الفلاحة^(١).

ففارون الروماني ووفقاً لما يقول البابا يعترف بالعمل الضخم لماجون القرطاجي أو الكنعاني، حيث تُرجمت موسوعته الفلاحية إلى اللغة اليونانية وإلى اللغة اللاتينية، فأخذ اليونان والرومان ما أخذوا من تجارب الشرق الزراعية، وفقدت الأصول الكنعانية لهذه الأعمال الزراعية التي نشأت وترعرعت وتطورت في أرض الشرق العربي أرض كنعان والرافدين، ثم انتحلها اليونان والرومان، وأصبحت علماً رومياً خالصاً، علماً بأن أكثر التراجمة الغربيين عندما نقلوا علوم العرب والمسلمين -فيما بعد- قد

(١) الطرابلسي، نشأة علم الفلاحة العربي، ص ٤٠؛ وانظر: كونتو، الحضارة الفينيقية، ص ٣٤٢.

نخلوها لأنفسهم، وأسقطوا أسماء مؤلفيها الحقيقيين.

وفوق ذلك، فإنَّ من بدهيات الكثير من الدراسات الاستشراقية التي كتبت في العهود الاستعمارية البالية، والتي ما زال بعضها يسيطر على بعض عقول المستشرقين، سلب كل حضارة عن الشرق، وتجريد الشرقيين من كل إبداع قدموه لخدمة الإنسانية، فقد اعتقدوا نتيجة لدعاية المستشرقين- أن أثينا وروما هما مصدر كل إبداع وفن وعلم ومعرفة في تاريخ البشرية.

ولكن يأتي باحث فرنسي منصف هو بيير روسي، فيقول -رداً على هذه الأوهام بل الأكاذيب والمغالطات التي يدحضها تاريخ العلم-: "إنَّ من الأفضل أن نتكلم عن الحضارة الإيجية بدلاً من الكلام من الحضارة اليونانية، فالتأثير الذي مارسه الكنعانيون من صور وصيدا في بحر إيجه، ليس له أهمية لغوية فقط، بل هو يفرض نفسه في جميع المجالات وبخاصة في مجال الدين والأسطورة، والفلسفة، والعلم والفن..."^(١).

فنحن أمام اعتراف صريح من مستشرق منصف بدور العلم العربي أو الكنعاني أو الفينيقي أو البوني في تشكيل العلم في أثينا وروما، وأنَّ هذا العلم المشرقي هو المصدر الأساس لمعارف اليونان والرومان.

(١) روسي، التاريخ الحقيقي للعرب، ص ٦٧؛ وانظر: سورينا، تاريخ الطب، ص ٩٢-٩٦؛ يونغ، العرب وأوروبا، ص ١٠٥-١٠٦.

ويبدو أنَّ نزعة التشكيك في الدور الحضاري العظيم لعرب الأندلس في صناعة الفلاحة، وفي نقل نباتات جديدة لأوروبا، وللعالم بأسره، ما زالت مهيمنة على عقول بعض المستشرقين، يقول كوك: "إنَّ قائمة النباتات التي يقال إنَّ مسلمي العصور الوسطى الأوائل أدخلوها إلى جنوب أوروبا، هي قائمة طويلة، ونجد على رأسها الأرز والقطن وقصب السكر... والمشكلة الأساسية هي عدم وجود وصف محدد بشكل كافٍ لإدخال هذه النباتات إدخالاً فعلياً في مصادرها"^(١).

قلنا: إنَّ قصور باع كوك وغيره من الباحثين الذين يصدر عن الأحكام الجذافية المتعجلة يسبب التعلل بقلة المصادر، أو عدم قدرتهم على الوصول إليها، أمر معروف، ونور أن نشير إلى الدراسة المحيطة التي أنجزها أندريو واطسون حول الإبداع الزراعي في العالم الإسلامي، والتي أبرز فيها أن خصائص هذا العالم، قد سهلت انتقال المحاصيل الجديدة على يد المسلمين نتيجة لظهور: "حضارة تحمل طابع الجدة فوق جزء كبير من سطح الأرض، وتتكون من عناصر هي في معظمها عناصر أصيلة..."^(٢).

* * * * *

(١) انظر: م. كوك: "التطورات الاقتصادية"، ضمن كتاب: تراث الإسلام، ق ١، ص ٣٠٤.

(٢) واطسون، الإبداع الزراعي في بدايات العالم الإسلامي: انتشار المحاصيل والتقنيات الزراعية ما بين عامي ٧٠٠ و ١١٠٠ للميلاد، ص ٥؛ وانظر الصفحات: ١٩٢-١٩٤؛ ٢٠٧-٢٠٨.

الفصل الخامس

ترجمات الكتاب ونشراته

الفصل الخامس

ترجمات الكتاب وترجماته

قبل الحديث عن ترجمة الكتاب إلى لغتين أوروبيتين معاصرتين في القرن التاسع عشر، وهما الإسبانية والفرنسية، لا بُدَّ من الإشارة إلى أن الأوروبيين قاموا بترجمة بعض كتب الفلاحة الأندلسية في العصور الوسطى.

وعند قيام المستشرق خوسي ماريه مياس بيكروسا بإعداد كتابه عن "الترجمات الشرقية في مخطوطات مكتبة كتدرائية طليطلة"، وجد كتابين بالإسبانية القديمة (القشتالية) ناقصين ومجهولي المؤلف، ومصدرهما طليطلة، وعند دراسته للكتابين، تبين له أن أحد الكتابين لأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن وافد اللخمي (ت: ٤٦٧هـ — / ١٠٧٤م)، والكتاب الثاني هو كتاب "القصد والبيان" لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصّال الطليطلي وكان معاصراً لابن وافد، وهو أحد أهم المصادر الأندلسية في فلاحة ابن العوّام.

وتبين للمستشرق الإسباني خوسي ماريه أن الكتابين ناقصان، وأن مؤلفيهما مجهولان^(١).

(١) انظر: ابن بصّال، كتاب الفلاحة، ص ١١ (مقدمة خوسي ماريه ومحمد عزيمان).

وكشفُ المستشرق خوسي مارية له أكثرُ من دلالة، فهو من جانب يدلنا على حركة الترجمة النشطة التي كانت طليطلة مركزاً لها، وذلك بعد ضياعها من يد المسلمين عام (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)، وأنَّ ترجمة العلماء في مدرسة طليطلة قد شملت مختلف العلوم الطبيعية، والفلسفية، والطبية، والأدبية عند العرب. ويدل من جانب آخر على انتحال المترجمين الأوروبيين لكثير من الكتب العربية المترجمة وسرقتها، ونسبتها لأنفسهم، تقول زيغريد هونكه عن دمتریوس الذي جاء من صقلية ببعض الكتب العربية:

"وكان قد أخذ معه إلى إيطالية ترجماتها العربية بقلم حنين بن إسحق، وابن أخته حبیش بن الحسن، دون أن يغير من أسماء مؤلفيها اليونانيين، بعكس ما فعل تماماً مع المخطوطات العربية، إذ لا يُعرف أسماء مؤلفيها في أوروبا، ولا يعيرهم "الكفار" أي اهتمام؟! فكان أن سحَق كل اسم عربي في كل المخطوطات ونسبها إلى نفسه، خوفاً من أن يقطع ثمار عمله سارق آخر غريب على حدِّ قوله، وهو في عمله هذا كاللص الداهية، الذي يتعالى صراخه بأن "أمسكوا السارق"، في الحين الذي هو يملأ جلسة عبه وجيوبه"^(١).

قلنا: لو عرفت زغريد هونكه المثل العربي الذي يقول: "تلدغ العقرب وتصيء"، لكفاهها مؤونة ضرب المثل لهذا المترجم المنتحل باللص

(١) هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٢٩٨.

الذي يسرق ويصيح، وما أكثر السراقَ من المترجمين الأوروبيين في عصر النهضة الأوروبية، عندما سطا كثير منهم على الكتب العربية في العلوم وترجموها ونسبوها لأنفسهم!!، ولعلَّ ما فعله الأوروبيون هو السبب في إفتاء بعض فقهاء الأندلس بتحريم بيع الكتب للفرنج.

يقول ابن عبدون الأندلسي: "يجب أن لا يباع من اليهود، ولا من النصارى كتاب علم، إلا ما كان من شريعتهم، فإنَّهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم، وهي من تواليف المسلمين"^(١). وعلاوة على ذلك، فإنَّ الدارس يدهش من الأسس المنهجية العلمية الدقيقة التي سلكها العرب في ترجماتهم الرائعة لأعمال اليونان والفرس والهنود.

وكان حرصهم شديداً على التحقق من صحة نسبة أسماء هذه الكتب المعربة إلى مؤلفيها، لما يترتب على ذلك من الوصول إلى النتائج العلمية السليمة، كما أنَّهم نقدوا الترجمات السابقة، واستخدموا النقد الخارجي والداخلي للتحقق من صحة هذه النصوص، اعترافاً بفضل أصحابها، وتقديراً لجهودهم وفضلهم في خدمة العلم الإنساني^(٢).

(١) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، ص ٥٧.

(٢) انظر: سمير الدروبي، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، ص ٤٧-٦٣.

وفوق ذلك، فإنَّ معرفة الأسبان وغيرهم من الأوروبيين بطرائق العرب في الزراعة والري، واستصلاح الأراضي الزراعية وغير ذلك عن طريق ما ترجوه من كتبهم في الفلاحة، قد أحدث تغييراً جوهرياً في بنية المجتمعات الأوروبية على جميع الصعد الإنسانية والاقتصادية والسياسية^(١).

ترجمة فلاحة ابن العوَّام إلى الإسبانية:

فقد قام المستشرق الإسباني الأب بانكيري أو بانكويري (J.A. Banqueri) بترجمة "الفلاحة الأندلسية" إلى اللغة الإسبانية، وقد طبع بعد إنجاز ترجمته في مدريد سنة (١٨٠٢)، ويستفاد ممَّا ذكر نجيب العقيلي أن بانكويري قد أمضى قرابة الخمسين عاماً في تحقيقه وترجمته^(٢)، وربما كان ذلك غير مستبعد لضخامة العمل في تحقيق متن النص العربي والترجمة الإسبانية له، ولما عُرف عن بعض كبار المستشرقين من تدقيق وتحقيق.

ويبدو أن تلك النشرة العظيمة التي نهض بها بانكوري قد نفذت منذ عهد بعيد، وأصبحت نادرة الوجود، ولذا نجد أن وزارة الزراعة ووزارة الخارجية الإسبانية قد قامتا بإعداد طبعة جديدة للكتاب في سنة (١٩٨٨-١٩٩٢م).

(١) انظر: أحمد رضا بك: الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، ص ٢٠٩ -

٢١٠.

(٢) انظر: العقيلي، المستشرقون: ٢/٥٨٠-٥٨١.

ويتضح أنّ الأب ميخائيل الغزيري يقف وراء الدعوة إلى ترجمة هذا الكتاب ونقله إلى اللغة الإسبانية، والأب الغزيري واحد من الآباء الموارنة، وهو لبناني الأصل، وقد قام بفهرسة مكتبة دير الإسكوريال سنة (١٧٤٩م).

وقام الغزيري بتصنيف مكتبة الإسكوريال وفقاً لموضوعاتها، وأصدر فهرستها في مجلدين بالعربية واللاتينية، ونشر فهرسته في مدريد من سنة (١٧٦٠-١٧٧٠م).

والغزيري واحد من الرهبان الموارنة الذين استقطبهم الملك الإسباني كارلوس الثالث (١٧١٦-١٧٨٨م)، لتعليم اللغة العربية في بلاد الإسبان، ونشر تراثها المتعلق بإسبانيا وترجمته، كما أنّ هذا الملك عدّ اللغة العربية مبرراً لترقية الموظفين الإسبان في بلاده^(١).

أمّا المبررات لتحويل كتاب "الفلاحة" لابن العوّام إلى الإسبانية، فإنّها ترجع -من وجهة نظرنا- إلى الآتي:

أولاً: الإقبال على تعلم العربية، ونشر تراثها المتعلق بالأندلس على يد الملك الإسباني كارلوس الثالث، الذي رأى قلة اهتمام الإسبان بالعربية وبتراثهم المكتوب بها، خلافاً لما كان عليه الحال في القرون السالفة^(٢).

(١) انظر: العقيلي، المستشرقون: ٥٧٣/٢-٥٧٤.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٥٧٣/٢.

ولا شك أن رغبة الإسبان في الاهتمام بجيرانهم المغاربة قد عادت من جديد، وأن حضورهم الاستعماري في سبتة ومليلة كان قائماً —وما زال— حتى عصرنا الحاضر.

ثانياً: يبدو أن الملك الإسباني كان يدرك ما تمتعت به إسبانيا من رخاء وازدهار اقتصادي، حين كان بقايا العرب المعروفين بالمورسكين أو المدجنين موجودين بالأندلس، ولكن عندما ضيق عليهم في دينهم، وصودرت أموالهم وانتهكت أعراضهم، فرَّ كثيراً منهم إلى المغرب العربي بسبب سياسات محاكم التفتيش الجائرة التي كانت تجسّد موقفاً سياسياً ودينياً لدولة الإسبان ضد بقايا الوجود العربي في الأندلس^(١).

ولا شك بأن قهر المورسكين وإجبارهم بالقوة على الهجرة القسرية من الأندلس، كان له أكبر الأضرار والآثار السلبية على الحالة الاقتصادية في إسبانيا، ولاسيما في الجانب الزراعي منها، حيث تدهورت حال الأراضي الزراعية التي برع المورسكيون أو المدجنون في ريّها وعمارتها واستغلالها، ونقص، الإنتاج الزراعي نقصاً هائلاً حتى مات بعض الناس جوعاً^(٢).

(١) انظر: أرينال، شتات أهل الأندلس، ص ٦٩؛ كاردياك، الموريسكيون الأندلسيين والمسيحيون، ص ٤٣-٤٤.

(٢) انظر: هورتز، بنشت، تاريخ مسلمي الأندلس: المورسكيون "حياة ومأساة أقلية"، ص ٢٥٤، ٢٦٨؛ قشتيليو، المورسكيون في الأندلس وخارجها، ص ٦٦-٦٧.

ويشير غستاف لوبون إلى حالة التدهور والانحطاط التي لحقت بإسبانيا بعد تشريد العرب منها، وإجلائهم عنها، في مجال الزراعة، وغيره من مجالات الحياة والعمران، يقول:

"وكان من سرعة الانحطاط الذي عقب إجلاء العرب وقتلهم ما يمكننا أن نقول معه: إنَّ التاريخ لم يرو لنا خبر أمة كالإسبان هبطت إلى دَرَكة عميقة في وقت قصير جداً، فقد توارت العلوم والفنون والزراعة والصناعة، وكلُّ ما هو ضروري لعظمة الأمم عن بلاد إسبانيا على عجل، فأغلقت أبواب مصانعها الكبرى، وأهملت زراعة أراضيها، وصارت أريافها بلاقع، والمدن إذ كانت لا تزدهر بغير صناعة ولا زراعة خلت المدن الإسبانية من السكان على شكلٍ سريعٍ مخيف..."^(١).

ومِمَّا لا شك فيه أن الملك الإسباني الذي يعرف تاريخ بلاده جيداً قد أدرك أن بعث الاهتمام باللغة العربية في بلاده، والاطلاع على مصادرها العلمية، وخاصة في المجال الزراعي سيشكل عاملاً حاسماً من عوامل النهضة التي كان يتطلع إليها في بلده.

ثالثاً: إن بانكويري مترجم كتاب "الفلاحة" لابن العوام كان من كبار الشخصيات العلمية في عصره، حيث انتخب عضواً في مجمع التاريخ الإسباني عام (١٧٨٣م)، ويبدو أنه كان متصلاً بالدوائر الملكية الحاكمة

(١) لوبون، حضارة العرب، ص ٦٩٦.

في إسبانيا اتصالاً وثيقاً، عندما عين مترجماً في المكتبة الملكية عام (١٧٩٤م).

ولذا فإنه من غير المستبعد أن تكون الرعاية الملكية الإسبانية قد شملته في موضوع ترجمة هذا الكتاب، وخصوصاً إذا علمنا أن الملك كارلوس الثالث الذي أنجز في عهده ترجمة جزء كبير من كتاب "الفلاحة الأندلسية"، كان مشجعاً للإسبان "على التضلع من أسرار العربية ونشر تراثها"^(١).

رابعاً: لقي كتاب "الفلاحة الأندلسية" تقديرًا عظيمًا من المستعربين الإسبان الذين يعدونه دائرة معارف تاريخية في الفلاحة، كما أنه كان له كما يقول بالثيا: "أثر كبير في كتابات ج. أ. دهريرا G.A. de Herrera"^(٢)، ولكن المستشرق الإسباني بالثيا لم يكشف لنا عن هذا الأثر أو الآثار التي تركها كتاب ابن العوام في كتابات دهريرا.

ولا شك أن غابرييل ألونسو دي هيريرا وغيره من علماء الفلاحة المهتمين بالزراعة في أوروبا، قد أدركوا القيمة المعرفية لكتب العرب، وإنجازاتهم في ميدان الفلاحة، تقول إكسبيراثيون غارثيا سانشيز: "ينبغي أن نعترف في النهاية بأن الزراعة الأندلسيين ما بين القرنين الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، والسابع الهجري / الثالث عشر الميلادي،

(١) العقيقي، المستشرقون: ٥٧٤/٢.

(٢) بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٧٥.

هي بلا ريب الزراعة الأهم، والأكثر تأثيراً في العالم الإسلامي لتلك الفترة، من دون أن يعني ذلك أنَّها كانت الزراعة الوحيدة من نوعها آنذاك.

ويجب علينا، من جانب آخر، ألا نغمت البستنة الأندلسية، التي جمعت المعارف الزراعية السابقة، وأغنيتها في نواح عديدة، حقها في التأثير في معارف الغرب النصراني وممارساته الزراعية^(١).

ومِمَّا يجب التأكيد عليه، والاعتداد به، أن كتاب "الفلاحة" لابن العوام، كان من "أهم المصادر الزراعية في أوروبا إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وكان الكتاب الوحيد الذي طبقت مناهجه التدريسية في جامعات إسبانيا والبرتغال، وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا، وكان له تأثير واضح على الزراعة الأوروبية بصورة عامة"^(٢).

خامساً: اتخذ الأب الغزيري كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام، نصاً تعليمياً يُقرأ على المستعربين الإسبان، ولعلَّ مرد ذلك إلى لغته الواضحة السهلة، ولارتباط موضوعاته بالبيئة الأندلسية الفلاحية.

(١) سانشيز، *الزراعة في إسبانيا المسلمة*، ضمن كتاب "الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ١٣٨١/٣؛ وانظر: الشهابي، *تأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوروبية*، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج ١، مجلد ٣٦، ١٩٦١، ص ١٨٢-١٨٥.

(٢) النابلسي، *الملاححة في الفلاحة*، ص ١٤ (مقدمة عادل محمد علي الحجاج).

وتدليلاً على قوة الحضور للإرث الزراعي العربي في البيئة الزراعية الأندلسية، فإننا نورد ما قاله المستشرق الإسباني الكبير ليفي بروفنسال: "وما زالت العربية باقية حتى الآن في لغة الريف الصميمة في مفردات بعض المصطلحات الزراعية؛ وهي تظهر مرة أخرى أيضاً في مقاييس وموازين كل حقل قروي، سواء أكان ذلك يختص بقياس السطح، أو الوزن أو السعة. وفيما يتعلق بالرّي فإنّ الطرائق المتبعة ترجع بلا ريب إلى العصر الفيزيقيوطي، وهي تتكشف عن اختلاف في التفاصيل والطرائق التي يمكن تفحصها في أفريقيا الصغرى وبخاصة في مصر؛ وما زالت أرض الأقاليم الشرقية في أسبانيا تستخدم تلك الطرائق في الري، تحرث كما كان الأمر في زمن المسلمين.

وهذا لا يعني أن اصطلاحات الري ليست عربية، فهي عربية ما عدا بعض الشواذ النادرة... إنّ ما تقرأه معاجم علم النبات من الألفاظ العربية لا يقل نسبة عن ذلك، فأكثرية أسماء الفاكهة والأزهار المزروعة، تشهد حتى الآن في إسبانيا على استعارة مباشرة من اللغة العربية"^(١).

سادساً: إنّ الهدف العملي أو النفعي والتطبيقي، كان من أهم الدوافع وراء ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية"، إذ يذكر المستشرق الإسباني خوان فيرنيت أن كامپومانيس قد وجد الكتاب "ذا نفع، فطلب إلى بانكيري أن يترجمه إلى الإسبانية، وبذلك تم وضعه في متناول

(١) بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ٨٢-٨٣.

مُلاك الأراضي الإسباني؛ لِيُتاح لهم استثمار مزارعهم على نحو أرشد"^(١).

ولكن لم نجد ما يعرفنا بشخصية كاميومانيس الذي شجع على ترجمة كتاب ابن العوّام، ولعله الأب كانيس الفرنسياني (١٧٣٠-١٧٨٩م) (P.Canes) الذي انتخب عضواً في مجمع التاريخ بمدريد، وصنّف كتاباً في الإسبانية في قواعد اللغة العربية، وأعدّ معجماً عربياً في ثلاثة أجزاء، طبع في مدريد سنة (١٧٨٧م)^(٢).

واللافت للنظر، أن ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية" من العربية إلى الإسبانية كان لغايات إفادة المزارعين الإسبان بما تتضمنه هذه الموسوعة من كتوز المعارف الفلاحية العربية، والتجارب الزراعية، التي قام بها كبار علماء الفلاحة العرب في الأندلس في: طليطلة، وإشبيلية، وغرناطة، وقرطبة، وبلنسية وغيرها من المدن الأندلسية التي قامت بها الفلاحة على أسس علمية، ومناهج صحيحة تعتمد التجربة أساساً في العمل الفلاحي، وتعمل على زراعة كل شبر يمكن أن يزرع من أرض الأندلس. ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية" للفرنسية:

قام المستشرق الفرنسي كليمان موليه (Cl. Mullet) بترجمة فلاح ابن العوّام إلى اللغة الفرنسية، وكأن الرجل أدرك ما للكتاب من قيمة تطبيقية، يمكن أن ينتفع بها الفلاح الفرنسي من جانب، وعزّ عليه أن تخلص

(١) فيرنيت، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ص ٦٩.

(٢) انظر: العقيلي، المسشرقون: ٥٨٠/٢.

اللغة الفرنسية من هذا السفر الجليل القدر من جانب آخر، ولاسيما بعد أن رأى لغة الإسبان زاهية بأثواب الفلاحة الأندلسية، بعد ترجمة بانكويري الذائعة الصيت لكتاب ابن العوام.

ويدل عمل كليمان موليه دلالة واضحة على الجانب الإيجابي الذي قدمه المستشرقون للتراث العربي تحقيقاً ودراسةً وترجمةً، وحفاظاً عليه في دور محفوظاتهم ووثائقهم ومكتباتهم الوطنية، ممّا جعل منه تراثاً إنسانياً عندما مكّن القارئ الأوروبي الإطلاع عليه بلغته الإسبانية أو الألمانية، أو الفرنسية أو الإيطالية أو اللاتينية أو غيرها من اللغات الأوروبية^(١).

أمّا نأقلُ هذا الكتاب من لغة العرب إلى الفرنسية المستشرق كليمان موليه (١٧٩٦-١٨٦٩)، أحد الذين أولوا دراسة العلوم الطبيعية عند العرب اهتماماً كبيراً، وله كتاب في علم الطبيعيات عند العرب، وترجم الثقل النوعي عند البيروني إلى اللغة الفرنسية، ونشره في المجلة الآسيوية سنة (١٨٥٨م)، وله أبحاث كثيرة في علم النبات عند العرب.

ويتضح أن ترجمته لكتاب ابن العوام كانت في السنوات الأخيرة من حياته، حيث أصدره في ثلاثة أجزاء في باريس (١٨٦٤-١٨٦٧)، علماً

(١) انظر: سمير الدروبي: من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة العشرون، العدد (٥٠)، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٦٣-٨٤.

بأن موليه كان مترجماً في وزارة الخارجية الفرنسية، وقام بنقل التوراة من العربية والعبرية إلى اللغة التركية، وأصدرها سنة (١٨٤٨م) بباريس^(١).

ومِمَّا لا شك فيه أن ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية" إلى الإسبانية والفرنسية، ونشره في هاتين اللغتين غير مرة، قد جعل منه كتاباً عالمياً — كما أشرنا من قبل — وذلك لما لهاتين اللغتين العالميتين من انتشار واسع في البلاد الأوروبية، وفي أمريكا الجنوبية، وكندا، وفي أفريقيا والمغرب العربي نفسه، وبخاصة اللغة الفرنسية.

ومن المفارقات العجيبة، أننا وجدنا هذه الترجمة الفرنسية في مکتبات: الرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس، ولم نجد فيها كتاباً واحداً عن الفلاحة باللغة العربية في العام الجاري (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)، أثناء زيارتنا لبلاد المغرب.

ويبدو أن الأوروبيين قد عرفوا شيئاً جيداً عن الإسهامات الكبرى، والإنجازات العظيمة التي حققها العرب في ميدان علم الفلاحة، ووصلوا إلى كثيرٍ من النتائج التي لم يعرفها الغرب حتى منتصف القرن الماضي، يقول محمد أبو حسان: "ومِمَّا يجدر ذكره أن ابن العوام عرف تطور

(١) انظر: العقيلي، المستشرقون: ١/١٩٢؛ بالنياء، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٧٥.

الورد الأزرق عن طريق المسلمين، وهذا التطور لم يعرف في إنجلترا إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وقد ذكر المؤلف هذه التجربة بالتفصيل^(١).

ولا بد من الإشارة إلى أن ترجمة موسوعة ابن العوام الموسومة بـ "الفلاحة الأندلسية"، قد مكنت علماء تاريخ العلوم من الأوروبيين من تقدير الجهود العلمية للعلماء العرب في ميدان النبات والفلاحة، وما لهم في هذا الميدان من إسهامات علمية جليلة خدموا بها البشرية، يقول ألدوميلي -الذي يُعد من أكثر العلماء إنصافاً وتقديراً للعلم العربي-:

"ومع أن ابن العوام كان يؤلف كتبه على أساس يجمع بين التبحر العلمي في الكتب الإغريقية والعربية، فإنه يقدم وصفاً دقيقاً لعدد يبلغ (٥٨٥) نوعاً من النباتات، ذكر من بينها (٥٥) نوعاً من الأشجار المثمرة. ولم يتردد ماكس مايرهوف في التصريح بأن هذا الكتاب ينبغي أن يُعد أحسن الكتب العربية في العلوم الطبيعية، وعلى الأخص في علم النباتات"^(٢).

ويرى المشرق لاندو أن كتاب "الفلاحة" لابن العوام من أهم الكتب المؤلفة في الزراعة والبستنة في الغرب الإسلامي، يقول:

(١) أبو حسان، دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية:

٢١٨.

(٢) ألدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ص ٤٠١.

"... وأشهر هذه الكتب ذلك الذي وضعه في القرن الثاني عشر العالم الزراعي ابن العوام الإشبيلي "كتاب الفلاحة"، وإنَّ ثمة خبيراً غريباً واحداً على الأقل يعتبره أهم مصنف قروسطي في هذا الموضوع (سارطون، المجلد الثاني، ص ٤٢٤)، وهذا الكتاب لا يفيد من جُماع التراث الزراعي القديم، ومن المعرفة الإغريقية والعربية القائمة على الحقل فحسب، بل يفيد أيضاً على نحو أدعى إلى الإقناع من تجارب المؤلف العلمية الخاصة، وهو يدرس خمسمائة وخمساً وثمانين نبتة مختلفة، وزراعة ما يزيد على خمسين شجرة مثمرة، ومختلف ضروب التربة والسماذ، وطرائق التطعيم والتعاطف، والتنافر الروحي بين النباتات (وهو موضوع يُعتبر في العادة، كشفاً من الكشوف العصرية)، وأمراض النبات وعلاجها، وتربية الماشية والنحل والطيور الداجنة"^(١).

ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية" إلى اللغة الأردية:

وترجم كتاب ابن العوام إلى اللغة الأردية أيضاً، وهي من لغات الشعوب الإسلامية التي يتكلمها مئات الملايين في الهند وباكستان، وسيريلانكا ومالديف وغيرها من أقطار العالم، والمعروف تاريخياً أنَّ هذه اللغة قد تولدت في دلهي في الهند، وترقت حتى صارت لغة أدبية، ودخلها كثير من الألفاظ العربية والفارسية والمغولية والهندية.

والمعروف أنَّ الهنود والباكستانيين يهتمون بتطوير اللغة الأردية،

(١) لاندو، الإسلام والعرب، ص ٢٧٩.

وهناك لجنة من مهماتها وضع المصطلحات العلمية لهذه اللغة، ويرى أعضاء هذه اللجنة أن اللغة الأردنية: "تحمل صلاحيات كامنة في ميدان العلوم والتكنولوجيا، بالإضافة إلى ميدان الأدب والثقافة، وقد تولى هذا العمل في باكستان هيئات متخصصة داخل الجامعات، كما هو الحال في جامعة البنجاب، وجامعة كراتشي، كما ظهرت معاجم متخصصة في مجال الكيمياء والطبيعة، وعلم النفس، والفلسفة، والقانون وغيرها..."^(١).

ومِمَّا لا شك فيه أن ترجمة كتاب "الفلاحة" لابن العوام إلى اللغة الأردنية^(٢) يرجع إلى القيمة العلمية الكبرى لهذا الكتاب، كما أن تجاربه الزراعية يمكن أن تفيد الفلاح الهندي والباكستاني.

وأدخلت هذه الترجمة إلى لغة الأردو مزيداً من المصطلحات والألفاظ العربية في ميدان الزراعة، ممَّا يعمل على إثراء هذه اللغة، وخاصة إذا ما علمنا بأن اللغة العربية ضاربة بجذورها في بلاد الهند، إذ بقيت فيها لفترة طويلة لغة الدين والثقافة، كما أن "نصيب العربية في عملية نمو الثروة اللفظية في الأردنية كبير"^(٣).

ويشير الندوي إلى عناية ملوك الهند في بعض عصورها الإسلامية

(١) سمير عبد الحميد إبراهيم، معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردنية، ص ٢.

(٢) G.S. Colin, **Filah**, El^٢.

(٣) انظر: سمير عبد الحميد إبراهيم، معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردنية، ص ١٧.

بالثقافة العربية، حتى سَلَّ أحدهم النقود فيها باللغة العربية لأول مرة، وألّفت كتب كثيرة في بلاطهم باللغة العربية "وتقدمت اللغة العربية تقدماً ملحوظاً في بلاط المماليك..."^(١).

ومِمَّا يدل على رسوخ الثقافة العربية في بلاد الهند وباكستان خصوصاً، وفي آسيا الوسطى والشرق عموماً، أن الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَاني (ت: ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م)، قد ولد في لاهور، وهو مؤلف "العباب الزاخر واللباب الفاخر" الذي قد يكون أضخم وأهم معجم عربي ألفه المعجميون العرب القدماء، وكان الصَّغَاني متقناً للغات العربية والفارسية والأوردية وغيرها، وسفر رسولاً بين خليفة بغداد العباسي وبلاد الهند^(٢).

وفوق ذلك، فإنَّ للغة العربية في باكستان أنصاراً ومؤيدين، وجرت محاولات في باكستان عند استقلالها لجعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد وللدولة^(٣)، ولكن ضعف الوضع العربي، وتقاعس البلاد العربية آنذاك

(١) الندوي، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص ١٨٦.

(٢) انظر: سمر الدروي، العرب والدخيل في المعاجم العربية القديمة بين دلالاته المعجمية واستعماله اللغوي: لفظة "الفهرست" أنموذجاً، ضمن مقاربات في اللغة الأدب (٤)، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ٢٦-٢٧.

(٣) انظر: سمر الدروي، اللغة العربية في الدواوين والمخاطبات والمراسلات في المؤسسات العامة والخاصة في الأردن: واقعها وسبل النهوض بها، الموسم الثقافي السابع والعشرون، مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص ٧٧٣.

حال دون إتمام هذا المشروع الحضاري العظيم لو قدر له النجاح، علماً بأنَّ العامل الديني في نفوس المسلمين من الهنادك والباكستانيين فاعل ونشط جداً في تعلم اللغة العربية، وفي ترجمة تراثها وعلومها وآدابها التي يعدونها جزءاً من حضارتهم وثقافتهم.

- ترجمة كتاب فلاحة ابن العوام إلى اللغات: التركية والإنجليزية والإيطالية:

ذكر عماد محمد ذياب الحفيظ عضو اتحاد المؤرخين العرب، أن كتاب "الفلاحة الأندلسية" قد ترجم أيضاً إلى اللغة الإنجليزية، وإلى اللغة التركية^(١).

ولكن الحفيظ لا يذكر لنا مصدره في هذا الخبر المهم، ولعلَّ هاتين الترجمتين إلى الإنجليزية والتركية قد أنجزتا بأخرى، ولم نتمكن من اقتفاء خبر هاتين الترجمتين في أي مصدر آخر.

وذكر علي عبد الله الدفاع أنَّه قد ترجمت قطعة من كتاب ابن العوام إلى اللغة الإيطالية^(٢).

(١) انظر: الحفيظ، دراسات عن الزراعة والمياه في التراث العربي والإسلامي: ١٠٩/١.

(٢) الدفاع، إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات، ص ٢٥١.

ويقول جليل أبو الحب نقلاً عن الدفاع أن كتاب ابن العوَّام في
الفلاحة قد: "ترجم إلى الإسبانية والفرنسية والإيطالية لأهميته"^(١).

ونأمل أن تصح الأخبار بذلك؛ ليصل هذا الأثر العربي الأندلسي إلى
جمهرة المهتمين به في كل أرجاء العالم، وليضاف ذلك الإنجاز إلى البراهين
الساطعة، على عظمة الحضارة العربية الإسلامية، ودورها الكبير في تاريخ
العلم الإنساني.

* * * * *

(١) أبو الحب، "علم الحيوان عند العرب"، مجلة المورد العراقية، بغداد، المجلد
الرابع عشر، شتاء ١٩٨٥، العدد الرابع، ص ١١٠.

الفصل السادس

نسخ الكتاب الخطية ومنهجية العمل في التحقيق

أولاً: تحقيق نسبة كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام الإشبيلي .

ثانياً: النسخ الخطية للكتاب .

ثالثاً: المنهج المتبع في تحقيق النص .

رابعاً: نماذج مصورة عن الأصول الخطية المعتمدة في تحقيق النص .

أولاً:

تحقيق نسبة كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام

الإشبيلي

أولاً: تحقيق نسبة كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام الإشبيلي:

إنَّ من أوليات ما يقوم به محققو النصوص وناشروها، تحديد نسبة هذه الكتب والنصوص إلى أصحابها، والتأكد من أنَّهم قد قاموا فعلياً بتصنيفها، خوفاً من أن تكونَ مدسوسة عليهم أو منحولة لهم^(١).

وقد يقوم بعض المصنفين أو أدعياء التصنيف بالإغارة على كتب الآخرين ونسبتها إلى أنفسهم^(٢)، وهذه ظاهرة تشيع في بعض الكتب والنصوص القديمة، ولا حاجة لضرب الأمثلة عليها.

وعملنا في تحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" يحتاج إلى توثيق صحة نسبة هذا العمل إلى مؤلفه، وذلك لكثرة الخلط والاضطراب، والتداخل والعموض، الذي يحيط بغالبية مصادر الفلاحة الأندلسية التي ألفت في زمن التداعي والسقوط لكثير من مدائن الأندلس، وأولها طليطلة التي كان سقوطها بيد الإسبان في سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، وما نجم عن ذلك من فرار لكبار علماء الفلاحة كمحمد بن إبراهيم بن بصَّال الطليطلي وغيره من هذه المدينة^(٣).

(١) انظر: سمير الدروبي، ظاهرة التعدد والكثرة في مؤلفات السيوطي، ص ١١٨.

(٢) انظر: مقامات جلال الدين السيوطي: ٥٣/١-٥٨؛ وانظره: ٨١٨/٢-٨٥٥.

"مقامة الفارق بين المصنف والسارق": ٩٣٣/٢-٩٥٧ "مقامة الكاوي في

تاريخ السخاوي"، (بتحقيق وشرح ودراسة: سمير الدروبي).

(٣) انظر: ابن بصَّال، الفلاحة، ص ١٣-١٦، (مقدمة المحققين).

وقد فرّ ابن بصّال وغيره من العلماء إلى حواضر الأندلس كإشبيلية وقرطبة وغرناطة، وكانت إشبيلية عاصمة المعتمد بن عباد مستقراً لغيره من علماء الفلاحة أمثال: ابن الحجاج الإشبيلي، وابن أبي الخير الإشبيلي، وابن العوّام الإشبيلي -فيما بعد-، الذين مارسوا تجاربهم الزراعية في جنة السلطان، وغيرها من حقول المختبرات الزراعية.

ولكن من المأسوف عليه أن ما وصل إلينا من كتبهم في الفلاحة - سوى ابن العوّام - ما هو إلا مختصرات، تحوم الشكوك المنهجية حولها، فبعد أن أورد أحمد الطاهري جملة من الملاحظات حول كتاب ابن بصّال المطبوع بعنوان "الفلاحة"، قال: "لعلّ في الملاحظات ما يطرح أكثر من علامة استفهام حول صحة انتساب الأصل المنشور فعلاً لابن بصّال؛ ممّا يدعو إلى إخضاعه هو الآخر لمزيد من الضبط والتمحيص"^(١).

أمّا كتاب "المقنع في الفلاحة" لأحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي، فليس بأحسن حالاً من كتاب ابن بصّال، فنسخه الخطية التي اعتمدها صلاح جرار وجاسر أبو صفية لا تحمل اسم الكتاب، وإنّما تم التعرف على عنوان الكتاب ممّا كتبه ابن العوّام في "الفلاحة الأندلسية"^(٢).

(١) ابن ليون التنجي، اختصارات من كتاب الفلاحة، ص ١٩ (مقدمة أحمد الطاهري).

(٢) انظر: ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة: خ (مقدمة المحقّقين).

وذكر أحمد الطاهري: "المقنع في علم الفلاحة": "وقد حظي بعناية التحقيق من طرف صلاح جرار بالاشتراك مع جاسر أبو صفية، وصدر ضمن منشورات مجمع اللغة العربية الأردني بعمان سنة (١٩٨٢م)، وهي الطبعة التي أثارت تحفظ بعض الدارسين الإسبان الذين لم يترددوا عن إبراز مكان الخل والتداخل بين المتن الأصلي المفترض، والنص المحقق المنشور في شكله الحالي"^(١).

وعلمنا أن إبراهيم حمد مهاوش الدليمي، قد حقق كتاب "المقنع في الفلاحة" ونشره في بغداد سنة (١٩٨١)^(٢)، ولكننا لم نتمكن من الوقوف على هذه النشرة وتقدير قيمتها العلمية.

وأما كتاب "الفلاحة" المنسوب لأبي الخير الإشبيلي، فما هو إلا مجموعة من الأقوال والآراء في الفلاحة، نقلها جامع الكتاب من كتاب الطُّغْنري "زهر البستان"، وغيره من مصادر الفلاحة الأندلسية^(٣).

ومن خلال العمل الدائب في مصادر الفلاحة الأندلسية التي تمكنا

(١) التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، ص ١٥-١٦ (مقدمة أحمد الطاهري).

(٢) انظر: التكريتي، "تقنيات زراعية في مجال التربة والأراضي من كتب الفلاحة العربية، بحث منشور ضمن كتاب "ندوة التربة والزراعة عند العرب، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٢٦.

(٣) انظر: ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، د مقدمة المحققين.

من الوقوف عليها أثناء تحقيقنا لفلاحة ابن العوّام، فإنّنا نقول بكل اطمئنان: إنّ هذا السفر الجليل قد وصل إلينا كاملاً سوى الباب الأخير منه والمتعلق بالكلاب، إذ نصّ ابن العوّام على هذا الباب في مقدمته، ويبيّن لنا موضوعاته، يقول: "الباب الخامس والثلاثون: في اقتناء الكلاب المباح اتخاذها للصيد والزرع والماشية. ومعرفة جيدها، وسياستها، وعلاج أدوائها، وذكر ما يصلح أحوالها بمشيئة الله عز وجل" (١).

وأول الأدلة الخارجية التي تقوم على صحة نسبة كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام، أنّ النسخ الخطية المعتمدة في تحقيق النص، قد أثبتت اسم المؤلف، ولم يختلف الأمر في تسمية المؤلف من نسخة إلى أخرى.

وقد جاء اسمه مثبتاً على غلاف هذه النسخ، وأثبتته نسخة باريس في الورقة الأخيرة منها.

أما الدليل الثاني الذي يعزز نسبته لابن العوّام، فهو أن ابن العوّام قد نص صراحة على أنّه مؤلف كتاب الفلاحة، ثم أردف ذلك بذكر كنيته واسمه، واسمي أبيه وجده، وشهرته، يقول: "قال مؤلّفه الشيخ الفاضل: أبو زكريّا، يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام (عفا الله عنه)" (٢).

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٣١٧/١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦١/١.

فإن قال قائل: إنَّ ابن العوَّام لا يتحدث عن نفسه بصيغة المتكلم، قيل: إنَّ كثيراً من القدماء قد نهجوا هذا النهج، ثم إنَّ الرجل عاد وقال: "فإنَّي لما قرأت كتب فلاحة المسلمين، وكتب غيرهم من القدماء المُقدِّمين في صنعة فلاحة الأرضين..."^(١).

وفوق ذلك، فإنَّ مقدمته الطويلة الرائعة، قد تضمنت حتاً على امتهان صناعة الفلاحة، وذكرًا لأنواع فلاحة الأرض، وتحديدًا لمعنى الفلاحة، وتعددًا لأهم مصادر كتابه، وعدد أبوابه التي بلغت خمسة وثلاثين باباً، مع تحديده لقسمي الكتاب، وما تضمنه كل منهما من موضوعات وفصول بشكل واضح ودقيق لا غموض فيه.

وقد جاء الكتاب منسجماً مع هذا التقسيم، ومتفقاً مع الخُطة التي حددها ابن العوَّام في مقدمته، بحيث تنتظم الكتاب خُطة منهجية واضحة ودقيقة محكمة من بدايته وحتى نهاية فصوله، ممَّا يدل على التزام مؤلفه بخطته التي لم نجد عنده انحرافاً عنها، أو خروجاً عليها.

وفوق ذلك، فإنَّ الكتاب جاء ممثلاً للبيئة الأندلسية، وخاصة منطقة إشبيلية وقرها وجبالها، وهي الأماكن التي كثف فيها ابن العوَّام نشاطه الفلاحي، وأدامه لسنوات طويلة، أمَّا النصوص التي تدل على التجارب الزراعية في بلاد الرافدين والشام ومصر، فقد حدد مصادرها بدقة، وربط كثيراً منها ببيئتها.

(١) المصدر السابق: ٢٦١/١.

والقارئ للكتاب، يدرك أن وراءه عقلية علمية منظمة، تقدم التجربة على الروايات والأقوال، ولا تقبل رأياً لم يثبتته الدليل من ناحية، ويدرك أيضاً أن أسلوب الرجل وطريقته في الكتابة مطردة في الكتاب كله من ناحية أخرى.

وربما كان مصنف ابن العوام "الفلاحة الأندلسية"، هو آخر الأعمال الفلاحية الكبرى في الأندلس، بل في تاريخ التراث الفلاحي عند العرب.

أمّا أوّل من ذكر مصنف ابن العوام في الفلاحة -فيما وقفنا عليه- من المصادر القديمة، فهو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) الذي ذكر: "وفي كتاب الفلاحة لابن العوام من البيطرة والبيزرة جملة كافية"^(١).

وجاء بعد ابن الأكفاني عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المؤرخ المشهور فعرف كتاب "الفلاحة الأندلسية"، وقال في مقدمته: "الفلاحة، هذه الصناعة من فروع الطبيعيات، وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشوئه بالسقي والصلاح، وتعهدده بمثل ذلك.

وكان للمتقدمين بها عناية كبيرة، وكان النظر فيها عندهم عاماً في النبات من جهة غرسه وتنميته، ومن جهة خواصه وروحانيته، ومشاكلتها

(١) ابن الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، ص ١٧٥.

لروحانيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر،
فعظمت عنايتهم به لأجل ذلك.

وُترجم من كتب اليونانيين كتاب "الفلاحة النبطية" منسوبة لعلماء
النبط، مشتملة من ذلك على علم كبير.

ولمّا نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، وكان باب
السحر مسدوداً، والنظر فيه محظوراً، فاقتصروا منه عن [كذا] الكلام في
النبات من جهة غرسه وعلاجه، وما يعرض له ذلك، وحذفوا الكلام في
الفن الآخر منه جملة.

واختصر ابن العوام كتاب "الفلاحة النبطية" على هذا المنهاج،
وبقي الفن الآخر منه مغفلاً، نقل منه مسلمة في كتبه السحرية أمهات من
مسائله، كما نذكره عند الكلام على السحر إن شاء الله تعالى.

وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة، ولا يعدون فيها الكلام في
الغراس والعلاج، وحفظ النبات من جوائحه وعوائقه، وما يعرض في ذلك
كله، وهي موجودة^(١).

قلنا: إن مقالة ابن خلدون السابقة على درجة كبيرة من الأهمية، لما لها
من دلالات معرفية ومنهجية وتوثيقية، ولكن منها ما هو مقبول وصحيح،
ومنها ما لا يقبل ويمكن رده، ونود أن نحمل موقفنا منها في الآتي:

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ١٠٢٨/٣.

أولاً: إنّ التعالق بين الفلاحة والسحر والطلسمات، والأفلاك والروحانيات ممّا يشتمل عليه كتاب "الفلاحة النبطية"، ويمثل ذلك مرحلة من مراحل التفكير الإنساني، الذي تدرج من الغيبات والخرافات، إلى المحسوسات والمعقولات، ثم أصبحت معرفته مبنية على البرهان والدليل والتجربة العلمية.

ثانياً: إنّ علماء الفلاحة، قد تخلّوا في كتبهم عن الجانب السحري والروحاني، واقتصروا على بحث المزروعات من حيث هي علم طبيعي قابل للتجريب والرصد والملاحظة، وقد تمت مراعاة المنهج الإسلامي الذي يرى أنّ الشمس والقمر والكواكب، من صنع الله وخلقها، ومن علامات عظمتها، وليست كائنات علوية فاعلة، تمتلك أزمة التصرف في حياة البشر والنباتات والحيوان.

ثالثاً: إنّ ما ذهب إليه ابن خلدون من أنّ كتاب "الفلاحة النبطية" معرب عن الكتب اليونانية غير صحيح؛ لأنّ القارئ لهذا الكتاب يجده يمثل الحياة الزراعية في بلاد الرافدين على وجه الخصوص، وأنّه امتداد للثقافة البابلية والنبطية، والكلدانية والكنعانية، السائدة في منطقة الرافدين وبلاد الشام لا في بلاد اليونان.

رابعاً: إنّ مترجمي العصر العباسي كان لديهم ضوابط منهجية دقيقة في تحقيق صحة نسبة الكتب المترجمة إلى أصحابها، وكما يقول سميّر الدروبي: "ولم يقف التراجمة عند النقد الظاهري للنصوص التي تعاطوا

ترجمتها، بل تجاوزوا ذلك إلى نقدها نقداً باطنياً، فشكّوا في صحة بعض النصوص، وكذبوا أن تكون صحيحة النسبة لمن ألحقت بهم، وقد تهياً لهم ذلك من خلال بصر الناقلين المميزين لها من حيث مناهجها التأليفية، وأساليبها التعبيرية، ومدى اتساق ذلك وانتظامه مع الموروث العلمي لمؤلفيها"^(١).

وبناءً على ما ثبت لدينا من رسوخ الأسس المنهجية عند المسلمين في العصر العباسي في موضوع الترجمة وقضاياها، فإنّه من المستبعد جداً أن يكون كتاب "الفلاحة النبطية" ذا أصل يوناني.

خامساً: إنّ قول ابن خلدون باختصار ابن العوّام الأندلسي لكتاب "الفلاحة النبطية" مغالطة كبرى؛ لأنّ ابن العوّام في "الفلاحة الأندلسية" لم يكن مختصراً أو جامعاً لكنناش يتداوله الفلاحون وحسب كما توهم ابن خلدون، بل كان مؤلفاً موسوعياً أصيلاً في الفكر الفلاحي العربي بل الإنساني، ويكفيه فخراً ما شهد به أحد كبار مؤرخي العلوم في الحضارة الإنسانية، وهو دانيال لكلير الذي يقول في كتابه "تاريخ طب العرب": "إنّ ابن العوّام كان عملاقاً في حقل الفلاحة، فقد قدم للإنسانية من المعارف التطبيقية ما تحتاج إليه. كما أن إنتاجه يتسم بالتوثيق التاريخي الذي يهتم به علماء القرن العشرين، فهو عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، ولكن بعقلية القرن العشرين الميلادي"^(٢).

(١) سمير الدروبي، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، ص ٦٠.

(٢) الدفاع، إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات، ص ٢٥١.

سادساً: إنّ ابن العوّام في مقدمته لكتابه "الفلاحة الأندلسية" قد حدد أسماء مصادره، وأسماء الحكماء والعلماء الذين اعتمد على أقوالهم وآرائهم، وذكر لنا الآتي:

"وقدّمتُ في فلاحة الأرضين ما أثبتته الشيخ الخطيب؛ أبو عمر بن حجاج (رحمه الله) في كتابه آراء القدماء المذكورين في ذلك. وتابعته بما نقلته من كتاب "الفلاحة النبطية" من أقوال القدماء المذكورين فيه، وجعلته كالأصل لشهرتهم في العلوم، ولم أقطع بأنّ ذلك يصح في بلادنا لبعد بلادهم عنّا"^(١).

ويستفاد من قول ابن العوّام السابق، أنّه لم يكن مبتدعاً في نقله عن كتاب "الفلاحة النبطية"، بل كان متبعاً، ولعله كان يخشى من غائلة اتهام بعض عوام الفقهاء الذين لا يخلو منهم زمان، بأنّه كان مروجاً لكتب السحر والطلسمات، أمّا إمامه في الأخذ عن كتاب "الفلاحة النبطية" فهو أبو عمر بن حجاج الإشبيلي الذي وصفه بالشيخ والخطيب، ويعضد ذلك أن من قرأ كتب العلوم والحكمة، ومنها كتاب "الفلاحة النبطية" يكون متهماً "بالخروج عن الملة، ومظنوناً به الإلحاد في الشريعة"^(٢)، فخوف الرجل من الاتهام جعله يرر رجوعه إلى هذا المصدر بأنّ ابن الحجاج قد أفاد منه قبله.

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٨٣/١.

(٢) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٨٨.

ومِمَّا يمكن أن يلقي ضوءاً كاشفاً على خلفية مقالة ابن خلدون الجائرة بحق فلاحه ابن العوام، أنّه في زمن الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (حكم ٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٦٧م)، ازدهرت العلوم والفنون، واستجلب الحكم المستنصر كتب الحكمة والعلوم والفنون من المشرق، ثم تولى الإمارة من بعده ابنه الحدث هشام المؤيد بالله، حيث أمسك المنصور بن أبي عامر بزمام دولته، وقام بإحراق وتدمير كتب العلوم المركوزة في خزائن بني أمية في الأندلس تقرباً للعوام والجهلة.

وقد وصف هذه الكارثة الكبرى صاعد الأندلسي بقوله: "وعمد أول تغلبه عليه على خزائن أبيه (الحكم) الجامعة للكتب المذكورة وغيرها، وأبرز ما فيها من ضروب التواليف بمحضر خواص من أهل العلم بالدين، وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق، وعلم النجوم، وغير ذلك من علوم الأوائل حاشا كتب الطب والحساب، فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة في اللغة والنحو الأشعار إلا ما أفلت منها أثناء الكتب، وذلك أقلها، فأمر بإحراقها وإفسادها، فأحرق بعضها، وطرح بعضها في آبار القصر، وهيل عليه التراب والحجارة..."^(١).

سابعاً: إنّ ابن العوام يعترف بالقيمة الكبرى لكتاب "الفلاحة

(١) المصدر السابق، ص ٨٨.

النبطية" ويُعده أصلاً مهماً لا يمكن تجاوزه، وذلك لشهرة النبط الذين عرفوا بأن لهم علوماً جليلاً وحكماً تغتبط^(١)، إلا أن عقلية ابن العوام العلمية الفاحصة جعلته يتحفظ منهجياً على كثيرٍ مما ورد في كتاب "الفلاحة النبطية"، وذلك أن هذا الكتاب نتاج بيئة مختلفة في مناخها وطبيعتها أرضها عن البيئة الأندلسية التي يعيش فيها ويؤلف كتابه لفلاحيها.

وبناءً على ما تقدم؛ فإن مقولة ابن خلدون في كتاب ابن العوام لا تثبت أمام النظر العلمي السليم، ولا يمكن أن تُسلم بها أو نقبلها، وهي إجحاف في حق ابن العوام الذي خلد في معلمته أهم التجارب الفلاحية لكبار علماء الفلاحة في الأندلس من ناحية، ودون في فلاحته خلاصة تجاربه الزراعية الطويلة التي قصر عليها حياته وجهوده العلمية.

وفوق ذلك، فإن ابن خلدون قد عُرف بشدة بأسه، وقوة مراسه على بعض معاصريه من العلماء، وقد حدثني علامة المغرب عبد الهادي التازي، مد الله في عمره، محقق رحلة ابن بطوطة، أن ابن خلدون قد أوغر صدر السلطان المريني على رحلة ابن بطوطة، مدعياً بأن أكثر أخبارها ملفقة غير محققة، وكادت أن تذهب هذه الرحلة العظيمة طعمة للنيران والإتلاف، لولا أن تاب هذا السلطان إلى عقله، وأبقى رحلة ابن بطوطة،

(١) انظر: **مقامة وادي كنعان**، أنجز سميح الدروي دراستها وتحقيقها وشرحها وستصدر بعون الله قريباً.

وقد أفادني الشيخ التازي بذلك في منزله في الرباط في ربيع العام الجاري (١٤٣٢هـ).

وقد ردّ كل من المستشرق خوسى مارية مياس ببيكروسا ومحمد عزيمان مقولة ابن خلدون السالفة الذكر، وبيّنا أنّ كثرة ما نسبته ابن العوّام من أقوال إلى "العلماء الأقدمين من الفينيقيين، والكلدانيين، واليونانيين، والإسبانيين، اللاتينيين... أو من علماء المسلمين من المشاركة والأندلسيين" هو الذي حمل ابن خلدون: "على أن يعتبره، بدون حق، مجموعة من النقول عن الفلاحة النبطية"^(١).

وخلص الباحثان إلى نتيجة مهمة تتجلى في: أنّ ابن بصّال الطليطلي كان يأخذ من "الفلاحة النبطية" دون العزو إليها، يقول الباحثان: "وقد استطعنا أن نتأكد في بعض الحالات من أنّ ابن بصّال يتبع "الفلاحة النبطية" وإن كان لا يشير إليها"^(٢).

ونحن نقول: إنّ ابن العوّام يشير إلى مصادر كتابه بدقة، ولم ينسب لنفسه رأياً أو قولاً أو تجربة من تجارب غيره من علماء الفلاحة، فنحن أمام باحث معاصر، يحدد مصادره المتنوعة، ويشير إليها في مواطن اقتباسه عنها، أو رجوعه إليها.

(١) ابن بصّال، الفلاحة، ص ٢٩ (مقدمة خوسى مارية وعزيمان).

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠ (مقدمة خوسى مارية وعزيمان).

وقدّرنا أن حركة التواصل العلمي النشطة بين مغرب العالم الإسلامي ومشرقه، في ميدان علم النبات، ستنقل جهود ابن العوّام في علم الفلاحة إلى مكتبات المشرق، وإلى أيدي علمائه في الفلاحة والنبات، ولكنّا لم نجد خبراً أو أثراً يدل على نقل كتاب "الفلاحة الأندلسية" إلى المشرق في حياة ابن العوّام.

فقد حدثنا المراكشي عن الشاعر والعالم النباتي والطبيب علي بن عبد الله الإشبيلي الذي حج، وبحث عن النباتات في بلاد المغرب، يقول: "وشرق، وحج، وجمال في كثير من بلدان المغرب، ووقف على أعيان الكثير من النبات فيه وفي غيره"^(١).

وتذكر المصادر المشرقية والمغربية الصيدلاني الأندلسي أبا العباس النباتي المعروف بابن الرومية، والإشبيلي المولد والوفاة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، الذي رحل من الأندلس لأداء الفريضة وطلباً للعلم، ودخل تونس والإسكندرية، ومصر والقدس، ودمشق ومكة وبغداد وغيرها في العقد الثاني من القرن السابع الهجري، وألف كتاباً وسمه بـ"الرحلة النباتية"^(٢).

(١) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: القسم الأول من السفر الخامس، ص ٢٣٩.

(٢) انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٤٨؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ٢٠٨/١-٢١٣.

ويبدو أن كتاب ابن بصّال الطليطلي، قد حمل إلى المشرق على أيدي علماء النبات والفلاحة من أهل الأندلس، أو غيرهم من الأندلسيين الذين قصدوا المشرق، ولذلك نجد لهذا الكتاب حضوراً بارزاً في مصادر الفلاحة الشامية والمصرية واليمنية في القرن الثامن الهجري، حيث رجع إليه المصنف المجهول لكتاب "مفتاح الراحة لأهل الفلاحة"، واقتبس منه ثلاثين مرة في الأقل^(١)، ممّا يعني أنّ المصادر الأندلسية في الفلاحة قد أصبحت تزحم بمناكب قوية كتاب "الفلاحة النبطية"، الذي كسفت شمسه كل ما سواه من كتب الفلاحة عند المشاركة، وكانت له السيادة شبه المطلقة، والهيمنة الفعلية على الفكر الفلاحي في المشرق والمغرب، إلى أن تمكن ابن العوّام، ومن تقدمه من كبار علماء الفلاحة في الأندلس من خلخلة قواعده، وإبقاء الصالح منها، وخضد أشواكه الوثنية، وذلك بعد تطويعه للفكرة الإسلامية، نتيجة لنشاطهم المكثف، وتجاربهم العملية، وارتيادهم آفاق المعرفة الفلاحية عند كل أمة لديها علم أو معرفة بذلك.

واعتمد الوطواط الكتيبي (ت: ٧١٨هـ/١٣١٨م) كتاب ابن بصّال الأندلسي في الفلاحة واحداً من مصادره في موسوعته المسماة، بـ "مناهج الفكر ومباهج العبر"^(٢).

(١) انظر: مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٠٠، ١٠٧، ١١٢، ١٢٠، ١٩٤، ١٥٦، ١٦١، ١٦٣-١٦٧، ١٧٤، ٢٠٧-٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٦.

(٢) انظر: الوطواط الكتيبي، مناهج الفكر ومباهج العبر: ٢/٢٧٧، ٢٩٢، ٣٣٦-٣٣٧.

وإذا علمنا أن الوطواط الكتبي كان ورقاً مشهوراً في سوق الكتب
القاهرة التي كانت أعظم سوق لها في العالم آنذاك، وكان تُجَّار الكتب
يقصدونها من كل فج عميق"^(١)، أدركنا مدى رواج كتاب ابن بصَّال في
الديار المصرية والبلاد الشامية واليمينية.

وقد استخدم العلماء الموسوعيون في العصر المملوكي المصادر
الأندلسية في الأدب والتاريخ، والفلاحة والمسالك والممالك، فالنويري
رجع في موسوعته "نهاية الأرب" في القسم المعقود للنباتات إلى "عمدة
الطبيب في معرفة النبات" لأبي الخير الإشبيلي، ورجع إلى "المسالك
والممالك" لأبي عبيد البكري.

واستشهد النويري بأشعار سليمان بن بطَّال الأندلسي، وأبي الوليد
بن زيدون، وصاعد الأندلسي، وابن خفاجة، وأورد بعضاً من رسائل أبي
الخصال الأندلسي، وأبي حفص عمر بن برد الأصغر في الورود

(١) العمري، عرف التعريف في المكاتبات، ص ٧٥ (مقدمة سمير الدروبي)، وانظر:
سمير الدروبي، خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية بدمشق من القرن ٦-
١٠ هـ / ١٢-١٦ م، بحث مقدم للمؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام،
١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. تحرير: محمد عدنان البخيت، منشورات لجنة تاريخ
بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، المجلد الثاني،
القسم الأول، ص ١٤٣-١٦٢.

والرياحين^(١)، لكننا لا نجد النويري يرجع إلى ابن بصّال أو الحاج
الغرناطي أو ابن العوّام أو غيرهم من كبار علماء الفلاحة في الأندلس.

ورجع ابن فضل الله العمري صاحب "مسالك الأبصار في ممالك
الأمصار" إلى كتب أبي العباس النبائي المعروف بابن الرومية الأندلسي^(٢)،
وإلى كتاب لابن زهر وسمه بـ "حفظ الصحة"، ولكننا لا نجد لديه
مصدراً فلاحياً أندلسياً معروفاً^(٣).

ويتضح أن كتاب ابن بصّال — وهو أكثر كتب الأندلسيين تداولاً
في المشرق — قد وصل إلى اليمن، إذ ازدهرت الفلاحة هناك في ظل الدولة
الرسولية في القرن الثامن الهجري ازدهاراً عظيماً، وقد رجع السلطان
الملك الأفضل عباس بن داود بن المظفر يوسف الرسولي المتوفى سنة
(٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) إلى كتاب ابن بصّال في الفلاحة^(٤).

وفي مطلع القرن التاسع الهجري ألف أبو العباس القلقشندي (ت:
٨٢١هـ / ١٤١٨م) موسوعته الموسومة بـ "صبح الأعشى في صناعة
الإنشاء"، وجاء فيها ذكر كتاب ابن العوّام في الفلاحة عرضاً، وذلك

(١) النويري، نهاية الأرب: ٣٢٦/١١.

(٢) المصدر السابق، ص ٥، ٩٩، ١٠٧، ١٥٢، ١٥٩، ١٧١، ٢٥٥.

(٣) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ٤٠٩.

(٤) الرسولي، بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين: ١٢/١.

عندما تحدث القلقشندي عن أقسام العلم الطبيعي، فقال: "الثالث: علم البیزرة؛ من الكتب المصنفة فيه كتاب "القانون" و"الواضح" وفي كتاب "العلاجين"، لابن العوّام جملة كافية من البيطرة والبیزرة"^(١).

قلنا: المرجح لدينا إنّ القلقشندي يقصد كتابه "الفلاحين" أي كتاب الفلاحة لابن العوّام، لا كتاب "العلاجين" التي هي من تحريفات النساخ وتصحيقاتهم.

وفي نهاية القرن التاسع الهجري، وبداية القرن العاشر الهجري نجد الغزّي محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري، المعروف بالرّضي الغزي (ت: ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م) أحد علماء الشافعية بدمشق، وكان عالماً موسوعياً إذ ألّف في علم الأصول والبيان والنحو والمنطق، والتصوف وغيرها، وله "ألفية في اللغة نظم فيه فصيح ثعلب، وألفية في علم الهيئة، وألفية في الطب، ومنظومة في علم الخط..."^(٢) - قد ألّف كتاباً في الفلاحة، وسّماه بـ "جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الفلاحة".

إنّ الغزي قد اعتمد على مجموعة من المصادر الفلاحية، وكان كتاب ابن العوّام واحداً منها، وقد ذكر ابن العوّام في عدة مواضع من كتابه.

(١) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٤٧٤/١.

(٢) انظر: الغزي، الكواكب السائرة: ٣/٢-٦، ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٠٩/٨-٢١٠.

فقد جاء ذكره في المرة الأولى: "وكذا نقله العلامة أبو زكريا يحيى بن العوام المغربي، وسيأتي في كل باب تحقيق ذلك إن شاء الله" ^(١).

ويقول الغزي مرة ثانية: "قال ابن العوام" ^(٢).

ويقول مرة ثالثة: "وقال أبو زكريا يحيى بن العوام" ^(٣).

ويقول الغزي مرة رابعة: "ونقل أبو زكريا يحيى بن العوام في فلاحته" ^(٤).

وقد قمنا بمقابلة ما عزاه الغزي إلى ابن العوام من نصوص على كتابه "الفلاحة الأندلسية"، فوجدنا أن كتاب ابن العوام هو مصدرها، ومثال ذلك، يقول الغزي: "السفرجل... وقال أبو زكريا يحيى بن العوام: يسمى لوز الهند. منه مدحرج كبير وصغير، ومنه ما هو إلى الطول، ويسمى المهند، ومنه حامض، توافقه الأرض المطمئنة ذات الرطوبة والنداوة" ^(٥).

ويقول ابن العوام الأندلسي: "وأما غراسة السفرجل. قيل: إنه يُسمّى لوز الهند. منه مدحرج كبير وصغير، ومنه ما هو إلى الطول،

(١) الغزي، جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الفلاحة، ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٦١.

(٥) المصدر السابق، ص ١٣٨.

ويسمى المُنْهَد. ومنه حَلَوٌ، ومنه حامض. ومن كتاب ابن حجاج (رحمه الله): "السفرجل توافقه الأرض المطمئنة التي فيها رطوبة ونداوة"^(١).

فمقابلة النص الأول - وهو نص الغزي - على النص الثاني وهو نص ابن العوام، نجد أن الثاني هو مصدر الأول، مع ملاحظة الحذف والإسقاط والاختصار، والتحريف الذي وقع فيه الغزي أو من نسخ كتابه، وخاصة كلمة "المهند" الواردة عند الغزي، والتي لا معنى لها في سياق النص. وصوابها عند ابن العوام "المُنْهَد".

ومثال آخر على طريقة أخذ الغزي من ابن العوام الأندلسي، يقول الغزي في حديثه عن شجر الزعرور: "وإذا تعللت يحفر حولها، وتطم بتراب أحرش، فيه حصى ورمل. وقد ترش بالماء الحار والدم"^(٢).

ويقول ابن العوام: "وقد يعرض لها أدواء؛ منها اصفرار ورقها، إما كله أو بعضه، وتسترخي استرخاءً منكراً، ويتناثر حملها، فدواؤها من هذا إذا كانت في بستان أن يحفر حولها، ويُطمر الحفر بتراب أخذ من بعض الجبال، أو من أرض صلبة فيها حصى ورمل... وإذا كانت زرعت في البستان زرعاً، أو حولت من بستان إلى مثله، أو من موضع منه إلى موضع آخر، فإنها تكون ضعيفة، ودواؤها حتى تقوى أن تُرش بالماء الحار

(١) ابن العوام، الفلاحة الأندلسية: ٢٩٥/٢.

(٢) الغزي، جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الفلاحة، ص ١١٤.

والدّم، وأن يحمل إليها تربة من موضع كانت زرعت فيه وحولت عنه" (١).

وعند مقابلة النص الأول على النص الثاني، يتبين للقارئ أن نص الغزي المأخوذ عن ابن العوّام يمتاز بالاختصار الشديد، إذ أخذ الغزي بعض الكلمات والجمل عن ابن العوّام، وترك التفاصيل والتوضيحات المفيدة والدالة الواردة في النص الأصلي، وهذا هو الاختصار المخل بجوهر معنى النص.

ولكن ممّا يؤخذ على الغزي، أنّه كان كثيراً ما يأخذ من فلاحة ابن العوّام دون عزو إليها، ومن الأمثلة على ذلك، يقول الغزي: "وماء المطر هو المبارك، يصلح لما لطف من النبات، كالزرع والقطاني والخضر، ممّا قربت من وجه الأرض، ولعل الشجر" (٢).

ويقول ابن العوّام: "وماء المطر؛ وهو الماء المبارك، وهو يصلح لسقي ما لطف من النبات؛ مثل: الزرع والقطاني، وجميع الخضر التي تقوم

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٤٦٨/٢.

(٢) الغزي، جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الفلاحة، ص ٤٧؛ وانظره، ص ٤٨، ٦٤، ٦٥، ٦٦، وقابله مع ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٤٩/٢ - ٥١.

على ساقٍ واحدةٍ، ممّا أصله قريب من وجه الأرض، وهو يصلح لسقي أنقال الأشجار وهو يريها"^(١).

ولا بدّ من ملاحظة آفات الاختصار المخلّ في قول الغزي: "ولبلع الشجر"، فما سمعنا بشيء يقال له بعل الشجر، ولكن في الأصل عند ابن العوّام: "أنقال الشجر"، وهي الشجيرات الصغيرة المستنبطة والتي تنقل بعد نموها إلى الأرض، وربما كان هذا التحريف من صنيع محققة كتاب الغزي. وبناءً على ما تقدم، فإنّ كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام من المصادر الرئيسة للغزي في كتابه "جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الفلاحة" في الأبواب المتعلقة بالأشجار والنباتات، أمّا القسم المتعلق بتربية الحيوان، فإنّ الغزي قد أضرب عنه صفحاً؛ لأنّه ليس من خُطة كتابه تناول الحيوانات ذات العلاقة بالزراعة كما هو الحال عند ابن العوّام.

وفوق ذلك، فإنّ إشارات الغزي القليلة لابن العوّام هي انعكاس لمنهجه القائم على تعمية مصادره، أو التقليل من ذكرها، ولكنه -لحسن الحظ- ذكر فلاحة ابن العوّام صراحة، على الرغم من أن ابن العوّام لم يسلم من غزوات الشيخ الغزي، يقول زيد صالح أبو الحاج: "وتقل إشارات الغزي إلى مصادره، فلم يشر إليها في المقدمة، واكتفى بالإشارة إلى بعضها عند الاقتباس منها، ولم يصرح بمصادره غالباً، وأشار إليها

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ٢٦٤/١.

بقوله: "قال حكماء الفلاحة"، أو "قالوا"، أو "قال بعضهم"، أو "يقال"، أو "قيل"، وتكررت مثل هذه الإشارات في (١٢٨) موضعاً^(١).

وعلى الرغم من تجاهل الغزي لأكثر مصادره، فإنه لم يستطع تجاهل مصدر أساسي في الفلاحة مثل كتاب ابن العوام، الذي صرح باسم كتابه ونعته بالعلامة، وذكر اسمه كاملاً، ولكنّه جعله مغريباً^(٢) بدلاً من الأندلسي، وربّما جاء ذلك لأنّ أهل المشرق العربي يعدّون آنذاك كل من جاء من المغرب والأندلس مغريباً.

أمّا عبد الغني النابلسي (ت: ١١٤٣هـ / ١١٣٠م) فقال: "لَمَّا وجدت كتاب الفلاحة، المسمى بـ "جامع فوائد الملاحه" للشيخ الإمام العالم العلامة، والعمدة الحجة الفهامة، رضي الدين، أبي الفضل، محمد بن أحمد الغزي العامري الشافعي -تغمده الله برحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنانه-، كتاباً جليلاً المقدار، عظيم النفع لمن يعاني زراعة الأراضي وتربية الأشجار، ولكنّه ممّا يحسن فيه الاختصار، بذكر ما لا بد منه من الفوائد التي لها الاعتبار، وحذف ما المهم حذفه، والمؤاخذه [كذا] والتكرار، فجمعت الهمة، ولخصت غالب ما فيه من المسائل المهمة، واكتفيت بما هو في الصدد من المراد، وحذفت ما وقع فيه من الزوائد بطريق الاستطراد، وسميته "علم الملاحه في علم الفلاحة"، ومن الله استمد

(١) أبو الحاج، الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي، ص ١٣٠.

(٢) انظر: الغزي، جامع فوائد الملاحه في جوامع فوائد الفلاحة، ص ٥٢.

العناية والتوفيق، وإنَّ الله يهديني إلى أقوم طريق، وجعلته على عشرة أبواب وخاتمة"^(١).

وتكشف لنا هذه المقدمة بجلاء على أنَّ كتاب علم الملاحاة في علم الفلاحة لعبد الغني النابلسي مختصر من كتاب الغزي "جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الملاحاة"^(٢)، علماً بأن كتاب الغزي نفسه مختصر من بضعة مصادر فلاحية لم يسمِ أغلبها - كما بيّنا - والفرق بينهما، أن الغزي رتب كتابه على ثمانية أبواب، كل باب يندرج تحته بضعة فصول، بينما سلكه النابلسي في عشرة أبواب دون تفريعها إلى فصول.

وعلى الرغم من اختصار النابلسي للغزي، فإنَّ الأول لم يذكر اسم ابن العوّام صراحة في مختصره، بينما الغزي قد ذكره صراحة في غير موضع من كتابه، ولكننا وجدنا فيه بعضاً من النصوص التي ترجع إلى كتاب ابن العوّام، ولكنّها جاءت مختصرة جداً، وأشرنا إلى ذلك في حواشي النص المحقق.

وبحثنا في كتاب حاجي خليفة الموسوم بـ "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، وهو أوسع الكتب العربية اشتمالاً على ذكر أسماء الكتب، إلّا أنّنا لم نجد لكتاب ابن العوّام ذكراً، وربّما يعود الأمر

(١) النابلسي، الملاحاة في علم الفلاحة، ص ٢٤ (المقدمة)؛ وانظر: الزركلي: الأعلام: ٥٦/٧.

(٢) الغزي، جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الملاحاة، ص ١-٥.

إلى خلو خزائن الكتب في إسطنبول من هذا الكتاب، عندما أُلّف حاجي خليفة مصنفه الجليل.

وقد ذكر إسماعيل باشا البغدادي فلاحه ابن العوّام في كتابه "هدية العارفين"، فقال: "ابن العوّام، أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي الأندلسي المعروف بابن العوّام، كان في أواسط القرن السادس، لعلّه توفي في حدود سنة (٥٤٥هـ) خمس وأربعين وخمسمائة، صنف كتاب "الفلاحة" مطبوع في مجريط"^(١).

وذكره البغدادي مرّة ثانية في كتابه "إيضاح المكنون" قائلاً: "كتاب الفلاحة لأبي زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن العوّام الإشبيلي في حدود سنة (٥٤٠) أربعين وخمسمائة"^(٢).

وذكره سر كيس في "معجم المطبوعات العربية والمعرّبة"، فقال: "ابن العوّام نبغ في أواخر القرن السادس الهجري، الشيخ، أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد الشهير بابن العوّام الإشبيلي، كتاب الفلاحة الأندلسية، قال في أوله..."^(٣).

(١) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٥٢٠/٦.

(٢) البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٣٢٠/٤.

(٣) سير كيس، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: ١٩٤/١.

وذكره الزركلي في "الأعلام": ابن العوّام، يحيى بن محمد بن أحمد الشهير بابن العوّام الإشبيلي... اشتهر بكتابه الفلاحة الأندلسية - ط^(١).
ويبدو لنا ممّا ذكره كل من: البغدادي وسركيس، والزركلي، أنّهم لم يطلعوا على مصدر من مصادر ترجمة ابن العوّام، كما أنّهم لم يقفوا على أيّ من نسخه الخطية، والأرجح أنّهم عرّفوا بابن العوّام، وبكتابه الفلاحة بناءً على طبعة مدريد التي نهض بها المستشرق بانكويري، ونشرها متناً عربياً وترجمة إسبانية في سنة (١٨٠٢م).

* * *

(١) الزركلي، الأعلام: ١٦٥/٨.

ثانياً

النسخ الخطية للكتاب

ثانياً: النسخ الخطية للكتاب:

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية، ونسخة مطبوعة في مدريد:

النسخة الأولى: نسخة المكتبة الوطنية بباريس ذات الرقم (A٢٨٠٤).

تتكون النسخة الباريسية من مجلدين، الأول في (٣٣٣) ورقة والثاني في (٥١٨) ورقة بخط نسخ مشرقى واضح يخلو من الإعجام. ومتوسط عدد السطور في الصفحة الواحدة ثمانية عشر سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد اثنا عشرة كلمة.

وقد تخلل هذه النسخة كثير من السقط في الجزء الأول منها، وسقط منها أيضاً الباب الخامس والثلاثون والمتعلق بتربية الكلاب، ولعلّ هذا السقط كان مقصوداً من الناسخ.

ويتضح أنّ هذه النسخة قد تمت مقابلتها على نسخة أخرى، وأثبت التصحيحات والإضافات في حواشيتها.

وقد استخدم الناسخ الحبر الأحمر، والحروف المكبرة في بدايات الفصول، ومطالع الأبواب، وبدايات الفقر، وأسماء الأعلام ممّا يدل على العناية، ومحاولة التجويد في هذه النسخة.

وفي الصفحة الأولى والأخيرة من هذه النسخة تمليكات وصور
أختام غير واضحة، ولا يمكن من خلالها الاستدلال على تاريخ تملكها، أو
مكان وجودها.

وكتب في نهاية السفر الثاني من هذه النسخة: تم السفر الثاني من
كتاب الفلاحة في الأرضين والحيوان، ممّا عني بجمعه من كتب الفلاحين
والحكماء المتقدمين، يحيى بن أحمد بن محمد بن العوام الإشبيلي، عفا الله
عنه ورحمه آمين".

وجاءت بعد النص السابق في السفر الثاني من الكتاب طرة مكتوبة
بالفارسية، وتتكون من قرابة السطر والنصف.

وفوق ذلك، فإنّ هذه النسخة جاءت غفلاً من اسم الناسخ وتاريخ
النسخ ومكانه.

والمرجح أنّ هذه النسخة من خطوط القرن السابع الهجري، وربما
الثامن.

وتتفشى في هذه النسخة التصحيفات، والتحريفات، وانتقال النظر،
ووقوع السهو، وأحياناً تُرسم الكلمات دون معرفة معناها، ممّا يدل على
أنّ الناسخ، لم يكن من العلماء بالفلاحة، بل كان ناسخاً مأجوراً، أو
وراقاً رأى رواج كتاب ابن العوام فنسخه.

وعلى الرغم من جمال الخط المنسوخ، إلا أنّ ناسخه لم يكن ملمّاً
بالنحو واللغة، ولذلك تكثرت الأخطاء النحوية واللغوية في هذه النسخة.

ومن هذه النسخة صورة في دار الكتب المصرية برقم ٤٩٤ زراعة.

والنسخة الثانية: هي نسخة مكتبة الأسد الوطنية، وعنوانها: "الجزء الثاني من كتاب الفلاحة الأندلسية، تصنيف الحكيم أبي زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي الأندلسي".

وتقع هذه النسخة في خمس وسبعين ورقة بخط نسخي مشكول، قد تآكلت بعض أوراقها بتأثير الرطوبة والأرضة.

والنسخة ذات خط متألق فيه، ونرجح أنه من خطوط القرن الثاني عشر الهجري.

ومسطرة هذه النسخة ثلاثة وعشرون سطراً في الصفحة الواحدة، وفي السطر الواحد عشر كلمات، وتتبع هذه النسخة نظام التعقيبة.

وعند المقابلة تبين لنا أن هذه النسخة منقولة عن نسخة باريس؛ ولذلك تكررت فيها أخطاء نسخة باريس وما فيها من عيوب وأخطاء، وسقط وتحريف وتصحيف.

والنسخة الثالثة: هي نسخة المتحف البريطاني في لندن، ورقمها (Arabic Add. ١٠٤٦١)^(١).

(١) تفضل الأستاذ الدكتور ياسر أبو صفية بتزويدنا بهذه النسخة، فله منا كل شكر وتقدير.

تقع هذه النسخة في أربعمئة وستَ عشرةَ ورقة، وقد أتت على هذه النسخة عوامل الطبيعة القاسية من أرضة ورطوبة، وسوء حفظ، مما أفقدها قيمتها العلمية في عملنا، وذلك لصعوبة وعسر القراءة فيها.

وقد سقط غلاف هذه النسخة، ولكن بدايتها ما زالت موجودة بنص "كتاب الفلاحة لابن العوام".

وقد خص ناسخ هذه النسخة عناوين أبوابها وفصولها بعنوانات مكبرة ومفردة في سطر واحد.

والنسخة مكتوبة بخط مشرقى دقيق، يقترب أحياناً في رسم حروفه من الخط المغربي.

وصفحات هذه النسخة متفاوتة في عدد سطورها، فأقلها يشتمل على ثلاثين سطراً، وأكثرها في خمسين سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد خمس عشرة كلمة.

وهذه النسخة غفل^١ من اسم ناسخها، ولعلّ أكثر من ناسخ قد تعاور على نسخها.

ولم تشتمل هذه النسخة على أية إجازات، أو تمليكات، أو إشارات تاريخية، تمكننا من معرفة تاريخ نسخها أو مكان كتابتها.

وقد تبين لنا أنّ هذه النسخة قد قوبلت على نسخة أخرى، وأدرجت المقابلات في حواشي هذه النسخة.

وقد اطرء استخدام نظام التعقيبية عند ناسخها.

وعند مقابلة هذه النسخة على نسخة باريس تبين لنا ثلاثة أمور:

الأول: إنَّ النسختين متفرعتان عن أصلٍ واحدٍ، وهذا الأصل هو النسخة الأم أو الأقدم التي لم نقف عليها.

والثاني: أنَّ الأخطاء والسقط، والتصحيقات، والتحريفات تكاد تكون واحدة في كلتا النسختين.

الثالث: حوت هذه النسخة بعضاً من الكلمات التي أخلت بها النسخة الباريسية، فمكنتنا من حلِّ غوامضها، وقراءة نصوصها.

ونرجح أن تكون هذه النسخة أقدم تاريخاً من نسخة باريس، ولكننا لم نعتمدها أصلاً في تحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" لعوارها البادي في تآكل كثيرٍ من أوراقها، وما تبع ذلك من طمس سطورها، ومحو كثيرٍ من صفحاتها التي لا يمكن لقارئ أن يقرأها، أو يفك رموزها في ضوء معارفنا الحالية.

النسخة الرابعة: وهي النسخة المطبوعة في مدريد (١٨٠٢م)، والتي نشرها وترجمها إلى الإسبانية المستشرق بانكويري، وقد طُبعت في مجلدين ضخمين من القطع الكبير، مع مقدمة نقدية باللغة الإسبانية، بلغ عدد صفحات المجلد الأول منها (٦٩٨) صفحة، وعدد صفحات المجلد الثاني (٧٥٦) صفحة، وتتكون كل صفحة من عمودين: الأيمن ويشتمل على النص العربي، ويقابله الأيسر ويضم الترجمة الإسبانية.

وقد اعتمد ناشرها على نسخة محفوظة في دير الإسكوريال قرب مدريد، وربما كانت هذه النسخة من أكمل نسخ الكتاب وأهمها.

وتتفق هذه النسخة مع النسخ الخطية التي اعتمدناها في تحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" في أمر سقوط الباب الخامس والثلاثين وهو الباب المتعلق بسياسة الكلاب وتديرها كما مرّ بنا.

وتشارك هذه النسخة مع النسخ الخطية الأخرى التي تم الاعتماد عليها في تحقيقنا لنص فلاحة ابن العوام في السقط والتصحيح، والتحريف والأخطاء الإملائية، وعيوب النسخ، إضافة إلى ما زاده الناشر من رسم كلمات لا معنى لها في السياق، أدت إلى الإخلال بمعنى العبارات، ونسق الكلام، وكثيراً ما كان ناشرها بانكويري يكتفي برسم الكلمات التي لا يفهمها، ويضع في حواشيتها الاحتمالات الممكنة لتوجيه قراءة الكلمات التي لم يفهم معناها، ولكن تبقى جهوده عظيمة وجليّة في هذا الشأن.

وكان هذا المحقق الفاضل موفقاً في بعض توجيهاته، ولكنه أخطأ في الكثير منها.

ولم تشمل نشرة بانكويري على أية شروح، أو توثيقات، أو تخریجات للنصوص المثبتة في الكتاب، وتفتقر إلى ضبط النصوص وخاصة أسماء الأعلام والنبات والحيوان، وغيرها من المصطلحات الفنية، كما لم تتضمن كشافات أو فهارس فنية خادمة للنص.

وقد بذل بانكويري جهداً عظيماً في إبراز هذا العمل الضخم، وترجمته إلى اللغة الإسبانية، قبل مائتي عام ونيف، ممّا جعل هذا العمل العربي الأصيل في متناول كثيرٍ من الباحثين في تاريخ الفلاحة، وفي التاريخ الأندلسي، وفي تاريخ العلم الإنساني، الأمر الذي أعطى صورة مشرقة عن الجهود العلمية الإسلامية الجبارة في مضمار علم الفلاحة.

وبعد، فإنّ النسخ المذكورة آنفاً هي ما تمكنا من الوصول إليه، والوقوف عليه في تحقيقنا لكتاب "الفلاحة الأندلسية"، وعلمنا بوجود قطعة من هذا الكتاب في مكتبة برلين الأهلية ورقمها (٦٢٠٦)، وبوجود أخرى في مكتبة الأوقاف في طرابلس ورقمها (١٤/١٦)، ولكننا لم نتمكن من الإطلاع عليهما، ونأمل أن يتاح لنا اقتفاء ما يمكن أن يكون مخطوطاً من نسخ "الفلاحة الأندلسية"، والإفادة منه في نشرة قادمة، بعون من الله عز وجل، ونأمل من الباحثين الكرام إرشادنا إلى مواطن هذه النسخ المخطوطة مشكورين.

* * *

ثالثاً

المنهج المتبع في تحقيق النص

ثالثاً: المنهج المتبع في تحقيق النص:

منهجنا في إخراج كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام:

لقد اتبعنا في تحقيقنا لكتاب ابن العوام الخطوات المنهجية الآتية:

أولاً: اتخذنا من نسخة باريس أصلاً، وقابلناها بنسخة المتحف البريطاني، ونسخة مكتبة الأسد، ونشرة بانكويري في مدريد.

ثانياً: قمنا بتوثيق المعلومات والنقولات، والإشارات والأخبار والكتب والرسائل، والأعلام والبلدان... إلخ وردها إلى مصادرها الأولى التي أشار إليها ابن العوام، مثل: الفلاحة النبطية لابن وحشية، والفلاحة الرومية لقسطوس، والمقنع في الفلاحة لابن حجاج الإشبيلي، والفلاحة لابن بصّال، و"زهر البستان" للحاج الغرناطي، و"الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، و"عمدة الطبيب" لأبي الخير الإشبيلي أيضاً، و"البيطرة" لابن أخي حزام، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة، و"النبات" لأبي حنيفة الدينوري، و"الحيوان" للجاحظ، وغيرها من كتب التراث العربي في النبات والحيوان والمعاجم اللغوية والنباتية، وكتب السير والتراجم، ومصادر الحديث النبوي الشريف.

ثالثاً: ضبطنا المصطلحات الفنية، وأسماء النبات، والشجر، والكلاء، والحيوان، والأعشاب، والأدوات الزراعية، والعلل والأدواء والأمراض، والأعوام والشهور، وغيرها اعتماداً على كتب اللغة مثل "لسان العرب"، و"تاج العروس"، و"المعجم الوسيط"، ومعاجم النبات، وكتب الحيوان.

رابعاً: شرحنا غريب اللفظ شرحاً وافياً، وعرفنا بكل ما يحتاج إلى تعريف من مصطلحات وأعلام ونباتات، وحيوان، وبلدان... إلخ.

خامساً: ضبطنا النص بالشكل. وصححنا ما وقع فيه النساخ من أوهام أو سهو أو أخطاء.

سادساً: قمنا بعنونة فصول الكتاب، إذ لم يعن ابن العوام بتقسيم أبواب الكتاب إلى فصول، واكتفى بإثبات عنوانات فرعية، واستدركنا عليه ذلك، بأن قسّمنا كل باب إلى فصول أثبتناها في غرة كل فصل منها، وميزت هذه العناوين بوضعها بين قوسين معقوفين.

سابعاً: قمنا ببند الاختصارات التي وضعها المؤلف ونَبّه إليها في مقدمته، وأثبتنا أسماء الأعلام المختصرة عند ابن العوام كاملة دون اختصار تسهيلاً على القارئ، ومعرفة الاسم أسهل من معرفة رمزه الذي قد يشكل على القارئ.

ثامناً: وضعنا بين قوسين مركنين النصوص أو الكلمات التي نرجح أنّها قد سقطت من النسخ الخطية المعتمدة في تحقيق النص.

تاسعاً: زودنا النص بفهارس فنية ضافية وكاشفة لأسماء الأعلام، والأقوام، والأجناس، والجماعات، والنبات والشجر والأعشاب، والحيوانات، والحشرات، والمياه، وأنواع الترب والأراضي. والمعادن والحجارة، والأمراض والأدوية، والزبول، والمصطلحات الزراعية والفلكية، والأدوات الزراعية، والأماكن والبلدان... إلخ، وقد وصلت

هذه الفهارس المستوعبة بضعة عشر فهرساً، يجدها القارئ في نهاية الكتاب.

عاشراً: أرفقنا بالنص المحقق نماذج مصورة عن النسخ الخطية التي عدنا إليها، وعن نشرة بانكوييري المطبوعة سنة (١٨٠٢م).

حادي عشر: لم نُشر إلى كثيرٍ من التصحيفات أو التحريفات الطفيفة التي يبدو أنَّها سهو من النساخ، أو من بانكوييري ناشر الكتاب، ولو فعلنا ذلك لتضخمت حواشي الكتاب، وآثرنا التصحيح دون تحميل الحواشي بهذا الكم الهائل من الفروقات.

ثاني عشر: أضفنا ما رأيناه ضرورياً لتمام معنى النص، وذلك عند رجوعه إلى مصادر الفلاحة الرومية، أو النبطية، أو الأندلسية، أو غيرها، وميزنا الزيادة عن النص الأصلي بقوسين مركنين.

* * *

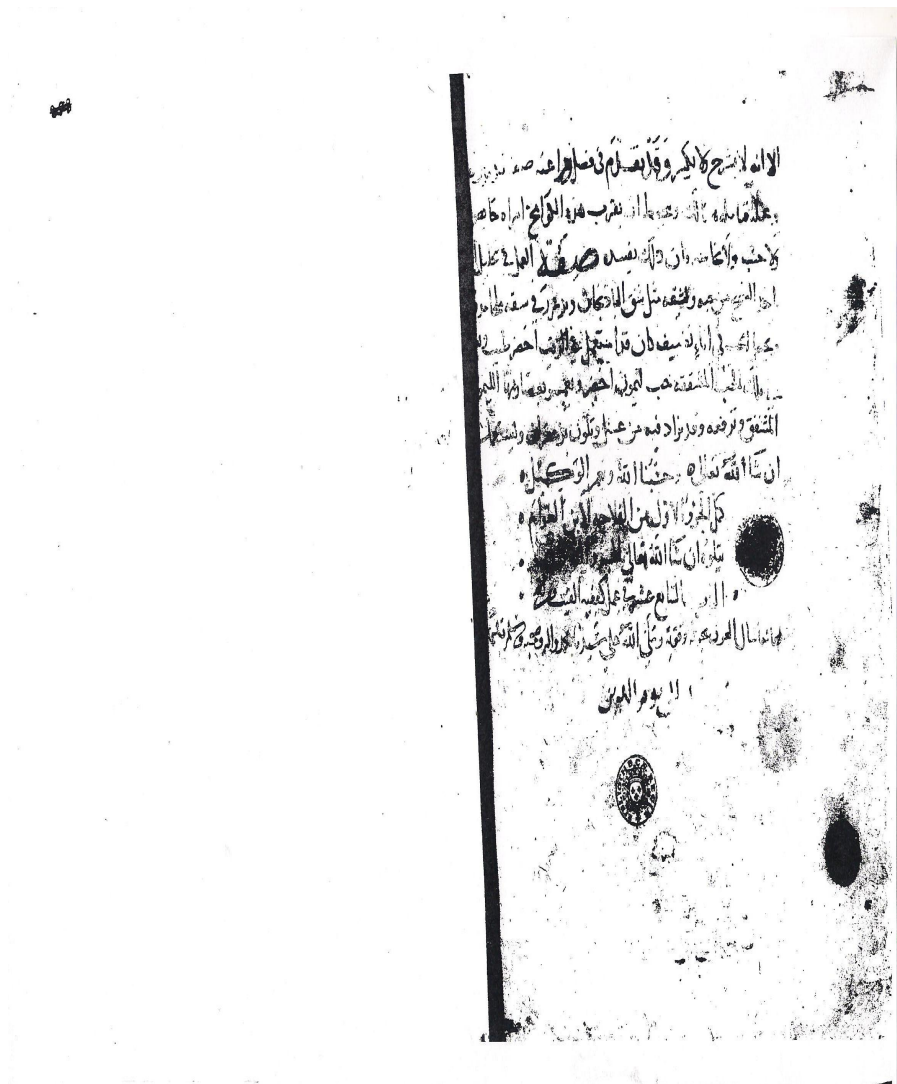
مفتاح الرموز المستخدمة في الحواشي والتعليقات

- باريس: نسخة المكتبة الوطنية بباريس.
- ابن بصّال: كتاب "الفلاحة".
- أبو الخير الإشبيلي: كتاب "الفلاحة".
- دمشق: نسخة مكتبة الأسد.
- المتحف: نسخة المتحف البريطاني في لندن.
- مدريد: النسخة المنشورة في مدريد بتحقيق بانكويري.
- المقنع: كتاب "المقنع في الفلاحة" لابن حجاج.
- النابلسي: "الملاحاة في علم الفلاحة".

* * *

مربعاً

نماذج مصورة عن الأصول الخطية المعتمدة في تحقيق النص



نهاية الجزء الأول من نسخة المكتبة الوطنية بباريس ذات الرقم

(A٢٨٠٤)

الى الطريق التي نعمل فيها وان بقي في تلك القعة بقية فبشرطها على
ذلك الذي نقلها اليه وان حقت ان تاتي الفراح من الحيلة ونسبها
فاطبق عليها الجحيم وطبقة ولا تترك لها من حيث خرج منه وانما
لذلك يوما وليكلمه شرافته مختلفه من الغد فانها نالقه ولا تخرج
منه ان شاء الله تعالى وليتقعد القيم الجحيم التي نقل اليه الفراح
او الكرم بعد ذلك يومين او ثلاثة ايام ويكلم ما اجتمع فيها
من نسا وشمع وغيرها ثم يعطى لها بعضا منه ثم عليه وبطينة
ويخرج ان يكون خلف النخل ويخرجه ويحفظه ضيقا معوجا
والحداد ليسياسة النخل يجعلون نظرون بلفس لولفه احسن المان
ويذهب بذلك مذهب من اذا راي خيرا نشره واذا راي شرا
ستره ويتامله بعين الحق الرضي لا بعين السخط ويصل ما فيه
من خطا فحين الرضا عن كل عيب كليله وانا استغفر الله من الخطا
والزلل واسأله المغفرة والرحمة والتوفيق لصالح القول والعمل
لا رب غيره ولا معبود سواه وهو حبيبنا وولينا وولينا الوكيل

ثم السفر الثاني من كتاب الفلاحة

في الارضين والحيوان وما عني

يجمعه من كتب الفلاحين

والحكا المتقدمين

الحمد لله الذي جعلنا

الاشياع بما الله منه

ودعه امين

دهفاني

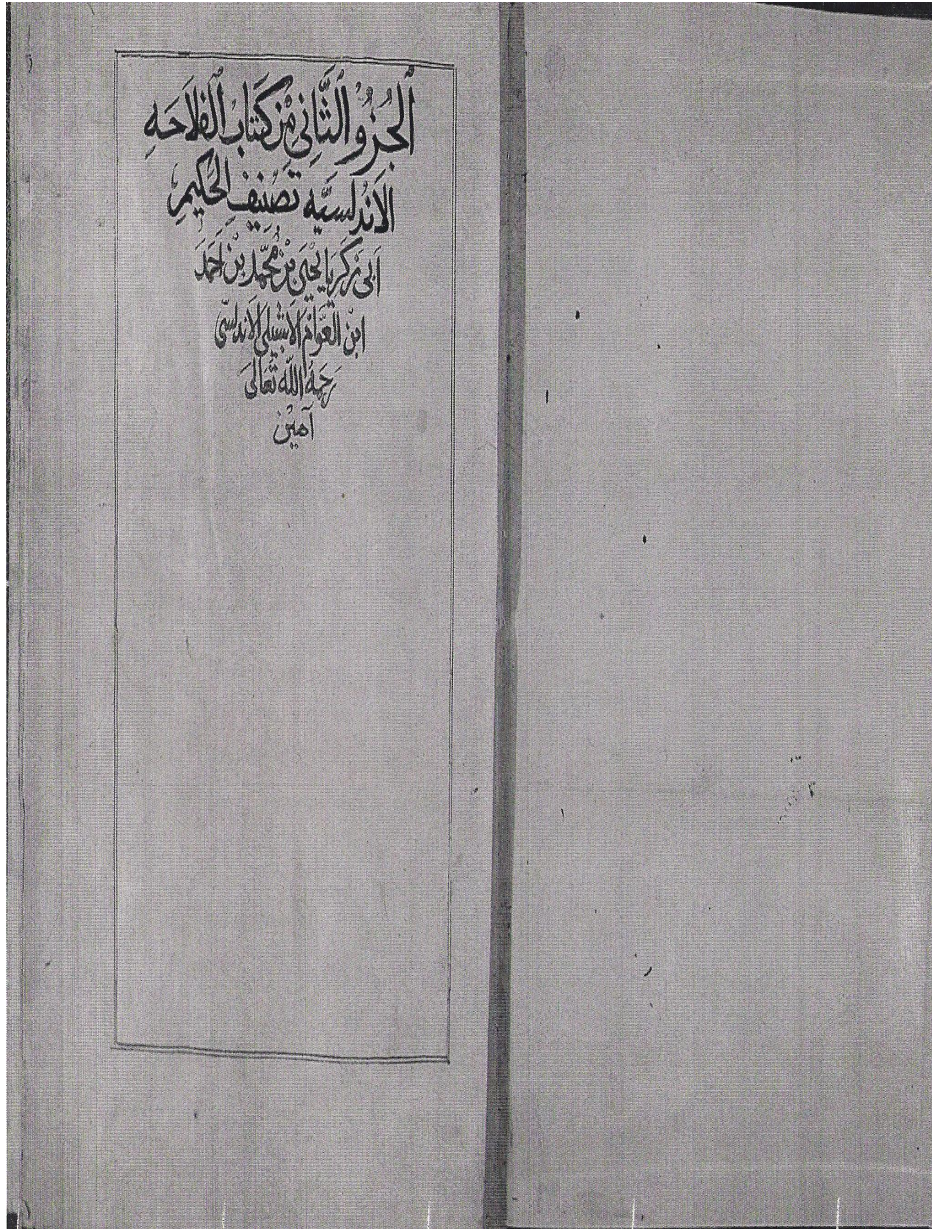
كتاب، چفت سوره مکتوب

چوق اصیلو

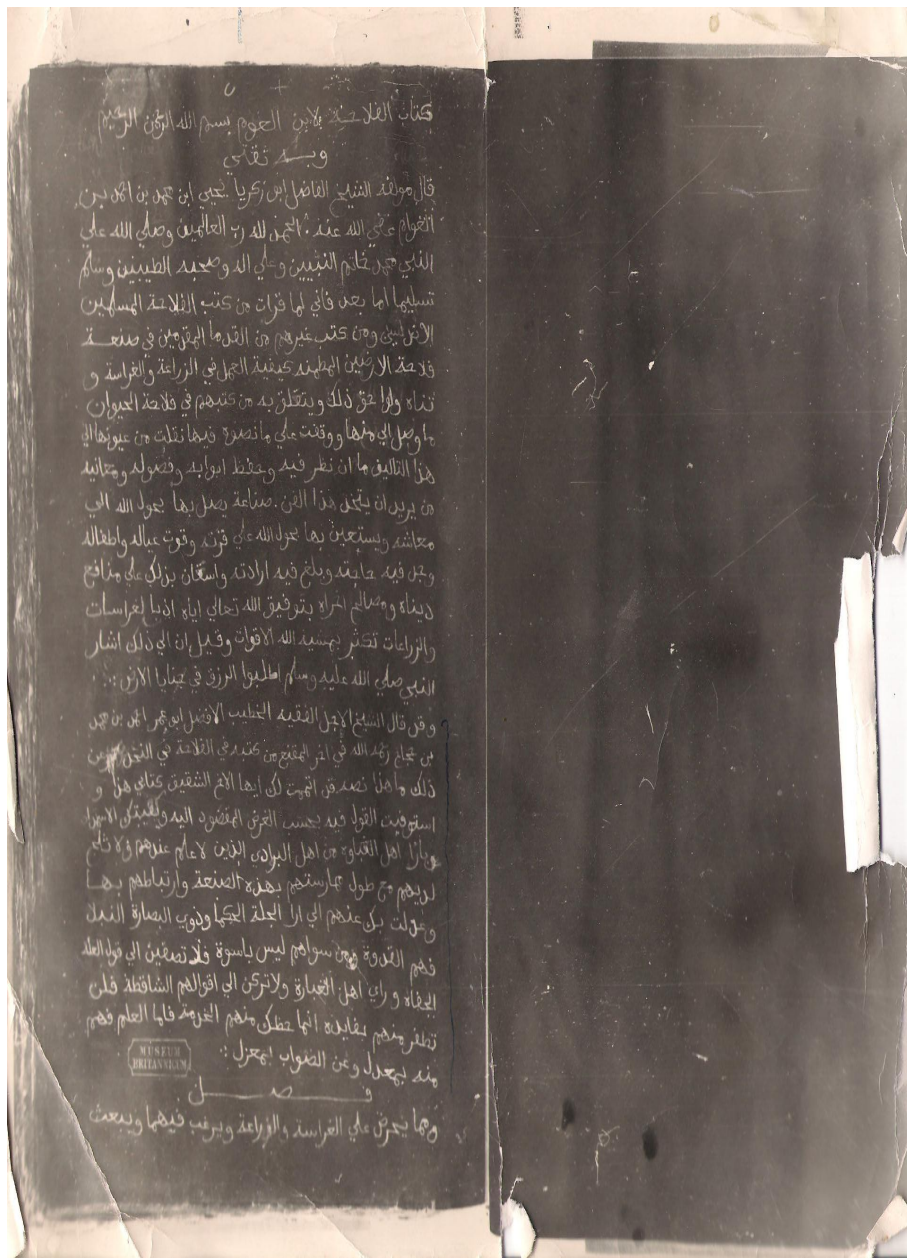
ایکی جلد

نهاية السفر الثاني من نسخة المكتبة الوطنية بباريس ذات الرقم

(A2804)



صفحة غلاف مكتبة الأسد الوطنية



الورقة الأولى من نسخة مكتبة المتحف البريطاني ذات الرقم

(Arabi Add ١٠٤٦١)

PRÓLOGO DEL AUTOR.

EN EL NOMBRE DE DIOS MISERICORDIOSO
Y COMPASIVO, EN EL QUAL PONGO
MI CONFIANZA.

DIXO EL AUTOR

Doctor excelente, Abu-Zacharia, Iahia, Ebn-Mahomed, Ebn Ahmed, Ebn-el Awám::: Dios, señor de las criaturas, sea alabado::: &c. &c.

Habiendo leído los libros de Agricultura que han llegado á mi noticia de los Musulmanes de España y de otros Autores antiguos que trataron del arte de romper las tierras, comprehensivo de la economía [ó modo] de hacer las sementeras y los plantíos, y los libros que escribieron de aquella parte de Agricultura respectiva á los animales; y habiendo contemplado y visto con reflexion la [doctrina] en ellos contenida, he trasladado de los mismos á esta Obra lo que en ella se ve, y contienen sus máximas, capítulos, y artículos.

Quien quisiere dedicarse á esta especie de arte conseguirá por él, con el favor de Dios, quanto es necesario para la vida. Con el auxilio de la Agricultura asegurará el preciso alimento para sí, sus hijos y familia. En ella encontrará lo que necesite, y hallará quanto apeteciere su voluntad. Debe considerarse la Agricultura como uno de los principales auxilios para lo que mira á las utilidades de la vida presente, y tambien para procurarnos las felicidades de la otra con el auxilio del Altísimo, por cuyo favor, mediante las sementeras y plantíos, se multiplican los alimentos. En orden á lo qual se dice que Mahomet dió este consejo:

TOM. I.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ وَبِعِزَّتِهِ

قال مؤلفه

أشيع الغافل أبو زكريا يحيى ابن
محمّد بن أحمد ابن العلوم عني الله
فيه العبد لله رب العالمين.....

وأما بعد فإني لما قرأت كتب فلاحة
المسلمين الأندلسيين ومن كتب غيرهم من
القدماء المتقدمين في صنعة فلاحة الأرضين
البيئية كيفية العمل في الزراعة والغراسة
ولواحت ذلك وما يتعلق به من كتبهم في
فلاحة الحيوان ما وصل إلي منها ووقفت علي
ما نمود فيها نقلت من عيونها إلي هذا التأليف
ما أن نظر فيه وحفظ إسناده وقصوده
ومعانيه *

من يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة
يصل بها بحول الله إلي معاشه ويستعين
بها علي قوته وقوت عياله وأطفاله وجد
فيه حاجته وبلغ فيه إرادته واستعان
بذلك علي منافع دنياه وممالك آخره
يتوفيق الله إياه إن بالغراست والزراعات
تكثر بيشية الله الأفوات
وقيل إن إلي ذلك أشار النبي
A

بداية المجلد الأول من نشرة بانكويري

CAPÍTULO DECIMOSEXTO.

689

se les rocía sal molida en las hendi-
duras , y puestos en vaso limpio usa-
do de aceyte fresco de buena calidad,
se les estruxan otros limones frescos,
de cuyo zumo queden cubiertos los
hendidos; y [en esta disposicion] se
alzan, á los quales se les echa tam-
bien para comerlos miel con infusion
de azafran.

وتذرى في شقه صلحا مدقوقا ويجعل الكب في
اذا نظيف كان قد استعمل في زيت اخضر
طيب وتصر علي ذلك الكب المشقق حسب
ليمون اخضر ويغير بعصارته الليمون المشقق
وترفعه وقد يترك فيه مى غسل ويكون
بزعفران ويستعمل *

Dios es nuestra suficiencia y agradable
confianza , y en solo El reside
el poder y la fuerza.

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله *

*Fin de la primera Parte de la
Agricultura de Ebn-el-Awám. Si-
gue en la segunda el Capitulo XVII
que trata de la labor de
vuelta.*

كمل الجن الاول من الفلاحة
لابن العوام ويتلوه في الجن الثاني
الباب السابع عشر في عمل
كيفية القلب

CORRECCIONES DEL CASTELLANO.

Pág.	Línea	Dice	Léase
11	28	alberca	tablar
21	28	el mismo olor	el mismo sabor, olor
Ibid.	39	los peros	los peros, las manzanas,
23	10 cita 1	el trigo	el trago
27	7	pág. 7.	fol. 7.
32	5	al año	año
35	5	La abejas	Las abejas
43	30	estío	verano
45	38	Tabet-Enb-Corah.	Tabet-Aben-Corah.
57	36	mimo.	mismo.
70	30	mezclada	mezcla
107	24	alguna	algunas.
109	37	las establos	los establos
115	penúlt.	toda palma	toda planta
138	36	terrenos	terrones
163	13	por cuya cansa se propondrá el buen Agricultor no mudar es- tos plantones	por cuya causa propone Leon insigne Agricultor, que no se muden estos plantones
252	23	myrobalano	myrabolano
253	1	ARTICULO X.	ARTICULO VIII.
259	16	se enxugen	se enxuguen
330	35	ARTICULO XXXVIII.	ARTICULO XXXVII.
331	40	aumentado	aumentando
335	11	retriéndole qualquier daño que le haya acaecido.	impidiéndole la horquilla que le pueda sobrevenir.
347	41	Háj Granadno	Háj Granadino
529	26	excutando	executando
567	40	se agrega aceyte	se agregan las de aceyte
620	1	ó por sanguiuelas	ó por medio de ventosas
Ibid.	23	sanguiuelas	ventosas
625	28	opinion algunos	opinion de algunos

TOMO I.

ssss

فهاية المجلد الأول من نشرة بانكويري

كتاب الفلاحة

مولفه

الشیخ الفاضل ابن زکریا محی ابن
محمد بن احمد ابن العلم اشبیلی

LIBRO DE AGRICULTURA.

SU AUTOR

EL DOCTOR EXCELENTE ABU ZACARIA IAHA
ABEN MOHAMED BEN AHMED EBN EL AWAM, SEVILLANO.

TRADUCIDO AL CASTELLANO Y ANOTADO

POR DON JOSEF ANTONIO BANQUERI,
*Prior-claustral de la Catedral de Tortosa, Individuo de la Real Biblioteca
de S. M., y Académico de número de la Real Academia
de la Historia.*

TOMO SEGUNDO.

DE ÓRDEN SUPERIOR,
Y Á EXPENSAS DE LA REAL BIBLIOTECA.

MADRID EN LA IMPRENTA REAL

AÑO DE 1802.

صفحة عنوان المجلد الثاني من نشرة بانكويري

la boca de la etra adonde los traido. Si temieres que el pollo escape de la colmena y la abundone, la plantarás sin dextre sitio por donde salga; y dexandola así un día y una noche y abriéndola después á la mañana por su parte posterior, ya aquel se le habrá familiarizado y no escapará de allí, Dios mediante. Después de lo qual, á los dos ó tres días registrará el abejeiro el caperuzo ó bucco adonde traidado el pollo, y barrerá la escobina de la cera y demas cosas que allí se hubieren juntado, y luego tapará su boca con cubierta que se le ajuste bien, la qual embarrará. Cuidará que el sitio de la entrada ¹ y salida de las abejas sea estrecho y con alguna declinación. Los diligentes é industrioses en el gobierno de las abejas observan al que procura saber de su camarada [quáles son ó donde estan] los mejores pastos ², y sigue en esto la opinion del que declara lo bueno que hubiere visto, y disimula lo malo que hubiere observado, y considerando con ayre de agrado y no de indignación, rectifica el error que en ello hubiere; pues se debe mirar con indulgentes ojos todo defecto [que proceda] de falta de penetración ilustrada.

Y yo ruego á Dios perdone los errores y equivocaciones; y le pido indulgencia, misericordia, y auxilio para obrar y hablar como conviene. El es el único supremo Señor y el solo Dios adorable. El es nuestra suficiencia, y la feliz gloriosa esperanza.

Concluyese el segundo volumen de la Obra de Agricultura sobre

ثم ذلك الذي نقلها اليه وان خلت ان ثابث الفراق من الغاية وتركها فالتفت عليها ولينده ولا تحرك لها من حيث تخرج منه وتركها كذلك يوما وليالة ثم اتبع مختلفه من الله ثابها ثابها ولا تخرج منه ان غدا الله تعالى وليتقنه الغيم الجنيح الذي نقل اليه الفراق او الكوة بعد ذلك يبرسي او ثابته ويكنس ما اجتمع فيها من نسلها فجمع وغرسا ثم يغطي فيها بغشا مهنهم عليه ويطنه ويتروفي ان يكون منخل العمل ومخرجه خيلا معرجا والناصا بميلته النصل يجعلون فخر من ينسب لولده احسن البحار وينبع بذلك منسوب من الا في خير نشره واذا في شره ستره ويتامله بعين الرضي لا يعسى السخط ويصلح صا فيه من خطا فيسي الرضي من كل ميب خيلية

ولما استغفر الله من الخطا والزلل والسالم الجفرا والرحمة والرفق لماع التزل والعمل لا يرب غيرة ولا مصيرنا سولا وهو حسبنا ونعم الوكيل

¹ Prefiere de la copia á la copia del original.

² Prefiere de la copia á la copia del original.

³ Léase en lugar de البحر el mar.

في الارضين والحيوان مما عني في الارضين والحيوان مما عني
يجمعه من كتب الفلاحين
والعكما المتقدمين يحي ابن
Ebn-el-Awam Sevillano, á quien
Dios haya perdonado, y asado con
él de misericordia. Amen.

CATÁLOGO ALFABÉTICO

De los nombres árabes de plantas que ocurren en las dos Partes de esta obra, con su traducción.

Elon	ابنوس	Vide Prólogo p. 25.
Sobna	سوبا	Esquina.
Cairo	القاهرة	Vide Prólogo p. 25.
Acacia	أشجار	Caballa albarum.
de-Beth	بيت	Junco, del que se hacen entenas.
et-Herob	هراب	Vide Prólogo p. 25.
et-Herob	هراب	Pancrazio, ó scila menor.
et-Herob	هراب	Vase el Prólogo p. 25.
Croco	الاجاس	Scandala. (Raphanogio Furo).
Croco amarillo, ó de yema	الاجاس الأصفر	Tetris alba. (Galla).
de nuevo	Mungo (de los árboles)	Amor.
Vide Prólogo p. 25.	الاجاس	Amor.
Yaro	الاجاس	Amor.
Junco olusca	الاجاس	Amor.
(Dine. l. 1. c. 4. y Ben-el-Bekar.)	الاجاس	Amor.
Chrysanthemum, ó masticia	الاجاس	Amor.
Vide Prólogo p. 25. not. (4).	الاجاس	Amor.
Pino macho, ó alvaz. Abu Zaccaria (c. 8. p. 287.) dice, que con este nombre es llamado en la Syria el ciprés, semejante al cedro.	الاجاس	Amor.
Junia amarillo. (Abu Zaccaria c. 8.)	الاجاس	Amor.
Am. Vide Prólogo p. 25.	الاجاس	Amor.
Acacia, ó cinnamomo	الاجاس	Amor.
Arraryn, ó murra	الاجاس	Amor.
Ruco. Vide Prólogo p. 25.	الاجاس	Amor.
Asara. (Ben-el-Bekar. y Dine. l. 1. c. 5.)	الاجاس	Amor.
Mandragora. (Galla.)	الاجاس	Amor.

القسم الثاني من الكتاب

النص المحقق

لكتاب "الفلاحة الأندلسية"

لابن العوّام الإشبيلي الأندلسي

أ.د. أنور أبو سويلم أ.د. سمير الدروبي أ.د. علي إمرشيد محاسنة

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقني

[مقدمة المؤلف]:

قال مؤلفه الشيخ الفاضل: أبو زكريّا، يحيى بن محمّد بن أحمد بن العوام (عفا الله عنه): الحمد لله، ربّ العالمين، وصلى الله على النّبيّ محمد خاتم النبيّين، وعلى آله وصحبه الطّيبين، وسلّم تسليمًا، وأمّا بعد؛
فإنّي لما قرأتُ كتبَ فلاحة المُسلمين^(١) الأندلسيّين، وكُتِبَ غيرهم^(٢) من القدماء المُقدّمين في صنعة فلاحة الأرضين المضمّنة^(٣) كيفية العمل في الزّراعة والغراسَة، ولوَاحِق ذلك، وما يَتعلّقُ به^(٤) من كُتُبهم في فلاحة الحيوان^(٥)، وما وَصَلَ إليّ منها، ووقفتُ على ما نُصّوه فيها، فنقلتُ من عُيُونها إلى هذا التّأليف، ما^(٦) إنْ نَظَرَ فيه، وحفِظَ أبوابه وفُصُوله

(١) المتحف البريطاني وباريس: من كتب الفلاحة المسلمين.

(٢) باريس: ومن غيرهم من القدماء.

المتحف: ومن كُتِبَ غيرهم.

(٣) المتحف: المضمنة.

(٤) المتحف: ويتعلّق به.

(٥) الحيوان: ساقطة من نسخة باريس.

(٦) (ما) سقطت من نسخة باريس.

ومعانيه، مَنْ يريدُ أَنْ يتخذَ هذا الفنَ صناعةً^(١) يصلُ بها -بحولِ الله- إلى معاشه، ويستعينُ بها^(٢) على قوته، وقوتِ عياله وأطفاله، وجد فيه خاصته، وبلغ فيه إرادته، واستعان بذلك على منافع دنياه، ومصالح أخراه^(٣) بتوفيقِ الله إياه؛ إذ بالغراسات والزراعات تكثر -بمشيئةِ الله تعالى- الأقوات.

وقيل: إِنَّ^(٤) إلى ذلك أشارَ النبيُّ (ﷺ) [فقال^(٥)]: "اطْلُبُوا الرِّزْقَ فِي حَبَايَا الْأَرْضِ"^(٦).

(١) مدريد: صناعة.

(٢) المتحف: بحولِ الله على قوته.

(٣) باريس: أخرى.

(٤) سقطت من نسخة باريس.

(٥) رواه أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت: ٣٨٨هـ) في غريب الحديث: ٢٠٢/١.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦٣/٤، وجلال الدين السيوطي في الجامع الصغير: ١٦٨/١، والعجلوني في كشف الخفاء: ١٣٨/١، وأبو يعلي في مسنده: ٢٠٧/٢، ورواه البيهقي في شُعَب الإيمان عن عائشة، وأبو يعلي والطبراني في الكبير والأوسط بلفظ: (اطلبوا الرزق) والبُستي والهيثمي والعجلوني (ابتغوا الرزق).

(٦) باريس: حنايا، ويروى: حنايا.

وإنَّ نَظَرَ^(١) أَيْضاً في هذا التَّأْلِيفِ صَاحِبُ صَنَعَةٍ انْتَفَعَ مِمَّا تَضَمَّنَهُ
هذا الكِتَابُ من أَعْمَالِ الْفَلَاحَةِ وما تَضَمَّنَهُ في صِفَةِ الْعَمَلِ في إِصْلَاحِ
[الأَرْضِينَ] وإِفْلَاحِهَا والْقِيَامِ عَلَيْهَا، وَاسْتَعْنَى بِمَا يَقْتَبِسُهُ مِنْهُ عَنْ تَقْلِيدِ
الْعَوَامِ فِي شَأْنِهَا؛ إِذْ لَا يَجُوزُ تَقْلِيدُهُمْ، وَالْإِسْتِدْلَالُ بِآرَائِهِمْ.

وقد قال الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْفَقِيهُ الْخَطِيبُ الْإِمَامُ^(٢) الْأَفْضَلُ، أَبُو عُمَرَ،
أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَجَّاجٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) فِي آخِرِ الْمَقْنَعِ مَنْ كَتَبَهُ فِي
الْفَلَاحَةِ - فِي التَّحْذِيرِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا نَصُّهُ^(٣):

"قَدْ أَتَمَمْتُ^(٤) لَكَ أَيُّهَا الْأَخُ الشَّقِيقُ كِتَابِي هَذَا^(٥)، وَاسْتَوْفَيْتُ
الْقَوْلَ فِيهِ بِحَسَبِ الْعَرَضِ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ، وَكَفَيْتُكَ الْإِسْتِمْدَادَ بِآرَاءِ أَهْلِ
الْعِبَاوَةِ، مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي^(٦) الَّذِينَ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ، وَلَا تَلَوُّحَ^(٧) لَدَيْهِمْ

(١) هذه الفقرة كلها سقطت من نسخة المتحف، ومن نشرة مدير، وأثبتت في نسخة باريس.

(٢) سقطت من نسخة المتحف.

(٣) كتاب المقنع في الفلاحة لابن حجاج الإشبيلي، حققه: صلاح جرار وجاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٢م، ص ١٢٢.

(٤) المقنع: قد أكملت.

(٥) المقنع: كتابي هذا في الفلاحة.

(٦) مدريد: البراري.

(٧) المتحف وباريس ومدريد: لا تلج... لا شلخ. والتصويب من المقنع؛ لا تلوح: لا بيان ولا وضوح فيه.

على^(١) طول مُمارستهم لهذه الصَّنعة، وارتباطهم بها.

وَعَدَلْتُ بِكَ عَنْهُمْ^(٢) إِلَى آراءِ جِلَّةٍ^(٣) الْحُكَمَاءِ، وَذَوِي الْبَصَارَةِ
النُّبَلَاءِ^(٤)، فَهَمُّ الْقُدُوةِ، وَمَنْ سِوَاهُمْ لَيْسَ بِأُسْوَةٍ، فَلَا تُصْغِينَ إِلَى قَوْلِ
الْبُلْهِ^(٥) الْجُفَاءِ، وَرَأْيِ أَهْلِ الْعَبَاوَةِ وَالْعُتَاةِ، وَلَا تَرَكِّنْ إِلَى أَقْوَاهِمُ السَّاقِطَةِ،
فَلَنْ تَظْفَرَ مِنْهُمْ بِفَائِدَةٍ، إِنَّمَا حَظُّكَ^(٦) مِنْهُمْ الْخِدْمَةُ، فَأَمَّا الْعِلْمُ فَهَمُّ مِنْهُ
بِمَعْدِلٍ، وَعَنِ الصَّوَابِ بِمَعْزِلٍ".

* * *

(١) المتحف وباريس ومدرّيد: مع طول... والصواب من المقنع.

(٢) المقنع: إلى التعويل.

(٣) المقنع: الجلة من الحكماء.

(٤) المقنع: والنبيل.

(٥) مدرّيد: العلة... المتحف: العلد.

(٦) المقنع: حَقُّكَ.

[الـ]... فصل [الأوّل]

[حض الرسول ﷺ على الفلاحة]

وَمِمَّا يَحْرُضُ عَلَى الْغِرَاسَةِ وَالزَّرَاعَةِ^(١)، وَيَرْغَبُ فِيهِمَا، وَيُعِثُّ عَلَى تَعَلُّمِ أَصُولِهِمَا وَفُرُوعِهِمَا مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمَا لِلزَّارِعِينَ وَالْغَارِسِينَ مِنَ الْأَجْرِ فِي ذَلِكَ: وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ^(٢): مَنْ غَرَسَ غَرْسًا أَوْ زَرَعَ زَرْعًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ^(٣) أَوْ طَائِرٌ أَوْ سَبُعٌ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ^(٤). وَرَوَى عَنْهُ (الرَّيْثِيُّ) أَنَّهُ قَالَ^(٥): "مَنْ غَرَسَ غَرْسًا فَأَثْمَرَ، أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ^(٦) بِقَدْرِ مَا يَخْرُجُ مِنَ الثَّمَرِ".

(١) يفرق ابن العوَّام بين هذين المصطلحين، ويعني بالغراسة: غرسة الأشجار، والزراعة: زراعة البقول.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك. البخاري حρθ (١) ومسلم رقم (١٥٥٣)، والترمذي أحكام (٤٠)، وأحمد بن حنبل (١٤٧، ٤٢٠)، والتجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (مختصر الزبيدي)، ص ٣٢٣، حققه: مصطفى ديب، دار اليمامة، بيروت، (١٩٨٤)، والمصطفى من أحاديث المصطفى، ص ٧٤٦.

(٣) روايته: إنسان أو دابة أو طير.

ويروى: يأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة.

(٤) ويروى: كان له صدقة إلى يوم القيامة.

(٥) الحديث في أحمد بن حنبل: ٦١/٤، ٢٧٤/٥.

(٦) ويروى: كان له في كل شيء يصاب من ثمرها (ثمرها) صدقة عند الله.

وروى أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال^(١): "مَنْ بَنَى بُنْيَانًا فِي^(٢) غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اِعْتِدَاءٍ، أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اِعْتِدَاءٍ، كَانَ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ الرَّحْمَنِ".

وروي عنه (عليه السلام) أنه قال^(٣): "إِنَّ اللَّهَ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) إِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ الزَّرْعَ جَعَلَ مَا بَيْنَ سُنْبُلِهِ وَقَصْبِهِ الْبَرَكَةَ، وَيُؤَكِّلُ بِكُلِّ حَبَّةٍ مَلَكٌ يَحْفَظُهَا؛ فَإِذَا أَزْرَعْتَهُمْ شَيْئًا، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْبَرَكَةَ وَالرَّحْمَةَ".

والآثار في هذا كثيرة^(٤)، وأرجو أن يكون فيما أوردته منها كفايةً.

* * *

(١) الحديث رواه أحمد بن حنبل: ٤٢٨/٣.

(٢) ابن حنبل: من غير ظلم.

(٣) ورد من الأحاديث بمعناه في الموضوعات لابن الجوزي: ٣٤٣/٣، وتاريخ بغداد: ١٣٠/٤.

(٤) من مثل الحديث: احرثوا فإن الحرث مبارك، وأكثروا فيه من الجماحم (الخشب التي يكون في رؤوسها سكك الحرث)، وما من زرع على الأرض أو ثمار على الشجر إلا كتب عليه: هذا رزق فلان بن فلان.

والحديث: إن كان لأحدكم أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه (سنن ابن ماجه: ٢٢/٢).

والحديث: أن الرسول كان يرخص في (السرجين) أي: الأذبال عند الزرع.

[الـ]... فصل [الثاني]

[من الوصايا في إصلاح المرء ضيعة]

قيل لأبي هريرة^(١): ما المروءة؟ فقال: تقوى الله، وإصلاح الضيعة.

وقال قيس بن عاصم^(٢) لبنيه^(٣): عليكم بإصلاح المال، فإنه منبهة للكریم، ويُستغنى به عن اللئيم.

وقال عتبة بن أبي سفيان لمولاه^(٤) (إذ ولّاه أمواله)^(٥):

(١) قول أبي هريرة ذكره الجاحظ في الحيوان: ١٧٧/٢ (عبد السلام هارون)، وفيه تنمة... والغداء والعشاء بالأفنية. وروي: إصلاح الضيعة وهي الحرفة والصناعة والعيش والمكسب، وروي: الصنعة (الحيوان: ١٧٧/٢).

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري، سيد بني غنيم في الجاهلية والإسلام، صحب النبي (ﷺ) قال الأحنف بن قيس: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم. انظر: الإصابة: ٧١٨٨، الحيوان: ٥٣/١، ٢١٨، ٣٣/٢، ٧٩، والأغاني: ١٤٣/١٢، وعيون الأخبار: ٢٨٦/١.

(٣) قوله في الحيوان للجاحظ (عبد السلام هارون): ٨٠/٢.

وهو من وصيته المشهورة، قال: عليكم باصطناع المال؛ فإنه منبهة للكریم، ويُستغنى به عن اللئيم، وإياكم والمسألة فإنها شرّ ما يكسب الرجل... وإذا متّ فلا تنوحوا فإنه لم يُنحَ على رسول الله ﷺ: سنن النسائي: ٦/٤، وصحيح سنن النسائي: ٣٩٩/٢، ومسند الإمام أحمد: ٦١/٥، والبخاري: ٤٥٣/١، والطبراني (الكبير): ٣٣٩/١٨، والبوصيري في مختصر الإتحاف: ٢٢/٢، والمطالب العالية للعسقلاني: ٦٨٧/٢٠.

(٤) مولى عتبة بن أبي سفيان ومعلم أولاده: عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني. الحيوان: ٢٥٢/١، والطبري: ٢٨٨/٨.

(٥) انظر وصيته الرائعة لمؤدب ولده، في الحيوان: ٧٣/٢.

"تَعَهَّدَ صَغِيرَ مَالِي فِيكَبَّرَ، وَلَا تَضِيعَ كَثِيرُهُ فَيَصْغُرَ"، وَشِبْهُ هَذَا فِي الْمَعْنَى كَثِيرٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَتَفَقَّدَ صَاحِبُ الضَّيْعَةِ ضَيْعَتَهُ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهَا، وَلَا سِوَا فِي وَقْتِ عَمَلِهَا وَفَلَاحَتِهَا؛ لِيَتَبَيَّنَ لَهُ اجْتِهَادُ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ عُمَّالِهِ فِيكَافَأَتِهِ. وَالْمُقْصَرُّ؛ فَيَسْتَبْدِلُ بِهِ.

وَمِنْ الْأَمْثَالِ فِي هَذَا: "الضَّيْعَةُ بِصَاحِبِهَا"^(١) "أَرِنِي ظِلَّكَ أَعْمُرُ"^(٢).

* * *

(١) بَارِيسَ وَمَدْرِيدَ: لِصَاحِبِهَا. وَهَذَا مِثْلُ أُنْدَلُسِي مُوَلَّدَ، لَمْ نَجِدْهُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ الْمَعْرُوفَةِ، وَمُقَادَهُ أَنْ صِلَاحَ الضَّيْعَةِ مِنْ صِلَاحِ صَاحِبِهَا وَاهْتِمَامِهِ وَعِنَايَتِهِ.

(٢) مِثْلُ مُوَلَّدَ، لَمْ نَجِدْهُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَكْثَارَ يَجِدُّ فِي عَمَلِهِ إِذَا رَأَى ظِلَّ صَاحِبِ الضَّيْعَةِ مُرَاقِبًا وَمَتَابِعًا لِعَمَلِهِ.

[أ-]... فصل [الثالث]

[أول من زرع]

قيل: أول مَنْ زَرَعَ وَحَرَثَ^(١) آدَمُ (عليه السلام)^(٢) بِإِلْهَامِ اللَّهِ (تعالى) له ذلك، وتعليمه إِيَّاهُ، ثُمَّ شَيْتَ^(٣) بن آدم، ثم إِدْرِيسَ (عليه السلام) ثم كان الطُّوفَانُ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ لم يَهْتَدُوا إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَكَذَّبَهُمْ عَلَيْهِ نُوحٌ (عليه السلام).

* * *

(١) المتحف البريطاني: أول من حرث وزرع.

(٢) حكى المسعودي في مروج الذهب أَنَّ آدَمَ (عليه السلام) لما هبط الأرض، خرج من الجنة ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمر، منها عشرة لها قشر (الجوز واللوز...) وعشرة لثمرها نوى (الزيتون والمشمش...) وعشرة ليس لها قشر ولا نوى (التفاح والسفرجل...).

انظر: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٧٩.

وذكر هذا الخبر أبو عبيد البكري في المسالك والممالك: ٦٢/١ (الدار العربي للكتاب، تونس).

(٣) معنى شيت: هبة الله، قيل: إِنَّهُ وَلَدَ فَرْدًا يَغِيرُ تَوَامَ وَلَمْ يُولَدْ لِآدَمَ فَرْدَ سِوَاهُ، وَهُوَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ (شيت) وبالعربية (شث) وبالسريانية (شاة).

المسالك والممالك: ٦٨/١.

[الـ]... فصل [الرابع]

[أنواع فلاحه الأرض]

قال ابن حزم الأندلسي (رحمه الله)^(١): اَعْلَمُوا أَنَّ الرَّاحَةَ، وَاللَّذَّةَ، وَالسَّلَامَةَ، وَالْعِزَّ، وَالْأَجَرَ فِي أَصْحَابِ فِلَاحَةِ الْأَرْضِ إِذْ كَانَتْ الْأَرْضُ عَشْرِيَّةً فَقَطْ.

وفِلَاحَةُ الْأَرْضِ هِيَ أَهْنًا الْمَكَاسِبُ جَمْلَةً، وَأَرْبَحُهَا، وَأَقْرَبُهَا إِلَى النَّجْدَةِ، وَالسَّلَامَةِ، وَاكْتِسَابُ الْأَجْرِ^(٢).

وَهِيَ تَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: بَعْلًا وَسَقِيًّا، وَأَحْمَدَهُمَا عَاقِبَةٌ وَأَضْمَنَهُمَا سَلَامَةٌ؛ السَّقِيُّ بِالْعُيُونِ، وَمِنَ الْأَنْهَارِ وَالسَّوَاقِي.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: شَاقٌّ مُتْعَبٌ، وَهُوَ السَّقِيُّ بِالْآلَاتِ مِثْلَ النَّوَاعِيرِ، وَالسَّوَاقِي، وَالِدَّلَاءِ الَّتِي تَدُورُ بِهَا الْإِبِلُ وَالْحُمُرُ^(٣) وَالْبِغَالُ، وَأَقْلَهَا الْخَطَارَاتُ^(٤)، وَهَذَا الْقِسْمُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مَاءُ النَّوَاعِيرِ إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا [و] لَا مَعَاشَ لَهُ مِنْ سِوَاهَا، وَيَتَوَلَّاهَا بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَا

(١) هُوَ الْوَزِيرُ الْخَافِظُ، أَبُو مُحَمَّدٍ، عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ، صَاحِبُ طُوقِ الْحَمَامَةِ وَالرِّسَالِ الْمَشْهُورَةِ، انْظُرْ: نَفْحُ الطَّيِّبِ: ١٨٥/٣.

(٢) السُّطْرُ السَّابِقُ سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ بَارِيْسَ وَمَدْرِيْدَ.

(٣) مَدْرِيْدَ: الْحَمِيرُ.

(٤) الْخَطَارَاتُ: صَنْفٌ مِنَ الدَّوَالِبِ الْخَفَافِ، يَسْتَسْقِي بِهِ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَهُوَ كَثِيرٌ عَلَى وَادِي إِشْبِيلِيَّةٍ. انْظُرْ: نَفْحُ الطَّيِّبِ: ٤٥٤/٣.

يتولّاها بنفسه عَظُمَتْ مَوْؤُنَتُهَا عَلَيْهِ، وَقَلَّتْ مَعُونَتُهَا لَهُ، وَرَبَّمَا أَقْتَضَتْهُ
مَوْؤُنَةُ الدَّابَّةِ وَالْآلَةِ عَلَى جَمِيعِ الْحَاصِلِ، وَرَبَّمَا أَقْتَضَتْهُ زِيَادَةُ عَلَيْهِ.
واعلموا أَنَّ الْقَلِيلَ الْمُجْتَمِعَ مِنَ الْمَالِ خَيْرٌ وَأَسْلَمٌ^(١)، وَأَعْلَى وَأَنْفَعُ
مِنَ الْكَثِيرِ^(٢) الْمَتَفَرِّقِ؛ لِأَنَّ الْمُجْتَمِعَ يَقُومُ بِهِ الْوَاحِدُ، وَالْمَتَفَرِّقُ يَحْتَاجُ إِلَى
(ناظر) فِي كُلِّ قِطْعَةٍ.

* * *

(١) المتحف وباريس ومدرّيد: خير واسط.

(٢) باريس ومدرّيد: الكبير.

[الـ]... فصل [الخامس]

[معنى فلاحه الأرض]

ومعنى فلاحه الأرض: إصلاحها، وغراسة الأشجار فيها، وتركيب ما يصلحها التركيب منها، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها، وإصلاح ذلك، وإمداده بما ينفعه ويجوده، وعلاج ذلك بما يدفع -بمشيئة الله- الآفات عنه، ومعرفة جيد الأرض، ووسطها، والدون منها.

وهذا هو الأصل الذي لا يستغنى عنه، ومعرفة ما يصلح أن يزرع أو يُعْرَس في كل نوع منها، من الشجر والحبوب والخضر، واختيار النوع الجيد من ذلك، ومعرفة الوقت المختص بزراعة كل صنف منها، والهواء الموافق لذلك، وغراسة ما يُعْرَس فيها، وكيفية العمل في الزراعة وفي الغراسة أيضاً.

ومعرفة أنواع المياه التي تصلح للسقي لكل نوع منها، وقدره. ومعرفة الزبول وإصلاحها، وما يصلح منها لكل نوع من أنواع الأشجار والخضر والزرع، والأرض.

وكيفية العمل في عمارة الأرض^(١) قبل زراعتها، وبعد غراستها وتزويلها وتعديلها لجري الماء عليها بعد سقيها، وتقدير ما يحتمل من الأرض من أنواع البذر، وصفة العمل في التذكير^(٢)، وعلاج الخضر

(١) عمارة الأرض: حرثها، وإزالة الحجارة منها، وتهيئتها للبذار وغرس الأشجار.

(٢) التذكير: التلقيح.

والأشجار من الآفات اللاحقة لها، وتدير ذلك كله، والقيام عليه بما يصلحه حتى يُدرَك فائدته، ويكثر -بمشيئة الله- عائده.

وكيفية العمل في اختزان الحبوب، وفواكه الأشجار، وفوائد^(١) الثمار وشبه هذا مما يلحق به -إن شاء الله-.

* * *

(١) مدريد: فوائد الإثمار.

[الـ]... فصل [السادس]

[فلاحة الحيوان والطير]

وإِنِّي لَمَّا اسْتَوْفَيْتُ -بعون الله- القولَ في ذلك بحسب الغرض
المقصود إليه، أَضَفْتُ إلى ذلك فلاحةَ الحيوانات التي لا غِنَى عن استعمالها
في فلاحة الأرض، وبعض الأَطْيَار التي تُتَّخَذُ في الضِّيَاع، وفي المنازل
للاتتفاع بها، ووصف الجيِّد منها، ونُعُوته، ووجه العَمَل في إنتاجها
وسِيَّاسَتها، وعلاج بعض أدوائها، ولواحق ذلك وما يَتَعَلَّقُ به.

* * *

[الـ]... فصل [السابع]

[مصادر الكتاب]

اعْلَمْ - وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - أَنِّي قَسَمْتُ هَذَا التَّأْلِيفَ عَلَى خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ بَاباً، وَضَمَنْتُ الْأَبْوَابَ مِنْ هَذَا الْفَنِّ أَنْوَاعاً تَقِفُ عَلَيْهَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ (تعالى) وَبِهِ أَسْتَعِينُ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ، وَاعْتَمَدْتُ عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ كِتَابُ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْإِمَامِ أَبِي عَمْرٍ، ابْنِ حَجَّاجٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) الْمُسَمَّى بِـ "الْمُقْنَعِ"^(١)، وَهُوَ الَّذِي أَلْفَهُ سَنَةٌ سِتٌّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ؛ وَهُوَ مَبْنِي عَلَى آرَاءِ أَجَلَّةِ الْفَلَاحِينَ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ، نَقَلَ فِيهِ نُصُوصَ أَقْوَاهُمْ، وَعَزَّاهَا إِلَيْهِمْ، وَعَدَدَهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا.

وَالْمُقَدَّمُونَ مِنْهُمْ: يُونْيُوسُ^(٢)، وَبَارُونُ^(٣) لَاقُطْيُوسَ، وَدِيوقُنْطُسُ^(٤)، وَكَارِطْيُوسُ^(٥)، وَيِيدُونُ^(٦)، وَبَرِيْعَايُوسُ، وَدِيمَقْرَاطِيْسُ

(١) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَجَّاجِ الْإِشْبِيلِيِّ، وَكِتَابُهُ الْمُقْنَعُ أَلْفُهُ سَنَةٌ (٤٦٦هـ-)، وَنَشَرَهُ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُرْدُنِي، (١٩٨٢)، بِتَحْقِيقِ: صَاحِبِ جَرَّارٍ وَحَاسِرِ أَبُو صَفِيَّةٍ. وَانْظُرْ تَرْجُمَةً ابْنِ حَجَّاجٍ فِي: الْمَغْرِبِ: ٢٥٦/١، وَالْحُلَّةِ السَّيْرَاءِ: ١٤٧/١.

(٢) وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْمُقْنَعِ نَحْوَ ثَلَاثِينَ مَرَّةً. انْظُرْ: الْمُقْنَعُ، ص ١٦٢.

(٣) بَارُونُ: أَشِيرَ إِلَيْهِ فِي الْمُقْنَعِ، ص ١٢٣، وَهُوَ هُنَا بَارُونُ لَاقُطْيُوسَ بِالْإِضَافَةِ. وَفِي الْمُقْنَعِ أَيْضاً وَرَدَ بِاسْمِ بَارُونِ قُطْيُوسَ وَدِيرِ قُنْطُوسَ.

(٤) جَاءَ اسْمُهُ فِي الْمُقْنَعِ: دِيرِ قُنْطُوسَ، ص ١٢٣.

(٥) بَارِيْسُ: طَارِطْيُوسَ. الْمُقْنَعُ، ص ١٢٣: صَارِطْيُوسَ.

(٦) الْمُقْنَعُ، ص ١٢٣: بِيرِدُونُ.

الرُّومِي، وَكَسَيْنُوس^(١)، وَقُرُورَا طِنُقُوس^(٢)، وَلَاوَن^(٣)، وَسُودِيُوس^(٤)،
وَقَسْطُوس^(٥) عَالَمُ الرُّومِ، وَسَادَهُمَس^(٦)، وَسَمَانُوس^(٧)،
وَسَرَاعُوس، وَأَنْتُولِيُوس^(٨)، وَسُولُون^(٩)، وَسِيدَاغُوس^(١٠) الْإِسْبَانِي،

(١) هُوَ كَسَيْنُوسُ بَاسُوسٍ مِنْ أَشْهَرِ الْمُؤَلِّفِينَ فِي عِلْمِ الْفَلَاحَةِ.

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ حِجَّاجٍ فِي الْمَقْنَعِ، ص ٨٩، ٩٠، ٩٧.

(٣) هُوَ لَاوَنُ السَّادِسُ الْمَلَقَّبُ بِالْحَكِيمِ (ت: ٩١٢م)، انْظُرْ: بُو رَاوِي الطَّرَابِلْسِي، نَشْأَةُ
عِلْمِ الْفَلَاحَةِ الْعَرَبِي، ص ٧٣.

(٤) وَرَدَ اسْمُهُ فِي الْمَقْنَعِ سُودِيُوسَ، ص ١٢٣، وَسَمَاءُ الطَّرَابِلْسِي سُوطِيُونَسَ، ص ١٨٣،
١٨٧، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٨، ١٩٩.

(٥) هُوَ قَسْطُوسُ بْنُ لَوْقَا، صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ الْيُونَانِيَّةِ، طُبِعَ فِي الْمَطْبَعَةِ الْوُطْنِيَّةِ،
بِيْرُوتَ، ١٩٦٢، وَفِي الْقَاهِرَةِ دُونَ تَحْقِيقٍ، سَنَةِ (١٨٧٦)، وَتَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي مَتْنِ
الْفَلَاحَةِ الرُّومِيَّةِ، وَقِيلَ: كِتَابُ الْفَلَاحَةِ الرُّومِيَّةِ تَأْلِيفُ الْحَكِيمِ الْفِيلَسُوفِ قَسْطُوسَ
بْنِ اسْكُو لَسْتِيكِهِ عَالَمِ الرُّومِ، وَتَرْجَمُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، سَرْجِيْسُ بْنُ هَلْبَا، وَعَرَّبَهُ قَسْطَا
بْنُ لَوْقَا الْبَعْلَبَكِي، وَأَبُو زَكْرِيَا، يَحْيَى بْنُ عَدِي.

(٦) تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي الْفَلَاحَةِ الرُّومِيَّةِ، ص ٢٦٨، ٢٧١، ٢٨٥.

(٧) الْمَقْنَعِ، ص ٩٧، ١٢٣.

(٨) الْمَقْنَعِ: أَنْطَرَلِيُوسَ، ص ٦، ١١، ١٢، ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣٩، وَذَكَرَهُ
الطَّرَابِلْسِي بِاسْمِ أَنْطَلِيسَ الْبِيْرُوتِيِّ وَلَهُ كِتَابٌ بِاسْمِ الْفَلَاحَةِ فِي اثْنِي عَشَرَ جُزْأً.

(٩) هُوَ سُولُونُ فِي الْمَقْنَعِ، ص ٨٩. وَوَرَدَ كَثِيرًا فِي فَلَاحَةِ ابْنِ الْعَوَّامِ (شُولُون).

(١٠) الْمَقْنَعِ: سِيدَاغُوسَ وَسِيدَاغُوسَ، ص ١١٣، ١٢٣.

ومَنْهَاريس^(١)، ومرغوطيس^(٢)، ومرسينال^(٣) الطَّنَّيسي، وآنون^(٤)، وبروراقطيوس^(٥).

والمُتَأَخَّرُونَ في زَمَانِهِمْ، مِنْهُمْ: الرَّازِي^(٦)، وإِسْحَاقُ بْنُ سَلِيمَانَ^(٧)، وَثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ^(٨)، وَأَبُو حَنِيفَةَ الدِّينُورِي^(٩)، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَمْ تُسَمَّه.

(١) المقنع، ص ١٢٣.

(٢) المقنع، ص ٩٥.

(٣) المقنع، ص ١٢٣ مرسال.

(٤) المقنع، ص ٩٧: آنون الماهر في الفلاحة.

(٥) المقنع: قرورا طيقوس، ص ٩٧، وذكره مرة أخرى، ص ١٢٣ برورا قوطوس.

(٦) هو أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا (ت: ٣٢٠هـ)، صاحب كتاب الحاوي في الطب، طبعة حيدر آباد، الدكن، الهند، سنة ١٩٥٥م-١٩٦٥م، وله كتاب (النبات)، عمدة الطبيب، ص ٣٥٥.

(٧) هو إسحاق بن سليمان الإسرائيلي صاحب كتاب (الأغذية) طبعة فؤاد سزكين، ألمانيا الاتحادية (١٩٨٥م).

(٨) هو ثابت بن قُرَّة الصابي (ت: ٢٨٩هـ)، له كتاب النبات وجوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس. انظر: عمدة الطبيب لأبي الخير الإشبيلي، ص ٦٧٦، وله شروح على مقالة أرسطو في النبات.

(٩) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (٢٨٢هـ)، صاحب كتاب النبات، نشر القسم الأول منه برنار لوين (١٩٥٣م)، وحقق القسم الثاني محمد حميد الله، المعهد الفرنسي، القاهرة، ١٩٧٣م.

واعتمدتُ أيضاً مع ذلك على ما استحسنته مما تَضَمَّنَه الكُتُب المذكورة بعد هذا، منها: كتاب الفلاحة النبطية^(١)؛ تأليف: قوثامي، وهو مبني على أقوالِ جُلَّةِ الحكماء وغيرهم، وذكر فيه أَسْمَاءَهُمْ وَعَدَدَ مِنْهُمْ: آدم^(٢)، وصَغرِيث، وَيَنْبُوشَاد، وَأَخْنُوخَا^(٣)، وماسي^(٤)، ودَوَانَاي^(٥)، وطامثري^(٦)... وغيرهم.

وربما اختصرتُ ذكر هذا الكتاب، وأثبتُّ له علامة وهي (ط).

وعلى كتاب الشيخ أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن البصَّال الأندلسي^(٧) [ت: ٤٦٧هـ] (رحمه الله) وهو المبني على تجاربه... وعلامته على وجه الاختصار (م).

(١) ترجمة ابن وحشية، أبي بكر، أحمد بن علي بن قيس الكسداني (القرن الرابع الهجري)، وحققه توفيق فهد، دمشق، ١٩٩٣م.

(٢) ذكر باسم آدمي وآدم النبي، ورسول القمر البابلي.

(٣) ذكر باسم أخنوخا وأنوحا النبي، وأنوخا نبي القمر.

(٤) ذكر أيضاً باسم ماسي السوراني السوفسطائي، وهو من سدنة هيكل المشتري.

(٥) دَوَانَاي سيد البشر، وسيد الناس، وقال قوثامي هو أقدم من آدم.

(٦) هو طامثري الكنعاني الحبوشي وورد باسم طَمَاثَرَى أيضاً.

(٧) جاء اسمه مصحفاً "الفصال" واسم كتاب ابن بصَّال: القصد والبيان، ونشره (باسم كتاب الفلاحة) خوسي ماريا مياس ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥م.

وعلى كتاب الشيخ الحكيم أبي الخير الإشبيلي^(١) (رحمه الله) وهو
مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين، وعلى تجاربه، وعلامته
(ع).

وكتاب الحاجّ الغرناطي^(٢)، وعلامته (ع).

وكتاب ابن أبي الجواد.

وكتاب عريب بن سعد^(٣)... وغيرهم.

(١) أبو الخير الإشبيلي له كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات، حققه: محمد الخطابي،
الرباط ١٩٩٠م، وكتاب في الفلاحة، حققه: التهامي الناصري الجعفري، فاس
١٣٥٧هـ، وله كتاب النبات والأدوية المفردة. مقدمة عمدة الطبيب.

(٢) الحاج الغرناطي ويدعى بابن حمدون الإشبيلي لإقامته فيها، وهو: أبو عبد الله، محمد
بن مالك المعروف بالتغنري نسبة إلى بلد (تغنر) من أعمال غرناطة؛ له كتاب:
زهر البستان ونزهة الأذهان، وهو لا يزال مخطوطاً (انظر: مقدمة كتاب الفلاحة
لابن بصال، ص ١٦)، ومجلة تمودة (١٤) سنة ١٩٥٣م.

(٣) المتحف وباريس ومدريد (تصحيف) غريب ابن سعد. وهو عريب بن سعد (ت:
٣٦٩هـ) من أهل قرطبة، طبيب مؤرخ، استعمله الناصر سنة (٣٣١هـ) على
كورة أشونة، وارتفعت منزلته عند الحاجب المنصور أبي عامر، فسماه: خازن
السلّاح.

له في الطب كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين وكتاب: تقويم قرطبة.
واسمه في الذيل والتكملة والصلة عريب بن سعيد. انظر: تاريخ الفكر الأندلسي،
ص ٢٠٦، ٤٨٩، وأعلام الزركلي: ٢٢٧/٤.

وَنَقَلْتُ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ أَيْضاً مَا أَلْفَيْتُهُ مَنَسُوباً إِلَى الْحُكَمَاءِ
 الْمَذْكُورِينَ بَعْدَ هَذَا، وَهُمْ: دِيمَاط... وَعَلَامَتُهُ (د)، وَجَالِينُوسُ^(١)...
 وَعَلَامَتُهُ (ج)، وَانْطَرَلْيُوسُ^(٢) الْإِفْرِيْقِي، وَعَلَامَتُهُ (ف)، وَالْفُرْسُ...
 وَعَلَامَتُهُمْ (ب)، وَعَلَامَةُ قَسْطُوسَ (ق) وَكَسِينُوسَ (ك) وَعَلَامَةُ أَرْسَطُو
 طَالِيسَ (ط)، وَعَلَامَةُ مَهْرَارِيسَ^(٣) الْيُونَانِي (م).

وَأَخْبَرَ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ فِي التَّارِيخِ أَنَّ مَهْرَارِيسَ الْيُونَانِي كَانَ مِنْ
 الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ، وَأَنَّهُ عُمِّرَ ثَمَانِمِائَةَ سَنَةٍ.
 وَسُقْتُ نَصَّ أَقْوَالِهِمْ عَلَى حَسْبِ مَا وَضَعُوهَا فِي كُتُبِهِمْ، وَلَمْ أَتَكَلَّفْ إِصْلَاحَ
 أَلْفَاظِهِمْ.

وَنَقَلْتُ أَيْضاً أَقْوَالَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَلَمْ أَسْمِّهِمْ،
 وَكُنَيْتُ عَنْهُمْ بِأَن كَتَبْتُ: قِيلَ كَذَا... وَقَالَ غَيْرُهُ: كَذَا... طَلَباً
 لِلِاخْتِصَارِ.

وَلَمْ أُثَبِّتْ فِيهِ شَيْئاً مِنْ رَأْيِي إِلَّا مَا جَرَّبْتَهُ مَراراً فَصَحَّ.

(١) لَهُ كِتَابُ الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ فِي إِحْدَى عَشْرَةِ مَقَالَةٍ. الْقَفْطِي، ص ١٣٠، وَابْنُ أَبِي
 أَصْبِيْعَةَ، ص ١٤٥، وَقَدْ نَقَلَ مَوْلاَفَاتِهِ الْيُونَانِيَّةَ إِلَى السَّرْيَانِيَّةِ، سَرْجِيسَ (ت:
 ٥٣٦م)، وَهُوَ أَحَدُ الْيَعَاقِبَةِ.

(٢) الْمَقْنَعُ، ص ٦، ١١، ١٢، ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٥٤.

(٣) الْمَقْنَعُ: مِنْهَارِيسَ، ص ١٢٣.

وقسَّمتُ هذا التأليف على سِفَرَيْن:

ضَمَّنْتُ الأول منهما: معرفةَ اختيار الأَرْضَيْن، والزُّبُول، والمياه،
وصفة العمل في الغِرَاسَةِ والتَّركيب، ومِمَّا يَتَّصِلُ بذلك مِمَّا هو في معناه
ولاحق به.

وضَمَّنْتُ السِّفْرَ الثاني: الزَّرَاعَةَ وما إليها، وفلاحة الحيوان.

والله المستعان، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وقدَّمْتُ في فلاحة الأرضين ما أثبتته الشيخ الخطيب؛ أبو عمر بن
حَجَّاج (رحمه الله) في كتابه من آراء القدماء المذكورين في ذلك.
وتَابَعْتُهُ بما نَقَلْتُهُ من كتاب "الفلاحة النبطية" مِنْ أَقْوَالِ الْقَدَمَاءِ
الْمَذْكُورِينَ فِيهِ، وجعلته كالأَصْلِ لَشُهْرَتِهِمْ فِي الْعُلُومِ، ولم أَقْطَعْ بَأَنَّ ذَلِكَ
يَصِحُّ فِي بِلَادِنَا لُبْعَدِ بِلَادِهِمْ عَنَّا.

وَتَمَمْتُ الْعَرَضَ الْمَقْصُودَ إِلَيْهِ بما نَقَلْتُهُ مِنْ كُتُبِ الْفَلَاحِينَ
الْأَنْدَلُسِيِّينَ^(١)؛ إِذْ مَا جَرَّبُوهُ فِي ذَلِكَ، وما وافق أقوالهم فيه آراء القدماء،
هو الذي يَصِحُّ عِنْدَنَا — إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وبه التَّوْفِيقُ.

* * *

(١) لم ينقل ابن العوام من الفلاحين فقط دون غيرهم من الأطباء وأصحاب الأغذية، من مثل:
إسحق بن سليمان الإسرائيلي، وابن الجزار، وابن عاصم، وابن البيطار، وابن جليجل،
والزهراوي، وابن سميحون، وابن ماسة، وابن وافد، وابن اللونقة، وابن عبدون وغيرهم.

[الـ]... فصل [الثامن]

مُقَدِّمَةٌ [المصطلحات المستخدمة]

قال قوثامي في "الفلاحة النبطية" في شرح ما يأتي ذكره^(١):
"الْقَدَمُ" المذكورة فيه، في قَدَرٍ عُمَقِ الأَرْضِ، وحَفَرِها لِلْغَرَاسَاتِ، وشبه ذلك: أَنَّ كُلَّ قَدَمَيْنِ ذِرَاعٌ وَاحِدَةٌ وَأَزِيدَ قَلِيلًا مِنْ شِبْرِ، ورُبُّمَا كان ذِرَاعًا وشِبْرًا تامًا.

وَأَنَّ "النَّبْشَ"^(٢) المذكور فيه: هو المستعمل في عمارة الأشجار، وهو الكَشْفُ عن أَصُولِها، على حَسَبِ الْمُعْتَادِ في ذلك.

وَأَنَّ "الطَّمْرَ"، هو رَدُّ التُّرَابِ فيه، وَأَنَّ "المَشَقَّ"^(٣): هو الحَفَرُ الخَفِيفُ، وَأَنَّ "التَّرْوِيحَ"^(٤)، نحو "التَّقْلِيمِ"، وَأَنَّ "الْكَمْحَ"^(٥) يرادُّ به "الزَّبْرَ" وشِبْهُهُ، وَأَنَّ "الكَفَّ" إذا لم يُفَسَّرْ قَدْرُهُ؛ فالمراد به عَشْرُ حَبَّاتٍ.

(١) لم يفرد قوثامي للمصطلحات باباً في الفلاحة النبطية، وإنَّما جاءت متناثرة غير مقصودة.

(٢) النَّبْشُ: الفلاحة النبطية: ٢٢٧/١، ٢٣٠، ٦١٤؛ ٢/٨٨٠، ٩٠٢، ٩٥٧، ٩٦٥، ٩٨٠، ٩٩٦، ١٢١١، ١٢١٢.

(٣) اللسان، مادة (مشق) قال قسطا بن لوقا: المشق: الحفر الخفيف. الفلاحة الرومية، ص ١٤٤.

(٤) قال آدم: نَفَسُوا عن الشجرة تقوى وتصحَّ، ورَوَّحُوا تعظم ثمارها، وتكثر وتجدو، وإنما عني به النبش حول الشجر، ورد التراب المنبوش مَخْلُطٌ بالزبل. الفلاحة النبطية، ص ١٢١٢.

(٥) الكَمْحُ والزَّبْرُ: حثو التراب وهيله في الحفرة. احثُّ في فيه الكَوَمْحُ، والكَيْحُ: التراب. الفلاحة النبطية: التزير: ١/٩٦، ٣٧٨، ٣٩٩. وفي المقنع، ص ٢١: غروس الكروم لا تزير إلا بعد ساعة من النهار إلى عشر ساعات؛ وكأن معنى التزير هنا التقليل.

قال أبو عبد الله بن البصّال في كتابه^(١): إِنَّ "الْفَقَّةَ" المذكورة فيه
تَسَعُ نحوِ نَصْفِ قَفِيزِ قُرْطُبي، وَإِنَّ "الحَوْضَ" المذكور فيه طُولُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ
ذِرَاعاً، وَعَرْضُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ^(٢)، فما يَرِدُ في هذا التّأليفِ مِمَّا ذكرنا فوق
هذا فتفسيره ما تقدّم، وأغراض أبواب هذا التّأليف على ما يَتَفَسَّرُ -إنْ
شاء الله (تعالى)-.

* * *

(١) انظر كتاب ابن بصّال؛ الفلاحة (القصد والبيان)، ص ٧١ (معهد مولاي الحسن، تطوان،
١٩٥٥ م).

(٢) المتحف وباريس ومدريد: اثنا عشر ذراعاً وأربعة أذرع.

[الـ]... فصل [التاسع]

[أبواب الكتاب]

[أبواب الجزء الأول]

الباب الأول: في معرفة الطيب من أنواع الأرض، والوسط، والدُّون منها، بدلائل ذلك وشواهده، وذكر طبائعها، وتسمية ما يصلح أن يُزرع أو يُغرس في كل نوع منها، وما يجوز فيه، وفيه دلائل في معرفة النوع من الأرض التي لا تصلح أن يُزرع أو يُغرس فيها، وتسمى الأرض المَهْمَلَة.

الباب الثاني: في ذكر الزُّبول، وأنواعها، وتديرها، ومنافعها للأرض والشجر، وسائر النباتات، ووجه استعمالها، وما يصلح منها بكل نوع من أنواع الأرض، وبكل نوع من المعروضات والمزروعات فيها. وفيه تسمية الأشجار والخضر، وأنواع الأرض التي يصلح بها^(١) الزُّبل، وتسمية ما لا يحتملها منها، ولا يصلح بها.

الباب الثالث: في ذكر أنواع المياه المستعملة في سقي الأشجار والخضر، وما يوافق من أنواعه كل نوع من ذلك. وفيه صفة العمل في فتح البئر في الجنات لسقيها، ووقت ذلك، واستنباط المياه، وقودها^(٢) من

(١) المتحف ومدريد: تصلح بها الزبل.

(٢) المتحف وباريس ومدريد: فودها. قال ابن حجاج، ص ٧، قال فيلون البيزنطي في كتابه في (قود المياه)، وشرح هذا الكتاب ويّنه أبو يوسف، يعقوب بن إسحق الكندي، وهو أحسن كتاب ألف في هذا المعنى، ولعل اسم المؤلف مصحّف عن (أفليمون).

كتاب أفليمون^(١)، ومن غيره، وما يلحق به، وصِفَةُ العمل في تعديل أرض الجنات^(٢) لجري الماء عليها.

الباب الرابع: في اتِّخَاذِ البَسَاتِين، وترتيب غِرَاسَةِ الأشجار فيها على أحسن وجه^(٣)، والاختيارات في ذلك.

الباب الخامس: في صفة العمل في اتِّخَاذِ الأشجار، وأنواع الثَّمَرِ في البَعْلِ، وعلى السَّقْيِ، وفيما لا يَسْتَعْنِي غَارِسُهَا عن معرفته، وفيه معرفة أوقات غِرَاسَةِ الأشجار، ووجْهَ العَمَلِ في غِرَاسَةِ نَوَى ثَمَرِ الأشجار، وفي غِرَاسَةِ حُبُوبِ ثَمَارِهَا، وفي غِرَاسَةِ المُلُوخِ^(٤) منها، وغِرَاسَةِ الأَوْتَادِ والعُيُونِ منها، وفي غِرَاسَةِ القُضْبَانِ النَّابِتَةِ في أَصُولِهَا، وتُسَمَّى "النَّوَامِي"^(٥)، وكَيْفِيَّةَ العَمَلِ فِي تَكْيِيسِهَا^(٦)، وفي

(١) أفليمون: من علماء اليونان، له كتاب في الفِرَاسَةِ، طبع في حلب سنة (١٣٤٧هـ)، ونقل عنه ابن حجاج في المقنع (ص ٧١)، قال: قال أفليمون في كتابه: "في فِرَاسَةِ الحِمَامِ وتَحْيَرِهَا".

(٢) مدريد: تعديل الجنات.

(٣) المتحف وباريس: أحسن الوجه.

(٤) المُلُوخ: القُضْبَاتِ التي تجتذب قَبْضاً بالأيدي، وتُنْتَرَعُ من أَصُولِهَا.

(٥) هو ما يسمَّى الفسائل في أشجار النخيل.

(٦) التكييس غير التغطيس؛ لأن التكييس ما هبط من أعلى الدالية إلى الأرض في أسفلها ويبقى القُضْبِيبُ يَغْتَذِي من الشجرة عامين، وبعد ذلك يكتفي بنفسه ويغتذي بعروقه، عندئذٍ تقطع التكايبس التي تساق من أعلى الدالية. أما التغطيس فيُحْفَرُ حول الدالية وتغطس

إِقْلَاب^(١) جَفَان^(٢) الْأَعْنَابِ وَتَغْطِيسِهَا، وَكَيْفِيَّةَ الْعَمَلِ فِي نَوْعٍ مِنْ ذَلِكَ يُسَمَّى "الاسْتِسْلَاف"^(٣)، وَتَدْبِيرَ النَّوَى وَالْحَبِّ وَالْمُلُوحِ وَالْأَوْتَادِ وَالْعُيُونِ الْمَذْكُورِ غِرَاسَتُهَا، وَغَيْرَهَا مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، حَتَّى تَدْرُكَ وَتَكْمُلَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ (تَعَالَى) وَتَقْدِيرِ عُمُقِ الْحَفْرِ لِلْغِرَاسَاتِ، وَطَوْلِهَا، وَعَرَضِهَا، وَقَدْرِ الْبُعْدِ بَيْنَهَا.

* * *

قَضْبَانِهَا فِي التَّرَابِ، وَتَخْرُجُ رُؤُوسُهَا، وَلَا تَقْطَعُ، وَتَبْقَى عَلَى حَالِهَا حَتَّى تَنْبِتَ جَفَانًا جَدِيدَةً بَدَلَ الْقَدِيمَةِ. انْظُرْ: ابْنُ بَصَّالٍ، ص ٧٧-٧٨.

(١) الإقْلَابُ: هُوَ التَّغْطِيسُ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ.

(٢) الْجَفْنَةُ: هِيَ الدَّالِيَةُ نَفْسُهَا أَوْ شَجَرَةُ الْعَنْبِ.

(٣) الْاسْتِسْلَافُ: مِنْ سَلَفَ الْأَرْضَ إِذَا سَوَّاهَا بِالْمُسْلَفَةِ لِلزَّرَاعَةِ، وَهِيَ آلَةُ تُسَوَّى بِهَا الْأَرْضُ بِأَنْ تَكْسَرَ مَدْرُهَا وَمَا خَشَنَ مِنْ تَرَاهِهَا لِلزَّرَاعَةِ.

وَالْاسْتِسْلَافُ عَمَلٌ تَكْتَرُّ بِهِ الْأَشْجَارُ شَبِيهِهُ بِالتَّكْبِيسِ. انْظُرْ هَذَا الْكِتَابَ الْفَصْلَ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْبَابِ الْخَامِسِ.

وَيُرِيدُ هُنَا: زِرَاعَةَ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ الَّتِي يَنْبِتُ مِنْهَا عُرُوقٌ تَغْتَذِي مِنْهَا.

[أبواب الجزء الثاني]

الباب السادس: في صِفَةِ الْعَمَلِ فِي غِرَاسَةِ الْأَشْجَارِ الْمُطْعَمَةِ،
والأَبْقَالِ الْمُدْرَكَةِ بِالْقَوْلِ الْجُمْلِيِّ فِي ذَلِكَ، وفيه تَجَارُبُ فِي غِرَاسَةِ بَعْضِهَا،
وتدبير غِرَاسَاتِ الْأَشْجَارِ، وفيه اختيارات في أَوْقَاتِ الزَّرْعَاتِ
وَالْغِرَاسَاتِ، وَالْكُسَاحِ^(١)، وَقَطْعِ الْقُضْبَانِ لِلتَّرْكِيبِ وَالْإِنْشَابِ^(٢)،
وَالْقِطَافِ، وَقَطْعِ الْخَشَبِ، وَشِبْهِ ذَلِكَ.

الباب السابع: في تَسْمِيَةِ الْأَشْجَارِ الْمُعْتَادِ غِرَاسَتِهَا فِي أَكْثَرِ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ، وَتَقْدِيرِ أَنْوَاعِهَا، وَوَصْفِ بَعْضِهَا، وَصِفَةِ الْعَمَلِ فِي غِرَاسَةِ كُلِّ
شَجَرَةٍ مِنْهَا، وَذَكَرَ مَا يَصْلُحُ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَرْضِ، وَمِنْ السَّقْيِ
بِالْمَاءِ، وَالتَّزْيِيلِ، وَسَائِرِ التَّدْبِيرِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ فِي ذَلِكَ شَجَرَةَ شَجَرَةٍ،
وَهِيَ هَذِهِ - وَقَدَّمْتُ فِي تَسْمِيَتِهَا الْجَبَلِيِّ مِنْهَا، ثُمَّ الرَّيْفِيِّ مِنْهَا، ثُمَّ السَّهْلِيِّ -
وَالْأَشْجَارَ الْمَذْكُورَةَ: الزَّيْتُونُ، وَالرَّيْثَانُ، وَالْبَلُّوطُ، وَالْكُمَثْرَى،
وَالْفُسْتُقُ، وَحَبُّ الْمُلُوكِ، وَالْخَرْبُوبُ، وَالرَّيْحَانُ، وَالْجَنْاءُ الْأَحْمَرُ^(٣)،

(١) الْكُسْحُ وَالْكُسَاحُ: التَّقْلِيمُ. انظر: المقنع، ٢٣، ٢٨، ٦٤، ٩٦، ٩٧، ١٠١.

(٢) الْإِنْشَابُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّرْكِيبِ، وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: الشَّقُّ وَالْأَنْبُوبُ وَالرَّقْعَةُ وَالرُّومِي.
انظر: ابن بَصَّال، ص ٩٥ وما بعدها.

(٣) زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الْجَنْاءَ الْأَحْمَرَ هُوَ الْبُقْمُ، ثَمَرُهُ مَدْحَرَجٌ أَجْعَدٌ، عَلَيْهِ خَشُونَةٌ فِي قَدَرِ
الْبُنْدُقِ، وَلَا نَوَى لَهُ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ، يُصْنَعُ مِنْهُ خَلٌّ ثَقِيفٌ أَحْمَرُ
يَنْبِتُ جِهَةَ إِشْبِيلِيَّةٍ. (عمدة الطبيب، ص ١٧٥).

والصَّرْف^(١)، والقَسْطَل^(٢)، والمُشْتَهَى^(٣)، والمُصْع^(٤)، والرَّمَّان،
الْجُلْنَار^(٥)، واللَّوْز، والصَّنَوْبَر، وقَضْم قريش^(٦)، والسَّرْو، والعَرَعَر،

وقيل: هو القُطْلَب أو المشمش البري، وشجر الدُّبِّ، والعَفَّار والْقَيْقَب، ويسمى قاتل
أبيه؛ لأنَّ نبتة وثمره لا يجفان حتى يطلع آخران. (أحمد عيسى: معجم أسماء النبات،
ص ١٩، دار الرائد، بيروت).

- (١) الصَّرْف: هو العَنَدَم والبَقَم، وقيل: هو البَقَم الهندي. (معجم أسماء النبات، ص ٣٦).
- (٢) هو قَسْطَل وقَصْطَل وقِسْطَل: وهو الشاهبلوط (بلوط الملك) أو (أبو فروة). معجم أسماء
النبات، ص ٤٣، وعمدة الطبيب، ص ٦٩٤.
- (٣) أهل سرقسطة يسمون المُشْتَهَى زُعروراً، وقيل: هو الإحاص الشتوي. والزعرور كثير ببلاد
الروم، ويعرف بسرقسطة بالمشتهى. عمدة الطبيب: ٣٦٠-٣٦١.
- (٤) المَصْع: ضرب من الزعرور، شجره كشجر الكُمَثْرَى البري، له حَبٌ مدوّر قدر حَبِّ
العُنَّاب، ولشجره صمغ. ذكر أبو حنيفة أنَّ المَصْع هو ثمر العَوْسَج. انظر: العمدة،
ص ٤٩٢، وجامع ابن البيطار: ١٦٠/٤، وملقطات حميد الله، ص ٢٧٤، ومعجم أسماء
النبات، ص ١١٢.
- (٥) الْجُلْنَار: هو الرَّمَّان الذَّكَر. عمدة الطبيب، ص ١٦٩.

وقيل: هو رَمَّان البرِّ ينوّر ولا يعقد، وقيل: هو الإمليسي الذي لا عجم له، ونوره جُلْنَار:
وتأوليه زهر الرمان.

- (٦) قَضْم قريش هو عود اليُسْر أو عود المُقْلَة. وقيل: هو خَرَنُوب الكلب وخروب الجوز،
وهو الينبوت والصلوان والغاف. وسمّاه الرازي في الحاوي "قم قريش". ابن البيطار:
١٤١/١.

وقيل: هو التَّنُوب وهو أنثى الصنوبر وبالفارسية كَرَكِر، وثمره يسمّى قَضْم قريش والحبة
الخضراء. معجم أسماء النبات، ص ١٣٩.

والأَبْهَل^(١)، والتَّيْنِ، والذُّكَّار^(٢)، والثُّوت، والجَوْز، والوَرْد، والياسمين،
والخَيْزُرَان، والظَّيَّان^(٣)، والأُتْرُج، والنَّارَنْج، والزَّنبُوع^(٤)، واليَّمُون،
وشَجَر العُبَيْرَاء^(٥)، والدَّاذِي^(٦)، والكَاذِي^(٧)، والسَّفَرَجَل، والثُّفَّاح،
والْمَيْس^(٨)، والأَزَادِرْخَت^(٩)، والنَّشَم^(١٠) الأسود والأبيض، والحَوْر

(١) الأَبْهَل والإَبْهَل: صنف من العَرَعَر، وقيل: العَرَعَر الكبير الذَّكَر، وهو الضَّيْر، ومنه صنف آخر يسمى الأَبْهَل الهندي.

(٢) الذُّكَّار: التين البرِّي؛ لآله تُذَكَّر به البساتين، وأما النوع الجبلي فهو الجُمَيْر (أو التين الأحمر). عمدة الطبيب، ص ١٤٨.

(٣) هو طَيَّان وطَيُون. معجم أسماء النبات، ص ٩٩. وأظنه مصحَّف من الظَّيَّان (بالطاء).

(٤) الزَّنبُوع: هو الليمون. وقيل: هو ثمر الليمون الهندي الكبير. معجم أسماء النبات، ص ٥١.

أما الزنبوج فهو الزيتون البري، ويسمى العُتْم أيضاً. عمدة الطبيب، ص ٣٥٧.

(٥) العُبَيْرَاء: هو العُتَاب والظَّمْخ والزَّيْزَفُون وشجرة إبراهيم. معجم أسماء النبات، ص ١٥١.

(٦) الدَّاذِي هو فاريقون وحشيشة القلب، وأنس النَّفْس. عمدة الطبيب، ص ٢٨٥.

(٧) هو كاذي (بالهندية) وكادي وكَدَر، وكيرج (بالفارسية)، وهو شجر يشبه النخل، وله دهن معروف، وقيل هو الكُنْدُر، الأنطاكي، داود بن عمر: تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، ص ٢٦٥ (المكتبة الثقافية، بيروت).

(٨) المَيْس (عربية) هو اللُّوطس والكَرَّكاس: شجر لَّيْن.

(٩) الأزاديرخت: هو العلقم ولثمره حنظل، عظيم الخشب نواه كالبنق وورقه كالذُّفلى قاتل للحيوانات يشبه الصفصاف. تذكرة الأنطاكي: ٤٢/١.

(١٠) باريس: القسم، والمتحف البريطاني: القسم (أيضاً)، والصواب النَّشَم وهو الدَّرْدَار والبَقَم الأسود وشجرة البق والبعوض وسنبل الكلب.

الرُّومي، والصَّفَصاف، والمُشمش، والخوخ، والإجاص، والنخل، والعنب،
والبنْدُق، وقَصَب السُّكَّر، والمَوْز، وقَصَب النَّشَّاب^(١)، والدَّرْدَار^(٢)،
والصُّفَيْرَاء^(٣)، والدُّفْلَى، والعُلَيْق، والوَرْد الجَبَلِيّ، والعَوْسَج،
والأَسْفَاراج^(٤)، والكَبَر^(٥).

* * *

(١) المتحف: الساب، باريس: السان، والصواب: النَّشَّاب. قال الرازي: هو قصب أجوف
يسمى زَغْرًا. عمدة الطبيب، ص ٣٦٣، والقصب أنواع، منه الصيني والفارسي والسياسي
وقصب الهند والقصب المصري، وقصب السكر.

(٢) الدردار: هو النَّشْم والبَقَم (سبق ذكره).

(٣) الصُّفَيْرَاء: هو عود القيسة، وعود الخير. وقيل: هو نوع من الخلّاف والأرطى. وقيل: هو
نوع من العَوْسَج والدُّلْب والبَقَس. عمدة الطبيب، ص ٥٧، ٦٤، ٦٦، ١٢٦، ٢٩٤،
٢٩٥، ٤٣٦، ٥٣٣، ٥٤١.

(٤) هو أَسْفَاراج وأَسْفَرَاغ وأَسْفَرَاغس (يونانية) وهو هِلْيُون وأُذُن الحُلُوف. معجم أسماء
النبات، ص ٢٤.

واسمه بالسريانية ماسونج، وفي عمدة الطبيب، ٨١٤: إسْفَارَج. وانظر: جامع ابن البيطار:
١٩٥/٤.

(٥) الكَبَر: نوع من الجنبة، له زهر أبيض وأغصان رقاق بيض مشوكة: وشوكها مثل شوك
العُلَيْق، والكبر يعرف بالكرمة السوداء، وثمره الشَّفَلَح. وقيل هو العكر واللَّصَف والقُبَّار.
عمدة الطبيب، ص ٣٩٧.

[أبواب الجزء الثالث]

الباب الثامن: في تركيب^(١) الأشجار المؤتلفة المتَّفقة بعضُها في بعض، ومعرفتها، وفيه معرفة أوقات التَّركيب، وفيه كَيْفِيَّة العَمَل في قطع الأشجار كذلك، وصفة العمل في صيانة التراكيب، وفيه كَيْفِيَّة العمل، واختيار الأقلام للتَّركيب، وكَيْفِيَّة بَرِّي الأقلام لذلك، وصفة العَمَل في التركيب النَّبطي، وهو الذي يعمل بالشَّقِّ في أعلى الشجرة، وفي أصلها، وفي عُروَقها أيضاً، وفيه صِفة العَمَل في التركيب الرُّومي، وهو الذي يعمل بَيْنَ القَشْرَةِ والعُود في أعلى الشجرة، وفي عروَقها، وفي أصلها أيضاً.

وصفة العَمَل في التركيب الفارسي؛ وهو الذي بالأنبوب في أعلى الشَّجرة، وفي عُروَقها أيضاً، وفي تركيب أشجار الفواكه بالأنبوب.

وصفة العَمَل في التركيب اليوناني؛ وهو الذي يُعْمَلُ بالمرقعة^(٢) المُستطيلة؛ [التي] تشبه ورقة الرِّيحان، وبالمرقعة المُرَبَّعة، وبالمرقعة المُستديرة أيضاً، وصفة العَمَل بالإنشَاب بالثَّقْبَةِ، وفيه العمل في إنشَابِ شَجَرَةٍ في

(١) ذكر ابن بَصَّال من أنواع التركيب: التركيب بالقلم الرومي، والتركيب بالشق والأنبوب والرقعة والإنشَاب. كتاب الفلاحة، ص ٩٥ وما بعدها.

وذكر أبو الخير الإشبيلي (الفلاحة، ص ١٣٠-١٣١) من أنواع التركيب: التركيب بالشق والترقيق والقنوط، والقشر والشق الرومي وبالفرخنة، وتركيب البرنية أو الثقب وتركيب الضغط.

(٢) ابن بَصَّال: تركيب الرُقْعَةِ... أبو الخير: تركيب الترقيق.

أخرى، فُثْمِرُ تلك الشجرة ثَمَرَهَا الْمُعْتَاد، وَتُثْمِرُ الأخرى التي تُنْشَبُ فيها؛
فيكون الأصل واحدٌ، والثمرُ مُخْتَلَفٌ.

وكيفية العمل في الإنشَاب بالثَّقْب أيضاً في أصل الشجرة تحت
الأرض وفوقه، وفي أغصانها أيضاً.

وفيه كيفية العمل في التركيب الأعْمَى، وفيه صفات تُشَبُّهُ
التركيب، وذلك تَفْلِيحُ نوى وَحَبٍّ في بعض أنواع النَّبات؛ منها: الْقَرْعُ
في الْعُنْصُلِ^(١)، والقِثَاء في لسان الثور^(٢)، والبَطِّيخ في العَوْسَجِ^(٣)، وفي
عروق السُّوس^(٤)، وفي الثُّوت، وفي شَجَرِ التِّين، وشبه ذلك، وقولُ جامعٍ
في لواحق التركيب، وتَنْبِيهاتٌ على ما لا غِنَى عنه فيه، وقولُ قَدَرٍ
أَعْمَارُ الأشْجَارِ.

(١) الْعُنْصُلُ: من أنواع البصل، يسمَّى: بصل الفأر وبصل الخنزير، ويسمى أَشْقِيل،
منابته الرمل، والأرض الرقيقة، ومنه نوعان: أبيض وأحمر، والأبيض في العلاج
أجود. انظر: جامع ابن البيطار: ١٣٨/٣، وعمدة الطبيب، ص ٥٨٠-٥٨١.

(٢) لسان الثور: هو الحِمَج والكُحْلَاء. المقنع، ص ٦، ١١١.

(٣) العَوْسَج: شجر ينبت في السِّبَاخ، وله أغصان قائمة مشوكة، وثمر أحمر فيه حموضة
يقال له الجلهم والفرقد. ابن البيطار: ١٤٢/٣، وعمدة الطبيب، ص ٥٩٩-٦٠٠،
قال أبو الخير: منه عوسج أبيض وأحمر وأسود.

(٤) شجرة السُّوس، وعرق السُّوس، وعود السُّوس: هي ما يسمى بشجرة الفُرس وعرق
الفرس، وبالفارسية بنج مهك (أي: عرق أو جذر السوس) معجم أسماء النبات،
ص ٨٨، والمقنع، ص ١١، ١٤، ١٦، ٢٢، ٣٣.

الباب التاسع: في صفة العمل في تقليم الأشجار، ووقت ذلك، وذكر ما يحتمل ذلك منها، وما لا يحتمله، وفيه العمل في زبر الكروم^(١) والعرائش، وفيه تنقية الكروم^(٢) قبل زبرها، وذكر ما ينمي الأشجار، ويزيد في أعمارها بمشيئة الله (تعالى).

الباب العاشر: في كيفية العمل في عمارة^(٣) الأرض المغترسة على حسب ما يصلح بها وبالأشجار المغترسة فيها، ووقت ذلك، واختياره، وذكر الصفة التي تصلح أن تكون عليها الأرض في وقت العمارة، وتسمية الأشجار التي توافقها كثرة العمارة والتي لا توافقها كثرة العمارة، والتي لا توافقها أكثر منها، وفيه اختيار الرجال لأعمال الفلاحة.

الباب الحادي عشر: في صفة العمل في تزليل الأشجار والأرض المغروسة وغير المغروسة، وما يوافق كل نوع منها من الزبول، وعلاج الأرض المألحة، وقدر الزبل، ووقته، وكيفية تزليل الأشجار بحسب حالها وحال الأرض التي هي مغروسة فيها.

(١) زبر الكروم وتزويرها: تقويم أغصان الجفنة، وتسوية عمود الكروم وتنقية الأعشاب والحلفاء منها، والكشف عن الجذور، وهيل التراب المخلوط بالزبول مكانه.

(٢) المقصود بالتنقية تشذيب الأغصان المعوجة، وإزالة الأغصان المريضة أو الضعيفة أو اليابسة.

(٣) عمارة الأرض: حرثها وتزليلها، وتسويتها، وهيئتها للغرس والزرع.

الباب الثاني عشر: في صفة العمل في سقي الأشجار والخضر بالماء، ووقت ذلك، وقدره، وذكر الأشجار التي يصلحها السقي الكثير، والأشجار التي لا تحتمله.

الباب الثالث عشر: في تذكير^(١) الأشجار الآتي ذكرها؛ وهي: الذُّكَّار^(٢)، والْبَاكُور^(٣)، والتَّين، والخَوْخ، والرُّمَّان، وشجر المُشْتَهَى، والْكُمَثْرَى، وحبّ الملوك؛ وهو القَرَّاسِيَا، واللُّوز، والحُور، والفُسْتَق، والمُشْمَش، والزَّيتون، والثَّقَّاح، والقَسْطَل، والوَرْد، والنَّخْل، والأُتْرُج، والتَّارَنج^(٤)، وعيون البقر^(٥). وكيفية العمل في ذلك، وفي إفلاح الأشجار ليعظم ثمرها ويحلوا مطعمها، وتكثر المائبة الحلوة [فيها] ويزيد بمشيئة الله (تعالى) حملها، وفيه ذكر الأشجار المتحابّة والمتنافرة، وفائدة ذلك أن يتباعد بين المتنافرة في الغراسة.

(١) تذكير الأشجار: أن تُطعم الأشجار بثمرها، ومنه الفَحَّال للنَّخْل بمنزلة الذُّكَّار لشجر التين.

(٢) الذُّكَّار: التين الذَّكَر البرِّي يسمى بالذُّكَّار لأنه يذكرُّ به البساتين. العمدة، ص ١٤٨.

(٣) الباكور: التين الذي ينضج قبل غيره من أنواع التين الريفي والجبلي والسهلي والبرِّي، والملاحى والوحشي والأزغب والبرجين والفاخر والقرطي والجعفري والملجي والشعري والزَّنْقَال والعسيلي. عمدة الطبيب، ص ١٤٧-١٤٨، ويسمى بكير التين الفخيث والدَّخِيس. العمدة، ص ٩٤.

(٤) التَّارَنج: البرتقال. انظر: المقنع، ص ١١١.

(٥) عيون البقر: هو البرقوق والشاهلوك. معجم أسماء النبات، ص ١٤٩.

الباب الرابع عشر: في علاج الأشجار والخضر التي [تَمَّ] ذكرها من الأدواء، والأمراض إن نزلت بها، وهي: التفاح، والإجاص، والتارنج، والأترج، والليمون، والزنبوع^(١)، والعنب، والتين، والثوت، والزيتون، والرمان، والخوخ، والسفرجل، واللوز، والجوز. وفيه علاج البقول والخضر، وذكر ما يُعالج به الحمج، والتحير^(٢) والتوقف^(٣)، والتفريع^(٤)، وصفة الورق، ووصف ما يطرد النمل، ويدفع مضرته، وما تُعالج به الأشجار من الصير والجلد والريح السوء، وعلاج الورد إذا شرف^(٥) وضعف.

الباب الخامس عشر: فيه مَلَحٌ مُسْتَظَرَفَةٌ، تُعمل في بعض الأشجار والخضر، من ذلك صفات في دَسِّ الطَّيِّبِ والحلاوة، والترياق، وكبوب^(٦) الفاكهة الحلوة، والأدوية المُسهِّلة في الأشجار المُطعمَّة، وفي القُضبان

(١) الزنبوع: هو الليمون، وقيل: ثمر الليمون الهندي الكبير. معجم أسماء النبات، ص ٥١.

(٢) التحير: نقصان الثمر وتساقطه من الحور: وهو النقصان بعد الزيادة والهلاك. اللسان، مادة (حور).

(٣) التوقف عن الإثمار أو الإبراق. المتحف وباريس ومدريد: التوقف.

(٤) التفريع: كثرة نبات فروع الكرم. انظر الفلاحة النبوية: ١٠٦٠/٢. المتحف وباريس مصحفة إلى (التفريع).

(٥) شَرَفَ: هرم وأسنَّ، والشَّارَف: المُسنَّ.

(٦) الكبَّة والكبَّة: كُرَّة من غزل. والمراد هنا قطع فواكه مدوَّرة تلقى في سيقان الأشجار أو جذورها أو أغصانها.

والبُقُول^(١) الْمُعْتَرَسَةُ؛ لِيُؤَدِّيَ مَطْعَمَ ذَلِكَ وَفَوْحَهُ وَقُوَّتَهُ، وَصِفَةُ عَمَلٍ يَصِيرُ بِهِ لَوْنُ الْوَرْدِ أَصْفَرَ وَلَا زَوْرَدِيًّا أَيْضًا. وَتَدْبِيرٌ فِي الْوَرْدِ حَتَّى يُورَدَ فِي غَيْرِ إِبَّانِهِ.

وَتَدْبِيرُ التُّفَّاحِ حَتَّى يَثْمَرَ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ، وَكَيْفُ يُتَحَيَّلُ فِي ثَمَرِ التُّفَّاحِ حَتَّى تَحْدُثَ فِيهِ كِتَابَةٌ وَتَصَوِيرٌ.

وَصِفَةُ عَمَلٍ فِي ثَمَرِ السَّفَرَجَلِ، وَالْكُمَثْرِ، وَالتُّفَّاحِ، وَالبَطِّيخِ، وَالْقَيْثَاءِ حَتَّى تَتَشَكَّلَ الْحَبَّةُ مِنْهَا بِأَيِّ شَكْلِ أَحَبَبْتَ.

وَصِفَاتُ فِي الْعِنَبِ يَطُولُ بِهَا حُبُّهُ، وَيَصِيرُ عَنْقُودُهُ كَأَنَّهُ حَبَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَيَكُونُ أَيْضًا عَنْقُودُهُ فِيهِ حَبٌّ ذُو أَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ.

وَكَيفِيَّةُ تَدْبِيرِ غَرْسِ الْعِنَبِ حَتَّى يَكُونَ حُبُّهُ دُونَ نَوَى، وَتَدْبِيرُ فِي شَجَرِ التَّيْنِ حَتَّى يَكُونَ فِي الْغَصْنِ مِنْهُ حَبَّاتٌ تَيْنٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ، وَحَتَّى تَكُونَ التَّيْنَةُ الْوَاحِدَةُ فِيهَا أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ. وَعَمَلٌ فِي الْخَيْرِيِّ^(٢)، يَكُونُ بِهِ نَوْرُهُ أَبْلَقَ.

وَكَيفُ تُغْرَسُ أَشْجَارُ النَّارَنْجِ^(٣)، وَالرَّيْحَانِ، وَشَبْهُ ذَلِكَ فِي صَهَارِيحِ الْمَاءِ.

(١) المتحف وباريس: البَقْل.

(٢) الْخَيْرِيُّ: هُوَ وَرْدُ النَّهَارِ وَالْمَنْشُورِ، مِنْهُ أَصْفَرٌ، وَخَيْرِي الْبَرِّ، وَشَجَرَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ

دَاوُدَ. مَعْجَمُ أَسْمَاءِ النَّبَاتِ، ص ٤٦، ١١٢.

(٣) النَّارَنْجُ: الْبَرْتَقَالُ. الْمَقْنَعُ، ص ١١١.

وكيف ينبت في الخسّ وفي السلق أنواع من البقول، تجتمع في أصل واحدٍ منهما.

وكيف يُدبّر السلجم^(١) والفجل حتى يعظمًا فوق قدرهما المعلوم، وكيف يتخذ الكزبرة^(٢) والشبث^(٣) من غير بزرها.

الباب السادس عشر: في صفة العمل في اختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة، واختزان التين غصًا ويابسًا، واختزان التفاح، والكمثرى، والسفرجل، والأترج، والرمان، والإجاص، والقراسيا، والعناب، والبلوط والقسطل^(٤)، والفستق، والبرّ، والشعير، والعدس، والفول، والدقيق، وزرائع الخضّر، والورد المبيّس، وماء الورد المقطّر، وتخليل بعض الخضّر، واختزائها لتؤكل في غير إبانها^(٥).

* * *

(١) السلجم: هو اللّفت. وقد يسمى: السلجم والشلجم. معجم أسماء النبات، ص ٣٣، والمقنع، ص ٣٢، ٥٩، ١١٥.

(٢) هي كُسبرة وكُزبرة وقُوريون (باليونانية) ومنها أصناف: كزبرة الثعلب وكزبرة البئر، وكزبرة الصخر، وكزبرة الحبشة. معجم أسماء النبات، ص ٦، ٧، ٥٨، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٧، والمقنع، ص ٥٧، ١١٩.

(٣) الشبث هو سدّاب البرّ والحزّاءة والزوفر.

(٤) القسطل: هو الشاه بلوط (أبو فروة).

(٥) مدريد: أيّامها.

[أبواب الجزء الرابع]

الباب السابع عشر: وهو أوّل السّفر الثاني من هذا التّأليف. في
كَيْفِيَّةِ عَمَلِ الْقَلِيب^(١)، وَوَقْتِهِ، وَمَنْفَعَتِهِ، وَإِصْلَاحِ الْأَرْضِ بَعْدَ كَلَالِهَا بِهِ.

الباب الثامن عشر: فيما يُرِيحُ الْأَرْضَ، وَيُصْلِحُهَا مِنَ الْحُبُوبِ
وَالْقَطَانِي إِذَا زُرِعَتْ فِيهَا.

وَفِي اخْتِيَارِ الْبُزُورِ وَالزَّرَارِيحِ، وَمَعْرِفَةِ الْجَيِّدِ مِنْهَا، وَتَنْبِيئِهَا؛ لِيُعْلَمَ
السَّالِمُ الثَّابِتُ مِنَ الَّذِي أَصَابَتْهُ مِنْهَا آفَةٌ فَفَسَدَ.

وَاخْتِيَارِ الْهَوَاءِ الْمَوَافِقِ لِلزَّرَاعَةِ، وَمَعْرِفَةِ مَا يَصْلَحُ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ
الْحُبُوبِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَرْضِ الَّتِي تُزْرَعُ فِيهَا.

الباب التاسع عشر: فِي مَعْرِفَةِ وَقْتِ الزَّرَاعَةِ، وَكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ فِيهَا.
وَصِفَةِ الْعَمَلِ فِي زُرَاعَةِ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ وَالسُّلْتِ^(٢) (وَأَطْنُ الْحَبَّةِ الَّتِي تُسَمَّى

(١) الْقَلِيبُ: هُوَ الْبَثْرُ (يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ) وَالْجَمْعُ قُلُبٌ وَأَقْلِبُهُ، وَالْقَلِيبُ: تَعَهْدُ الْأَرْضِ
بِالْحَرْثِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ.

(٢) السُّلْتُ: هُوَ الشَّعْرُ الرَّومِيُّ، يَنْجَرِدُ مِنْ قَشْرِهِ كُلَّهُ، وَيَصِيرُ كَالْقَمْحِ وَيُسَمَّى
الْخُنْدُرُوسَ (بِالْيُونَانِيَّةِ) وَالشَّعِيرَ الْهِنْدِيَّ، وَالْأَخْضَرُ مِنْهُ اللَّصِيبُ، وَأَشْفَالَتُهُ
(بِالْأَسْبَانِيَّةِ) وَطَرَاغِيْسُ، وَهُوَ كَثِيرُ النِّخَالَةِ، مَلِيّنٌ لِلْبَطْنِ، عَسِيرُ الْهَضْمِ.

بالنبطية "الكلبا" ^(١)، والأشقالية ^(٢)؛ وهو الخندروس ^(٣) (وأظن أنها تسمى بالنبطية "حوشاكي" ^(٤)).

والطَّرطير ^(٥) (وأظن أنه يُسمى بالنبطية "طَرَمَاكي" ^(٦)).

وما يُكرُّ بزراعته من البُزور، وما يُؤَخَّرُ منها، وتقدير البذر، واعتباره بحال الأرض التي يُنذرُ بها.

(١) باريس ومديرد: (الكلبي) والصواب من الفلاحة النبطية: ٤٢٤/١، قال: نبت في إقليم بابل شعير نسيميه (كلتا) ويقال: هو شعير رومي: إلا أنه في صورة الحنطة.

وقال: (٤٥٩/١) والشعير المشبه للحنطة الذي يسمى (كلبا) فهو أكثر غذاءً من الشعير المعروف وأقل قشوراً. وقال: (٤٧٣/١) أول أشباه الحنطة هي (الكلبا) التي يسميها بعض الناس شعيراً رومياً.

(٢) باريس ومديرد: الأشقالية.

النبطية: الأشتالية.

(٣) الخندروس (باليونانية) هو حوبيتا كوي (بالنبطية) وهو شعير يشبه الكلبا إلا أنه أكبر منه يزرع في إقليم بابل ونيوى، حبيزه يعقل البطن ويفسد المعدة. الفلاحة النبطية: ٥١٦/١.

(٤) اسمه بالنبطية حوبيثاكوي، وفي بعض النسخ حوشاكوي وهو حب يزرع وقت الحنطة، يصير على العطش وهو كثير النخالة، وحبيزه عسر الانهضام. الفلاحة النبطية: ٥١٧/١.

(٥) المتحف وباريس: الطَّرْمير. والصواب: الطَّرطير؛ وهو نبت كالغاسول يسمى المليح والقلام والوقيد.

(٦) طَرَمَاكي: حب يزرع كالحنطة عسر الانهضام، ملين للبطن يزرعه أهل بارما وتكرت، حساؤه ينقي الصدر ويصفي الحلق. الفلاحة النبطية: ٥١٧/١.

الباب العشرون: في صفة العمل في زراعة الأرز، والذرة، والدخن، والعدس، والجلبان، واللوبياء سقياً وبغلاً.

الباب الحادي والعشرون: في صفة العمل في زراعة القطاني سقياً وبغلاً؛ مثل: الفول والحمص، والثرمس، والحلبة، والكرسنة^(١)، والقرطم^(٢)، ووقت ذلك، ومعرفة أرضه التي يصلح أن يزرع فيها.

الباب الثاني والعشرون: في زراعة الكتان، والقنب^(٣)، والقطن، وبصل الزعفران، والحناء، الفوة^(٤)، والسّمَار^(٥)، والفصفصة^(٦)، وشوك الدّراجين^(٧)، والخشخاش الأبيض^(٨).

(١) عمدة الطبيب، ص ٤١٧.

(٢) القرطم: هو العُصفُر، منه بري وبستاني، زهره كزهر الزعفران، والقرطم الهندي هو حب النيل. عمدة الطبيب، ص ٦٦٦، وجامع ابن البيطار: ١٥/٤-١٦.

(٣) القنب: قيل هو حب الفقد أو حب التّئوم يصنع من قشره أرشية. معجم النبات والزراعة: ١٠٢/١، وجامع ابن البيطار: ٣٩/٤، وعمدة الطبيب، ص ٦٨٣.

(٤) فوة: نبت له عروق حمر تسمى عروق الصبّاغين، ويسمى النبت فوة الصبّاغ، ومنه فوة صفراء وفوة حلوة. معجم أسماء النبات، ص ٨٦.

(٥) السّمَار: هو الدّيس والأمل يصنع منه الحُصُر. معجم أسماء النبات، ص ١٦٤.

(٦) الفصفصة: هي القَتّ والبرسيم والثفل والرّطبة. معجم أسماء النبات، ص ١١٦.

(٧) شوك الدّراج وشوك الدّراجين هو ما يسمى بالحناء ومشط الراعي وشوك الدّريع.

(٨) الخشخاش أنواع: الأبيض والسود، والبحري، والبري، والبستاني والمصري والمقرون والمتنور والزيتي.

وصفة العمل في زراعتها سَقِيًّا وَبَعْلًا، ومعرفة أرضها التي تَصْلُحُ لها.

الباب الثالث والعشرون: في اتِّخَاذِ الْمَبَاقِلِ، واختيار أرضها،
وكيفية العمل في زراعتها، وذكر ما يَصْلُحُ أَنْ يُنْقَلَ منها، وذكر قَدْرَ بقائها في أرضها، إلى وقت إدراكها وقَطْفِهَا بالقَوْلِ الْجُمْلِيِّ، والقَوْلِ أيضاً على مفرداتها، من ذلك القول في زراعة الخَسِّ، والسَّرِيسِ^(١) البُسْتَانِيِّ، والرَّجْلَةِ^(٢)، واليَرْبُوزِ^(٣)، والقَطَفِ^(٤)، والإِسْفَانَاخِ^(٥)، والكُرْنَبِ^(٦)، والقَرْنَبِيطِ^(٧)، والسَّلَقِ، ووقت زراعتها، ومعرفة أرضها التي تصلح لكل بقل منها.

(١) السَّرِيسُ: هو العَلَثُ أو الخِنْشَارُ. وقيل: هو الفُسْتُقُ الشرقي وصمغه المَصْطَلَكِيُّ. معجم أسماء النبات، ص ٤٨، ١٤١.

(٢) الرَّجْلَةُ: هي البقلة الحمقاء، والبقلة اللينة والباركة أو ذنب الفرس.

(٣) اليَرْبُوزُ: البقلة اليمانية، وقد تسمَّى الجَرْبُوزَ. معجم أسماء النبات، ص ١١.

(٤) القَطَفُ: هي البقلة الذهبية أبو بقلة الرُّومِ، ويسمى: الريحان اليماني والإسفاناخ الرومي ورجل الجراد.

(٥) الإسفاناخ الرومي: نوع من القَطَفِ.

(٦) هو كُرْنَبٌ و كِرْنَبٌ و كَرْنَبٌ (نبطية وقيل: يونانية): الملفوف.

(٧) هو قَنْبِيْطٌ وقَرْنَبِيْطٌ (يونانية): الزَّهْرَةُ في بلاد الشام.

الباب الرابع والعشرون: في زراعة البقول ذوات الأُصُول،

وشبَّهها، من ذلك:

السَّلْجَم^(١)، والجَزَر، والفِجْل، والبَصَل، والثَّوْم، والكُرَّاث^(٢)،
والأَشْقَاقُول^(٣)، والْقُرْقَاص^(٤)، وفُلْفُل السُّودَان^(٥).

(١) السَّلْجَم: اللَّفْت.

(٢) الكُرَّاث: القِرْط وهو بصل الذئب وهو أنواع: الكراث الأندلسي وكراث البر
والبقل والجبلي والرومي والشامي، وكراث المائدة والكراث النبطي والكراث
الثومي والرومي هو الرَّاسن، والأندلسي القلفوط.

انظر: عمدة الطبيب، ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٣) هو الإِشْقِيل والإِسْقِيل والإِسْقَال: العُنْصُل والعُنْصُلَان أو بصل الفأر، وبصل
فرعون، وبصل الخنزير.

(٤) هو قَلْقَاس وقَلْقَاص وقُرْقَاص: اللّوف القبطي أو آذان الفيل والعامة تقول:
قرقاص، وهو اللَّفْت الكبير مصمت حار الطعم.

عمدة الطبيب، ص ٦٧٨-٦٧٩.

(٥) فُلْفُل السُّودَان: يقع على نوع من الدَّيس، وهو نوع من السُّعْدَى، ويقع على
حبِّ الفَقْد، وليس منه.

وفلفل السودان يشبه حب الجُلْجُلَان في داخله حبّ كحَبِّ الكِرْسَنَةِ أسود،
حار الطعم، يجلب من الهند.

عمدة الطبيب، ص ٦٣٥.

الباب الخامس والعشرون: في زراعة القثاء، والبطيخ، والدُّلَّاع^(١)، والتُّفَّاح^(٢)، والخيار، والقرع، والباذنجان، والحنظل^(٣)، وتُسمَّى هذه الثَّوار، ووقت ذلك، ومعرفة أرضه.

* * *

(١) من أنواع البَطِيخ: الفلسطيني، وهو الدُّلَّاع وهو نفسه الهندي والسندي والشامي. ومن الدُّلَّاع نوع ينبت بصحراء المرابطين. عمدة الطبيب، ص ١٠١.

(٢) مدريد: التُّفَّاح. الحاشية: التُّفَّاح-اللُّفَّاح.

واللُّفَّاح: ثمر اليبروح، أمَّا التُّفَّاح: ضرب من البطيخ. عمدة الطبيب، ص ٥١١.

ويقال أيضاً: التُّفَّاح: هو البطيخ المصري أو الأرمني رقيق القشر، كثير اللحم، طيب الرائحة يشبه الدلاع. عمدة الطبيب، ص ١٠١-١٠٢.

(٣) الحنظل: نبات يمتد على الأرض حبلاً طويلاً مثل أغصان القرع لا ساق له، وله ورق مشرف يشبه ورق البطيخ الفلسطيني لا يفرق بينهما. قال أبو الخير: هو دلاع بري. عمدة الطبيب، ص ٢٣٥.

وهو عند العرب يعرف بالخطبان والشرّي والصرّاء والعلقم.

[أبواب الجزء الخامس]

الباب السادس والعشرون: في زراعة المنابت ذوات البُذور المستعملة في الأطعمة، وفي بعض الأدوية، مثل: الكمون، والكراويا، والشونيز^(١)، والحُرْف^(٢)، والأينسون، والكُزْبَرَة، والرازيانج^(٣) البُسْتَانِي والبرِّي، والخردل، والمُقل^(٤)، والأندراسيون^(٥)، والقرْدَمَانَا^(٦)، ووقت ذلك، ومعرفة أرضه، وما يُزْرَع من ذلك سَقِيًّا، وما يُزْرَع بَعْلًا.

الباب السابع والعشرون: في زراعة الأحباق والرياحين، من ذلك: الخيريّ، والسَّوسَن، والتَّيْلُوفَر، والبَهَار، والنَّرجس الأبيض، والنَّرجس الأصفر، والمَقْدُونِس^(٧)، والأذريون^(٨)، والتَّسْرِين، والبنفسج،

(١) الشُونيز: الحَبَّة السَّودَاء. عمدة الطبيب، ص ١١٥، ١٧٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٦٢٧، ٧٩٨.

(٢) الحُرْف: حبّ الرِّشَاد.

(٣) الرَّازِيَانج هو البَسْبَس والشَّمَار أو الفُلُّل الأَحْمَر.

(٤) المَقْل: صمغ الدَّوم نباته بأرض العرب ناحية عُمان وصمغه أزرق وأحمر. عمدة الطبيب، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٥) هو بخور الأكراد، ويسمى: شَمَرَة الخنازير.

(٦) القردمانا: هو حبّ الهال أو حَبَّهَان والقاقلة.

(٧) هو بَقْدُونِس ومَقْدُونِس وكَرْفَس رومي، وكَرْفَس صخري، وكَرْفَس الحمار. معجم أسماء النبات، ص ٤١.

(٨) الأذريون: ورقه كورق الخيريّ الأبيض، قضبانه مجوّفة رقيقة، له زهر مشرّف ذهبي اللون إلى الحمرة، وهو الحَنَوَة عند العرب، والعرّار وبَهَار البَرّ. عمدة الطبيب، ص ٤٠-٤١.

والتُّرُنْجَانُ^(١)، والتَّعْنَعُ، والمَرْدَدُوشُ^(٢)، والمَرُو^(٣)، والْحَبَقُ^(٤)، والْخِطْمِي^(٥)،
وَوَرْدُ الزَّيْنَةِ، والخُبَّازَى^(٦)، و[الْحَبَقُ] القُرْطِي والصَّقْلِي^(٧)، والْبِرَمَ^(٨)،
والخَزَمَ^(٩)، ووقت ذلك، ومعرفة أرضه.

-
- (١) التُّرُنْجَان: ضرب من الأحباق، والكبير منه هو الجبلي، وتُرُنْجَان السَّوَّاقِي هو الصُّومَرَان، وعديم الرائحة هو الصَّيْنِي. عمدة الطبيب، ص ١٤٠.
- (٢) هو مَرْدَدُوش ومَرْدَقُوش ومرزجوش ومَرَزْنَجُوش ومردكوش: ضرب من الصَّعَاتِر، ونوع من الأحباق. عمدة الطبيب، ص ٤٧٩، ومعجم النبات والزراعة: ٣٢٨/١.
- (٣) المَرُو: ريحان معروف يسمى الزَّعْبَر، وهو حبِق الشيوخ. عمدة الطبيب، ص ٤٨٠.
- (٤) الحَبَق على الإطلاق: (الفوذنج النهري) وهو نوع من الريحان حسن المنظر طيب الرائحة، ومن أنواعه: الحبِق المصري والمقلوب والصَّقْلِي والحمامي والصَّعْتَرِي والكرماني، ومنه ريحان الملك وهو الشَّاهُ سُفْرَم أي ملك الأحباق. عمدة الطبيب، ص ١٩٨-١٩٩.
- (٥) الخِطْمِي هو الخُبَّازَى والعَضْرَس والغِسْل والغَسُول.
- (٦) الخُبَّازَى: البقلة اليهودية والخِطْمِي البستاني، وخَيْرُو (بالفارسية).
- (٧) يريد: الحبِق القرطبي، والحبِق الصَّقْلِي (وقد سبق ذكرهما).
- (٨) البِرَم جمع بَرَمَة وهي ثمرة الطلح، وهي أم غيلان ثمرة عُلف وبرَم. معجم أسماء النبات، ص ٢.
- (٩) المتحف وباريس: الحزم، الحزم، الحرم. والصواب الخَزَم وهو نبات يشبه الدَّوم، له أَقْنَاء ويُسَرَّ يَسْوَدُّ إذا أَتْنَع، وهو مُرَّ عَفْص، وهو نبات أرض العرب. عمدة الطبيب، ص ٢٦٦.

الباب الثامن والعشرون: في زراعة أنواع من النبات، تُتخذ في

الجنّات، وتَصَرَّف في وُجُوهِ مختلفاتٍ من ذلك: المامِثاء^(١)، والقناريّة^(٢)،
والفيجَن^(٣)، والكرفس، والنَّيل^(٤).

والصَّعتر، والرَّاسَن^(٥)، والشَّطْرِيّة^(٦)، والأفْسَنْتِين^(٧)، والحرْمَل،
والهَلْيُون، والكَبَر^(٨)

والسُّمَّاق، والشَّبِث^(٩)، والشَّاهْتُرَج^(١٠).

(١) المامِثاء: هو الحَشَخَاش المُقَرَّن البحري، ينبت قرب السواحل.

(٢) القناريّة والقنارا (يونانية): الحَرَشُوف البستاني أو العُكُوب والهيْشَر.

(٣) الفيَجَن هو السَّدَاب والذِّفراء.

(٤) النَّيل هو القُضَّة والغُبِّراء والسَّمَّة، يصلح للصَّبَاغ وهو النَّيْلَج (النَّيْلَة).

(٥) الرَّاسَن: هو الزَّنْجَبِيل الشامي وبقلة الرُّمّة.

(٦) الشَّطْرِيّة والشَّاطِرِيّة (يونانية): هو الصَّعْتَر.

(٧) الأفْسَنْتِين هو شبيهة العجوز والخُتَرْف والدمَّيس.

وقد يسمى ذقن الشَّيْخ وهو شجر أبيض.

(٨) الكَبَر: والكَبَّار والقَبَر والقَبَّار: اللَّصْف.

وتفاحة الغراب وعنب الحَيَّة: ثمرُهُ الشَّفَلَح.

(٩) هو سَدَاب البَر.

(١٠) الشَّاهْتُرَج وشاه أُتْرُج وشَيْطَرَج (بالفارسية؛ أي ملك البقول أو سلطان البقول).

والخزَامِي، ولسَانُ الحَمَل^(١)، والبَنَج^(٢)، والنَّدْوَة^(٣)، والنَّبْكَة^(٤)،
والإِيرَسَا^(٥)، واللُّوف، وشجرة مريم، والبَابُونَج، وإِكْلِيلُ المَلِك.

الباب التاسع والعشرون: في تقدير الزَّرَارِيْع، وفيه صِفَةٌ يُتَعَرَّفُ
بها ما يَنْجُبُ من البُذُور في ذلك العام بمشيئة الله (تعالى) وفيه معرفة وقت
الحَصَاد، واختيار مواضع البَيَادِر لِمَدَارِسِ الزَّرْع، وكَيْفِيَّةَ العَمَل في اخْتِرَانِ
الفَوَاكِه والحُبُوب.

الباب الثلاثون: وهو باب جامع، يَتَضَمَّنُ اختياراتٍ، منها:
اختيار مواضع البُنْيَان ووقت قَطْع الخَشْب لذلك، ولمعاصر الزيت، وشبه
ذلك، وفي تَبْيِيسِ الشَّجَرِ والنَّبَاتِ المُضِرِّ بالأَرْض، وكَيْفِيَّةَ تَحْصِينِ الكُرُومِ
والجَنَاطِ بِغَيْرِ حَائِطٍ، وَصِفَةَ الأَعْمَالِ في انْتِقَالِ الأعْشَابِ والأشْجَارِ من

(١) لسان الحمل هو ذنب الثعلب وذنب الفار وآذان الجدي ولسان الكلب، وهو ورق الصابون. عمدة الطيب، ص ٤٥٦-٤٥٨.

(٢) البنج: الشاهدانج والتتوم وهي الحشيشة المعروفة.

(٣) المتحف وباريس: البدره. والصواب الندوة وهي الفضفاض والجرمل.

(٤) النبك والتبق: السدر وقيل ثمر العناب. العمدة، ص ٥٠٦.

(٥) الإيرسا: الزنبق وجذر السوسن الأزرق، وجذر البنفسج والسوسن الأبيض.

البرية إلى البساتين، وصفة المجرّد^(١) الذي تُعدّلُ به الأرض، ووصف أشجار ونبات يصرف ذكرها في هذا الكتاب في باب التركيب.

وفيه وصف خواص نافعة بمشيئة الله (تعالى) للزرع والشجر والخضر، ومصلحة لها.

وصفات في طرد السباع والحشرات المضرة، والطير وصيدها. وما يُستدلُّ به على كثرة حمل التفاح والكروم والزيتون قبل ظهوره.

وصفة العمل في عجن الخبز من الحنطة، وتخميره بالخمير وبغيره، وطبخه على أحسن الأعمال في ذلك، وأوقفها للاغتذاء.

وصفة العمل في إصلاح بعض ثمار الأشجار، والبقول البرية، وأصول بعضها، وتلوين نوى ثمارها، وعمل خبز^(٢) من ذلك يغتذى به في المجاعة، وعند عُدْم الأَقْوَات إلى أن يأتي الله بالفرج والرحمة.

وذكر منافع السيل ومضارّه، ومنافع الغيث، والشمس، والصحو، والرياح للمنابت، بمشيئة الله (تعالى) وفي الاستدلال على نزول الغيث في الشتاء، وكون الصحو والبرد فيه؛ بمشيئة الله (تعالى).

وفي الاستدلال بدلائل تُرى عياناً حسباً جُرب في ذلك.

(١) المجرّد: آلة تعدل الأرض بما تشبه محلج القطن.

(٢) باريس: خبزة، المتحف البريطاني: خبزه.

وفيه ذكر فصول السنّة، وما يصلح أن يُعمل من أعمال الفلاحة
في كلّ شهر منها.

وهذا الباب هو جامعٌ لذلك وبما يُشبهه، أكملتُ به الغرضَ
المقصودَ إليه في معنى فلاحة الأرض في هذا التأليف، وبالله التوفيق.

* * *

[أبواب الجزء السادس]

الباب الحادي والثلاثون: وهو أوّل القول في فلاحه الحيوان، من ذلك: اتّخاذ البَقَر، والضَّأَن، والمَعَز، ذُكَرَانَهَا وإِنَاثَهَا، واختيار الجَيِّد منها، ومعرفة وقت إنزاء فُحُولِهَا عَلَيْهَا، ومُدَّة حَمْلِهَا، وقَدْرِ أَعْمَارِهَا، وما يَصْلُحُ لها من العَلَف والماء، وعِلاجِ بعض أدَوَائِهَا وَعِلَلِهَا، ومَعْرِفَةِ سِيَاسَتِهَا، وغير ذلك من مصالحها.

الباب الثاني والثلاثون: في اتّخاذ الحَيَلِ والبِغَالِ والحمير والإبل، ذُكَرَانَهَا وإِنَاثَهَا، لِلْقُنْيَةِ^(١) وللرُّكُوبِ، والاستعمال في أعمال الفلاحة، وفي العُزُوقِ^(٢) للحَاجِّ^(٣)، وشِبْهِ ذلك.

واختيار الجَيِّد منها، ووقت إنزاء فحولها على إناثها، وقَدْرِ أَعْمَارِ ذُكُورِهَا وإِنَاثِهَا على حَسَبِ الْمُعْتَادِ في ذلك.

وما يصلح لها من العَلَف، وقدره، وسَقْيِهَا بالماء ووقته، وتَسْمِيئِهَا، وتَضْمِيرِ الخيل منها بعد ذلك للسِّبَاق عَلَيْهَا، وصفة العَمَلِ في رِيَاضَةِ أَمْهَارِهَا، وإِصْلَاحِ ما يحدث في أخلاق بعضها من العيوب المُفْسِدَةِ لها؛

(١) القُنْيَةُ والقُنْيَةُ والقُنْوَةُ، والقَنِيُّ: المُقْتَنَى من الإبل والغنم لولد أو للبن.

(٢) عَزَقَ الأرض: شَقَّهَا وكشف تربة الحقل السطحيّة وأزال أعشابها المُضِرَّة.

(٣) المتحف وباريس ومدرّيد: في الحَجِّ.

وهو تصحيف: التَّعْزِيقُ لِلْحَاجِّ؛ وهو العاقول أو شوك الجمال أو الكَبَر.

مثل الحِرَان^(١) وشِبْهِهِ، وفيه نُكْتُ^(٢) من أصول الركوب، وأعمال الفروسيّة.

الباب الثالث والثلاثون: في علاج بعض علل الدّوّاب وإدوائها بالأدوية السّهلة الموجودة.

و[أن] تعمل اليد بالحديد هيئاً، لا كُلفَ فيه، ولا كثير مِهْنَة^(٣)، مثل: التّوديج^(٤)، والتّصدير^(٥)، والتّحنيج^(٦)، والتّكحيل^(٧)، والتّفحيد^(٨)، والتّعريب^(٩)، وفتح العروق، ويسير من الكيّ بالنّار، وذكر العلامات الدّالة على تلك العلل والأدواء التي [جاء] ذكرها، وعلاجها بعد المعرفة بها، وهذا هو الفنّ المعروف بـ "البَيْطَرَة".

(١) باريس ومدرّيد: الحرات.

(٢) النّكّته: الفكرة اللطيفة، والمسألة العلمية الدقيقة يُتوصّل إليها بعد إنعام فكر، والجمع: نُكْتُ.

(٣) المِهْنَة: الجهد.

(٤) التّوديج: علّة في الوداج وهو عِرْق في العنق.

(٥) التّصدير: مَرَضٌ إذا أصاب الحيوان صدره؛ وهو الانصراف عن الماء دون أن يرتوي. أو علّة في الصّدر.

(٦) التّحنيج: الضّمور.

(٧) التّكحيل: علّة في كاحل الدّابة.

(٨) التّفحيد: علّة في أصل سنام الناقة أو الجمل.

(٩) التعريب: هو فساد في المعدة أو من غرّب الجرح: إذا تورّم وتقيح وبقي أثره بعد البرء.

الباب الرابع والثلاثون: في اقتناء الحيوان الطائر المتَّخذ في

البيوت، وفي البساتين والضياع والجبال، مثل: الحمام، والإوز، والبرك^(١)، والطواويس، والدجاج، والنحل المعسل، ومعرفة الجيد منها، وسياستها، وتدريبها، وذكر علفها، وعلاج بعض أدوائها.

الباب الخامس والثلاثون: في اقتناء الكلاب المباح اتِّخاذها للصيد

والزَّرع والماشية.

ومعرفة جيدها، وسياستها، وعلاج أدوائها، وذكر ما يُصلح أحوالها بمشيئة الله (عزَّ وجلَّ).

وهذا حين أبتدئ — إن شاء الله — بسياقة الأبواب المذكورة باباً باباً، وتضمينها جميع ما شرطت، وإليه قصدت، ونحوه يَمُمْتُ، وبالله التوفيق.

* * *

(١) البرك: جمع بُركة؛ وهو طائر مائي من الفصيلة الوزية.

[الجزء الأول]

الباب الأوّل

في الأرضين

الفصل الأول

[في أنواع الأرضين]

في معرفة الطَّيِّب، والوَسَطِ، والدُّونِ من أَنْوَاعِ الْأَرْضِ التي
للزَّرَاعَةِ والغِرَاسَةِ بالدَّلَائِلِ الْمُوضِحَةِ لذلك، وذكر ما لَا يَصْلُحُ لذلك
من أَصْنَافِهَا؛ وتُسَمَّى: الْأَرْضُ الْمُهْمَلَةُ، وذكر ما يَجُودُ في كُلِّ نَوْعٍ من
أنْوَاعِ الْأَرْضِ من الشَّجَرِ، ومن الحُضَرِ.

من كتاب ابن حجاج (رحمه الله) في مختار الأرض ومذمومها؛
قال (رحمه الله)^(١): أَوَّلُ مراتبِ عِلْمِ الْفِلَاحَةِ هُوَ مَعْرِفَةُ الْأَرْضِ، وَمَيِّزُهَا،
وَعِلْمُ جَيِّدِهَا مِنْ ذَنِيَّهَا، وَمَنْ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ فَقَدْ أَضَاعَ الْأَصْلَ، وَاسْتَحَقَّ فِي
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ اسْمَ الْجَهْلِ.

قال الرَّازِي في كتاب "سمع الكيان": إِنَّ الْحَجَرَ^(٢) يَسْتَحِيلُ إِلَى
الطَّيْنَةِ عَلَى الدَّهْرِ، بِفِعْلِ الشَّمْسِ وَالْمَطَرِ فِيهِ؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ فِيهَا تَجْفِيفٌ^(٣)
وَتَبْدِيدُ الْأَجْزَاءِ، كَفِعْلِ النَّارِ، ثُمَّ يَجِيءُ الْمَطَرُ، فَيَحِلُّ مِنْهَا مَا قَدْ لَطَفَ حَتَّى
يَتَأَكَلَ وَيَعْفَنَ عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى يَصِيرَ طِينًا.

(١) قول ابن حجاج، أحمد بن محمد الإشبيلي أحلَّ به كتابه المنشور بعنوان: المقنع في الفلاحة،
تحقيق: صلاح جرار وحاسر أبو صفية، مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٢م، قال
(ص ٥): أول ما ينبغي أن ننظر فيه تخيير الأرض، ثم استنباط المياه؛ لأتهما أسَّ العمل.

(٢) (إن الحجر) سقط من نسخة المتحف البريطاني.

(٣) المتحف: التجفيف.

قال ابن حجاج (رحمه الله) ^(١):

فهذا دليل واضح من قول "الرازي" على أن الشمس هي التي تَجِرُ الأرض، وتُبَدِّدُ أجزائها؛ ولذلك كان وجه الأرض أطيَبَ من سائر أجزائها حرًّا ولُطْفًا.

وقد نرى ما يَخْرُجُ من أعماق الأرض من التُّراب؛ كتراب البُئار والمَظَامِير ^(٢) لا يُنْبِتُ أوَّلُ عامٍ؛ لكن بعد أن تطبخه الشمس، وتَلْطُفُ أجزاؤه وتَسْتَحِرُّ، وإِنَّمَا لم تُنْبِتِ الأرض إلَّا بعد حرِّ الشمس؛ لأنَّها في طَبْعِها باردة يابسة ^(٣).

فلولا إِسْحَانُ الشَّمْسِ لها، وتَرْطِيبُ المَطَرِ إِيَّاهَا لم يَنْشَأْ ^(٤) فيها نباتٌ إلَّا أَنَّ الأرضَ —وإن كانت في طَبْعِها باردة يابسة— فَإِنَّ بعضها أَرْطَبُ من بعضٍ، وبعضُها أَبرَدُ من بعضٍ.

(١) قول ابن حجاج سقط أيضاً من النسخة المطبوعة.

(٢) المَظَامِير: جمع المَظْمُورَة؛ وهو مكان تحت الأرض هَيَّئَ ليطمر فيه الزُّبُل والتراب وغيرهما، والمَقْصُود: التراب الذي يستخرج من حُفَرِ المَظَامِير.

(٣) هذا قول ابن بَصَّال، قال: الأرض بالجملة في طبعها باردة يابسة.

انظر: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٠٠، حققه: محمد صالحية، وإحسان العمدة، الكويت، ١٩٨٤م.

(٤) مدريد: ينش.

فَأَحَرُّ الْأَرْضِ - بِإِجْمَاعٍ مِنْ حُذَّاقِ أَصْحَابِ الْفَلَاحَةِ - الْأَرْضُ
السَّوْدَاءُ^(١)، ثُمَّ الْحَمْرَاءُ^(٢)، وَأَبْرَدُ الْأَرْضِ الْبَيضاء^(٣)، ثُمَّ الصَّفْرَاءُ^(٤). وَكُلُّ
أَرْضٍ فِي لَوْنِهَا بَيَاضٌ فَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا مِنَ الْبَرْدِ بِمَقْدَارِ ذَلِكَ الْجُزْءِ الَّذِي
مَازَجَهَا مِنَ الْبَيَاضِ، فَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ فِي الصَّفْرَاءِ، وَفِي سَائِرِ الْأَلْوَانِ
عَلَى هَذَا الْحَدِّ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ (تعالى).

وَأَمَّا الْأَرْضُ الرُّطْبَةُ^(٥) الَّتِي هِيَ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الرُّطُوبَةِ؛ فَالْأَرْضُ
الَّتِي هِيَ فِي شَكْلِهَا شَبِيهَةٌ بِالزَّبْلِ الْقَدِيمِ الْمُتَعَفَّنِ^(٦)، تَجِدُهَا مُنْتَفِشَةً، لَمْ

(١) قَالَ ابْنُ حِجَّاجٍ: خَيْرُ الْأَرْضِ السَّوْدَاءُ؛ لِأَنَّهَا تَصْبِرُ عَلَى كَثْرَةِ الْمِيَاهِ وَالْأَمْطَارِ،
وَالْحَرِّ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلْكَرْمِ. الْمُقْنَعِ، ص ٦.

(٢) قَالَ ابْنُ بَصَّالٍ: الْأَرْضُ الْحَمْرَاءُ يَغْلِبُ عَلَى طَبْعِهَا الْحَرَارَةُ وَالْيَبُوسَةُ، وَلَا تَحْتَاجُ
إِلَى الزَّبْلِ الْكَثِيرِ مِنْ أَجْلِ حَرَارَتِهَا، وَالرُّطُوبَةُ مُمَكِّنَةٌ فِي تَرْبَتِهَا. الْفَلَاحَةُ لِابْنِ
بَصَّالٍ، ص ٤٦، وَمِفْتَاحُ الرَّاحَةِ، ص ١١٠.

(٣) ابْنُ بَصَّالٍ، ص ٤٥، وَمِفْتَاحُ الرَّاحَةِ، ص ١١٠.

(٤) ابْنُ بَصَّالٍ، ص ٤٦، وَمِفْتَاحُ الرَّاحَةِ، ص ١١٠.

(٥) ذَكَرَ ابْنُ بَصَّالٍ (ص ٤١) وَمَا بَعْدَهَا أَقْسَامَ الرُّضَيْنِ فِي عَشْرَةِ أَنْوَاعٍ، هِيَ:
الْبَيْنَةُ، وَالْغَلِيظَةُ، وَالْجَبَلِيَّةُ، وَالرَّمْلَةُ، وَالسَّوْدَاءُ، وَالْبَيضاءُ، وَالصَّفْرَاءُ، وَالْحَمْرَاءُ،
وَالْحَرَشَاءُ الْمَضْرَّسَةُ، وَالْمَكْدَنَةُ الْمَائِلَةُ إِلَى الْحَمْرَاءِ.

وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ بَصَّالٍ وَلَا ابْنُ حِجَّاجٍ وَلَا غَيْرُهُمَا (الْأَرْضُ الرُّطْبَةُ).

(٦) بَارِيْسُ: الْعَفْنُ، مَدْرِيْدُ: الْمُعَفَّنُ.

تَغْلِبُ عَلَيْهَا الطُّفْلِيَّةُ^(١) وَلَا الاسْتِحْصَافُ^(٢)، فَتَكُونُ مَدَرَّتُهَا شَدِيدَةً بِمَجْتَمَعَةٍ يَابِسَةٍ، شَبِيهَةٍ بِأَشْدَادِ الْحَجَرِ^(٣)، وَلَا حَسَمَتٍ^(٤) وَقَحَلَتِ، وَقَلَّتِ رُطُوبَتُهَا، وَتَبَدَّدَتِ أَجْزَاؤُهَا، كَالرَّمْلِ الشَّبِيهِ بِالْحَجَارَةِ أَيْضًا؛ لِقَلَّةِ رُطُوبَتِهِ، فَإِنَّهُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ حَصَى صَغَارٍ؛ فَهَذِهِ أَحْمَدُ الْأَرْضَيْنِ فِي الرُّطُوبَةِ، وَقَلِيلًا مَا أَلْفَيْنَاهَا، وَعَلَى حَالٍ فَقَدْ شَاهَدْنَاهَا.

وَبَعْدَ هَذِهِ الْأَرْضِ، هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينُورِيُّ^(٥) صَاحِبُ النَّبَاتِ، فِي كِتَابِهِ، وَأَنْتَنِي عَلَيْهَا بِحَقٍّ، فَقَالَ: إِذَا كَانَ الْبَلَدُ سَهْلًا حُرًّا دَمِيثًا^(٦)، يُشَبِّهُ تَرَابَهُ تَرَابَ الرَّمْلِ، وَلَا يُدْعَى رَمْلًا، فَذَلِكَ

(١) الطُّفْلُ: الطِّينُ الْأَصْفَرُ، وَلَوْنُ صُفْرَةِ الشَّمْسِ وَاحْمَرَارُهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ.

(٢) اسْتَصْحَفَ وَجْهَ الْأَرْضِ صَارَ كَالصَّحْفَةِ يَابِسًا، وَالصَّحَافُ: مَنَاقِعُ صَغِيرَةٌ لِلْمَاءِ. اللَّسَانُ، مَادَّةُ (صَحْف) وَاسْتَحْصَفَ الْحِيلَ: اشْتَدَّ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ وَحْشِيَّةٍ مِنَ الْأَرْضَيْنِ الْفَاسِدَةِ: الْمَفْرُطَةُ الْاسْتِصْحَافُ.

(٣) الْمُتَحَفُّ: أَشْرَارُ الشَّجَرِ، بَارِيسُ: بِأَشْرَارِ الْحَجَرِ. وَالْمَقْصُودُ: الْحَجَارَةُ الشَّدِيدَةُ.

(٤) لَا حَسَمَتٍ: انْقَطَعَتْ رُطُوبَتُهَا، مَأْخُوذٌ مِنْ حَسَمِ الْمَرْأَةِ وَلَدَهَا: إِذَا مَنَعَتْهُ مِنَ الرِّضَاعِ.

(٥) هُوَ أَبُو حَنِيفَةَ، أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ الدِّينُورِيُّ (ت: ٢٨٢هـ) صَاحِبُ كِتَابِ (النَّبَاتِ) الْمَشْهُورِ، نَشَرَهُ بَرْنَهَارْدُ لَوِينُ (١٩٥٣)، وَحَقَّقَ الْقِسْمَ الثَّانِي مِنْهُ: مُحَمَّدٌ حَمِيدُ اللَّهِ، الْمَعْهَدُ الْفَرَنْسِيُّ، الْقَاهِرَةُ، ١٩٧٣م.

(٦) الدَّمِثَاءُ: الْأَرْضُ السَّهْلَةُ اللَّيِّنَةُ، وَهِيَ أَرْضٌ دَمِثَّةٌ، وَأَرْضٌ دَمَثٌ: لَيِّنَةٌ.

الذي يُرَبُّ^(١) النَّبَاتَ، وَإِنْ نُبِشَ مَا حَوَالِيهِ، وَرَبَّهُ حَفَظَهُ إِيَّاهُ، ذَلِكَ أَنَّهُ يَشْرَبُ الْمَاءَ، مَاءَ سَمَاءٍ كَانَ، أَوْ مَاءَ أَرْضٍ؛ لِدُمُوثِهِ، وَيَرْسَخُ فِيهِ، فَيَسْقِي عُرُوقَ النَّبَاتِ، وَتَتَفَرَّجُ مَضَارِبُهَا^(٢)؛ فَيَسْمَقُ نَبْتُهُ وَيَطُولُ بَقَاؤُهُ.

قال: وإذا كان الْبَلَدُ عَزَارًا^(٣) شَحَاحًا^(٤) سَالَ الْمَاءُ عَلَيْهِ سِيلًا، فَلَمْ يَرِزْ^(٥) مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَا يَثْرَى^(٦)، وَإِذَا لَمْ يَثْرَلَمْ يَنْبِتْ.

وَالشَّحَاحُ مِنَ الْأَرْضِ:

الصُّلْبَةُ الْمُسْتَحْصِفَةُ^(٧) الَّتِي لَا يَقْعُدُ الْمَاءُ فِيهَا، وَلَا تَتَفَرَّجُ مَضَارِبُ الْعُرُوقِ فِي بَاطِنِهَا.

(١) يُرَبُّ النَّبَاتَ: يَتَعَهَّدُهُ وَيُعَدِّيهِ وَيَنْمِيهِ، وَرَبٌّ بِالْمَكَانِ وَأَرْبٌ بِهِ: لَزِمَهُ وَلَمْ يَرْحُهُ، وَالرَّيْبُ: الْمَاءُ الْعَذْبُ، وَالرَّيْبِيُّ: النِّعْمَةُ.

(٢) بَارِيسٌ وَمَدْرِيدٌ: تَنْفَرِجُ لِمَضَارِبِهَا، وَالْمُرَادُ أَنَّ مَضَارِبَ الْعُرُوقِ (حَيْثُ تَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ) تَنْفَرِجُ (تَنْفِذُ وَتَنْتَشِيرُ) فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ.

(٣) الْعَزَارُ: الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ السَّرِيعَةُ السَّيْلُ. اللِّسَانُ (عَزَرَ).

(٤) أَرْضٌ شَحَاحٌ: لَا تَسِيلُ إِلَّا مِنْ مَطَرٍ كَثِيرٍ. اللِّسَانُ (شَحَحَ).

(٥) الْمُتَحَفُّ وَبَارِيسٌ (يَرْزَا) وَالصَّوَابُ (يَرْزُ) أَيُ يَثْبِتُ، يَرِيدُ أَنَّ الْمَاءَ لَمْ يَثْبِتْ.

(٦) ثَرَيْتِ الْأَرْضَ تَثْرَى ثَرًى: نَدِيتُ وَلَانْتُ، وَامْتَصَّتِ الْمَاءَ، وَهِيَ ثَرِيَّةٌ وَثَرِيَاءُ. اللِّسَانُ (ثَرَا).

(٧) الْمُسْتَحْصِفَةُ: الشَّدِيدَةُ.

وأما غيره فزعم أن الأرض اليابسة على ضربين:

أحدهما: الرَّمْلُ^(١)، وهو في أعلى مراتب اليُبْس؛ لأنه حصيٌّ صغار، وكفى بالحجر يُبْساً، وقلة إغذاء، والماء ينش فيه.

والثانية: هي الأرض الطفلية^(٢)؛ فإنها أيضاً يابسة، لكنها أرطب من الرَّمْل كثيرًا، وإنما قيل فيها إنها يابسة؛ لأن مدركها مُستحصفة شبيهة بانعقاد الحجر، لا تتنفش، ولا ترخو كالتي قدّمنا ذكرها. فأما إذا مزج هذه الأرض تراب دمت شبيه بتراب الرَّمْل الدقيق فقد أصلحها وخوّرها^(٣) لمضارب عُروق الثّبات، ولشرب المياه. وكثيراً ما تجد هذه الأرض في الجزائر^(٤)، وأرض الجزائر (مما تقدّم) في الطّيب لمكان

(١) يرى ابن بصّال أن الأرض الرملية يغلب على طبعها البرودة مع اليبس (ابن بصّال، ص ٤٥) ومفتاح الراحة، ص ١٠٩.

وقالا: ومما يغلب على طبعها البرودة واليبوسة أيضاً: الجبلية والبيضاء والصفراء والحمراء والحرشاء المضرسة والمكدنة المائلة إلى الحمرة.

(٢) الأرض الطفلية التي فيها طين طفل يشبه لون الشمس عند الغروب، ولم يذكر هذا النوع من الأرضين ابن بصّال وابن حجاج وأبو الخير وأصحاب الفلاحة النبطية، والفلاحة الرومية ومفتاح الراحة.

(٣) مدريد: خرزها، والصواب: خورها: أي لينها، والأرض الخوارة: اللينة السهلة.

(٤) يريد الجزائر التي تتكون من البراكين. انظر حديث قوثامي عن الجزائر، ص ٣١٦، ٣١٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٥، ٤٠٥.

الْحَمَاءُ^(١) التي فيها، ولما يَسُوقُهُ السَّيْلُ إِلَيْهَا مِمَّا يَتَقَشَّرُ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ،
وما يَحْتَمِلُهُ مِنَ الْعُثَاءِ وَالزَّبْلِ، فَتَرْخُو لَذَلِكَ، وَتَرْطُبُ كَثِيرًا، وَرَبَّمَا كَانَ
مُمَازِجًا لَهَا رَمْلٌ دَقِيقٌ؛ فَيَزِيدُهَا رَخَاوَةً وَخَوَرًا.

وقال سولون^(٢) نحواً من هذا، وهو قَوْلُهُ^(٣): الْأَرْضُ الطَّيِّبَةُ هِيَ
الْجَامِعَةُ لِلْحَرَارَةِ وَالرُّطُوبَةِ، فَالسَّوَادُ فِي الْأَرْضِ دَلِيلُ الْحَرَارَةِ، وَكَذَلِكَ
الْحُمْرَةُ أَيْضًا؛ إِلَّا أَنَّ حَرَّ الْحُمْرَةِ دُونَ حَرِّ السَّوْدَاءِ، ثُمَّ يَتَلَوُ الْحُمْرَاءُ:
الصَّفْرَاءُ، وَهِيَ آخَرُ مَرَاتِبِ الْحَرِّ، وَأَقْرَبُ إِلَى حَالِ الْبَرْدِ، وَالْأَرْضُ الْبَيْضَاءُ
بَارِدَةٌ.

وَأَمَّا الْيُبْسُ وَالرُّطُوبَةُ فَتَعَلَّمُهَا بَدَلَاتِلَ وَاضِحَةٍ. وَذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ
الَّتِي هِيَ شَبِيهَةٌ بِالزَّبْلِ الْقَدِيمِ الْمُتَعَفِّنِ الَّتِي قَدْ حَالَتْ عَلَيْهِ الْأَعْوَامُ، الْمُتَفَشَّةُ
الرَّطْبَةُ - فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الرُّطُوبَةِ^(٤).

ثُمَّ الْأَرْضُ الَّتِي يَمْتَرِجُ فِيهَا حَمَاءٌ بِرَمْلٍ دَقِيقٍ جَدًّا، وَهِيَ تُرْبَةُ
الْجَزَائِرِ.

(١) الحماء: الطين الأسود المتين، والقطعة منها: حماء.

(٢) مدريد شولون، والصواب: سُولُون وهو من الفلاحين الروم المتكلمين، نقل ابن حجاج في
المقنع بعض مقولاته. انظر: المقنع، ص ٨٩، ١٢٣.

(٣) الحماء: الطين الأسود المتين، والقطعة منها: حماء.

(٤) يمتدح علماء الفلاحة دائماً الأرض الندية الرخوة الرطبة، ويذمون الأرض الصماء الممدرة
اليابسة. انظر: المقنع، ص ١٤، ٦١.

وأَعْلَى مَرَاتِبِ الْيُسْ هِيَ الْأَرْضُ الْحَرْشَاءُ^(١) الَّتِي لَا تَكَادُ تَلْتَمِمْ، وَلَا تَجْتَمِعُ، وَهِيَ الرَّمْلِيَّةُ الَّتِي لَمْ يُخَالِطْهَا حَمَاءُ^(٢) تُرْطِبُهَا، وَلَا طِفْلٌ^(٣) تَكْتَسِبُ بِهِ حَظًّا مِنَ الْمَلَايِنَةِ^(٤). وَكَذَلِكَ أَيْضاً الْمَفْرُطَةُ الْبَيَاضُ^(٥) الشَّبِيهَةُ بِالْكِلْسِ، وَالْأَرْضُ الطُّفْلِيَّةُ^(٦) يَابِسَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ أَرْطَبُ مِنَ الرَّمْلِ كَثِيراً؛ لِأَنَّهَا مُسْتَحْصِفَةٌ الْمَدْرَةُ^(٧) إِذَا يَبَسَتْ، وَيَسْتَدَلُّ عَلَى يُنْسِهَا بِاتِّسَاقِهَا، وَصَلَابَةِ مَدَرَتِهَا، فَهِيَ فِي اجْتِمَاعِهَا، وَشِدَّةِ اتِّتَامِهَا كَالْحَجَرِ؛ فَإِنْ مَازَجَ هَذِهِ الْأَرْضُ شَيْئاً مِنَ التُّرَابِ الْمَشَاكِلِ لِلرَّمْلِ جَوْدَهَا، وَأَمَكْنَ غَوْصُ^(٨) عُرُوقِ النَّبَاتِ فِي بَاطِنِهَا. فَاجْعَلْ مَا ذَكَرْتُ لَكَ قِيَاسَكَ^(٩) فِي مَعْرِفَةِ الْأَرْضَيْنِ وَمَيِّزْهَا، فَلَنْ يَخْطِئَكَ ذَلِكَ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

(١) هِيَ الَّتِي قَصَدَهَا ابْنُ بَصَّالٍ بِقَوْلِهِ: الْحَرْشَاءُ الَّتِي عَلَى وَجْهِهَا تَحْيِيبٌ كَثِيرٌ، وَمَتَى كَشَفَ عَنْ بَاطِنِهَا وَجَدَ حَجَرًا مُتَصِلًا. فَهَذِهِ لَا تَصْلُحُ أَبَدًا. الْقَصْدُ وَالْبَيَانُ لِابْنِ بَصَّالٍ، ص ٤٨.

(٢) الْحَمَاءُ: الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمُتْنَنُ.

(٣) الْمُتَحَفُّ الْبَرِيطَانِي وَبَارِيسُ وَمَدْرِيد: طِفْلاً، وَهُوَ خَطَأٌ بَيْنَ.

(٤) بَارِيسُ وَمَدْرِيد: الْمَلَايِنَةُ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٥) الْمُتَحَفُّ وَبَارِيسُ وَمَدْرِيد: الْبَيَاضُ (تَصْحِيفٌ).

(٦) الطُّفْلُ: الطِّينُ الْأَصْفَرُ.

(٧) الْمُسْتَحْصِفَةُ: الشَّدِيدَةُ، وَالْمَدْرَةُ: الطِّينُ اللَّزْجُ الْمُتَمَاسِكُ، وَسُكَّانُ الْقَرْيَةِ هُمْ أَهْلُ الْمَدَرِ؛ لِأَنَّهُمْ يَبْنُونَ بِيُوتَهُمْ مِنْهُ.

(٨) بَارِيسُ وَمَدْرِيد: عَوْضٌ.

(٩) الْجُمْلَةُ التَّالِيَةُ سَقَطَتْ مِنْ بَارِيسُ وَمَدْرِيد.

وقال سيداغوس^(١): نحن إذا اعتبرنا الأرضين حق الاعتبار، وجدنا الحاجة إلى رطوبتها ودسمها، وانتفاشها، أكثر من حاجتنا إلى حرها؛ لأن الشمس والهواء يحرانها ويصلحانها، وإنما احتياجنا إلى دسم ولطف تستمد منه عروق النبات، فينقاد عند الاجتذاب سريعاً؛ فإن عرض أن يكون في الأرض الحرارة والرطوبة معاً كان أجود كثيراً.

قال ابن حجاج (رحمه الله)^(٢):

قول سيداغوس هو الحق الذي لا شيء غيره.

ومن كتاب ابن حجاج (رحمه الله): في ذكر تنويع^(٣) الأرض على رأي (يونيوس)^(٤) و(كسينوس)^(٥) و(ديمقراطيس) و(قسطوس) السالفين في علم الفلاحة.

(١) ذكره ابن حجاج في المقنع (ص ١١٣) سيداغوس، و(ص ١٢٣) سيداغوس، وفي الحاشية (سيداعوس الإسباني)، ولم يجر له ذكر في كتب الفلاحة الأخرى.

(٢) قول ابن حجاج أدخل به ما نشر من كتاب المقنع.

(٣) المقصود: أنواع الأرض، وما يناسبها من أنواع الأشجار والمزروعات.

(٤) اعتمد ابن حجاج على آراء يونيوس كثيراً وقد ذكر في المقنع في (٢٨) موضعاً. انظر: ص ١٦٢.

(٥) جاءت الأسماء مصحفةً تصحيفاً عجيباً في المتحف وباريس ومدريد، هكذا نونيوس وكستنس وقيسطوس.

قال يוניوس^(١): إِنَّ أَجْوَدَ الْأَرْضِينَ: الْأَرْضُ السَّوْدَاءُ، وَقَدْ مَدَحَهَا
الْقُدَمَاءُ، وَأَكْثَرُوا فِي مَدِيحِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَحْمِلُ كَثْرَةَ الْأَمْطَارِ.
وَيَتَلَوُ هَذِهِ الْأَرْضُ فِي الْجُودَةِ الْأَرْضَ الْبَنْفَسَجِيَّةَ^(٢) اللَّوْنُ.

قال ابن حَجَّاج (رحمه الله)^(٣): يعني بقوله: "الْبَنْفَسَجِيَّةُ اللَّوْنُ":
أَرْضاً حُمْرَاءَ تَحْنُ^(٤) إِلَى الدُّكْنَةِ^(٥)، وَنَحْنُ نُسَمِّيْهَا "الْهَنْدِيَّةَ" وَهِيَ نَهْيَةٌ فِي
الطَّيْبِ إِذَا كَانَتْ مُنْتَفِشَةً، وَالشَّجَرُ يُجُودُ فِيهَا. قَالَ: ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى قَوْلِ
(يُونِيُوسَ)، وَالْأَرْضُ الَّتِي يَغْمُرُهَا مَاءٌ نَهْرٍ مِنَ الْأَنْهَارِ تُسَمَّى "حَمَائِيَّةً"^(٦).

(١) قول يוניوس في المقنع، ص ٦، وفي كتاب أبي الخير، ص ٤. قال: لأنها تصير على
كثرة المياه والأمطار والحر.

(٢) هذا قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٥، قال: أحمد الأرضين التي يضرب
لونها إلى لون يشبه لون البنفسج، وهي المسماة الْبَنْفَسَجِيَّةَ، وصار فيها مع اللون
حمأة.

(٣) قول ابن حجاج ساقط من المقنع المنشور. قال ينبوشاد: الْبَنْفَسَجِيَّةُ تتكون إذا عمَّ
الأرض ماء عذب ثم انحسر، فحدث هذا اللون، وطعم تربتها عذب أبداً، يتلوها في
الجودة الأرض المتخلخلة ثم الأرض الحارة. الفلاحة النبطية، ص ٣٢٥.

(٤) المتحف وباريس ومدريد: تجر، تخر، تكرر.

(٥) كذا في المتحف وباريس ومدريد؛ ولعلها "الكُدْنَةُ" لأن من أنواع الأرض:
"المكدنة".

(٦) الأرض الحمائية هي التي تكونت من حمأة (الطين الأسود المتن) الناتج من
البراكين.

قال "ديمقراطيس" ^(١):

إذا نَشَفَتِ الأرضُ المَطَرَ، ولم تَشَقِّقِ بَعْدَ المَطَرِ ^(٢)، أو [إذا] مُطِرَ عليها فلا يكون بها زَلَقٌ ^(٣)؛ فهي أرضٌ جيدة، وإذا لم تَشَقِّقِ الأرضُ حين يَشْتَدُّ الحرُّ فهي أرضٌ صالحة.

قال ابن حجاج (رحمه الله) ^(٤):

يشير في هذا كله إلى ألا تكون الأرضُ طَفْلِيَّةً أو صَلُوداً ^(٥).

وقال لي بعض الناس: كيف ذَمَّ الحكيم "ديمقراطيس" وغيره الأرضَ المُتَشَقِّقَةَ، ونحن نرى فَحْصَ ^(٦) مدينة "قَرْمُونَةَ" ^(٧) كثيراً [ما]

(١) قول ديمقراطيس ذكره ابن حجاج في المقنع، ص ٦، وأبو الخير في الفلاحة، ص ٤، وذكر قسطا بن لوقا في الفلاحة الرومية، ص ١٣٥.

(٢) ابن حجاج وأبو الخير: ما لا يكثر تشققها إذا اشتد الحر.

(٣) ابن حجاج وأبو الخير: زَلَقٌ وَتَمْلِيسٌ ولا يطول مكث الماء فيها.

(٤) الصَّلُود: وصف من (صَلَد) للمبالغة: الأرض الشديدة الصلابة.

(٥) قوله سقط من المقنع المنشور.

(٦) الفَحْص: الحفيرة، والمراد الأرض المحفورة المحروثة منها.

(٧) قَرْمُونَةُ: من أعمال إشبيلية. انظر: المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (بيت الحكمة، تونس)، المواد: ٤٩٥، ٩٩٠، ١٣٦٧، ١٤٩٣، ١٥١٥.

تَشَقُّقٌ، وهو يَصْدُرُّ عنه الأَرْفَاعُ^(١) العظيمة من القَمْحِ مِمَّا لا يوجد في غيره.

فقلتُ:

لم يَذُمَّهُ إِلَّا بالإضافة إلى غيره مِمَّا هو أفضل منه على حسب الشرط المُقَدَّم، وأيضاً فإن هذه الأرض المُتَشَقِّقَةُ ليس لِنَجَابَةِ القَمْحِ فيها خاصَّةٌ تستحقُّ التفضيل جُمْلَةً؛ لأنَّ كثيراً من المَزْرُوعَاتِ والمَغْرُوسَاتِ المُعْتَادَةِ لا تَنَجُبُ فيها، فكيف لا يَفْضُلُ غيرها عليها.

والأَرْضُ السَّوْدَاءُ^(٢) المُتَنَقِّشَةُ^(٣) التي هي شبيهة بالزُّبُلِ القديم، يَنَجُبُ فيها كل مَزْرُوعٍ وَمَغْرُوسٍ بإِطْلَاقٍ.

وهذه الأرضُ في أعلى مَرَاتِبِ الطَّيِّبِ، فكيف يُضَافُ إليها غيرها مِمَّا لا يَنَجُبُ فيها إِلَّا بعض المَزْرُوعَاتِ والمَغْرُوسَاتِ بعد إِجْمَامٍ^(٤) من

(١) الرَّفَّاعُ والرَّفَّاع: رفع الزرع بعد الحصاد. يقال: هذه أيام رِفَاعٍ ورَفَّاعٍ. ورفع الزرع رُفْعَاناً: حمله بعد الحصاد إلى الجرن.

(٢) امتدحها قوثامي في الفلاحة النبطية، وقسطا بن لوقا في الفلاحة الرومية، وامتدحها أيضاً ابن بَصَّال وأبو الخير وابن حجاج وغيرهم.

(٣) المتحف: المتنقشة.

(٤) أحم القليب: ترك ماؤه يجتمع، وجمت البئر: تراجع ماؤها بعد الأخذ منها، والبئر الجموم: التي إذا نقصت اجتمع ماؤها.

قَلْبٍ، وَتَرَكَ اعْتِمَارًا^(١)، وَالَّتِي قَدَّمْتُ أَصْبِرُ وَأَعْطَى عَلَى كَثْرَةِ الازْدِرَاعِ فِيهَا، وَتَرَكَ الْإِحْمَامَ^(٢) لَهَا. وَهَذَا بَيِّنٌ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ (تعالى).

وقال "قسطوس"^(٣): الْجَيِّدُ مِنَ الْأَرْضِ هِيَ [الَّتِي] تَشْرَبُ مَاءَ الْمَطَرِ الْكَثِيرِ، وَالَّتِي تُنْبِتُ ضُرُوبَ الْأَعْشَابِ، فَتَنْعَمُ فِيهَا، وَتَجُودُ، وَتَطُولُ، وَالَّتِي تُنْبِتُ عُشْبًا رَقِيقًا رَدِيقَةً.

وقال "يونيوس"^(٤): الْأَرْضُ الْمُخْتَارَةُ لِلْبَقْلِ هِيَ الَّتِي لَيْسَتْ بِيَضَاءَ، وَلَا خَشِينَةً جَدًّا، يَعْنِي: الْحَرِشَاءَ، وَلَا تَتَشَقَّقُ فِي الصَّيْفِ تَشَقُّقًا كَثِيرًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ الْبِيضَاءَ^(٥) تَجْمُدُ فِي الشِّتَاءِ سَرِيعًا، وَتَجْفُ فِي الصَّيْفِ،

(١) الاعتماد والعمارة: حرث الأرض وتنقيتها من الحجارة والأعشاب.

(٢) المقصود: ترك السقي.

(٣) قول قسطوس ذكره ابن حجاج (ص ٦) قال: أجود الأرض ما لا يطول مكث الماء فيها، وإذا كان نباتها غليظاً طويلاً سميناً، غرض الورق، حين الخضرة، غليظ العروق. وإذا كان دقيق القضبان والعروق فهي أرض رقيقة. وقول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٥. ومما يعرف به طيب الأرض أن ينظر إلى العشب قلته وكثرته وغضارته ولونه. مفتاح الراحة، ص ١٠٠.

(٤) قول يونيوس ذكره ابن حجاج دون عزو، قال: أوفق الأرض للبقول التي ليست بخشنة ولا حوارة فإن الخشنة لا تصبر على كثرة الماء، والحوارة تسترخي في الشتاء، وتيبس في الصيف، فيهلك بقلها ومن الأرض الرملية ما يجود فيها البقل وذلك لقلة عشبها. المقنع، ص ٥٧.

(٥) المقنع، ص ٥٧: الأرض الحوارة تسترخي في الشتاء، وتيبس في الصيف.

فَيَهْلِكُ جَمِيعُ مَا يَكُونُ فِيهَا، أَوْ يَكُونُ ضَعِيفًا رَقِيقًا، وَلَا تَكَادُ تَصْلُحُ
الْأَرْضُ الْبَيْضَاءُ^(١) لِلْبَسَاتِينَ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ كَثِيرٍ، وَبَعْدَ أَنْ يَخْلُطَ تَرَابُهَا
بِسِرْجِينَ^(٢) مَسَاوٍ لِلتُّرَابِ.

وَأَمَّا الْأَرْضُ الَّتِي تَتَشَقَّقُ فِي الصَّيْفِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلْبَسَاتِينَ، وَلَا
الْأَرْضُ الْحَشِينَةُ أَيْضًا؛ فَإِنَّهَا لَا تَرَبُّ^(٣) [النَّبْتِ] تَرْبِيَةً جَيِّدَةً، وَلَا تَقْوَى
عَلَى أَنْ تَحْبَسَ الْمَاءَ.

و[قد] تَكُونُ أَرْضُونَ رَقِيقَةً^(٤) حَشِينَةً رَمَلِيَّةً جَيِّدَةً لِلْبُقُولِ، وَهِيَ
الَّتِي تَكُونُ الْحَمَاءُ فِيهَا كَثِيرَةً، فَتَكُونُ غِذَاءً لِأَصُولِ الْبُقُولِ مِنْهَا.

وَبِهَذَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْلَمَ بِأَسْهَلِ الْأُمُورِ الْأَرْضِينَ الْمَوَافِقَةَ لِلْبُقُولِ؛
وَذَلِكَ إِنْ رَوَيْتَ التُّرَابَ بِالْمَاءِ، وَغَسَلْتَهُ^(٥)، فَأَصَبْتَ الْحَمَاءَ فِيهِ أَكْثَرَ،
عَلِمْتَ أَنَّهَا أَرْضٌ جَيِّدَةٌ لِلْبُقُولِ مُرَبِّيَةٌ لَهَا، وَإِنْ أَصَبْتَ الرَّمْلَ أَكْثَرَ، عَلِمْتَ
أَنَّهَا غَيْرُ مَوَافِقَةٍ لِلْبُقُولِ، وَإِنْ أَنْتَ مَرَسْتَ الطِّينَ بِيَدَيْكَ فَأَصَبْتَهُ شَبِيهَاً

(١) قَالَ ابْنُ بَصَّالٍ، ص ٤٦: يَحْتَاجُ النَّبَاتُ الَّذِي يَزْرَعُ فِي الْأَرْضِ الْبَيْضَاءِ إِلَى الزَّبَلِ الْكَثِيرِ،
وَهِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى كَثْرَةِ الْخِدْمَةِ وَالتَّزْبِيلِ. مِفْتَاحُ الرَّاحَةِ، ص ١١٠.

(٢) السَّرْجِينَ وَالسَّرْقِينَ: الزَّبَلُ.

(٣) الْمُتَحَفُّ وَبَارِيسُ: تَرْبَى، وَالصَّوَابُ: تَرْبُ أَيُّ تَنْعَمُ نِعْمَةً جَيِّدَةً بِالْغِذَاءِ وَالتَّنْمِيَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ
تَكُونَ الْعِبَارَةُ (تَرْبِي النَّبْتِ تَرْبِيَةً).

(٤) الْمُتَحَفُّ وَبَارِيسُ: قَلِيلَةٌ.

(٥) مَضمُونُ هَذَا الْقَوْلِ ذَكَرَهُ ابْنُ حُجَّاجٍ فِي الْمَقْنَعِ، ص ٥٨.

بالشَّمْع، يَلصَقُ شديداً، فاعْلَم أنها أَرْضٌ غَيْرُ مُوَافِقَةٍ للبقول، فهذا قَوْلُ^(١) "يونبوس".

وقال "كسينوس": ينبغي أَنْ يُرْتَادَ للبقول الأرض السَّمينَة الدَّسِمة التي ليست بِخَشِنَة، ولا البَيضاء، ولا اللَّزجة، ولا التي تَتَشَقَّقُ في الصَّيف^(٢).

قال ابن حجاج (رحمه الله):

إِنَّمَا غَرَضُهُمْ فِي اطِّرَاحِ الْأَرْضِ الطَّفَلِيَّةِ وَالْحَرَشَاءِ، وَذَمُّهَا لِلْبُقُولِ؛ لِأَنَّ الْبَقْلَ فِي ذَاتِهِ رَطْبٌ مَائِي لَطِيفُ الْعُنْصُرِ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الشَّجَرِ الْخَشْبِيِّ، فَلَا يَصْلُحُ إِلَّا فِي الْأَرْضِ الدَّسِمةِ الرُّطْبَةِ الْمُتَنَفِّشَةِ، وَإِذَا اجْتَذِبَ أَصْلُهَا مِنْهَا سَلَسَ لَهُ الْمُجْتَذَبُ.

وَالْأَرْضُ الطَّفَلِيَّةُ اللَّزجة لَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ، وَلَا تَعُوصُ عِرْوَقُهُ فِيهَا — كَمَا تَقْدَمُ — وَالْأَرْضُ الْمُسْتَصْحَفَةُ^(٣) لِلشَّجَرِ أَوْفَقُ مِنْهَا لِلْبَقْلِ.

(١) قول يونبوس ذكره ابن حجاج في المقنع، ص ٥٨، بمعنى مختلف معاكس، قال: وإن عجنت [التراب] بيدك فالتصق طينه بيدك كالشمع فهي تصلح [للبقول].

(٢) قول كسينوس أدخل به كتاب المقنع، وفيه ما يناقض قوله. قال، ص ٦١: الثوم يزرع في الأرض البيضاء الرخوة. ومعنى قوله في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٠.

(٣) هي مستحصفة ومستصحفة: شديدة مستحكمة.

وقال بعض الفلاحين^(١): أمّا الأرض الرَّمْلِيَّة فإِنَّهَا تَزِيدُ حَرًّا فِي الصيف، وَبَرْدًا فِي الشِّتَاءِ، وَكَذَلِكَ الْحِجَارَةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ تَقْبَلُ حَرًّا الصيف وَبَرْدَ الشِّتَاءِ فَتُوْذِي الغُروسَ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا زَمَنَ الصيف وَالشِّتَاءِ؛ لِأَنَّ الْحِجَارَةَ تَحْمَى عِنْدَ حَرِّ الشَّمْسِ، وَتَبْرُدُ عِنْدَ الْهَوَاءِ الْبَارِدِ.

وهذا قول^(٢) "يونيوس" قال: وَهِيَ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَمِنْ غَيْرِهِ.

قال "جالينوس"^(٣) فِي كِتَابِ: "الأدوية المفردة":

اليونانيون^(٤) يُسَمُّونَ الْأَرْضَ الَّتِي طِينَتُهَا "دَسِمَة" لِيَنَّةٍ فِي ظَاهِرِهَا، وَبَاطِنِهَا خَشِينٌ - وَيُسَمُّونَ أُخْرَى ضِدَّ هَذِهِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ دَسِمَة: صَلْدَة؛ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لَعَمَلِ الْفَخَّارِ، وَيَفْصِلُونَ بَيْنَ الْمَوَاضِعِ اللَّيِّنَةِ الرُّطْبَةِ الطَّيِّبَةِ، وَبَيْنَ الْمَوَاضِعِ الْيَابِسَةِ الْقَحِلَةِ وَالرَّمْلِيَّةِ.

(١) انظر: ابن بَصَّال، ص ٤٣، والمقنع، ص ٧، وأبو الخير، ص ٥، والفلاحة النبطية، ص ٣٣٣.

(٢) قول يونيوس ذكره ابن حجاج، ص ٧، وأبو الخير، ص ٥

(٣) جالينوس: له كتاب الأدوية المفردة في إحدى عشرة مقالة. القفطي، ص ١٣٠، وعمدة الطبيب لأبي الخير، ص ٩، ٨٥٧، وله كتب أخرى نقل منها أبو الخير الإشبيلي في عمدة الطبيب، مثل: أغذية المرضى، ص ١١٤، تدبير الأصحاء، ص ٣٣، ٤١٣، كتاب العلل والأعراض، ص ٢٣١.

(٤) المتحف وباريس: اليونانيون...

وقال أيضاً:

والأكَّارون^(١) يزعمون أنَّ الأرض المُخصَّبة هي البعيدة من طبيعة الصُّخُور، ويَدُثُّون الأرضَ القَحْلَةَ الرَّمْلِيَّةَ؛ لأنَّها لا تصلحُ لشيء.

وقال أيضاً: الأرضُ التي يزرعُها الناسُ أصنافٌ خاصَّةٌ؛ وذلك أنَّ منها الدَّسِمةَ السَّوداءَ اللَّونَ، ومنها المُضَرَّسةَ^(٢) غير الدَّسِمةَ البيضاء اللَّونَ. وهذان صنفان متضادَّان؛ فأما ما بقي من أصنافها فهو بين هذين الصَّنِفَيْنِ؛ إمَّا أنَّ يَقْرُبَ من أحدهما قُرْباً قريباً، أو بعيداً.

وقال أيضاً: فأما الأرض المَحْرُوثَةُ فأفضَلُها الدَّسِمة.

ومن كتاب ابن حجاج (رحمه الله):

في معرفة طبائع ما علا من الأرض واستفل، قال^(٣): اعْلَمْ أنَّ الجبلَ أبردُ من السَّهْلِ وأَيْسَ؛ فأما يُيسُّه؛ فلائِه صَخْرِيٌّ، أو يكون ترابُه مُسْتَحْصِفاً شبيهاً بالصَّخَر. وأما بَرْدُه؛ فلائنَ الرياحَ تتمكَّنُ منه، والثلجُ أَوْجَدُ فيه.

(١) الأكار: الحراث، والجمع أكرّة وأكَّارون.

(٢) المتحف: المتشة، باريس: المهسة، والصواب: المضَّرَّسة وهي التي فيها حجارة كأنَّها أضراس. الضريس والمضروس والضُّرس سواء.

(٣) قوله هذا أخلَّ به كتابه المنشور، وسقط من كتاب "المقنع" الذي حققه: صلاح جرار وجاسر أبو صفية.

وهذا قول "ثابت بن قُرَّة"^(١): وَأَمَّا صَفَحَاتُهَا^(٢) فَتَرَبُّتُهَا^(٣) أَقْلٌ طَبِيباً كَثِيراً؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا أَحْرَّتِ الشَّمْسُ مِنْهَا، وَلَطَّفَتْ مِنْ أَجْزَائِهَا حَدَرَتَهُ الْأَمْطَارُ^(٤)؛ فَتَصَوَّبَ إِلَى الْحَضِيضِ؛ فَهَزَلَتْ لَذَلِكَ.

وَأَمَّا السَّهْلُ فَبِالضَّدِّ، وَأَمَّا الْقَيْعَانُ وَالْمُرُوجُ الَّتِي لَا يُطِيلُ الْمَاءُ الْمُكْتَمَ فِيهَا كُلَّ الْإِطَالَةِ فَمُعْتَدِلَةٌ طَبِيبَةٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهَا سَوْدَاءُ التُّرْبَةِ مِنْ تَعْفِينِ الْمِيَاهِ لَهَا، وَكُلُّ مَا يَعْفُنُ فَقَدْ اسْتَحَرَّ: لَكِنَّ الْمَاءَ الْمُنْجَذِبَ إِلَيْهَا كَثِيراً يُبَرِّدُهَا، وَيُرَطِّبُ تَرَبُّتَهَا، فَيَقَاوِمُ بَرْدَ الْمَاءِ حَرَّ التَّعْفِينِ^(٥).

وَقَالَ "سُولُون"^(٦): الْمُرُوجُ بَارِدَةٌ، وَلَيْسَتْ بِالكَثِيرَةِ الْبَرْدِ، وَعِلَّةُ ذَلِكَ أَنْجَذَابُ الْمِيَاهِ إِلَيْهَا، وَغُؤُورُهَا كَثِيراً فِيهَا، وَسِنْخُ^(٧) التُّرَابِ أَنَّ الْبَرْدَ

(١) هو ثابت بن قُرَّة الصابئي، وقيل: النصراني (ت: ٢٨٩هـ)، له كتاب يشرح فيه كتاب جالينوس المشهور، سماه جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس، وكتاب النبات، وشروح على مقالة أرسطو في النبات. انظر: عمدة الطبيب، ص ٦٧٦.

(٢) هي صفحة الجبل وسفحه.

(٣) المتحف: أما صفحاتها أقل طيباً.

(٤) باريس: حددته.

(٥) المتحف: المتعفن.

(٦) سولون: جاء ذكره في المقنع، ص ٨٩، ص ١٢٣، وفي بعض نسخ المقنع ونسخ فلاحه ابن العوام: شولون.

(٧) المتحف وباريس: سبخ (وهو تصحيف) والصواب سنخ التراب: أصله، أي أصل التراب يغلب عليه البرودة.

غَالِبٌ عَلَيْهِ، فَاسْتَوَى الْبَرْدُ عَلَيْهَا مِنْ جِهَتَيْنِ، وَفِيهَا جُزْءٌ مِنَ الْحَرِّ لِلتَّعْفِينِ
الْمُتَّلَاحِقِ لَتُرْبَتِهَا مِنَ الْمَاءِ الْمُنْجَذِبِ إِلَيْهَا، لَكِنْ هِيَ بِإِضَافَتِهَا إِلَى الْجِبَالِ
أَرْطَبُ كَثِيرًا وَأَحَرُّ...

(انتهى قول سولون).

وَأَمَّا مَكَامِنُ الْأَرْضِ الْغَائِرَةِ الْمُسْتَتِرَةِ بِالْأَشْرَافِ^(١) الْعَالِيَةِ،
وَالْأَجْرَافِ^(٢) الْمُضِلَّةِ؛ فَأَرْضُهَا بَارِدَةٌ جَدًّا؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ لَا تَصِلُ إِلَيْهَا، وَلَا
تَعْدُو نَبَاتَهَا، فَهِيَ فِي طَبِيعَتِهَا بَارِدَةٌ جَدًّا رَطْبَةٌ كَثِيرًا، فَإِذَا أَعْدَلُ الْأَمْكِنَةِ
وَأَحْفَظُهَا مَا انْخَفَضَ عَنِ الْجِبَلِ، وَكَانَ مُحِصًّا^(٣) مُعْتَدِلًا مُسْتَوِيًّا، ثُمَّ يَتَلَوُّهُ
الْمَرْوَجُ، ثُمَّ الْجَبَلُ -وَأَعْلَاهُ خَيْرٌ مِنْ صَفْحَتِهِ لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ جَرْدِ الْمِيَاهِ
طِينِهَا-^(٤).

وَأَدْنَى الْأَرْضِ الْمَكَامِنِ الْغَائِرَةِ الْمُظْلَلَّةِ، لَا تَكَادُ تَنْفَعُ إِلَّا مَا لَا بَالَ
لَهُ، مِمَّا سَنَذْكُرُهُ فِيهَا فِيمَا يُسْتَأْنَفُ مِنْ هَذَا التَّأْلِيفِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ
(تعالى)-.

(١) مَا شَرُفَ مِنَ الْأَرْضِ: مَا ارْتَفَعَ، وَالشَّرَفُ: الْمَوْضِعُ الْعَالِي. وَالْجَمْعُ: أَشْرَافٌ.

(٢) الْمُتَحَفُّ: الْأَجْرُفُ. وَالصُّوَابُ: الْجُرْفُ وَجَمْعُهُ: أَجْرَافٌ وَجِرْفَةٌ، وَهُوَ شِقُّ
الْوَادِي إِذَا حَفَرَ الْمَاءُ فِي أَسْفَلِهِ.

(٣) الْمُحِصُّ: الظَّاهِرُ الْبَائِنُ، أَمَّا الْمَكَانُ الْأَحْصَى: الَّذِي لَا يَطُولُ نَبَاتُهُ، وَقَلِيلُ النَّبْتِ
مَتَسَاقِطُهُ. حَصَّصَ الشَّيْءَ: بَانَ وَظَهَرَ.

(٤) مَدْرِيدٌ: طَبِيعُهَا.

قال "سولون":

فإذا سُئِلَتْ عن حَقْلِ من الأرض، بعضه مُتَطَامِنٌ، وبعضُهُ مُسْتَعْلٍ،
فَقِيلَ لَكَ: أَيُّ أَجْزَاءِ الأَرْضِ أَفْضَلُ؟ فَاخْتَرِ الْمُتَطَامِنَ عَلَى الْمُشْرِفِ، وَذَلِكَ
لَا نَحْدَارِ المَاءِ عَلَيْهِ، وَسَوْقَهُ مَا قَشَرَ مِنَ الأَعْلَى إِلَيْهِ؛ فَهُوَ أَرْطَبُ أَبَدًا
وَأَلْطَفُ.

وَالأَعْلَى أَشَدَّ مَدَرَةً أَبَدًا، وَأَقْرَبُ إِلَى مَشَاهِةِ الجِبَالِ (هَذَا عَلَى
الْأَعْمَ).

وَرُبَّ أَرْضٍ أَعْلَاهَا أَفْضَلُ مِنْ أَسْفَلِهَا خِلَقَةً، فَقَدْ نَجَدُ قِيَعَانَا
الْغَالِبُ عَلَيْهَا الرَّمْلَ، وَمَا أَشْرَفَ عَلَيْهَا أَرْضٌ أَرْطَبُ مِنْهَا... وَلَكِنَّ الْأَكْثَرَ
مِمَّا قَدَّمْتُ.

وَمِمَّا يُوَكِّدُ أَنَّ الأَسْفَلَ أَفْضَلُ مِنَ الأَعْلَى أَنَّ الأَمَكَنَةَ الَّتِي تَغْلِبُ
أَعْلَاهَا الحُمْرَةَ، فَاسَافِلُهَا لَوْنُهَا إِلَى السَّوَادِ، وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْلَاهَا أَيْضُ،
فَأَسْفَلُهَا أَحْمَرُ أَوْ أَسْوَدُ (هَذَا فِي الْأَكْثَرِ) وَأَمَّا الأَرْضُ الَّتِي تَسْتَنْقِعُ فِيهَا
المِيَاهُ، وَتَثْبُتُ كَثِيرًا بِهَا، فَهِيَ مَحْطُوطَةٌ^(١) مَذْمُومَةٌ؛ لِأَنَّ الرُّطُوبَةَ تَغْلِبُ
عَلَيْهَا فَتُطْفِئُ حَرَّهَا؛ وَهَذِهِ الأَرْضُ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمَا يُزْرَعُ فِي اسْتِقْبَالِ
الْقَيْظِ: كَالْقِثَاءِ، وَالْقَرَعِ وَالدُّرَّةِ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا الشَّجَرُ فَلَا يَصْلُحُ

(١) المَحْطُوطَةُ هُنَا: الْمَذْمُومَةُ، وَفِي اللُّغَةِ: الْمَحْطُوطُ: الْمُرْهَفُ وَالْمَصْقُولُ، وَجَارِيَةٌ
مَحْطُوطَةُ الْمَتْنِ: مَمْدُودَةٌ حَسَنَةٌ مُسْتَوِيَةٌ.

فيها. بل يَفْسُدُ، إِلَّا أَنْ يُغْرَسَ فِيهَا النَّشْمُ^(١) والدَّرْدَارُ^(٢)، والغَرْبُ^(٣)، وما شاكل ذلك من أشجار السَّبَّاح [التي] يُتَنَفَّعُ بعيدائها.

ومن كتاب ابن حجاج^(٤) (رحمه الله): في امتحان الأرضين لتَعْلَمَ حالها، [قال]: اَمْتَحَنَ الناسَ الأرضَينِ على وجوهٍ شَتَّى؛ فمنهم من اَمْتَحَنَهَا بالرَّائِحَةِ والذَّوْقِ^(٥)، ومنهم من اَمْتَحَنَهَا بالنَّظَرِ إليها، واللَّمْسِ لها، ومنهم من اَمْتَحَنَهَا بما يَنْبُتُ فيها؛ فَأَمَّا اَمْتَحَانُهَا بالنَّظَرِ إليها، واللَّمْسِ لها؛ فهو أَحْسَنُ ما جُرِّبَ؛ لِأَنَّ النَبْتَ قَدْ يَخْلُو مِنْهَا فَيَذْهَبُ الدَّلِيلُ عَلَيْهَا؛ فَمِمَّنْ ذَكَرَ الامْتِحَانَ بِالْمُعَايَنَةِ "يونيوس" فقال^(٦): إِنَّ الْأَرْضَ الْجَيِّدَةَ

(١) النَّشْمُ هو البَقَمُ الأسود والعَجْرَمُ وسنبل الكلب، وشجرة البق لأنها تثمر نفاخات مملوءة ديدان البعوض أو البق. عمدة الطبيب، ص ٧٦١، وجامع ابن البيطار، ص ٥٥.

(٢) الدَّرْدَارُ هو النَّشْمُ الأسود والبَقَمُ: وهو من الشجر العظام والأطباء يسمونه لسان العصفور، وقيل هو نوع من الدَّرْدَارِ. انظر: عمدة الطبيب، ص ٢٩٢.

(٣) الغَرْبُ من الصفصاف، واحده: غَرْبَةٌ، وقيل: هو الصفصاف الرومي، أو الحَوْر الرومي. عمدة الطبيب، ص ١٥٠، ٤٨٤، ٥٤٠.

(٤) معنى قول ابن حجاج في المقنع، ص ٦. قال في المقنع: وعلى قدر الذوق والطعم تعرف الأرض.

(٥) قال في المقنع: وعلى قدر الذوق والطعم تُعْرَفُ الأرض.

(٦) بعض قول يونيوس في المقنع (ص ٦)، قال: أجود الأرض ما لا يكثر تشققها إذا اشتد الحر، ولا يطول مكث الماء فيها؛ لأنها تنشف سريعاً. وفي الفلاحة الرومية (ص ١٣٥): قال قسطوس الحكيم: علامة الأرض الطيبة أن لا تشقق إذا تابعت عليها الأمطار، ونشف ماؤها. وهذا القول ذكره أبو الخير الإشبيلي في كتاب الفلاحة، ص ٤.

تُمْتَحَنُ بِالْمُعَايِنَةِ إِذَا لَمْ تَتَشَقَّقْ شُقُوقاً كَثِيراً عِنْدَ يُنْسِ الْهَوَاءِ، وَاحْتِباسِ
الْأَمْطَارِ، وَلَا سَيِّمًا إِذَا أَمْطَرَتْ عَلَيْهَا [السَّمَاءُ] مَطَرًا شَدِيدًا فَتَصِيرُ وَحَلَةً،
لَكِنْ قَدْ تَشْرَبُ جَمِيعُ الْمَاءِ الَّذِي يَجِيءُ مِنَ الْمَطَرِ، وَإِذَا لَمْ يَظْهَرْ وَجْهُ
الْأَرْضِ فِي أَوْقَاتِ الْبَرْدِ يَابَسًا شَبِيهَا بِالْخَزَفِ^(١).

ثُمَّ قَالَ "يُونْيُوس" ^(٢): وَقَدْ أَصَابَ الْقَدَمَاءُ -أَيْضًا- نَوْعًا آخَرَ مِنَ
الْمَحَنَةِ^(٣) يَقَعُ بِالْمُعَايِنَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَ الْبَرِّيَّ إِذَا كَانَتْ فِيهَا

(١) ذَكَرَ يَنْبُوشَادُ فِي فِسَادِ الْأَرْضِينَ أَرْضًا سَمَّاها الْخَرْفِيَّةَ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي يَعلُو
ظَاهِرُ وَجْهَهَا فِي الصَّيْفِ شَبِيهَ بِالْخَزَفِ فِي الْقَوَامِ وَاللَّوْنِ. الْفَلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ،
ص ٣٤٧، مِفْتَاحُ الرَّاحَةِ: شَبِيهَ بِالْخَزَفِ. الْمُتَحَفُّ وَبَارِيسُ: شَبِيهَا بِالْجَرَفِ
(تَصْحِيفُ).

(٢) قَوْلُ يُونْيُوسَ نَسَبُهُ ابْنُ حِجَاجٍ فِي الْمَقْنَعِ إِلَى أَنْطَرَلْيُوسَ (ص ٦)، وَهَذَا الْقَوْلُ
مَنْسُوبٌ إِلَى قَسْطُوسَ الْحَكِيمِ فِي الْفَلَاحَةِ الرُّومِيَّةِ، ص ١٣٥، وَمَنْسُوبٌ إِلَى
أَنْطَرَلْيُوسَ (ابْنُ خَيْرِ الْإِسْبِيلِيِّ، ص ٣).

وَفِي الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ (ص ٣٢٢): إِذَا كَانَ النَّبَاتُ قَوِيًّا عَالِيًّا مُلْتَفًّا فِي صَعُودِهِ
فَهِيَ أَرْضٌ كَرِيمَةٌ، وَإِذَا كَانَ صَغَارًا قَمِيئًا مُنْتَفًّا فَهِيَ أَرْضٌ غَيْرُ سَلِيمَةٍ مِنَ
الْعَاهَاتِ. وَقَالَ يَنْبُوشَادُ فِي الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ (ص ٣٢٠): تُمْتَحَنُ الْأَرْضُ بِأَنَّ
نَعْرِفَ الطَّعْمَ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا: الْمُلُوحَةُ أَوْ الْمَرَارَةُ أَوْ الزَّعَارَةُ أَوْ فَرَطُ الْقَبْضِ.
وَالْأَرْضُ تُمْتَحَنُ بِالْعَيَانِ إِذَا تَشَقَّقَتْ شُقُوقًا كَثِيرَةً عِنْدَ شِدَّةِ الْبَرْدِ أَوْ الْحَرِّ؛
فَهِيَ فَاسِدَةٌ.

(٣) يَقْصِدُ بِالْمَحَنَةِ: الْامْتِحَانِ.

عظيمةً ملتفةً بعضها ببعض، دلّت على أنّها كريهة، وإذا كانت الأشجار البرية التي تنبت فيها متوسطة في العظم والالتفاف دلّت على أنّها متوسطة في الجودة، وإذا كانت أرض فيها نبات رقيق الأغصان، يجفّ سريعاً، وحشيش قصير: فتلك أرض ضعيفة^(١).

وأما من استعمل ذوق الأرض، فلم يُرد [إلا] الاختيار [بين] ذات الملح من [ذات] العذبة^(٢).

قال "يونيوس"^(٣): يُصيرُ الترابُ بعدَ أخذه من قعر الحفرة في إناء زجاج، ويُطرحُ عليه ماءٌ عذب^(٤)، ويُمتحنُ بالذوق؛ فأما الأرضُ الملوحة

(١) قال قوثامي: كان بعض الكسدانيين يكتفون في محنة الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها، ولو بحشيشة واحدة، مثل: السوسن والعوسج والعليق والثيل، فيذوقونه ويقيسونه على ما ينبت في أرض سليمة من الآفات، فيستدلون بالوافق والخلاف على طبع الأرض. وقال ابن بصّال: مما يعرف به طيب الأرض أن ينظر إلى العشب في قلته وكثرته وغضارته. مفتاح الراحة، ص ١٠٠.

(٢) جاءت هذه العبارة مختلفة جداً، والمقصود منها: أن من امتحن الأرض بالذوق يقصد معرفة الأرض ذات الملوحة من الأرض ذات العذوبة.

(٣) قول يونيوس في المقنع، ص ٦، وذكره أبو الخير الإشبيلي، ص ٤.

وقال قسطوس الحكيم: تعرف الأرض الطيبة بريح طينها، يؤخذ تراها ويوضع في إناء زجاج ويخلط بماء السماء ويترك ساعة حتى يصفو ماؤه ثم يذاق، فإن كان طيباً فالأرض طيبة، وإن كان مالحاً فهي سبخة. الفلاحة الرومية، ص ١٣٥.

(٤) المتحف وباريس: ماء عذباً.

فقد رأى القدماء^(١) الهَرَبَ عنها، ولا تصلحُ عندهم لشيءٍ، ما خلا النخل^(٢) فإنه يجودُ نباته فيها، وتكون كثيرة الثمر.

ومن كتاب ابن حجاج (رحمه الله)^(٣): ذكر كثير من الفلاحين أن الكُرْبَ يَنْجُبُ فيها. وقيل: إن القَثَاءَ يَطِيبُ فيها وتحلو مذاقته.

وأما الذين يستعملون شَمَهَا فإنهم إنما رغبوا [في] امتحان ريجها؛ أهي خبيثة كريهة، أم ليست كذلك.

وأجمع الفلاحون على أن الأرض المُنْتَنَة^(٤) لا خير فيها، وممن

(١) قال صغريث: الأرض الحريفة المرة المنتنة شر الأرضين، وغيره من القدماء نراهم يهربون من الأرض المالحة الشديدة الملوحة التي يشوب ملوحتها مرارة. الفلاحة النبطية، ص ٣٢٣.

وقال ابن حجاج في المقنع (ص ٦): قالوا: اهرب كل الهروب من الأرض المنتنة والمالحة، والماء المالح والرمل المالح.

وهذا القول ذكره أبو الخير الإشبيلي في كتاب الفلاحة. ص ٤.

(٢) قال ابن حجاج (ص ٤٥) ينصب النخل في أرض مالحة، فإن لم تكن مالحة فألقى في حفرة ملحا وتعاهدها كل سنة بالملح.

(٣) قال ابن حجاج (المقنع، ص ٥٩): ينبغي أن يزرع الكرنب في مكان مالح فإنه ينسبط فيه.

وقد يسمى الأكرنب والقنبيط. عمدة الطبيب، ص ٤١٠.

وضبطه: كُرْبٌ وكِرْنَبٌ وكَرْنَبٌ وكُرْنَبٌ، وهو الملفوف في بلاد الشام.

(٤) قال صغريث: الأرض الحريفة المرة المنتنة شر الأرضين. الفلاحة النبطية، ص ٣٢٣.

ذَكَرَ ذَلِكَ "ديمقراطيس"، فقال (وهذا نصُّ قوله)^(١): علامةُ الأرضِ الجيدةِ للغرسِ أن يُحْفَرَ فيها قَدْرُ عُمُقِ الذَّرَاعَيْنِ^(٢)، ثم خُذْ من أسفلِ الحُفْرَةِ تُراباً وألقِه في زُجَاجَةٍ، وصُبَّ عليه ماءَ المَطَرِ، أو ماءَ نَهْرٍ عَذْبٍ طَيِّبِ الرِّيحِ، وخَوِّضْ^(٣) فيه ذلكَ الترابَ، وأَقِرَّهُ حتى يصفُو ذلكَ الماءَ، ثم ذُقْهُ وشمَّه؛ فإن كان طَيِّباً، فهي أَرْضٌ طَيِّبَةٌ، وإن كان مالِحاً فهي سَبِيخَةٌ^(٤)، وإن كان مُنْتِنَ الرِّيحِ؛ فالأرضُ رديئةٌ على قَدْرِ ذَوْقِ الماءِ ورَائِحَتِهِ.

قال "قَسْطُوسُ"^(٥): تَجَنَّبِ الْأَرْضِ الْمُنتِنَةَ وَالْمَالِحَةَ، غَيْرَ أَنَّ الْمَالِحَةَ تَصْلُحُ لِلنَّخْلِ.

قال "يُونْيُوسُ"^(٦): وَيَنْبَغِي أَنْ تَكْتَفِيَ فِي مِحْنَةِ الْأَرْضِ الَّتِي تَرَادُ لِلزَّرْعِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِ الذَّوْقِ وَالشَّمِّ بِحَفْرِ مَوْضِعٍ يَكُونُ عُمُقُهُ قَدْرَ قَدَمٍ،

(١) قول ديمقراطيس منسوب لقسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٥، وهو في المقنع، ص ٦، وفلاحة أبي الخير، ص ٤، والفلاحة النبطية، ص ٣٢١.

(٢) الفلاحة الرومية: أو ثلاثة أذرع. المقنع: قدر عمق ذراع.

(٣) الفلاحة النبطية: ثم يخضخض. الفلاحة الرومية: يذيفون في إناء زجاج.

(٤) الفلاحة الرومية: وإن كان مالِحاً فهي سبيخة. ابن حجاج وأبو الخير: فالأرض رديئة (ردية).

(٥) قول قسطوس في الفلاحة الرومية (ص ١٣٥)، قال: إذا كانت الأرض رائحتها منكراً، وفي طينها ملوحة فلا تصلح إلا لزرع النخل والأثل والطرفاء والقصب، وهي لغرس النخل أمثل منها لغيرها.

(٦) بعض قول يוניوس في المقنع، ص ٦، وفي فلاحة أبي الخير، ص ٤.

فَأَمَّا الْأَرْضُ الَّتِي تُرَادُّ لَغَرْسِ الْكُرُومِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْحَفِيرَةُ قَدْرَ ثَلَاثَةِ أَقْدَامٍ^(١).

وَأَمَّا الْأَرْضُ الَّتِي تُرَادُّ لَغَرْسِ الشَّجَرِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْحَفِيرَةُ قَدْرَ أَرْبَعَةِ أَقْدَامٍ. وَالْأَرْضُ الرَّدِيئَةُ الرَّائِحَةُ^(٢)، يَنْبَغِي أَنْ يُهْرَبَ عَنْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ أَلْبَتَّةَ.

وقال "سيداغوس"^(٣): إذا سألتَ عن أَرْضَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، أُيْهِمَا أَرْطَبُ بِالسَّنَخِ^(٤) وَأَفْضَلُ؟ فَاعْمَدْ إِلَى إِنَاءٍ مُمْتَلِئٍ مِنْ إِحْدَى التُّرْبَتَيْنِ، وَضَعُهُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، ثُمَّ اْمَلَأْهُ مِنَ الْأُخْرَى [فَأَيُّهُمَا أَثْقَلُ كَانَ أَفْضَلَ]، وَلَا يَكُونُ التُّرَابُ إِلَّا يَابِسًا غَيْرَ نَدِيٍّ^(٥).

قال ابن حجاج (رحمه الله)^(٦): وقد اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى طِيبِ

(١) قال ابن حجاج (ص ٢٠) عمق حفرة الكرم في السفوح ستة أشبار، وفي وطأة من الأرض ثلاثة أشبار، والأرض السمينية لا يبلغ حدها أكثر من ثلاثة أشبار.

(٢) المقنع، ص ٦، والفلاحة النبطية، ص ٣٢٣.

(٣) المقنع، ص ١٢٣: سيداغوس الإسباني.

(٤) المتحف وباريس: بالسيخ، والصواب: بالسبخ. أي: أُرطَب بالأصل.

(٥) المتحف وباريس: ولا يكن التراب إلا يابس غير نديين؟؟

(٦) قول ابن حجاج سقط من المقنع، وقال (ص ٦) إذا رأيت في الأرض شجراً عظيماً برياً لم يغرسه أحد؛ فهي أرض جيدة. وقال قوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٢: تمتحن الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها، مثل: السوسن والعوسج والعليق... فإن كان نباته قوياً عالياً ملتفاً، فهي أرض جيدة. ومثل هذا قول أبي الخير، ص ٤. وابن بصّال. مفتاح الراحة، ١٠٠.

الأرضِ أو دَنَاءَها بأعْشَابٍ تُنْبِتُها لا يَكَادُ يُخْطِئُ الاستدلالُ بها،
 كالمُقَشَّرِ^(١) المُسمَّى بالعجمية "القرْدَان"^(٢) والجزر البرِّي المُنتِن الرائحة
 الذي يُدعى "البَسْتِنَاج"^(٣)، فإنَّ هذين النَّبتين لا يَنْبَتَانِ إلَّا في أَطْيَبِ تُرْبَةٍ -
 على الأعمَّ والأكثر- ولذلك قال بعض علماء الأفارقة لفظاً هذه تَرْجَمَتُهُ
 باللُّغة العربية: [ينبت] (جوزو هيس) في التُّراب المتخَيَّر.

والأرض الدَّنيَّة يَنْبِتُ فيها صَعْتَرُ البرِّ المعروف عندنا بصَعْتَرِ
 الحَمِيرِ^(٤)، ولذلك يَنْبِتُ فيها "أَبْرُوطُن"^(٥) المُسمَّى بالعجمية المُشْتَان^(٦)،

(١) عمدة الطبيب، ص ٦٧١، القرشوم.

(٢) المتحف وباريس: القردال القرزال، وهو تصحيف صوابه من العمدة،
 ص ٦٧١، ٦٩٢، قال سميت بالقردان لأن القراد يأوي إليها.

(٣) البستيناج هو حمص الأمير وأضراس العجوز والعرمط، والقطب. معجم أسماء
 النبات، ص ١٨٢.

وقيل البستيناج المتن هو القعفوز نبات ورقه كالكزبرة له أغصان دقاق مائلة
 إلى الحمرة، منتنة الرائحة تنبت بين الزروع وتسمى بطرة. عمدة الطبيب،
 ص ١٠٠، ٦٨٧.

(٤) صعتر الحمير هو القيصوم ومسك الجن، وقيل: الجعيدة.

(٥) أبروطونن (باليونانية) هو صعتر الحمير أو القيصوم. عمدة الطبيب، ص ٥٣٧.

(٦) المتحف وباريس: المستل، والصواب: المشتان وهو ضرب من القيصوم. عمدة
 الطبيب، ص ٤٩٧.

والْحَسَك^(١)، وَالْبَقْلُ الْأَحْرَشُ^(٢) الْمُضْطَجِعُ، وَالْقَمَحُ الْبَرِّيُّ المدعو عندنا قَمَحُ الْحَجَلِ^(٣)، فَإِنَّ هَذَا الْأَعْشَابَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الدِّيَةِ مِنَ الْأَرْضِينَ.

وليس كذلك سائر الأعشاب، فَإِنَّا نَرَى بَعْضَ النَّبَاتِ قد يكون في الأرض المختارة، وفي الأرض المذمومة معاً، فلا يكون به استدلال؛ مثل: بَصَلِ الْبَرِّ، وهو "العُنْصَلُ"^(٤) والحَشَنَاءُ^(٥) من الْبَقْلِ وغيرهما.

وقال بعضهم: الأرض الرُّطْبَةُ الطَّيِّبَةُ وإن حَالَتْ عليها الأعوامُ دون اعتِمَار^(٦) لا تَتَشَعَّرُ^(٧)، والأرضُ الدَّنيئةُ والرَّقِيقَةُ والغليظةُ والصَّمَاءُ تَتَشَعَّرُ سَرِيعاً.

(١) الحسك: حمص الأمير والبستيناج وأضراس العجوز والعرمط.

(٢) البقل الأحرش: هي حشيشة الغراب. معجم أسماء النبات، ص ٩٤. وهناك بقول كثيرة مثل: بقلة الحنش، والبقلة المرة، والبقلة الحمقاء والبقلة الخراسانية.

(٣) قَمَحُ الْحَجَلِ: نبات ورقه كورق الدَّوسَر، يشبه حب البر. عمدة الطبيب، ص ٦٨١.

(٤) الْعُنْصَلُ وَالْعُنْصُلَاءُ وَالْعُنْصُلَانُ: بصل الفأر، وبصل الخنزير وبصل فرعون.

(٥) لعلها البقلة الحمقاء، أو بقل الأحرش أو البقلة المرة أو بقلة الحنش.

(٦) الاعتِمَار: حرث الأرض وتنقيتها من العشب والحجارة.

(٧) تتشعر: الفعل من الشَّعَار هو الشجر الملتف.

فَتَنَبْتُ الشَّجَرَ كَالسَّنْدِيَانِ وَالكَتَمِ^(١)، وَالضَّرْوِ^(٢)، وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِمَّا يَكُونُ فِي الشَّعْرَاءِ^(٣)، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْأَرْضِ الْهَزِيلَةِ.

قال ابن حجاج (رحمه الله): قد أثبتنا - في الأرض - من القول
مِمَّا يُرْتَجَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَقْنَعٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَلَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ
الْأَرْضُ الَّتِي ذَمَّ الْحُكَمَاءُ قَدْ نَجَدُ فِيهَا أَنْوَاعًا مِنَ النَّبَاتِ يَهْتَزُّ فِيهَا وَيَجُودُ:
كَالرَّمْلِ فَإِنَّا نَجِدُ الشَّجَرَةَ الْمُسَمَّاةَ "أَمَ غِيلَانَ"^(٤) تَنْجُبُ فِيهَا، وَكَذَلِكَ
النَّبَاتُ الْمُسَمَّى "الْحَاجَ"^(٥)، وَ"الكَتَمَ"^(٦) يَنْمَى فِي الْأَرْضِ الْمُسْتَحْصِفَةِ؟^(٧).

قيل له: إِنَّ الَّذِي ذَكَرْتَ صَحِيحٌ مِنْ أَنَّ الْأَرْضِينَ قَدْ يَنْجُبُ فِي
كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَنْوَاعٌ مِنَ النَّبَاتِ يُمْكِنُ أَنْ يُنْطَلَّ كَثِيرٌ مِنْهَا فِيمَا سِوَاهَا،
وَلَكِنَّ الْحُكَمَاءَ ذَهَبُوا إِلَى اخْتِيَارِ الْأَرْضِ الَّتِي لَا تَغْلُبُ عَلَيْهَا الرُّطُوبَةُ مَعَ

(١) الكتم: نبات له حمل أسود كالفلفل، حبه يسمى: فلفل القروود.

(٢) الضرو: هو البطم، وثمره الحبة الخضراء.

(٣) الشعراء: الروضة الكثيرة الشجر. وكذلك الشعار: المكان ذو الشجر. اللسان،
مادة (شعر).

(٤) أم غيلان: هي الطلح ثمرها علف وزهرها حنبل وثمرتها برمه وشكوها عنم.

(٥) الحاج: هو العاقول والكبير أو شوك الجمال.

(٦) الكتم: نبت له حمل أسود كالفلفل يسمى فلفل القروود. (مكرر)

(٧) أرض مستحصفة ومستصحفة: شديدة مستحكمة.

الحرارة، أو ما يَغْلُبُ عليها الرطوبة فقط؛ لاحتياج عامة النبات إلى هاتين الحالتين، وذموا ضد ذلك. وأيضاً فإنهم إنما اختاروا ومدحوا الأرضين الموافقة للبرّ والشعير والبقول، وغير ذلك مما حاجة الناس إليه أو كد، وكذلك أثنوا على الأرض الموافقة للأشجار البستانية؛ مثل: التفاح، والكمثرى، والإجاص، وفضلوا الأرض المشاكلة للبقول؛ مثل: الباذنجان، والقطف^(١)، والبقلة اليمانية^(٢)، والكزبر، وما شاكل ذلك.

وقد قال سُولُون^(٣): كادت الأرض الرطبة أن ينجبَ فيها كلّ مزروعٍ ومغروسٍ^(٤) بإطلاق؛ فلذلك حمدوها، وأكثروا من تفضيلها، وليس لأن "الثرمس"^(٥) يَجُودُ في الرمل^(٦)، يستحقُّ الرملُ التفضيل؛ لأن

(١) القطف: هي البقلة الذهبية وبقلة الروم والريحان اليماني والأسفناخ الرومي ورجل الجراد سواء.

(٢) البقلة اليمانية هي اليربوز، وهي من الأحباق وتسمى في الشام اليمور وفي الحجاز البقلة اليمانية. عمدة الطبيب، ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) المتحف وباريس ومديد: سُولُون.

(٤) يستخدم ابن العوام مصطلح الزرع والمزروع والزراعة للنباتات والبقول، ومصطلح الغرس والغراسات والمغترس: للأشجار.

(٥) الثرمس من البقول بعضه له زهر أبيض، وبعضه له زهر مائل إلى الحمرة، منه حلو ومنه مر، ومنه بستاني ومنه بري، ومن أنواعه: ترمس الثعلب، وخانق الكلاب، وترمس الحجل، وكف الضبع، وترمس الخنزير. عمدة الطبيب، ص ١٣٩-١٤٠.

(٦) يجود الترمس في الرمل وفي الأرض الرقيقة. المقنع، ص ١٥.

هذا كالشاذ؛ ولو زرع الترمس في الأرض الطيبة لحسن فيها، ولو أن البر يُزرع في الرمل لم يكن له ريع، فلا تزل، فهذا بين لك. وليس لأن الصنوبر أيضاً يوافقه الرمل يوجب مدحه؛ لأن الصنوبر ليس له نظراء.

وقال:

[وقد] نجد التفاح والكمثرى والإجاص لا يوافقه ذلك؛ وإنما الفضل للتربة التي تجود فيها أكثر المغروسات والمزروعات، والأشياء التي بالناس أوكد الحاجة إليها.

قال ابن حجاج أيضاً:

وقد يجود في الرمل نباتات كالشمش^(١)، والرمان، والسفرجل؛ لكن هذا إنما يكون في البساتين، بعد معاناته^(٢) بالزبل الكثير، والسقي الدائم، وأما على طبعه الأول فلا يجود ذلك فيه، ويحدث له طبع آخر من إحرار^(٣) الزبل له، وترطيب الماء إياه، فيكون أشد إمساكاً للروء^(٤)

(١) هو شمش ومشمش.

(٢) غني بالأمر عنياً وعناية: اهتم به، وشغل به. وهم يعانون شجرهم: أحسنوا القيام عليها. والمراد: يحسنون إليها ويهتمون بها، ويدبرونها بالزبل والماء.

(٣) المتحف وباريس: إحدار.

(٤) المتحف: للروايا اللخلخل، مدريد للروي والمقصود (الروي) الروء من الماء: الكثير العذب، وكذلك الروى، ماء روى: رواء.

بالتَّخْلُحِلِ الذي فيه، وأَقْبَلَ للماء عند السَّقْيِ، وأَقْرَبَ إلى أن يفرطَ غَوْصَ
عُرُوقِ النبات فيه.

وَأَمَّا على وَجْهِهِ من غير أن يُعَانِيَ بما قَدَّمْتُ ذكره؛ فهو ذَمِيمٌ^(١)
هزيل، قليل الإِنْمَاء؛ إِلَّا أن يُمَارِجَهُ حَمَاءٌ^(٢) أو ترابٌ رَطْبٌ، كما سَلَفَ
من قولنا، ولا ينبغي أن يفرط في سَقْيِهِ كثيراً؛ لِأَنَّهُ لا يَلْقَطُ الماءَ، وَرَبَّمَا
ظَنَّ مَنْ لا عِلْمَ عنده بالفلاحة^(٣) أنه لم يأخذ رِيَّه ولا حَقَّه من الماء لتَشْرَبَهُ
ذلك، وهو قد يُوَلِّعُ^(٤) في سَقْيِهِ؛ فيكون ذلك سَبَباً لِإِهْلَاكِ ما أَوْدَعَهُ؛ لِأَنَّهُ
قَنُوعٌ^(٥) لِيُسَّ أَجْزَائِهِ؛ إِذْ هِيَ حَصَى صَغِيرٌ^(٦) لا يَلِجُ الماءُ إِلَّا فيما بَيْنَهُ،
دون الولوج في داخلِهِ. وهذا واضحٌ إن شاء الله (تعالى). "انتهى ما في
"المُقْنَع" لابن حَجَّاج في هذا المعنى".

(١) مدريد: ذميم (مذموم). المتحف وباريس: ذميم.

(٢) الحمأة: التراب الأسود، وهو تراب البراكين.

(٣) هذا القول لابن بَصَّال، الفلاحة، ص ٤٤، وانظر: مفتاح الراحة، ص ١٠٩.

(٤) المتحف: يولغ.

(٥) مدريد وباريس: فتوع - فتوع (تصحيف).

(٦) الصواب: هي حصى صغار.

ومن كتاب "الفلاحة النبطية" في نحو ما تقدّم وصّفه. قال صغريث^(١): اعلّموا أنّ الأرض تختلفُ اختلافاً كثيراً مُتفاوتاً^(٢)، حتى في قبولها البرد^(٣) واليُس والرطوبة، وقد يحتاجُ الفلاحون إلى معرفة ذلك؛ إذ كانت الأرض كالأصل^(٤) بالحقيقة لتربية النبات كُلّه، فإذا عرف الفلاح طبيعة الأرض، وأودعَ كلَّ أرضٍ ما هو موافق لها من الشجر والغُروس والزَّرْع^(٥) كان بذلك تمام إفلاحه، وجودة معرفته.

وقد تتغيّر الأرض إلى الطُّعوم المُهلكة للنبات، مثل الملوحة وغيرها من سائر الطُّعوم، وسببُ ذلك كثرة إحراق الشمس لها، وأسبابُ أُخرُ غير ذلك، والأرضُ الصالحةُ السليمة تصلح لجميع المنابت على العموم.

قال آدم (عليه السلام)^(٦): أما الأرض الجيدة الصالحة^(٧) فهي الأرضُ

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية، ص ٣٠٧. وهو صغريث المملكاني، كان مغنياً وشاعراً، وله ترتيب للنبات على الكواكب السبعة.

(٢) الفلاحة النبطية: كاختلاف المياه والأهوية في قبولها الحرّ والبرد، واليُس والرطوبة.

(٣) الفلاحة النبطية: قبولها الحر والبرد.

(٤) الفلاحة النبطية: إذ كانت الأرض كالأصل والموضوع، بل هي الموضوع بالحقيقة.

(٥) الفلاحة النبطية: ومن النخل والزروع.

(٦) قول آدم (عليه السلام) في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٥، وفيها (قال آدمي)...

(٧) الفلاحة النبطية: التامة الصلاح.

التي يَضْرِبُ لونها إلى اسوداد^(١)، وتكونُ مع ذلك تَشْرَبُ^(٢) ماءَ الأمطار شُرْباً جيّداً كثيراً، ولا تَرْتَحِلُ^(٣) منها، ولا تَتَعَلَّكُ^(٤) عند اجتماع تراها مع الماء، ويكون قوامها بين المتلزمة والمتخلجة، فهذه أحمَدُ الأرضين وأجودها.

قال "ينوشاد"^(٥): أحمَدُ الأرضين هي التي تضربُ إلى لونٍ يشبه البنفسج، وهي المُسمّاة "البنفسجية" وأكثرُ ما يكون هذا اللون في الأرضين إذا غمرَ ماءً عذبُ أرضاً فأقام بها مُدَّة، ثم انحسرَ عنها؛ فيحدثُ فيها هذا اللون، وصارَ فيها مع هذا اللون حمائية ماء^(٦)، ومثل هذه يكون طعمُ تراها أبداً عذباً.

وفي "الفلاحة النبطية"^(٧) أيضاً: الأرض إذا استقر في قاعها ماءُ المطر، فإنَّه يحملُ إليها دُسومة الأرض المرتفعة التي انحدرَ ذلك الماء منها، فيستقرُّ في ذلك القاع، ويسودُّ وجهُ الأرض اسوداداً يشبه لون البنفسج،

(١) الفلاحة النبطية: إلى سواد.

(٢) الفلاحة النبطية: تشرب ماء الأمطار تشرباً.

(٣) الفلاحة النبطية: لا توحل (لعلها تتوحل).

(٤) باريس: تتغلل، النبطية: لا تتغير، والصواب: تتعلك.

(٥) قول ينوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٥.

(٦) الفلاحة النبطية: حمائية ما.

(٧) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٥، ٣٣١.

ويسمى ذلك "سواد الدُسومة" ومتى ظهر ما يشبهه على وجه الأرض دلّ ذلك على أنّ تلك الأرض دَسِمةٌ.

وإفراطُ الدُسومة غيرُ صالحٍ، وضدُّ الدُسومة القَشَفُ^(١)، والحُسومة^(٢)، وذلك ظاهرٌ للعيان، وليستَ في الأرض التي يُخالِطها رملٌ أحرش^(٣) أو حجارةٌ صغارٌ أو كبارٌ.

قال "ينوشاد" أيضاً^(٤): ويتلو الأرضَ البنفسجيةَ في الجودةِ الأرضُ التي لوْها شديدُ الغبرة^(٥)، وفيها تخلخلٌ، وطعمُ تراها عَذْبٌ، لا يشوبُه طعمٌ من الطُّعومِ ألبتّة.

ويتلو هذه في الجودةِ الأرضُ التي سمّاها آدم (عليه السلام) "الحارة"^(٦) ومن صفاتها أنّها هَشَّةٌ، وهي إذا اشتدَّ البردُ عليها جداً —إمّا بعقبِ سقوطِ

(١) القَشَف: خشونة وتغير في سطح الأرض من البرد أو من تلويح الشمس.

(٢) الحُسومة: سوء الغذاء ونقصان الماء والمطر.

(٣) الرمل الأحرش: الخشن، وهي تربة حرشاء: خشنة.

(٤) قول ينوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٦.

(٥) الفلاحة النبطية: التي يضرب لوها إلى نقصان من الغبرة إلى بياض ليس ببياض نقي.

(٦) قول آدمي في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٥-٣٢٦.

ثَلَج، أو غير ذلك - لم تَتَغَيَّرْ صَفْحَةُ وَجْهِهَا تَغْيِيرًا أَلْبَتَةً، وتكونُ مع ذلك إذا فَتَّتْ^(١) إنسانٌ مَدْرَهَا تَفَتَّتَ بسرعة.

قال^(٢): ويتلو هذه في الجودة أرضٌ تُسَمَّى "الشَّديْدَة" يضرب لوْها إلى نقصان من العُبْرَة، وإلى بياضٍ ليس بَبَيَاضٍ بَيْنَ نَقِيٍّ، بل بين البياض والعُبْرَة، وتكون هذه دون الصُّلْبَة قليلاً، وهي سَهْلَة الحرث والقلب بالبالات^(٣).

وهذه الأرضُ غير موافقة لغرس الأشجار، أمّا الزَّرْع فيكون فيها جيِّداً.

وقد خالفه "صغريث"^(٤) في أمر هذه الأرض، وقال: إِنَّ الشَّجَرَ يكون في هذه الأرض أجودَ وأنمى وأكثرَ حملاً.

[وقال ينبوشاد]^(٥): وأمّا الأرضُ الحَمراءُ العَلِكَة فإنَّها جيدة لكلِّ زَرْعٍ وشَجَرٍ إلّا النَّخْلَ، والشجرةُ المُثْمِرَة ثَمرةٌ حُلوةٌ فإنَّها غيرُ موافقة لها.

(١) الفلاحة النبطية: إذا تفدّر منها فدر من طينها ففتها إنسان أسرعت التفتت.

(٢) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٦.

(٣) المتحف بالها ثمار، باريس: بالهامار، والصواب من النبطية والباله: من أنواع المحاريث.

(٤) قول صغريث في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٦.

(٥) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٦.

وسائرُ الأرضين الجياد التي قَدَّمْنَا وَصَفَهَا صالحةً لكلِّ نوعٍ من الشَّجَرِ والمنابت كلها؛ وأمَّا الأرض التي يُسمِّيها القدماءُ^(١) "العميقة" فهي جيدةٌ أيضاً، وصالحةٌ لكلِّ ضَرْبٍ من النَّباتِ إلا البُقُول: فإنها لا تكون فيها جيدة.

وفي "الفلاحة النبطية" أيضاً^(٢): الأرضُ العميقة هي التي بين الدَّسِمة والقَشْفَةِ^(٣). قال: وهي التي سَمَّيْنَاهَا نحن "السَّهْلَة"^(٤).

قال^(٥): وأمَّا الأرضُ التي يَظْهَرُ^(٦) على وَجْهِهَا في الشَّتَاءِ شِبْهَ البَيَاضِ مُنْبَسِطاً عليها، وذلك يَدُلُّ على أَنَّ فيها مُلُوحةً، فإنَّها رديئةٌ لا تَصْلُحُ إِلَّا لِلنَّخْلِ والشَّعِيرِ، والباقيلاء، والسُّلُق، وما أشبه ذلك.

وأمَّا الأرضُ الْمُتَغَيَّرَةُ الطَّعْمِ —إِلَّا أَنَّهَا بصفة الأرض التي سَمَّاها آدَمُ "الحارَّة"^(٧)؛ فهي صالِحَةٌ لَعَرَسِ الكُرُومِ، والقرع، والبَطِيخِ، وما انْبَسَطَ

(١) المتحف وباريس ومدريد: الأطباء. والصواب من كتاب الفلاحة النبطية.

(٢) الفلاحة النبطية، ص ٤٠٧، ومفتاح الراحة، ص ١٢٥.

(٣) الفلاحة النبطية: والتفهة.

(٤) الفلاحة النبطية، ص ٤٠٧.

(٥) هذا قول ينيوشاد: الفلاحة النبطية، ص ٣٢٦.

(٦) الفلاحة النبطية: يركب وجهها في الشتاء.

(٧) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٦.

على الأرض، ولم يَقمْ على ساق، وهي صالحةٌ للأشجار المثمرة، وتوافقُ
الحبوب المقتاتة، ولا توافقُ الرِّياحين.

قال "قوثامي"^(١): فهذا طَرَفٌ من علامات صلاح الأرضين، وما
خالف منها هذه الأوصاف فهو فاسدٌ محتاج إلى العلاج ليرجع إلى
الصَّلاح^(٢).

* * *

(١) قوله في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٦.

(٢) الفلاحة النبطية: إلى حال الصلاح.

[الـ]... فَصْلُ [الثاني]

[في أحوال الأرض: فسادها وصلاحها]

"وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَحْوَالِ الْأَرْضِ، وَفَسَادِهَا،

وَصَلَاحِهَا، مِنْ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ"

قال^(١): الْأَرْضُ الصَّالِحَةُ السَّلِيمَةُ يُدْرَكُ ذَلِكَ مِنْهَا بِالْعَيَانِ؛ وَهِيَ الَّتِي لَا تَتَشَقَّقُ^(٢) شَقُوقًا كَثِيرَةً عِنْدَ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ، وَلَا عِنْدَ غَلَبَةِ الْيُبْسِ الشَّدِيدِ عَلَيْهَا، مِنْ احْتِبَاسِ^(٣) الْأَمْطَارِ فِي الْخَرِيفِ، وَفِي أَوَائِلِ الشِّتَاءِ. وَلَا الَّتِي إِذَا جَاءَتْ عَلَيْهَا الْأَمْطَارُ كَثِيرَةً مُتَابَعَةً حَدَثَ فِيهَا وَحْلٌ فَتَتَعَلَّكُ^(٤) تَعَلُّكًا شَدِيدًا، وَتَلْصَقُ بِالْأَرْجُلِ إِذَا وُطِئَ عَلَيْهَا، وَبِالْأَيْدِي إِذَا مَسَّهَا مَاسٌ، لَكِنْ تَتَشَرَّبُ الْأَمْطَارُ تَشْرَبًا دَائِمًا. وَإِذَا سَكَنَ الْمَطَرُ لَمْ يَظْهَرَ عَلَى وَجْهِهَا بَيَاضٌ^(٥)؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْأَرْضِينَ الَّتِي لَيْسَتْ بِتَامَّةِ الصَّلَاحِ يَظْهَرُ عَلَيْهَا مِنْ غَدٍ يَوْمَ الْمَطَرِ، أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ شَيْءٌ شَبِيهٌ بِالذَّقِيقِ أَيْبِضٌ مُتَفَرِّقٌ أَوْ مُجْتَمِعٌ فِي بَقَاعٍ دُونَ بَقَاعٍ، فَهَذِهِ لَيْسَتْ بِمَحْمُودَةٍ.

(١) القائل قوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٠.

(٢) النبطية: التي تتشقق شقوقاً كثيرة (ياسقاط (لا) وهو خطأ من المحقق).

(٣) الفلاحة النبطية: من أجناس الأمطار (وهذا تصحيف).

(٤) الفلاحة النبطية: حدث فيها وحل يتعلك شديداً ويلتصق بالأرجل...

(٥) الفلاحة النبطية: يظهر على وجهها لون شيء غير لون الأرض.

ومِمَّا يدلُّ على أن الأرضَ جيدةٌ محمودةٌ أيضاً أنَّ البرْدَ إذا اشتدَّ لم يظهر على وجهها شبيهٌ بالخزَفِ الذي هو غير أبيض، خالص البياض^(١).

ومِمَّا تُمتَحَنُ به الأرض؛ لتعرفَ الجودة منها، وغير الجودة أيضاً^(٢): أن يُؤخذَ من ثرابها كَفٌّ يكونُ وزنه من رطلين إلى ثلاثة، ويُجعلَ في دَوْرَقٍ خزَفٍ^(٣)، ويُدفنَ مضمُومَ الرأسِ ضمًّا جيِّداً، في حفيرةٍ في تلك الأرض، يكونُ عمقها أربعة أذرعٍ أو ثلاثة (أقلُّه) ويُتركُ أربعةَ عشرَ يوماً، وذلك مدة نصفِ دَوْرِ القَمَرِ، ثم يُخرَجُ ويُنظَرُ، فإن كان ظاهر الإناء الخزَفِ قد تبيَّن عليه أنَّه قد عرِقَ فليُفتحَ، وإن كان لم يعرِقْ في الحفيرة، فليُردَّ، وليُطَمَرِ شديداً بالترابِ جداً، ثم يُتركُ سبعةَ أيام، ثم يُخرَجُ، ويُفتحَ، فقد يكونُ تَكَوَّنَ فيه دُوْدٌ أو غيره من الحيوان الكائن كثيراً من العَفَنِ في موضع لا يناله فيه نسيم الهواء، ثم يتفقَدُ لون تلك الحيوانات، فإن كانت سُوداً أو زُرْقاً أو خضراً؛ فتلك الأرض غير صالحة محمودة، وإن كانت حُمْراً أو صُفْراً أو غُبْراً أو دُكْنًا^(٤)، أو خفيفة^(٥) الخُضرة أو بيضاً فتلك الأرضُ صالحةٌ محمودةٌ الطَّبْعِ.

(١) هذا القول أيضاً في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٠.

(٢) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٣) الفلاحة النبطية: دورق خزف أو ثلجية؟؟

(٤) المتحف وباريس ومدريد: دكماً.

(٥) الفلاحة النبطية: خفية الخضرة.

وَيُشَمُّ رِيحُ ذَلِكَ التُّرَابِ الَّذِي دُفِنَ فِي الْإِنَاءِ؛ إِنْ كَانَ رِيحُهُ بَعْدَ الدَّفْنِ مِثْلَ رِيحِهِ قَبْلَ أَنْ يُدْفَنَ، أَوْ يَقْرُبَ مِنْهُ، فَالْأَرْضُ صَالِحَةٌ فِي الْغَايَةِ مِنَ الصَّلَاحِ، وَإِنْ وُجِدَ لَهُ رِيحٌ مُتَغَيِّرٌ، فَيَنْظُرُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ ذَلِكَ الرِّيحُ؛ فَإِنْ تَغَيَّرَ إِلَى حُمُوزَةٍ أَوْ مَرَارَةٍ أَوْ زَعَارَةٍ^(١)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَلْيَنْظُرْ فِي ذَلِكَ، وَيَحْكُمْ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ سَلِيمًا مِنْ هَذِهِ الرِّوَائِحِ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالصَّلَاحِ، وَإِنْ تَبَيَّنَ فِيهِ بَعْضُ هَذِهِ الرِّوَائِحِ فَلْيُحْكَمْ عَلَيْهِ بِمَا يُوَافِقُ تِلْكَ الرَّائِحَةَ، مِنَ الْمَيْلِ إِلَى الْحُمُوزَةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَظْهَرُ فِي الرَّائِحَةِ^(٢).

وَتُذَاقُ تِلْكَ التُّرْبَةُ بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ مِنْ إِخْرَاجِهَا مِنَ الدَّفْنِ، فَإِنْ كَانَ طَعْمُهَا مِثْلَ طَعْمِ الطِّينِ الْحَرِّ الْأَحْمَرِ الْمُحْتَفَرِّ مِنَ الْآبَارِ بَعْدَ جَفَافِهِ، فَهِيَ أَرْضٌ مَحْمُودَةٌ صَالِحَةٌ.

وَإِنْ تَغَيَّرَ طَعْمُهَا إِلَى طَعْمِ مَلُوحَةٍ أَوْ مَرَارَةٍ أَوْ زَعَارَةٍ، أَوْ إِفْرَاطِ قَبْضٍ^(٣)، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّغْيِيرِ، فَلْيَحْكَمْ عَلَيْهَا بِمَا يَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ^(٤).

(١) الزُّعَاقُ مِنَ الْمَاءِ: الْمَرُّ الْغَلِيظُ الَّذِي لَا يَطَاقُ شَرْبَهُ. وَالْمَكَانُ الزُّعَرُ: الَّذِي قَلَّ نَبْتُهُ وَتَفَرَّقَ. الْفَلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ: زَعَارَةٌ.

(٢) النِّصُّ السَّابِقُ كُلُّهُ وَالْآخِرُ مِنَ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٣) الْفَلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ: فَرَطُ قَبْضٍ.

(٤) هَذِهِ الطَّرِيقَةُ فِي احْتِمَانِ الْأَرْضِ لِلزَّرْعَةِ ذَكَرَهَا قَسْطَا بْنُ لُوقَا فِي الْفَلَاحَةِ الرُّومِيَّةِ، ص ١٣٥، وَابْنُ حِجَّاجٍ فِي الْمَقْنَعِ، ص ٦، وَأَبُو الْخَيْرِ الْإِسْبِيلِيُّ فِي الْفَلَاحَةِ، ص ٤، وَصَاحِبُ مِفْتَاحِ الرَّاحَةِ، ص ٩٩، وَالنَّابِلْسِيُّ فِي عِلْمِ الْمَلَاخَةِ فِي عِلْمِ الْفَلَاحَةِ، ص ٧.

"صفة أخرى" (١) في ذلك [امتحان الأرض] هي أقصر (٢) زماناً من هذه الأولى وإن [كانت] الأولى أبين وأحكم:

وهو أن يؤخذ من ترابها كفٌ فيخلط بالماء العذب، ويترك فيه ثم يخضخض مراراً كثيرةً، ويترك ثم يخضخض، ثم يذاق، وينظر في طعمه: أصالح هو أم على فساد؟

وأجود (٣) من هذا أن يخلط ذلك التراب بماء عذب حارٍّ شديد الحرارة، ويخضخض مراراً ويترك بين كل خضخضتين هنيئة؛ فإذا برد برداً كلياً، يشرب منه جرعة بعد جرعة، فإن طعمه ينبئ عن تلك الأرض: أفسدة أم صالحة (٤).

"صفة أخرى" (٥):

يؤخذ من قعر تلك الحفرة من ترابها مقدار كافٍ، ويشم ذلك التراب؛ فإن كانت رائحته طيبة كرائحة التراب الطيب السليم من كل طعم يغيره؛ فتلك أرضٌ محمودة، ثم تذاق تلك التربة بعد شمها، فينظر في

(١) هذه الصفة في الفلاحة النبطية، ص ٣٢١، والمقنع، ص ٦، وفلاحة أبي الخير، ص ٤، والفلاحة الرومية، ص ١٣٥.

(٢) الفلاحة النبطية: أقرب زماناً.

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٢١.

(٤) الفلاحة النبطية: فإن طعمه يبين هل تلك الأرض مألحة أم فاسدة؟

(٥) هذه الصفة في الفلاحة النبطية، ص ٣٢١.

طَعَمَهَا، كَمَا نُظِرَ فِي شَمِّهَا، وَذَلِكَ أَنْ يُلْقَى فِي إِنَاءٍ، وَيُصَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ الْعَذْبُ، مِنْ مَاءٍ دَجَلَةٍ خَاصَّةٍ، أَوْ مَا يُشَبِّهُهُ، وَيُخَضِّنُ ثُمَّ يُذَاقُ ذَلِكَ الْمَاءُ، فَيُعْرَفُ مِنْهُ طَعْمُ تِلْكَ التُّرْبَةِ، فَيَحْكُمُ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْمَحْنِ^(١).

قال: فَإِنَّ طَعْمَ التُّرَابِ لَا يَظْهَرُ لِلْمُتَطَعِّمِ لَهُ إِلَّا بَعْدَ اخْتِلَاطِهِ بِالْمَاءِ الْعَذْبِ الْخَفِيفِ.

"صفة أخرى":

قال^(٢): وَهَذَا هُنَا مَعْرِفَةٌ مُبَيَّنَةٌ^(٣) لِلأَرْضِ الْجَيِّدَةِ الصَّالِحَةِ الْمَحْمُودَةِ^(٤) الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنَ الزَّرْعِ، وَذَلِكَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى مَا قَدْ يَنْبُتُ فِيهَا مِنَ الْحَشِيشِ وَالشَّوْكِ أَوْ غَيْرِهِمَا، فَإِنْ كَانَ نَبَاتُهُ قَوِيًّا عَالِيًّا مُلْتَفًّا فِي صُعُودِهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَهِيَ أَرْضٌ سَلِيمَةٌ كَرِيمَةٌ، وَإِنْ كَانَ صَغَارًا قَمِيئًا مَائِلًا^(٥) (هَكَذَا وَهَكَذَا) فَهِيَ أَرْضٌ غَيْرُ سَلِيمَةٍ مِنَ الْعَاهَاتِ^(٦).

(١) المحنة: امتحان الأرض.

(٢) القول لقوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٢.

(٣) الفلاحة النبطية: بيّنة.

(٤) الفلاحة النبطية: المجهولة (تصحيف).

(٥) المتحف وباريس: سائلاً.

(٦) الفلاحة النبطية: بل بها بعضها.

قال "قوثامي"^(١): قد كان بعض الناس^(٢) يكتفون في محنة الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها ولو بحشيشة واحدة؛ مثل: السوسن، والعوسج، والشوك، والعليق^(٣)، وغيرها، فيأخذون من أغصانها أو أوراقها المتوسطة فيها، فيذوقونه وقيسون طعمه إلى طعم مثله مما ينبت في أرض سليمة من الآفات فيستدلون بالخلاف والوفاق [على طبع الأرض]^(٤).

وفي "الفلاحة النبطية" قال: وقد يستدل على معرفة الأرض الصالحة والمخالفة للصالح بما ينبت فيها من النبات من تلقاء نفسه^(٥).

قال "قوثامي"^(٦): قد تفلح في الأرض المالحة، والنزة، والعرقه والرخوة، والدسمة المفرطة في ذلك، والقابضة والهامضة، والحارة^(٧)، والمفرطة التخلخل، والمفرطة الاستحصاف، والمفرطة التلرز، وغيرها من

(١) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٢.

(٢) الفلاحة النبطية: بعض الكسدانيين.

(٣) الفلاحة النبطية: العليق والثيل.

(٤) الزيادة من الفلاحة النبطية.

(٥) امتحان الأرض بما ينبت فيها من نبات من حيث قلته وكثرته وغضارته ولونه، ونوعه وعظمه وصغره. انظر: المقنع، ص ٦، والفلاحة الرومية، ص ١٣٥، ومفتاح الراحة، ص ١٠٠.

(٦) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣٤٣.

(٧) الفلاحة النبطية: الحادة.

الأرضين المخالفة للصَّلاح، [فإنَّ فيها] منابتَ تُنبِتُ لنفسها، ولا يصلحها أحدٌ ولا يفلحُها الناس، وذلك مثل: الجَعْدَة^(١) والأَفْسَنْتَيْنِ^(٢)، والزُّوفا^(٣)، والقَيْصُوم، والهِندباء^(٤) البرِّي، والخِرْبَق^(٥) الأسود، وهو عند النبط من أَّحدِ السُّموم^(٦)، والكَبَر^(٧)، والعَوْسَج الأحمر، فهذه وشبَّهها تُنبِتُها الأرضُ الفاسِدة وأما الأرضُ الحارَّة المُنْتِنَة فلا تُنبِتُ شيئاً. والسَّبَّاخُ المالحَةُ يَنْبِتُ فيها العِكرش^(٨)؛ وهو المُشْك^(٩). والأرضُ السِّلْسَة، القليلة الصَّلابة يَنْبِتُ فيها الشَّيْحُ، ونباتٌ تسمِّيهِ العَرَبُ "القَيْصُوم".

(١) الفلاحة النبطية: الحَوْحَى. قال أبو بكر، أحمد بن وحشية: الحَوْحَى هي الجعدة.

(٢) قال ابن وحشية: الطسمي هو الأفسنتين. وهو شبيهة العجوز أو الخترف أو الدمسيس.

(٣) قال ابن وحشية: الزوفا هي الكوبريا، وهو المسمى أشنان داود والحسل والجسمي.

(٤) الهِنْدَبَاء البرِّي هو الطرشقون أو المرير، وهو الخس البري، واليعضيض. وهو المهزذ والطرشكوك والماري.

(٥) الخِرْبَقُ الأسود: الشيرنج (هندية) والأبيض هو قاتل الذئب.

(٦) قال ابن وحشية: هو أحد السموم ولا يذكره النبط في الأدوية.

قال قوثامي (الفلاحة النبطية، ص ٣٤٤): هذه النباتات وما أشبهها هي أدوية مع أبي تركت ذكر الكبر والعوسج الأحمر...

(٧) الكبر هو العاقول أو الحاج. انظر: عمدة الطبيب، ص ٣٩٧.

(٨) العكرش: من نبات البر، يَنْبِتُ في السباخ، وله أخ يسمى الحرشف البري لا يهرم كما يهرم النبات. الفلاحة النبطية، ١١٥٦.

(٩) المشك هو السعدى أو السعد وهي أرومة متدحرجة سوداء كأنها عقدة، لها ورق كورق الزرع طيب الرائحة تدخل في العطر والأدوية. انظر: معجم أسماء النبات، ص ٦٦.

وقال "ينبوشاد"^(١): إِنَّ الْأَرْضَ الدَّسِيمَةَ وَالْمُتَلَزِّزَةَ^(٢) الصُّلْبَةَ رُبَّمَا
 أُثْبِتَتِ السَّوْسَنُ الْأَبْيَضُ، وَالتَّرْجَسُ، وَالبَصَلُ^(٣) الْمُسَمَّى "ببَلُّوس"^(٤) وما
 أشبهها مِمَّا يَعْمَلُ فِي الْأَرْضِ أَصُولًا ثُمَّ يُورِقُ، فَمَتَى ظَهَرَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ
 الرَّخْوَةَ، وَالتَّنْزَةَ، وَالْعَرِيقَةَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا أَرْضٌ جَيِّدَةٌ، وَأَنَّهَا إِلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ.
 وَالْأَرْضُ الشَّدِيدَةُ الصَّلَابَةِ قَدْ يَنْبُتُ فِيهَا نَوْعٌ مِنَ الْكَبَرِ^(٥)، صَغِيرُ
 الْوَرَقِ، وَرُبَّمَا أَخْرَجَتْ الْبَصَلَ الْكُبَارَ الْمُسَمَّى بِالرُّومِيَةِ [أَشْقِيل]^(٦) وَهُوَ
 الَّذِي يَقْتُلُ الْفَأَرَ قَتْلًا وَحَيًّا^(٧)، وَيُسَمَّى "بَصَلُ الْفَأَرِ" وَهُوَ الْعُنْصَلُ^(٨).

(١) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٢) الفلاحة النبطية: المتلززة.

(٣) الفلاحة النبطية: والبصل المسمى قعبل، والمسمى بببلوس.

(٤) البَلُّوس: هو قسطل الأرض ورقه كورق البصل وزهره أزرق. عمدة الطبيب، ص ٦٩٤.

(٥) الكبر: العاقول.

(٦) في الفلاحة النبطية (أشكلة) وهو تصحيف، والصواب (أشْقِيل). عمدة الطبيب، ص ٧٥،

٨٧، ١١٩، ٥٨٠؛ والفلاحة الرومية، ص ١٨٥، ٢٤٨، ٢٦٨.

(٧) القتل الوحْي: السريع العاجل، يقال: ذبحه ذبحاً وَحْيًا: سريعاً.

(٨) هو عُنْصَلٌ وَعُنْصُلَاءٌ وَعُنْصُلَانٌ، ويسمى بصل الفأر وإشْقِيل وإسْقِيل وإسْقَال، وبصل
 الخنزير، وبصل فرعون.

وربما يكون بصل الفأر وشبهه في باطن الأرض الصلبة الشديدة التلّزّز والصلابة التي هي مائلة إلى الجصّيّة^(١)، وهي إلى الحصباء أقرب منها إلى الترابية في الجبال اليابسة وفي التلّول العظام، وتُنبِت الأشجار ذوات الشوك في الأراضي الصلبة من أراضي السهل والجبال والحجارة والشوك، وأكثرها يَنْبِتُ في المواضع القشّفة البعيدة من الرطوبة.

وبالجملة فإنّ الثّبات جُمهُورُهُ يَنْبِتُ على التّداوة ويحيى مَحْيَاً^(٢) جيداً، واليسير القليل منه يَجُودُ في اليُسّ والجُفوف، مثل:

بصل الفأر المذكور، وكذلك البقول البرّيّة التي لا تكاد تَنْبِتُ إلّا في أرضٍ طيّبة، وفي ثُرْبَةٍ سليمة من الأعراض المُفسِدة؛ إلّا الملوحة فإنّها في البراري كثيرة، وكثيرٌ من البقول توافقه الملوحة، فينبِتُ في الأرض المالحة، إلّا أنّه يكون ضعيفاً رديء الطّعم.

وقد يُستدلُّ أيضاً على حال الأرض بالثّبات الثّابت فيها، فإنّ الثّبات الذي يَنْبِتُ في السّباخ متى نَبَتَ في موضعٍ غيره دلٌّ على أنّ تلك الأرض قد غلبت عليها الملوحة.

(١) الفلاحة النبطية: إلى الصخرية والجصية...

(٢) مدريد: يحيى مجيئاً.

وكذلك الشَّوْك اللطيف، مثل الحَسَكَة^(١)؛ وهي شوكةُ الحَمِير^(٢)،
إذا نبتت في أرضٍ طَيِّبَةٍ دَلَّ ذلك على كَلاها^(٣)، وأَنَّها قد ضَعُفَتْ لكثرة
تكرار الزراعة عليها، وشبه ذلك.

* * *

(١) المتحف وباريس ومدرید: الحَسَّة (تصحيف).

(٢) المتحف وباريس ومدرید: العصير (تصحيف) والصواب: الحَسَكَة وهي شوكة الحمير،
وهو الخرشوف أو العكوب، وقد يسمى الخرشف والهيشر.

(٣) وجود العكوب في الأرض دليل على كَلاها؛ لأنه ينبت في القيعان الجافة.

[أ]... فصل [الثالث]

[الأرض التي تحتاج إلى إفلاح وعلاج مختص]

"ومن أنواع الأرضين ما يحتاج إلى إفلاح وعلاج مختص به"

في الفلاحة النبطية^(١): من ذلك الأرض الدسمة والثقيلة؛

وهما نوعان متقاربان: أما الدسمة المفرطة الدسومة فهي رخوة يعلوها نر ورطوبة بالطبع، وهي في الأكثر يكون لونها إلى السواد، وقد تكون متخلخلة، وقد تقدم بعض أوصافها مع ذكر الأرض البنفسجية وعلاجهما وإفلاحهما جميعاً أن ثقلها في شدة الحر بمعاول وما أشبهها في كل شهر مرتين، ليكون إقلاهما^(٢) في كل ثلاثة أشهر ستاً أو سبع مرار^(٣)، وذلك أجود لها، ويدق تراهما بأقفية الآلات^(٤) التي تقلب بها [وإن دقت^(٥) بمداق من مرزبات^(٦) خشب كان ذلك موافقاً جداً، يدق دقاً

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٣١.

(٢) الفلاحة النبطية: ليكون قلبها.

(٣) المتحف وباريس: سبعة مرار.

(٤) أي يدق المدر بالمعول من الخلف.

(٥) هذا النص سقط من النسخ المطبوعة، وجاء مكانه كلمة واحد هي (المرزبات) ولا معنى لها في هذا السياق.

(٦) الإرزبة: المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة وقد تكون من خشب، والجمع أرازب. وجاء اسمها في الفلاحة النبطية، ص ٣٣١: مرزبة والجمع مرزبات.

متتابعاً]، فإنّ هذا الدَّقَّ يُسَخَّنُ ترابها إِسْخَاناً كثيراً رقيقاً، ويلتقط^(١) دَسَمَها ويأْكُلُ حرَّ الشمس أيضاً دَسَمَها، فيزول عنها الثَّقَلُ والدَّسَمُ المُفْرِطُ أيضاً بعضَ الزَّوَالِ، وليس القَصْدُ في "الدَّسَمِ"^(٢) أن يذهب دَسَمُها كله، بل القَصْدُ في إفلاحها أن يذهب بعضه ليزول عنها إفراطه، ويجفَّ دَسَمُها، وينقص، ولا يَزُولُ كله؛ لأنّه إن زال، واحتجنا أن نَرُدَّها إلى بعض ذلك، وليس لها علاجٌ أكثر ممّا ذكرنا من قَبْلِها في شدّة الحرِّ ودَقَّها^(٣). والأرض الرّقيقة تحتاج إلى علاجٍ تزول بها رِقَّتُها.

قال ينبوشاد^(٤): الأرض الرقيقة مشابهة للأرض الدَّسِمة، وتُشبهها الأرض العَرِقة؛ وهي الأرض التي تَعْرِقُ دائماً، فهذه الثلاثة متشابهة، وبعضُ الفلاحين يقول^(٥): إنّ الرّقيقة هي النَّزّة، وبعضهم يجعلها العَرِقة، ويُخَطِّئون في ذلك^(٦). والعَرِقة هي بين النَّزّة والرّقيقة.

(١) الفلاحة النبطية: ويلتقط.

(٢) المتحف وباريس: الدسمة.

(٣) الفلاحة النبطية: ودقّها بالكودنيات.

(٤) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٨.

(٥) قال ينبوشاد: الأرض الرقيقة هي التزة في الأكثر، وقال: فلاحونا يجمعون على أن الرقيقة هي التزة، وبعضهم يجعلها العرقة.

ويخطئون في ذلك، وأنا أرحمهم لجهلهم. (ص ٣٣٨).

(٦) قال ابن وحشية (ص ٣٣٢) يسمي ينبوشاد الأرض الدسمة رقيقة. وهذا شيء طريف، لأن عندنا نحن الرقيقة ضد الدسمة.

وأما الرَّيْقَةُ، الشَّديدة الرِّقَّة، فَإِنَّهَا فَاسِدَةٌ^(١)، وهي ضِدُّ الدَّسِمة، وهي الأرضُ التي طَعَمَهَا بين الحُمُوضَةِ والتَّفَاهَةِ، وهي لَرِقَّتْهَا ضَعِيفَةٌ عن احتمال العلاج^(٢)، وعلاجُهَا أَنْ تُقَلَّبَ فِي حَرِّ الشَّمْسِ لِتَحْرِقَهَا بَعْضُ الإِحْرَاقِ، لَا إِحْرَاقًا مُفْرِطًا، فَإِنَّهَا إِنْ أَفْرَطَ عَلَيْهَا الإِحْرَاقُ صَارَتْ رَمَادِيَّةً فَلَمْ تَنْبِتْ شَيْئًا إِلَّا نَبَاتًا ضَعِيفًا^(٣).

قال^(٤): وقد سَمِيَ "يَنْبُوشَاد" الأَرْضُ الدَّسِمة "رَيْقَةً". وهذا شيء طريف؛ لَأَنَّ عِنْدَنَا نَحْنُ الرَّيْقَةُ ضِدُّ الدَّسِمة. وأشار إلى أَنَّ تُقَلَّبَ هَذِهِ الأَرْضُ الرَيْقَةُ فِي الْإِعْتِدَالِ الرَّيْبِيِّ^(٥) مَرَّاتٍ بِالسَّكَكِ، وَتُسَرَّجَنَ سِرَّجِينًا^(٦) كَثِيرًا بِأَيِّ سِرَّجِينَ حَضَرَ إِلَّا سِرَّجِينَ الْبَغَالِ؛ فَإِنَّ السَّرَّجِينَ بِهِ يَكُونُ صَلاَحُهَا، وَهُوَ مَعِينٌ لَهَا عَلَى إِفْلَاحِ مَا يُزْرَعُ فِيهَا.

(١) الفلاحة النبطية (ص ٣٣١) فاسدة ومعدبة للفلاحين.

(٢) قال ابن وحشية: ويسمى بعض طائفتنا من الكسدانيين الأرض المألحة، القليلة الملوحة: رقيقة، وهذا أشبه بالحق (ص ٣٣٣).

(٣) الفقرة السابقة حرفاً فحرفاً من الفلاحة النبطية: ص ٣٣١-٣٣٢.

(٤) هذا قول ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني القيسي الذي نقل الفلاحة النبطية من لسان الكسدانيين إلى العربية سنة (٢٩١هـ). انظر: ص ٣٣٢.

(٥) الفلاحة النبطية: الاعتدال الخريفي.

(٦) السَّرَّجِينَ والسَّرَّقِينَ: الزُّبُل.

وأجود ما تصلح له هذه الأرض الدَّسمة الكُروم، فإنَّها تَنْشَأُ فيها
نُشوءاً حسناً؛ تَعْلَظُ فيها أغصانها، وتَكْبُرُ أُصُولُها، وَيَنْبُلُ^(١) عَنِهَا، وَيَصْلَحُ
شَرَابُهَا^(٢).

وقد توافق هذه الأرض كلَّ شيء من المَنابت، مما هو مُشاكل
للكرُوم في الطَّبع من الشجر والنبات الصغير.

قال "ينبوشاد"^(٣): عند ذكره الأرض التي سمّاها "رقيقة" إنَّها
ضعيفة، قليلة القوَّة، فينبغي أن يُقَلَّلَ من كِرايها؛ فإنَّها إذا كُرِبَت كِراباً
متتابعاً، مرة بعد أُخرى تَخْلُخَلَتْ، فزادَ ضَعْفُها، ويُزْرَعُ فيها الشعير
خاصَّةً، بعد أن يُفْرَغَ من تمام كِرايها، ثم تُسَقَى سَقِيّاً كافياً إلى التَّقْصان،
فإنَّ الشعير فيها يُخْصِبُ وَيَفْلَحُ جدّاً، وإنْ مُطِرَتْ^(٤) قبل نبات الشعير،
فقد أَفْلَحَتْ، وَيَفْلَحُ الشعير فيها حسناً.

قال^(٥): وقد تُسَمَّى^(٦) الأرضُ المالحَةُ، القليلةُ الملوحة "رقيقة" وهذا

(١) المتحف وباريس ومدريد: يتبل عنبها. الفلاحة النبطية: وتبل عينها.

(٢) الفلاحة النبطية: ويصلح شرايها صلاحاً في الغاية، حتى إنه ييطئ سكر شاربه.

(٣) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٣٣.

(٤) المتحف وباريس: أمطرت.

(٥) القائل ينبوشاد، الفلاحة النبطية، ص ٣٣٣.

(٦) الفلاحة النبطية: قد يسمى بعض طائفتنا من الكسدانيين الأرض المالحه....

لَعَمْرِي أَشْبَهُ بِالْحَقِّ^(١)، وهذه تُسَمَّى أيضاً ضعيفة، وهي التي هذا نَعْتُهَا
خاصّةً تُعَالَجُ بما يُصْلِحُهَا؛ وذلك سِرْجِينِ الْبَقَرِ مختلطٌ بتراب غريب من
أرضٍ طَيِّبَةٍ، وأن يُحَرَّقَ لها من وَرَقِ السِّبْستان^(٢) وأغصانه وثَمَره، ومن
الْقَرَعِ، ويُخْلَطُ رماد ذلك بالتراب أو بسِرْجِينِ الْبَقَرِ، وتُزَبَّلُ مرّاتٍ في
أوقاتٍ مختلفة؛ فَإِنَّهَا تَصْلُحُ بذلك.

ومن إفلاح هذه الأرض الرقيقة أن يزرعَ فيها من الحبوب وغيرها
ما لا يُعَرَّقُ في الأرض عُرُوقاً^(٣)؛ مثل: الْبَقْلَةُ الباردة^(٤)، والجَرَجِيرُ،
والْحُرْفُ^(٥)، وما أَشْبَهَهُ.

والأرضُ الرَّمْلِيَّةُ:

مختلفةُ الألوان^(٦)، بحسب ما يُخَالِطُ رَمْلَهَا، فينبغي أن ينظرَ إليها
بِتَفَقُّدٍ شديدٍ؛ لِيُعْلَمَ أَيُّ شَيْءٍ هو الذي يخالط رَمْلَهَا، وهذا بَيِّنٌ سَهْلٌ.

(١) الفلاحة النبطية: وأقرب إلى المشاهدة.

(٢) هو سِبْستان وسِفْستان (بالفارسية): أطباء الكلبة أو عيون السرطان أو زيتون
الكلب أو حب العروس، واسمه قديماً: الإسحل والطنب. عمدة الطبيب، ص ٧١٠.

(٣) المتحف وباريس: تعرق غروفاً. الفلاحة النبطية: تعرق تعريقاً.

(٤) البقلة الباردة: اللباب والمداد والعليق.

(٥) الحرف: هو حب الرشاد وأقرونون (باليونانية).

(٦) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٣.

والأرضُ الرَّمْلِيَّةُ رخوة أبدأ؛ لأنَّ الرَّمْلَ يَجْعَلُ الأرضُ مُنْتَفِشَةً^(١)، وكلُّ نَبَاتٍ يَنْبُتُ فِيهِ يكون قليل العُرُوق رقيقاً ضعيفاً.

والأرضُ الرَّمْلِيَّةُ الموافقة لأكثر أنواع الكُرُوم هي الأرضُ التي يشوبُ تراها رَمْلٌ مع سلامتها من الأعراض المؤذية، وعلاجُها أن يُعْمَلَ في إصلاحها للزَّرْع بحسب ما ذكرنا في إصلاح ذلك المخالط لهما ممَّا يُشْرَح في أمر الأَرْضَيْن. وينبغي إذا قَلَبْتَ هذه الأرض لتُفْلِحَ للزَّرْع والغَرْس أن يُخْلَطَ بها شيء صالحٌ من سِرْجِين الحمير^(٢)، مختلط بمثله من تَبْن الباقِلَى، وتبن الشعير والحِنْطَةِ، وأن يتقدَّم للإفلاح لها بذلك في الخريف فَإِنَّهُ أَجْوَدُ.

والأرضُ الصُّلْبَةُ أصناف^(٣): منها ما لونُ تراها يضربُ إلى البياض، وهو أَصْلَبُها، ومنها غبراء^(٤) يشوبُ لونها بياضٌ يسيرٌ. والتي يغلبُ عليها البياض تُسَمَّى "جُصِّيَّة"، والتي دُونُها تُسَمَّى الصُّلْبَةُ، وهي لا يُفْلِحُ فيها أَلْبَتَّةُ النَّخْلِ والرياحين^(٥)، وبعض الحُبُوب المُقْتَنَّة^(٦).

(١) المتحف وباريس: منتقشاً.

(٢) الفلاحة النبطية: أو سِرْجِين البقر.

(٣) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص ٣٣١.

(٤) المتحف وباريس: غيرها (تصحيف). والتصويب من الفلاحة النبطية.

(٥) الفلاحة النبطية: والبقول.

(٦) الفلاحة النبطية: وتوافق الذرة والدخن والعدس والشجر العظام والبندق والخروب الشامي.

وفي موضع آخر من "الفلاحة النبطية"^(١): ومن الأرض الصُّلْبَة ما يضربُ لوْها مع غُبْرَة إلى قليل بياضٍ.

قال^(٢): وهذه تُسمِّيها نحن "الشَّديدة" وهي دون الصُّلْبَة قليلاً، وتوافق الأرض الصلبة الحنطة خاصة، والذُّرَّة، والدُّخْن، والعدس، والشجر العُظَام، مثل: الجوز والبُنْدُق والزيتون وما أشبهها.

وأكثرُ علاج هذه^(٣) أَنْ تُزالَ صلابتُها بكثرةِ تَقْلِيصِها بالحرث، ويُبدَأُ بذلك من أوّل تشرين الثاني وهو نوفمبر، وتقلب [مرة] في كل عشرة أيام، ويُدَقُّ مدَرُها دَقًّا شديداً بعنايةٍ وتَفَقُّدٍ شديدٍ، حتى يصيرَ تراباً، ويُدخِلُ الفلاحون إليها البَقَر والعَنَم [حتى] تَرُوث البقر فيها، ولا يزالون يُردِّدون البَقَر فيها جائيةً وذاهيةً حتى يَنْدَى^(٤) موضع ترابها، ويلينُّ لينا كثيراً، ويَمَشُّون أيضاً فيها الرِّجال مع البقر، وإن أمكن أن يُدوِّسوها، [العَنَم] فهو أجودُّ لها من دَوَس البَقَر والناس جميعاً. ويُرمى فيها البَعَر مع ترابها، فهو أصلحُ لها^(٥).

(١) ص ٣٣٤.

(٢) قول يَبوشاد هذا في الفلاحة النبطية، ص ٣٣١، وقال قوثامي: هذه الأرض تشبه أرض بارما وشرقي تكريت، ولا يفلح فيها إلا الشجر العظام والحنطة. الفلاحة النبطية، ص ٣٢٦.

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٣١.

(٤) المتحف وباريس: حتى يتدمع ترابها.

(٥) النص السابق كله حرفاً فحرفاً في الفلاحة النبطية، ص ٣٣١.

والأرض الحَجَرِيَّة^(١)، وتُسمَّى أيضاً الجَبَلِيَّة، وهي تكون في
النواحي الشديدة البرد من إقليم بابل^(٢).

وفي "الفلاحة النبطية" أيضاً: الأرض الجَبَلِيَّة^(٣) هي التي لأرضها
وتُرْبَتها حالٌ بين صلابة الحجر، ورخاوة التراب.

والحَجَرِيَّة^(٤) هي أصْلَبُ من هذه، وعلاجها أن تُعْتَمَد^(٥) في الحرِّ
بالمعاول الوثيقة الكبار، فيُقَلَّبَ منها ما ينبغي أن يُقَلَّبَ، ويُعْمَلَ فيها ما
ينبغي أن يُعْمَلَ حسبما نرسمه على قول مَنْ تَقَدَّمْنَا، ثم تُتَعَاهَدُ بالدَّقِّ
بالمِرْزَبَاتِ^(٦)؛ فإنه لا يَحِيءُ منها شيء إلا بهذا العمل. وينبغي أن تُفْلَحَ
هذه بالليل من أوَّلِهِ إلى آخره، أو من نِصْفِهِ إلى آخره، أو إلى أن يَمْضِيَ
من النَّهَارِ قَدْرَ ساعتين، فذلك أجود؛ لأنَّ الأَرْضَيْنِ كُلَّهُمَا تَبْرُدُ، وتَنْدَى^(٧)
بالليل، فهذه الأرض، والأرض الصُّلْبَةُ يَنْفَعُ فِيهِمَا أَنْ يُعْمَلَ بِهُمَا مَا يَنْبَغِي

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٤.

(٢) الفلاحة النبطية: من ناحية بارما وتكريت وما والى حلوان.

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٤، سماها بعض الناس الجبلية لصلابتها وشدها وامتناعها، وإتباعها
لفلاحيتها.

(٤) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٤.

(٥) المتحف وباريس: تعمل، والصواب من الفلاحة النبطية.

(٦) الإرزبة: المطرقة الكبيرة من خشب أو حديد.

(٧) المتحف وباريس: وتبتدئ.

أَنْ يُعْمَلَ بِاللَّيْلِ، وَمَا احتَاجَ مِنْهَا إِلَى الحَرِّثِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلْيُحَرِّثْ بِاللَّيْلِ. بَمَا
ذَكَرْنَا مِنْ نَدَاوَةِ الْأَرْضِ^(١) لَيْلًا، وَلَا يَعْمَلُ الْبَقَرُ فِيهَا بِالشَّمْسِ فَيُسْخِنُهَا
حَرَّ الشَّمْسِ، فَتَمْرُضُ الْبَقَرُ، وَلْتُقَرَّنَ الْبَقَرُ فِي عَمَلِهَا أَرْبَعَةً أَرْبَعَةً فِي مُحَرَّاثٍ
وَاحِدٍ^(٢)، وَلَا يُقَرَّنَ فِيهَا زَوْجٌ وَاحِدٌ لَصَلَابَةِ الْأَرْضِ وَشِدَّتِهَا.

وَتُسَنَّى وَتُقَلَّبُ أَيْضًا بِالسَّكَكِ الْوِثَاقِ الطَّوِيلَةِ^(٣)، وَلِيَتَزَلَ فِي الْعَمَلِ
فِيهَا إِلَى عُمُقٍ كَثِيرٍ مِنْهَا، فَهُوَ أَجْوَدُ لَهَا، وَيُدَقُّ مَدَرُهَا دَقًّا كَثِيرًا حَتَّى لَا
يَبْقَى فِيهِ مَدَرُهُ، وَهَذِهِ الْأَرْضُ تُتْعَبُ الْبَقَرُ فِي حَرْثِهَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعَ
الْفَلَاحِينَ كِيزَانٌ^(٤) فِيهَا مَاءٌ بَارِدٌ لِيَمْسَحُوا وُجُوهَ الْبَقَرِ وَأَعْنَاقَهَا بِالمَاءِ،
وَيَرْشُوا مِنْهُ عَلَى رُؤُوسِهَا؛ فَتَتَرَوَّحَ بِذَلِكَ، وَيَخْفُ عَلَيْهَا ثِقَلُ التَّعَبِ.

وَأَمَّا الْأَرْضُ الْحَمْرَاءُ^(٥) فَهِيَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى عِلَاجٍ لَزَوَالِ الْآفَةِ عَنْهَا.
وَأَمَّا إِفْلَاحُهَا فَيَنْبَغِي أَنْ تُعْتَمَرَ^(٦) فِي وَسْطِ الْخَرِيفِ بِسَكَكٍ صِغَارٍ، وَلَا
يُعَمَّقُ عَمَلُهَا^(٧)؛ لِأَنَّهَا لَيْسَ تَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ.

(١) المتحف وباريس ومدريد: نداوة البقرة.

(٢) الفلاحة النبطية: في نير واحد.

(٣) الفلاحة النبطية: الثقيلة.

(٤) الكوز: إناء بعروة، يشرب فيه الماء، والجمع: كيزان.

(٥) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٣.

(٦) الفلاحة النبطية: ينبغي أن تقلب.

(٧) الفلاحة النبطية: لا يعمق قلبها.

والأَرْضُ الرَّمَادِيَّةُ^(١)؛ وهي التي تضربُ إلى أدنى بياضٍ مع غُبْرَةٍ شديدة، وهذه ليس يُقالُ عنها فاسِدة؛ لأنَّها قد تُنْبِتُ أَشْيَاءَ^(٢)، ويُفْلَحُ فيها كثير من الشَّجَرِ، والنَّخْلِ، والكُرُومِ، وتَصْلُحُ فيها هذه لِشِدَّةِ يُسِّ هذه الأرض، وبعدها من قَبول النَّدى.

ومتى غُرِسَ في هذه الأرض نَخْلٌ أو شَجَرٌ أو كُرُومٌ فإنَّها تحتاج إلى مُداوَمَةِ السَّقْيِ بالماء، وذلك لِشِدَّةِ نَشْفِها ويُيسِّها. وأمَّا البُقُولُ فلا تُزْرَعُ في هذه الأرض أَلْبَتَّةَ، ويُزْرَعُ فيها من الحبوب المألوفة الأَرْضُ. وإِنَّمَا قلنا:

إِنَّ الأَرْضَ موافقٌ لها، وهي موافقة له؛ لوقوف الماء في أَصُوله، فهي أَوْفَقُ الأَرْضَيْنِ للأرز والحِنْطَةِ والشَّعِيرِ والجُلْبَانِ^(٣). ولا ينبغي أن يزرَعَ فيها الدُّخْنُ^(٤)، ولا العَدَسُ، ولا اللوبياء، ولا الحِمَصُ، ولا الماشِ^(٥).

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٤٥، قال: هي الأرض التي أحرقها الشمس مرارا إلى أن صارت رمادية.

(٢) الفلاحة النبطية: لأنها إنما فقدت الماء والزرع والإفلاح زماناً فعطلت.

(٣) هو جُلْبَانٌ وجُلْبَانٌ ومُلْكٌ كَلْبَانٌ (بالفارسية) والقريناء عند العرب.

(٤) الدُّخْنُ هو الشَّيْلَم يشبه نبات الحنطة، لكنه أطول وأعرض وقد يسمونه الخافور. عمدة الطبيب، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٥) الماش: أخو الباقلاء، له وصف مفصل في الفلاحة النبطية، ص ٥٠١-٥٠٢.

والأرض الفحمة^(١) لوئها أسود شديد السواد، وربما خفَّ سوادها قليلاً، وليس فيها من البياض شيء البتَّة.

ويظهر نَزُّها على وجهها. وحكُّها حُكُّ الأرض "الرَّمَادِيَّة" في الإفلاح، وينجُبُ فيها ما ينجُبُ في تلك، ويوافِقُها ما يوافقُ تلك. وهذه أصْلَحُ للنَّخْلِ من تلك. فإذا تَوَاتَرَ سَقْيُها بالماء صَلَحَتْ صلاحاً أكثر، وأقرب من صلاح "الرَّمَادِيَّة".

وهي توافقُ الكُرُوم، وكلَّ منبسطٍ على الأرض، مثل: الكروم. وتوافقُ كُلَّ صِنْفٍ رَخٍو من النبات والشَّجَر، وهذه خاصَّةٌ توافقُ جميع البُقُول^(٢) الكُبار، مثل: الكُرُنْب^(٣)، والإِسْفَانَاخ^(٤)، والسَّلَق، والخَسَّ، والقَنَبِيْط^(٥)، والحُرْف^(٦)، وما أشبهها من البُقُول الصَّغار، مثل: النَّعَّع والبَادِرُوج^(٧)، والكَرْفَس^(٨) وشبهها.

(١) المتحف وباريس: العجمية (تصحيف). انظر وصفها في الفلاحة النبطية، ص ٣٤٦.

(٢) الفلاحة النبطية: توافق جميع أصناف البقول كبارها وصغارها.

(٣) هو كُرُنْب وكُرُنْب وكُرُنْب: الملفوف.

(٤) هو: إِسْفَنَاخ وإِسْفَنَاخ وإِسْفَنَاخ: الرِّحَا (عند العرب) أو رئيس البقول أو القطب.

(٥) هو القنبيط والقربيط: الزهرة (بلاد الشام).

(٦) الحرف: حب الرشاد.

(٧) البادرُوج (فارسية): الشاهسفرم؛ ریحان الملوك أو الحبق النبطي، أو الريحان الكبير.

(٨) هو كَرْفَس وكُرْفَس (سنسكريتية) وعند العرب: القطن والبرس والطوط والكرفس.

وينبغي أن يُسقى جميع ما يُغرس في هذه الأرض أو يُزرع فيها
فَضْلَ سَقْيٍ. وَلَا تُتْرَكَ فَيَعْطَشَ شَيْءٌ مِمَّا يُزْرَعُ فِيهَا أَلْبَتَّةَ.

فإن كانت هذه "الفحمية" و"الرَّمادية" بموضع يمكن أن يدخل
الماء إليها، ويبقى فيها زماناً طويلاً، فهو جيدٌ، ثم يُزرع فيها على تلك
النِّدَاوة القِثَاءَ، والخيارَ، والبطيخَ، والكُرومَ، ويُستأنفُ زرعُها فيها زرعاً،
وتُترك بعدُ^(١) للتَّحْوِيلِ، فذلك جيد.

والخزفية^(٢): وهي التي يعلو ظاهرَ وجهها في الصيف شبيهٌ
بالخزف في القوام واللون، وربّما ضرب لوئها مع ذلك إلى حُمرة يسيرة،
مثل حُمرة الفخار^(٣).

وإصلاح هذه أن تُقلب قلباً عميقاً، وتُدقّ بالمِداق حتى تختلط
تلك الأجزاء^(٤) التي قد تخرّفت بما ليس بمُتخزَفٍ^(٥) منها، ويُعاد دقُّها^(٦)
ثانية وثالثة، وتُدقُّ ويُثر عليها تبَن الباقلاء والشّعير مُختلطين بروث البقر.

(١) الفلاحة النبطية: مُعدّة.

(٢) ذكرها ينيوشاد في فساد الأرضين، الفلاحة النبطية، ص ٣٤٧.

(٣) قال ابن وحشية: وقد صدق ينيوشاد في ذلك ورأينا هذا عياناً. وانظر وصف الخزفية في
مفتاح الراحة، ص ١٠٦.

(٤) الفلاحة النبطية: تلك الآجر (تصحيف).

(٥) الفلاحة النبطية: بما ليس بمحترق منها.

(٦) الفلاحة النبطية: يعاد قلبها.

والْخَرْبِقِيَّةُ^(١): وهي التي رائجتها كريح الخَرْبِقِ^(٢)، وأشبه به، وهي مُنْتَنَةٌ، وهي أفسدُ الثلاثة المذكورات^(٣)، وهي تُفسدُ بحرارتهما كلَّ ما يُزرَعُ فيها. وتصلحُ للباقلاء خاصة.

والأرض النَّزَّةُ^(٤) والعَرَقَةُ^(٥) والرَّخْوَةُ: وهي فيما بينَ هاتين؛ إلا أنَّ بينهما فرقاً في العلاج.

وعلاجُ الأرض النَّزَّةِ والعَرَقَةِ أنْ يُوقَدَ في وسطها النَّارُ بأيِّ حَطَبٍ كان وقوداً دائماً؛ يوقَدُ في وَسَطِهَا، وفي جَوَانِبِهَا، وفي مواضع كثيرة منها مُخْتَلِفَةً، فَإِنَّ ذَلِكَ يُزِيلُ نَزَّهَا وَعَرَقَهَا^(٦)؛ إلا أن فيه خطراً بالأرض؛ وذلك

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٤٦: الحريفة أو الحريفة.

(٢) الخربق من جنس الجنبة، له ورق أخضر كالذلب، وثمره يشبه حب القرطم، ويسمى الخربق: السميراء والحرشا، يكثر في الأندلس وإشبيلية. عمدة الطبيب، ص ٢٥٩.

(٣) ذكر ينوشاد الأراضي الفاسدة التي تحتاج إلى عمارة وإصلاح: الرمادية والفحمية والحريفة. الفلاحة النبطية، ص ٣٤٥.

(٤) الأرض الرقيقة: هي النَّزَّةُ في الأكثر، غير أن بعض الأرضين الترة تزول عن طبيعة الرقيقة في أشياء، وفلاحونا يجمعون على أن الرقيقة هي الترة، وبعضهم يجعلها العرقة، وأنا أرحمهم لجهلهم. الفلاحة النبطية، ص ٣٣٨.

(٥) العَرَقَةُ: التي تعرق دائماً.

(٦) ذكر قوثامي طرقاً أخرى، والطريقة المثلى ليذهب من الأرض نزها وعرقها أن يحرق في الأرض قشر الرمان مخلوطاً بورق السرو وأغصانه، وورق الذلب والطرفاء، ويخلط الرماد بأختاء البقر والطين الأحمر حتى يسودَّ ويصير له رائحة كريهة ثم يترك

أَنَّهَا رَبَّمَا انْقَلَبَتْ بِهَذَا الْعِلَاجِ مِنَ النَّزَّةِ وَالْعَرِيقَةِ إِلَى "الْحَرَافَةِ" فَيَكُونُ الَّذِي جَاءَهَا أَشْرُّ مِنَ الَّذِي ذَهَبَ عَنْهَا، وَقَدْ ذُكِرَ لَهَا عِلَاجٌ غَيْرُ هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ. والأَرْضُ النَّزَّةُ وَالْعَرِيقَةُ قَدْ تَصْلُحَانِ لِأَشْيَاءَ مِنَ الْمَنَابِتِ؛ مِثْلُ: الْكُرْتَبِ، وَالْآسِ، وَالْقَنْبِيطِ، وَمَا كَانَ فِي طَبْعِ هَذِهِ، جَرَى مُجْرَاهَا.

وَالْأَرْضُ الْمَالِحَةُ^(١) أَنْوَاعٌ؛

مِنْهَا مَالِحَةٌ، وَمِنْهَا مَا يَشُوبُ طَعْمَهَا مَعَ الْمُلُوحَةِ حُمُوضَةٌ^(٢)، وَمِنْهَا مَا يَشُوبُهُ مَعَهَا قَبْضٌ، وَمِنْهَا مَا فِيهِ مُلُوحَةٌ خَفِيفَةٌ^(٣). وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْمُلُوحَةِ فِي الْأَرْضِ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى وَجْهِهَا بَيَاضٌ، وَيَحْدُثُ مِنْ ابْتِدَاءِ الْمُلُوحَةِ مَا سَمَّاهُ "صَغْرِيثَ" الْمُلُوحَةِ الطَّافِيَّةِ، وَهِيَ مِلُوحَةٌ رَقِيقَةٌ تَطْفُو عَلَى ظَاهِرِ الْأَرْضِ، وَقَدْ تَحْدُثُ فِي أَرْضِ الْكُرُومِ، فَتَعَالَجُ مِنْ ذَلِكَ بِأَنْ يُزْرَعَ الشَّعِيرُ حَوْلَ أَصُولِ الْكُرُومِ، وَتُقَرَّبَ [مِنْهَا] فَإِنَّهُ يَلْقَطُ الْمُلُوحَةَ مِنْهَا.

ثَمَانِينَ يَوْمًا حَتَّى يَجِفَ ثُمَّ يَخْلُطُ بِتَرَابِ الْأَرْضِ النَّزَّةِ وَالْعَرِيقَةِ وَالرَّخْوَةِ فَإِنَّهَا تَقْوَى وَتَشْتَدُّ وَيَزُولُ مَرَضُهَا. الفلاحة النبطية، ص ٣٣٩.

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣١٥، ومفتاح الراحة، ص ١٠٥، والنايلسي، ص ٧.

(٢) وقال: ومنها ما يشوب طعمها مع الملوحة مرارة. الفلاحة النبطية، ص ٣١٥.

(٣) المتحف وباريس: حقيقة.

وللملوحة علاجٌ عام^(١)، وعلاجٌ خاصٌ (للواحدة واحدٌ). والعلاج العام كافٍ، والذي يوافق الأرض المالحة، أيّ ملوحة كانت، النخل [الذي] ينشأ فيها نشوءاً حسناً.

وعلاجُها العام أن تُكْرَبَ بعد مجيء المطر الأول، فإن تقدّم [مجيء] المطر قبل^(٢) دخول تشرين الأول، فليؤخّر كراها إلى أن يمضي منه ثمانية أيام، وإن تأخّر المطر إلى آخره، فتُكْرَب في آخر يوم منه الأرض المالحة المفردة، والأرض التي هي مالحة مشوبة بغيرها من الطُغوم، فتُكْرَب في أول تشرين الثاني بعد مضي يومين أو ثلاثة منه، ولا يؤخّر بعد هذا، ولتُقلَب بِسِكَكٍ صِغَار^(٣)، وليؤخذ من عيدان الباقلاء العتيقة^(٤) من التي كانت قد زُرعت في العام الماضي، وهي يابسة، فتدقُّ حتى تصير تَبْنًا دَقَاقًا، ويُنثر على هذه الأرض بعد كراها منه شيء كثير، ويُرش عليه كلّ الماء، أو على بعضه إن كانت الأرض واسعة كثيرة، فهذا أجود علاج لهذه الأرض.

(١) الفلاحة النبطية: علاج عام لجميع الملوحة، وعلاج خاص لواحدة واحدة.

(٢) المتحف وباريس ومديرد: بعد دخول تشرين، وهذا سهو والتصويب من الفلاحة النبطية.

(٣) المتحف وباريس: وليقلب بمثل صغير (يريد محراثاً، أو ميلاً) والتصويب من الفلاحة النبطية، ص ٣١٥.

(٤) المتحف وباريس: المنقية (تصحيف).

ويتلو [هذا] في الجُودة تَبْنُ الباقلاء، ثم تَبْنُ الشعير، ثم تبْن الحنطة، ثم خشبُ العَلِيق مدقوقاً^(١)، ثم شَجَرِ الخِطْمِي^(٢) يابساً مدقوقاً عتيقاً^(٣). [وأيُّ] هذا يَسْهَلُ فليُسْتَعْمَل، وإن جُمِعَتْ كُلُّهَا -إن أمكن ذلك- فهو أَجْوَدُ.

وُسْتَعْمَلُ مُفْرَدَةً إِلَّا العَلِيقُ فإنه لا يستعملُ إِلَّا مخلوطاً ببعض هذه، وأمَّا وَحْدَهُ مُفْرَدًا فلا، وأَجْوَدُهَا كُلُّهَا تَبْنُ الباقلاء، وتَبْنُ الشعير؛ [وإذا] علاها في الربيع الرطوبة... فتصيرها مالحة منع من انقلاهما إلى الملوحة^(٤) فلتُتْرَكْ تلك الأرض هكذا، لا يُصْنَعُ بها شيءٌ، فإذا جاء الصيف فليُنْثَرُ عليها شيءٌ^(٥) من سِرْجِين^(٦) البَقَرِ مُنْدَى بالماء؛ فإنه يعينُ على صلاحها، ويُحِيلُهَا إلى الطَّيِّبِ والعدوبة، فإذا وَرَدَ الخَرِيفُ من السَّنة الثانية، ودَخَلَ تشرين الأول فلتُسَرَّجَنَ بِسِرْجِينِ البَقَرِ مخلوطاً بِسِرْجِينِ الخيل والحُمير، ولا يكون فيه شيءٌ من سِرْجِينِ البِغَالِ أَلْبَنَّةَ، ثم يزرعُ فيها الشعير، والباقلَاء، والعدس، والحَمَص، ويُنْثَرُ فيها بين ذلك بزر الكِتَّان، ويُسَقَى ما زُرِعَ فيها

(١) المتحف وباريس: مدقوقٌ (صفة).

(٢) هو خِطْمِيٌّ وَخِطْمِيٌّ: العَصْرَسُ والغِسْلُ والعُسُول. كانوا يغسلون به رؤوسهم فيزيل عنها الدهن.

(٣) المتحف وباريس: مدقوق عتيق.

(٤) هذه الزيادة من النبطية تحتاجها الجملة التالية.

(٥) المتحف وباريس: شيئاً.

(٦) السرجين والسرقين: الزبل.

من الماء فَضْلَ سَقْيٍ، وليكن جميع ما يُزْرَع فيها قد حُصِدَ من زرع
زُرِعَ^(١) في أرضٍ طيبةٍ صالحةٍ.

وأما "ينبوشاد"^(٢) فإنه يرى أن يكونَ ما يُسْتَعْمَلُ في إصلاح تلك
الأرض وَرَقَ الكُرُومِ وَقُضْبَانَهَا، وورق جميع الشجر التي حَمَلَهَا دُهْنِي^(٣)،
مثل: الجَوْز، واللَّوْز، والزَّيْتُون، والفُسْتُق، والبُنْدُق، والخِرْوَع، وما
أشبهها، وَقُضْبَانَهَا؛ فَإِنَّهَا تُصْلِحُ جميع الأرضين الفاسدة، وتُخْتَصُّ بإصلاح
المالحة خاصةً فَضْلَ خصوص؛ وذلك بأن يؤخذ من أوراق هذه، وما
لَطْفَ من دقيق عيدانها، فَتُضْرَبُ حتى تَنْفَكَّت، و[تصير] كَأَلْطَفِ^(٤) الأتبان
وأدَقِّهَا، ويُنْثَرُ على الأرض المالحة منه شيء كثير، ثم تُكْرَبُ، ويُرَشُّ عليها
يسيرًا من الماء، ثم تُتْرَكُ.

قال^(٥): وَإِنْ عُمِلَ بجميع الأرضين الفاسدة هذا صَلَحَتْ إِلَّا
الأرض التي طعمها حَرِيفٌ، فَإِنَّ لَهَا علاجاً غير هذه العلاجات كلها.

(١) المتحف: ربعي، باريس ومدرید: ربع.

(٢) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣١٦.

(٣) المتحف وباريس: دھين.

(٤) المتحف: كألطف لطيف الأتبان.

باريس: كألطف دقيق الأتبان.

(٥) القول لينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣١٦.

قال^(١): والذي نرى نحن في علاج الملوحة المفردة، والملوحة التي يشوبها شائب أيضاً من طعم آخر، بعد أن يكون الطعم المالح فيها بيناً^(٢) أن يُرَشَّ على وجهها دُرْدِي^(٣) الزيت المأخوذ من عَصِير الزَيْتُون الذي لم يُصْبَهُ ملح، وليكن هذا الدُرْدِي لا طعم فيه من مُلُوحةٍ ولا غيرها إلا طعم الزَيْتُون فقط، ويُرَشَّ على الأرض، وهي غير مقلوبة، ثم تُقَلَّبُ، ثم يعاد الرِّشُّ ثانية بعد القلب، ثم يعادُ ثالثة بعد القلب، ويُنْثَرُ عليها بعد^(٤) من أخْثاء البقرة كثيراً ثم تُتْرَكُ أيَّاماً، ثم تُقَلَّبُ بِسِكِّ صِغار، ولا يُعَمَّقُ، بل قريب من وَجْهِ الأرض، ثم يُزْرَعُ فيها الشَّعِير، والحِلْبَة، والحِمَص، والسَّلْق، والقرع، والخِطْمِي.

وَيُغْرَسُ فيها النَّخْلُ متفرِّقاً، ويزرَعُ فيها ما ذكرنا فإنَّها تَلْتَقِطُ باقي^(٥) الملوحة منها.

وتُزَبَّلُ دائماً خَلِيطاً^(٦) من أخْثاء [البقر] ودُرْدِيّ الزيت.

(١) القول لقوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٤.

(٢) الفلاحة النبطية: بين.

(٣) الدردِي: ما رسب أسفل الإناء من زيت أو عسل أو بقية شراب، ونحوها من كل شيء مائع كالأشربة والأدهان.

(٤) الفلاحة النبطية: ينثر عليها بعد الثالثة شيء من أخْثاء البقر...

(٥) المتحف وباريس: ما في (تصحيح).

(٦) المتحف: وتزبل دائماً تخلط. باريس: وتخلط من أخْثاء...

ولتكن الأختاء متوسطة بين الحديثة والعتيقة^(١)؛ فإنها تصلح صلاحاً تاماً، إن شاء الله (تعالى).

وللملوحة علاج آخر، وهو أن تُقلب [الأرض] في أول أكتوبر؛ لتغسل الأمطار الملوحة منها، وكذلك الأرض التي بها قبض أو زعارة. أما التي غلب على طبعها مرارة [ويشوبها حرافة وتتن] فهي شر الأرضين^(٢)، وأبعدّها من الصالحين^(٣)، وهي مهلكة لبذر كل زرع قبل أن ينبت، لا بعد نباته، ولها دواء^(٤) في ردها إلى الصلاح التام، أو دون التام قليلاً.

وعلاجها أن يساق الماء العذب إليها كيفما تيسر^(٥)، وليكن أول ذلك في النصف الثاني من نيسان لا قبله، وفي أول آيار، ويقام الماء فيها كثيراً ما أمكن، وإن أقام فيها شهور الصيف كلها إلى أن ينتصف أيلول فهو الجيد، لا بعده، فإن لم يكن هذا، فليؤخذ قرع مجفف، ومن البقلة الباردة^(٦)، ومن ورق الكرم، يجفف الجميع، ويجفف القرع كما هو

(١) المتحف وباريس: متوسطاً بين الحديث والعتيق، والتصويب من الفلاحة النبطية.

(٢) الفلاحة النبطية، ص ٣٠٩-٣١١.

(٣) الفلاحة النبطية: من الصلاح.

(٤) باريس: دوي.

(٥) الفلاحة النبطية: وذلك على حسب تطاول زمان الفساد بها، كيف استوى.

(٦) البقلة الباردة: هي العليق أو المداد.

بلحمه وشحمه بعد أن يُقَطَّعَ قِطْعاً ثُمَّ يُسْحَقَ الجميع^(١)، ويُخَلَطَ بالماء العذب في قَرَبٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الْجُلُودِ، ثُمَّ تُرَشُّ [الأرضُ] بتلك المياه، بعد أن تُكْرَبَ كَرَباً غير عميق بل خفيفاً^(٢).

وقد تَكْتَفِي العَشْرَةُ الْأَجْرِبَةُ^(٣) من هذه الأرض الفاسدة أن يُرَشَّ عليها عشرون قَرَبَةً من هذا الماء المُخْتَلَطِ فِيهِ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ، وَلْيُعْمَلْ بِهَا هَذَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَأَوَّلِ النَّهَارِ، إِلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ تَمْضِي مِنْهُ، فَهُوَ أَجْوَدُ. وَإِنْ رُشَّتْ بِأَكْثَرِ [مِنْ] ذَلِكَ الْقَدَرِ كَانَ أَجْوَدَ، وَإِنْ كُرِّرَ عَلَيْهَا هَذَا مَرَاتٍ؛ فَذَلِكَ جَيِّدٌ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تُكْرَبَ وَهِيَ نَدِيَّةٌ، ثُمَّ يُرَشُّ عَلَيْهَا هَذَا الْمَاءُ، وَلْيُخَلَطَ فِي الْمَاءِ الْعَذْبِ تَرَابٌ مِنْ أَرْضٍ طَيِّبَةٍ، لَا طَعْمَ لَهَا، وَلَا رِيحَ، وَتُرَشُّ بِهِ أَيْضاً، وَتُكْرَبُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَيُكْرَرُ ذَلِكَ عَلَيْهَا سَنَةً؛ أَعْنِي صَيْفِيَّةً أَوْ صَيْفِيَّتَيْنِ، فَإِنَّهَا تَصْلُحُ، وَجَرَّبُوهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَا سِيَّماً إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْفَسَادُ فِيهَا غَيْرَ مُتِمَكِّنٍ، وَلَا قَدِيمَ الْعَهْدِ^(٤).

(١) جزء من النص السابق في الفلاحة النبطية، ص ٣١٠.

(٢) المتحف وباريس: بعد أن يكون كراباً غير عميق بل خفيف.

(٣) الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد وغيره، وجمعه: أَجْرِبَةٌ وَجُرْبٌ.

والجملة في المتحف وباريس: وقد تكفي لعشرة أجربة (وهي مصحفة) والتصويب من الفلاحة النبطية، ص ٣١١.

(٤) في الفلاحة النبطية، ص ٣١٢، زيادة تفصيل، قال: يؤخذ من ترابها الجديد، ويعجن بماء البئر، ويجرق بالنار، ثم يلقى في تراب الأرض الفاسدة، ويزرع فيها الباقي والدخن والترمس، وتسقى الماء العذب، فإن أنبتت نباتاً جيداً فقد صلحت.

وقال أيضاً^(١): إِنَّ الْأَرْضَ الْمَالِحَةَ، الشَّدِيدَةَ الْمُلُوحَةَ، وَالْقَابِضَةَ الْمَفْرِطَةَ الْقَبْضُ، قَبْضاً خَارِجاً عَنِ الْحُدُودِ رُبَّمَا صَلَحَتْ بِأَنْ يُزْرَعَ فِيهَا الْأَشْيَاءُ اللَّعَائِيَّةُ^(٢)، مِثْلَ الْبَزْرِ قَطُونَا^(٣)، وَالْحَلْبَةِ، وَالْبَاقِلِيِّ، وَالشَّعِيرِ، وَالْمَاشِ^(٤)، وَحَبِّ الرَّشَادِ، وَالتَّرْمُسِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَتَصْلُحُ الْأَرْضُ الْمَذْكُورَةُ^(٥)؛ أَوَّلًا: بِإِقَامَةِ الْمَاءِ عَلَيْهَا زَمَانًا طَوِيلًا، أَوْ بِالْعِلَاجِ الَّذِي نُعِدُّهُ^(٦)، أَوْ بِأَنْ يَتَّفَقَ أَنْ تَتَغَيَّمَ السَّمَاءُ فِي إِقْلِيمٍ "بَابِل" وَمَا أَشْبَهَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الْأَرْضِ الْمُرَّةِ وَالْحَرِيفَةِ وَالْمُنْتَنَةِ وَشِبْهَيْهَا مِنَ الْفَاسِدَاتِ الَّتِي يُرْجَى لَهَا الصَّلَاحُ، وَتَسْتَتِرُ الشَّمْسُ عَنْ هَذِهِ الْأَرْضِينَ هَذَا الْمَقْدَارَ^(٧)، فَلَا تَطْلُعُ عَلَيْهَا أَلْبَتَّةَ، صَلَحَتْ صَلاَحًا جَيِّدًا، وَلَمْ تَحْتَاجْ إِلَى عِلَاجٍ، وَلِيُزْرَعَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِينَ بَعْدَ صِلَاحِهَا الْحُبُوبَ اللَّزْجَةَ الْمَذْكُورَةَ قَبْلَ هَذَا، وَمَا أَشْبَهَهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ اللَّزْجَةَ اللَّعَائِيَّةَ تَلْتَقِطُ مَا بَقِيَ مِنْ

(١) القائل ينبوشاد، الفلاحة النبطية، ص ٣١٣.

(٢) اللعاب: ما سال من الفم. استعير منه: لعب الحية، ولعب الشمس، ولعب البذور، والثمار اللعابية التي يسيل منها ما يشبه لعب الإنسان.

قال قوثامي: لأن الأشياء اللعابية تلتقط ما بقي من أدران الأرض والمرارة منها.

(٣) بزر قطونا (بمد ويقصر): حشيشة البراغيث أو الطيون، أو الدوفس.

(٤) الماش: اللوباء، ويطلق على العليق أيضاً.

(٥) الفلاحة النبطية، ص ٣١٣.

(٦) المتحف وباريس: بعده.

(٧) الفلاحة النبطية: هذا المقدار من الأيام.

رداءتها^(١)، والمرارة فيها، وربما اكتفت بزرع هذه فيها مرة واحدة، وربما احتاجت إلى مرارٍ عدّة. وإن زُرِعَ^(٢) في هذه الأرض حبُّ الأَزَادِرَخْتِ^(٣)، واللُّوزُ المرّ، والآس، وشجر الغار لَقَطَت هذه الأشياء المرارة كلّها حتى تَصْلَحَ صلاحاً تامّاً.

قال "قوثامي"^(٤): وأنا أقولُ إنّ الأشياء اللُّعَابِيَّةَ المذكورة إذا زُرِعَتْ، وغرس معها في تلك الأرض شجر الخِطْمِيّ، وأغصان شجر المُشْمُشِ^(٥)، وفي جميع الأرضين الفاسدة أَصْلَحَتْهَا، ولقطت كثيراً من فسادها^(٦).

قال^(٧): واعلموا أن جميع الأرضين الفاسدة، من أيّ شيء كان فسَادُهَا: من المُلُوحة، أو المَرَارَةِ^(٨) أو الحِدَّة، أو التَّنّ، أو الرِّقَّة، أو الثَّقَل،

(١) الفلاحة النبطية: من أدائها والمرارة منها.

(٢) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص ٣١٣.

(٣) الأَزَادِرَخْت: هو اللبخ، وهي كلمة فارسية معناها: حر الشجر، وهو من الشجر العظام والسموم الوحية. عمدة الطبيب، ص ٥٥-٥٦.

(٤) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣١٣.

(٥) الفلاحة النبطية: ومن أغصان شجر السفرجل والمشمش.

(٦) ويلقط المرارة من الأرضين: الهندباء والكبر والغار وحب الزبيب.

(٧) هذا قول ينيوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٤١.

(٨) المتحف وباريس: الحرارة.

أو التصاق العرق، أو الحموضة، أو إفراط القبض؛ فإن الماء الكدير من ماء السيل إذا أقام فيها زماناً، وخلف فيها تراباً^(١) كثيراً أصلحها، وكلما كان أكثر كدراً كان إصلاحه لها أكثر، وذلك أنه يغسل الأرض ويبردها إذا احتاجت إلى تبريد، ويخلف فيها تراباً غريباً لطيفاً عذباً؛ لأن الماء ليس يحمل من التراب إلا لطيفه ولبّه، ويقويها إذا كانت ضعيفة أو رقيقة بذلك، ويقوم لها مقام الزبل المصلح.

وإن كانت مالحة غسلها من الملوحة برطوبته، وحلل ذلك عنها وأزاله بعدوبته، وطرد عنها حرارة الملوحة ببرده، وإن كانت حارة، فهو أصلح لها خاصة من جميع العلاجات؛ لأنه يطفيئ حدتها ببرده، وإن كانت منتنة الريح، فالماء العذب والتراب الغريب الطيب الريح الذي يخلفه الماء الكدير فيها يختلط بها فيصلح ريحها، وإذا تكرّر ذلك عليها سنة بعد سنة أزال النتن عنها.

وينبغي^(٢) إذا جفت أن تُقلب، ويُعمّق قلبها، وتزبل ببعض الأزبال العذبة والحلوة أيضاً.

(١) الفلاحة النبطية: خلف فيها تقناً كثيراً أصلحها.

التقن: الطين الرقيق يخالطه حمأة.

والتقن أيضاً: رُسابة الماء وختارته، وما يترك من طين وراءه.

(٢) هذا القول في الفلاحة النبطية أيضاً، ص ٣٤٢.

وإن كانت نَزَّة أو عَرَقَة فَإِنَّ التُّرَابَ الَّذِي يُخَلَّفُهُ الْمَاءُ الْكَدِيرُ فِيهَا
يُصْلِحُهَا.

وتقلب في كل شَهْرٍ مَرَّةً، في أربعة أشهر أربع مرات، منذ أوَّل
حُزيران إلى أوَّل أيلول، فتأْكُلُ الشَّمْسُ نَزَّهَا وَعَرَقَهَا كُلَّهُ مع مخالطة
التُّرَابِ الغريب لها.

قال^(١): وَأَمَّا الشَّيْءُ الْعَامُّ الصَّلَاحُ لَجَمِيعِ الْأَرْضِينَ الْخَارِجَةِ عَنِ
الطَّيِّبِ وَالْإِعْتِدَالِ، فَهُوَ الْمَطَرُ الْخَفِيفُ اللَّيْنُ الدَّائِمُ أَرْبَعًا^(٢) وَعِشْرِينَ سَاعَةً.
ويتلوه في الإِصْلَاحِ الْمَطَرُ الْمُسَمَّى "الْعَسَّالَ"^(٣) وهو أَزِيدُ مِنْ ذَلِكَ
بِالضَّعْفِ^(٤)، وهو يَعْسِلُ الْأَرْضَ الْمَالِحَةَ وَالْمَرَّةَ وَالْحَرِيفَةَ، وَيُصْلِحُهَا إِذَا دَامَ
عَلَيْهَا.

والصَّلَاحُ الثَّلَاثُ: هُوَ الْمَاءُ الْكَدِيرُ إِذَا أَقَامَ عَلَى الْأَرْضِ، وَخَلَّفَ
فِيهَا تَرَابَهُ الَّذِي حَمَلَهُ مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى.

(١) هذا قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٤٨.

(٢) المتحف وباريس: أربعة.

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٤٨.

(٤) الفلاحة النبطية: أزيد من (النخل؟) الدقيق بالضعف ونحوه والعبارة مصحفة.

يريد: أزيد من المطر الخفيف بالضعف.

فهذا يصلحُ جميع الأرضين. والمَطَرَتَانِ^(١) المذكورتان ليس يتمَّ إصلاحهما لما يُصلِحان [إلا] بمشيئة الله (تعالى)^(٢)، أو يتكرَّر نزولهما على الأرض مراراً كثيرةً؛ مثل أن يكون نزولهما نحو أربع وعشرين ساعة ثم يَسْتَكِينُ^(٣)، وتضربُ الأرضَ الرياحُ الهابَّةُ، وتَبْقَى إمَّا ثلاثة أيَّام أو يومين، ثم يعودُ بعد ذلك مثل ذلك المطر، ثم يَسْتَكِينُ، ثم يعودُ هكذا مراراً بمشيئة الله (تعالى).

* * *

(١) المتحف وباريس: المطران المذكوران. وهما: المطر الخفيف اللين، والمطر الغسال.

(٢) هذا التعليق إضافة من ابن العوَّام.

(٣) الفلاحة النبطية: ثم تسكن.

[الـ]... فصل [الرابع]

[إصلاح الأرض إذا خالط تراهما حجارة]

وفي "الفلاحة النبطية"^(١): مِمَّا يُصْلَحُ الْأَرْضَ إِذَا خَالَطَ تُرَابَهَا الْحِجَارَةَ، وَالْأَجْرَ^(٢)، وَالْحَزَفَ، وَالْجُصَّ، وَالْإِسْفِيدَاجَ^(٣)، وَالْكُنَاسَاتَ^(٤) الَّتِي فِيهَا خِرْقٌ^(٥)، وَأَشْيَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ مِمَّا يُجْمَعُ مِنْ كُنَاسَاتِ مَنَازِلِ النَّاسِ، وَكُنَاسَاتِ الطُّرُقِ الَّتِي فِيهَا حِجَارَةٌ صِغَارٌ، وَحُصَيَّاتٌ لِطَافٌ، وَفِيهَا جَوَاهِرٌ مُخْتَلِفَةٌ مُخَالَفَةً لَطَعْمِ التُّرَابِ، مِثْلُ: الْمِلْحِ، وَالزَّاجِ^(٦)، وَالنَّوَى الْمُخْتَلَفِ، وَالتُّرَابُ الَّذِي قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ شِدَّةُ الْبَرْدِ وَالْحَرِّ، فَيَبَسَ بَعْضُهُ يُبْسًا شَدِيدًا، أَوْ رَطُبَ بَعْضُهُ حَتَّى عَفِنَ عَفْنًا ظَاهِرًا بَيِّنًا، فَإِنَّ هَذَا فَاسِدٌ أَلْبَتَّةَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ جَوْهَرٍ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ جَوْهَرِ التُّرَابِ، مِثْلُ: نِشَارَاتِ

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٢٧.

(٢) الفلاحة النبطية: المدر من الآجر.

(٣) هو الإسْفِيدَاجُ وَالْإِسْبِيدَاجُ: رماد الرصاص.

الفلاحة النبطية: الإسْفِيدَاجُ (تصحيح).

(٤) الكناسة: القمامة.

(٥) المتحف: خرق، الفلاحة النبطية: فيها تحرق.

(٦) الزَّاجُ الأَبْيَضُ: كَبَرِيَّتَاتُ الْخَرَصِينِ، وَالزَّاجُ الْأَزْرَقُ: كَبَرِيَّتَاتُ النِّحَاسِ، وَالزَّاجُ الْأَخْضَرُ: كَبَرِيَّتَاتُ الْحَدِيدِ.

الحَشَب، ودِقَاقَات^(١) القَصَب، ونِحَاتَات الحِجَارَة، وَحَصَى الجُصِّ، وَحِجَارَة الثُّورَة^(٢) [وَحُتَات الآجُر]^(٣) وما أَشْبَه ذلك، إِذَا غَلَبَ عَلَى الأرض حتى يَكُون جزءاً مِنَ الأرض، أَفْسَدَهَا فساداً عَظِيماً^(٤)، وَلَا يَفْلَحُ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا النَّخْل، وَمَا عَظُمَ مِنَ الشَّجَر.

وعلاجُ هذه الأرض^(٥) التي أَفْسَدَهَا بعض هذه المخالطة لها، أَنْ يَنْقَلُ إِلَيْهَا تَرَابٌ مِنْ أَرْضٍ طَيِّبَةٍ، مُجَرَّبَةِ الطَّيِّبِ، وَأَفْضَلُ مَا يَنْقَلُ إِلَيْهَا تَرَابُ الأرضِ العَلِكَةِ الحُمْراءِ التي إِذَا مَسَّهَا الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ التَّصَقَّتْ كَالْعَرِيِّ^(٦)، فَيُخَلَطُ هَذَا بِهَا، وَيُجْعَلُ فَوْقَهُ سِرْجِين^(٧) الحَمِيرِ وَالْبَقَرِ جَمِيعاً، وَيُخَلَطُ هَذَانِ بِالْأَرْضِ الْفَاسِدَةِ بِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ مِنْ ظَاهِرِهَا، أَوْ مِنْ عُمُقٍ مِنْهَا بِحَسَبِ مَا يَقْدَرُ الْفَلَّاحُونَ أَنْ يُعَمِّقُوا^(٨).

(١) الفلاحة النبطية: دقاق.

(٢) الثُّورَة: حجر الكِلْس، وأَحْلَاطُ مِنْ أَمْلَاحِ الكَالْسِيُومِ وَالبَارِيُونِ.

(٣) الزيادة من الفلاحة النبطية.

(٤) فِي الفَلاحة النَبطِيَّة زِيَادَة، هِيَ: وَالْقِيرِ وَالنَفْطِ إِذَا كَثُرَ فِي أَرْضٍ أَفْسَدَهَا (ص ٣٢٧).

(٥) الْعِلَاجُ فِي الفَلاحة النَبطِيَّة، ص ٣٢٨.

(٦) الفلاحة النبطية: كالغراء.

(٧) السرجين هنا: الروث.

(٨) الفلاحة النبطية: أَنْ يُعَمِّقُوا؟؟

وَكُلَّمَا نَزَلَ التُّرَابَ الْجَدِيدَ مَعَ السَّرَّجِينَ الْمَذْكُورِ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ،
وَعَاصَ فِي عُمُقِهَا كَانَ أَصْلَحَ لَهَا، ثُمَّ تُسْقَى بَعْدَ هَذَا الْخَلْطِ مَاءً كَثِيراً حَتَّى
يَقُومَ [فِيهَا] نَحْوُ ذِرَاعٍ، وَيُتْرَكُ أَيَّاماً حَتَّى يَبْسَ، ثُمَّ يَعَادُ إِلَيْهَا الْخَلْطُ مِنْ
ذَيْنِكَ، وَتُسْقَى الْمَاءَ مَرَّاراً، ثُمَّ يَزْرَعُ فِيهَا الْبَاذَنْجَانُ، وَالْبَقُولُ مِنْ جَمِيعِ
أَصْنَافِهَا، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهَا التَّنَعُّعُ كَانَ جَيِّداً صَالِحاً لَهَا؛ إِلَّا الْقَنْبِيْطَ،
وَالْكُرْبُ، وَالْفِجْلَ، وَالسَّلْجَمَ^(١)، وَالْجَزَرَ، وَالْكُرَّاثَ^(٢) الشَّامِيَّ وَمَا
يُشَبِّهُهَا.

وهذه الأرضُ تَصْلُحُ لِلْبُقُولِ وَالْبَاذَنْجَانِ. وَلَا يُزْرَعُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ
الرَّيَاحِينِ، وَلَا الْحُبُوبِ الْمُقْتَاتَةِ، وَلَا شَجَرٍ مُثْمِرٍ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْأَرْضُ^(٣) الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا عَفْنُ جُثَثِ الْمَوْتَى، فَإِنَّهُ يُفْسِدُهَا
فَسَاداً عَظِيماً مُفْرِطاً^(٤).

وعلاجُها مِثْلُ عِلَاجِ الْأَرْضِ الْحَرِيْفَةِ وَالْمُنْتَنَةِ، وَلِيُفْعَلَ ذَلِكَ الْفِعْلُ
بِهَا فِي الْخَرِيفِ، وَوَقْتُ اسْتِقْبَالِ الشِّتَاءِ، وَجِيءَ الْأَمْطَارُ النَّازِلَةُ بِعَقْبِ
عِلَاجِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعِينٌ عَلَى تِمَامِ صِلَاحِهَا.

(١) السَّلْجَمُ: اللَّفْتُ.

(٢) الكُرَّاثُ الشَّامِيَّ وَالْأَنْدَلُسِيَّ، وَيُسَمَّى فِي مِصْرَ (أَبُو شَوْشَةَ) وَهُوَ الَّذِي لَهُ رُؤُوسٌ
كَبِيرَةٌ، وَيَدْخُلُ فِي الطَّبِيخِ، وَهُوَ غَيْرُ الْكُرَّاثِ النَّبْطِيِّ الشَّيْبِيِّ بِالثُّومِ.

(٣) الْفَلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ، ص ٣٢٩.

(٤) الْفَلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ: جُثَثُ الْمَوْتَى تَفْسِدُ الْأَرْضَ وَتُصَيِّرُهَا حَارَةً حَرِيْفَةً حَادَةً مَرَّةً مُنْتَنَةً.

قال "قوثامي": واعلموا -مَعَاشِرَ إِخْوَانِي وَأَحِبَّائِي- أَنَّ الْأَرْضِينَ كُلَّهُمَا، عَلَى كَثْرَةِ اخْتِلَافِهَا، قَدْ يُصْلَحُ الْفَاسِدُ مِنْهَا مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْعِلَاجِ، إِمَّا بَعْضَ الصَّلَاحِ، فَتَصْلَحُ لِأَشْيَاءَ مِنَ الْغُرُوسِ وَالزُّرُوعِ، وَإِمَّا الصَّلَاحَ كُلَّهُ، فَتَصْلَحُ لِكُلِّ صِنْفٍ^(١) مِنْ أَصْنَافِ النِّبَاتِ، إِلَّا الْأَرْضَ الْحَرِيفَةَ الْمُتَنَتَّةَ الرِّيحِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَصْلَحُ أَبَدًا بِعِلَاجٍ إِلَّا بِالْغَيْثِ الْكَثِيرِ، وَأَنْ يَقِفَ مَأْوُهَا أَوْ شَبَّهَهُ عَلَيْهَا سَنِينَ كَثِيرَةً.

* * *

(١) الفلاحة النبطية: فيصلح لكل شيء من أصناف النبات (كذا).

[الـ]... فَصْلُ [الخامس]

[في صفات الأرض]

ومن صفات الأرض: التَّخْلُجُلُ^(١)، والرَّخَاوَةُ^(٢)، والتَّلَزُّزُ^(٣)، والتَّلْبِيدُ^(٤)، والاكْتِنَازُ^(٥)، وغير ذلك من التي [تَمَّ] ذِكْرُهَا.

قال في "الفلاحة النبطية": أمّا الأرض المكتنزة^(٦)؛ لا تَصْلُحُ للغروس، ويُعرَفُ أمرُها^(٧) إذا أَشْكِلَتْ بأن يُحْفَرَ منها ثلاثُ حُفَرٍ، عُمُقُ كلِّ حفرة ذراعٌ ونصف، في مواضع متفرّقة من تلك الأرض. ويُحْفَظُ ترابُ كلِّ حُفْرَةٍ منها، بأن يُجْمَعَ في آنيةٍ من خَزَفٍ بعناية شديدة، ثم يؤخذ ترابٌ من أرض مُتَخَلِّجِلَةٍ غير مُكْتَنَزَةٍ لا يشكُّون فيها، وليكنْ بوزن التراب الذي أخرج من تلك الحفائر، يُوزَنُ بالميزان سواءً، ويُجْعَلُ

(١) الأرض المُتَخَلِّجِلَةُ بالطَّبْعِ أو المتكوّنة من تفل الماء الكدر، أو تخلخلت من الثلج الذي يغطيها وينحسر عنها. الفلاحة النبطية، ص ٣٣٦.

(٢) الأرض الرّخوة يمكن أن تقوى بالعلاج.

(٣) الأرض المفرطة الاستحشاف والتلرز سواء، ص ٣٣٠.

(٤) مدريد: التنكيد.

(٥) مدريد: الإكسار.

(٦) يقصد بالمكتنزة: الصلبة والمستحصفة والمتلرزة والحجرية.

(٧) امتحان الأرض هذا أشار إليه قسطا بن لوقا في الفلاحة الرومية، ص ١٣٦، وابن حجاج في المقنع، ص ٦، وأبو الخير الإشبيلي في كتاب الفلاحة، ص ٤.

ذلك التُّراب المتخلخل في تلك الحفائر، ويُدرَسُ بالأرجلِ ليجمعَ في الحفائر، فإن بقي من التراب الثاني بقيّة، فاعلموا أنّ تلك الأرض التي حُفِرَ فيها تلك الحفائر مُكْتَئِزة شديدة الصَّلابة، وأنّها لا تصلحُ للغرس^(١)، وتصلحُ لزراعة البقول والحبوب وغيرها.

وإن دخل الترابُ الثاني مكان التُّراب الأوّل، ولم يبقَ منه شيء ألبتّة، لا قليلٌ ولا كثير، فهذه الأرضُ تصلحُ للغرس، واغرسوا [فيها] لأنّ الأرضَ المتخلخلة تصلحُ للغرس، والصُّلْبَةُ المكتئِزة لا تصلحُ لذلك، وتصلحُ للزّرع.

وأما المُتَلَزِّز^(٢) والمُتَلَبَّد من التُّراب والأرض، فقد فصلَ القدماء ما بينهما، والأمرُ فيهما قريبٌ إلّا أنّ المُتَلَزِّزة أشدُّ تداخلاً من المُتَلَبَّدة. والتَّلَزُّز^(٣): هو شدّة اجتماع الأجزاء، وجودة تداخل بعضها في بعض. والمُتَلَزِّزة تقربُ من الصَّلابة والاستِحجار^(٤)، وهي أشدُّ من المُتَلَبَّدة.

(١) يقصد بالغرس: الشجر.

(٢) قال في الفلاحة النبطية (ص ٣٣٠)، ومما هو محتاج من الأرضين للإصلاح: الأرض الشديدة التلرز والانضمام.

(٣) اللسان، مادة (لرز).

(٤) الأرض الحجرية والجبلية والصُّلْبَةُ متعبة للفلاحين، وتحتاج عمارة كثيرة.

وقد ظنَّ قومٌ أن المَكْتَنَزَةَ غير هاتين اللتين هنا: المُتَلَبِّدَة والمُتَلَزِّزَة، وبين هذه الثلاثة فرق يسير، إلاَّ أن المُتَلَبِّدَة والمَكْتَنَزَة متقاربتان متآخيتان، والمُتَلَزِّزَة شيءٌ آخرُ.

وأما الرَّخْوَة والمُتَخَلِّجَة^(١): فليس الرخاوة هو التَّخَلُّلُ، ولا التَّخَلُّلُ هو الرَّخَاوَة.

والتَّخَلُّلُ يقربُ من التَّهافتِ^(٢)، والفرق بينهما أن الأرض المتخلخلة هي التي في أجزائها تَفَرُّقٌ من بعضها لبعض، وهي على انفرادها يابسة الأجزاء؛ إلاَّ أنها متفرقة في أجزائها، ثم إنَّها كامنة [اليبوسة].

والرَّخْوَة^(٣) هي التي في نفس أجزائها شبيهة بالتَّلَزُّز للاسْتِرْخَاء الذي في طبعها، فهذه تخالفُ تلك خلافاً بيّناً.

وقد تقدّم القول أن كلَّ أرضٍ رملية^(٤) هي رخوة، وأنَّ الرَّمْل يجعل الأرضَ مُتَنَفِّسَةً^(٥).

(١) انظر: الفلاحة النبطية، ص ٣٣٦.

(٢) أي: الهشاشة.

(٣) هي رَخْوَة ورُخْوَة ورُخْوَة.

(٤) الأرض الرملية في الفلاحة النبطية، ص ٣٣٣؛ وابن بصَّال، ص ٤٤.

(٥) باريس: يجعل للأرض مُتَنَفِّساً.

وَأَنَّ الْأَرْضَ الدَّسِيمَةَ^(١)، الشديدة الدُسُومة هي الأرض الرّخوة التي يعلوها نَزٌّ ورُطوبة بالطَّبْعِ.

وَأَمَّا الْأَرْضُ المتوسطة في كثرة التَّلَزُّزِ والميل إلى التَّخَلُّلِ، فتصلح للكُروم^(٢).

وَمِنْ عِلَالِمَاتِهَا: أَنَّ مِنْ طَبْعِهَا أَنْ تَقْبَلَ الْمَاءَ الْعَذْبَ، فتشربُهُ، وتُكِنُّ بعضُهُ فِي غَوْرِهَا، ثُمَّ إِنَّهُ يَضْمَحِلُّ فِي مَرُورِ الْأَوْقَاتِ.

وهذه تصلح للكُروم لا مَحَالَةَ.

وَأَمَّا الْأَرْضُ المتخلخلة^(٣) فهي أَوْفَقُ الْأَرْضِينَ للكُروم خاصَّةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ تَخْلُخْلِهَا رَقِيقَةً فهو أَجْوَدُ للكروم، وتكون فيها أَقْوَى وَأَنْجَبَ.

وَأَمَّا الْأَرْضُ الشديدة التَّلَزُّزِ^(٤) التي تضربُ إلى طبع الصلابة والجُصِّيَّةِ، وعِلَالِمَتُهَا أَنَّ مِنْ طَبْعِهَا أَنْ تَحْبَسَ الْمَاءَ فَوْقَهَا، فَلَا تَمْتَصُّهُ كَثِيرًا، وَلَا تَجْذِبُهُ إِلَى بَاطِنِهَا، فهي تفسدُ فيها الكُروم، وَإِنَّمَا تصلحُ للبقول وما شاكلها.

(١) الأرض الدسمة: الفلاحة النبطية، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٢) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٢.

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٦.

(٤) الفلاحة النبطية، ص ٣٣٠.

ومن الأرضين ما تَمْتَصُّ الماءَ كُلَّهُ فَتَخْبِأُ في باطنها وَغَوْرُها
وَيَقْشَفُ وَجْهُها، ومثل هذه أيضاً وشبهها لا تصلح للكروم، ومنها
متوسطة العمل في إدخال الماء إلى غَوْرُها، وفي قيامِها على وَجْهها، فيصيرُ
فيها وَحْلٌ.

* * *

[الـ]... فصلُ [السادس]

[مشاهدة بابل للأرضين في الأندلس]

ومِمَّا يدلُّ على رطوبة الأرض ما نذكرُ -إن شاء الله تعالى- في صفات الأرضين الدَّالَّة على قُرْب الماء وُبُعْدِهِ، وذلك في (الباب الثالث) من هذا التأليف، واستدلَّ بذلك على رطوبة الأرض ويُسَمَّيها.

وفي "الفلاحة النبطية"^(١): قال قوثامي: قد بيَّنا في هذا الكتاب من وصف أنواع الأرض واختلافها، وموافقة بعضها لبعض المنابت، ومخالفته، ما فيه كفاية ومُقْنَعٌ.

وهذا إذا فَهِمَهُ إنسانٌ فقد احتوى على رُكْنٍ عَظِيمٍ من أركان علم المنابت وإفلاحها، وقوام حياتها.

قال "صغريث" في الفلاحة النبطية^(٢): لا يكون إفلاح الشَّجَر وسائر النبات وغرَّسه، ودَفْع ما يَدْفَع عنه من العاهات^(٣) في كُلِّ البلدان مُتَسَاوِيًا، بل يَخْتَلِفُ بحسب اختلاف البلدان؛ فقد يَنْجُبُ شيء من ذلك في بلدٍ، ولا يَنْجُبُ في آخر.

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية، ص ٢٣، قال: بعض النبات يفلح في بلدة ولا يفلح في أخرى، بحسب هبوب الرياح، واختلاف الأهوية، واختلاف التربة والمياه. وانظر أيضاً، ص ٣٠٧.

(٢) المتحف وباريس: يندفع.

(٣) المتحف وباريس: المعاهات.

قال: والذي أذكرُ في هذا الكتاب (يعني كتاب: الفلاحة النبطية) ما كان موافقاً لإقليم "بابل" خاصّة، وما شابه^(١) مزاجه من الأقاليم والبلدان.

قال مؤلف هذا الكتاب: نقلتُ من كتاب (الفلاحة النبطية) إلى هذا التأليف ما أشبه عندي أنّه يوافقُ الجزء العربيّ من الأندلس، ومع هذا فإنّ إقليم "بابل" [يدخل] في الإقليم الرابع^(٢).

وقيل: إنّ بعض [منابت]^(٣) الأندلس فيه، وأيضاً فإنّ نظرتُ إلى ما ذكرَ في الكتاب المذكور من أوقات إدراك [النبات]^(٤) الغالب في إقليم بابل، ونحو ذلك، فألَفَيْتُ ذلك في بلدنا قريباً من ذلك الوقت، فحرّضني ذلك على نقلِ بعض ما وضّعه في تلك الفلاحة إلى هذا الكتاب.

* * *

(١) المتحف: وما أشبه مزاجه.

(٢) قسم العلماء الأقاليم إلى سبعة، الأول منها: أرض بابل ومنها خراسان وفارس والموصل... والثاني: السند والهند... والرابع: مصر وأفريقية والبربر والأندلس. انظر: كتاب أبي عبيد البكري: المسالك والممالك، ص ١٧٨.

(٣) المتحف وباريس: إنّ بعض الأندلس (العبارة فيها سقط يين).

(٤) ساقطة من المتحف وباريس.

[الـ]... فَصْلُ [السابع]

[دلائل طيب الأرض]

"ومن الدلائل على أنواع الأرض في الطيب، وغير ذلك، من الكتابين المذكورين؛ أعني كتاب ابن حجاج، والفلاحة النبطية" قال أنطربليوس الإفريقي^(١): إذا كان النبات في الأرض عظيمًا^(٢) طويلًا، غَضَّ الورق، حَسَنَ^(٣) الخُضْرَة، مُلْتَفًّا بعضُه ببعضٍ، غليظ العُروق، [فالأرض التي ينبت فيها] هي أرضٌ كريمة^(٤).

وكذلك إن رأيتَ فيها شجرةً بريًّا عَظَمًا، لم يَعرُسْهُ فيها أحد، فهي أرضٌ جيّدة أيضًا^(٥).

وإذا رأيتَ ذلك^(٦) [النَّبات] وَسَطًا، فهي متوسطة الطيب، وإذا رأيتَ فيها النَّبات ضعيفًا، قصيرًا، دقيقَ الورق والأغصان، رقيق العروق،

(١) المتحف وباريس: أنطوليوس، واسمه في المقنع: أنطربليوس وله كتاب في (الفلاحة)، وقوله في المقنع، ص ٦، وكتاب أبي خير، ص ٨٧.

(٢) المقنع: غليظًا طويلًا سمينًا.

(٣) باريس: خشن.

(٤) المقنع: جيدة.

(٥) هذا القول في المقنع، ص ٦٦، وفلاحة أبي الخير، ص ٤.

(٦) هذا القول أيضًا من المقنع، ص ٦، ومن أبي الخير، ص ٤، والزيادات من المقنع.

ويجفّ [الماء فيها] سريعاً، فتلك أرضٌ ضعيفة [وإنْ نَبَتَ] فيها الشَّوْكُ
والغَرائبُ، وشجرها صغار فليست بصالحة^(١).

قال قسطنطوس^(٢): علامةُ الأرض الطَّيِّبة أنْ يَكْثُرَ نَبْتُها من الشَّجَرِ
كلِّه، والمُتَوَسِّطة^(٣) دون ذلك، ويكون نَبْتُها غير ملتفٍّ، والدَّنيئة يكونُ
نَبْتُها رقيقاً ضعيفاً.

وقال أنطربليوس الأفريقي^(٤): أجودُ الأرضين التي لا يَكْثُرُ تَشَقُّقُها
إذا اشتدَّ الحرُّ، وإذا كَثُرَتِ الأمطارُ لم يكن فيها زَلَقٌ ولا تَمْلِيسٌ، وينشف
الماء [فيها] سريعاً، ولا يطولُ مُكْثُهُ^(٥) على وجهها.

وقال أيضاً^(٦): خيرُ الأرضِ وأجودُها الأرضُ السَّوداءُ المحتَمَلةُ
لكثرة الأمطار والماء^(٧)؛ غير أنَّها ليست بصالحة للكروم.

(١) ابن حجاج وأبو الخير: ليست بخالصة.

(٢) قول قسطنطوس الحكيم في الفلاحة الرومية، ص ١٣٥، والفلاحة لأبي خير، ص ٣.

(٣) عبارة قسطنطوس: وعلامة الأرض الوسط دون الجيدة، يكثر نبتها من الشجر
كله دقيقاً غير ملتف.

(٤) قول أنطربليوس في المقنع، ٦، قال: قال في كتابه "الفلاحة".

(٥) باريس: مكثها.

(٦) المقنع: ص ٦، وأبو الخير، ص ٤، والفلاحة النبطية، ص ٣٢٠.

(٧) المقنع: كثرة المياه والأمطار والحر.

وقال قسطنطوس^(١): علامة الأرض الطيبة إذا تتابعت عليها الأمطار
أن ينشف ماؤها، ولا تتشقق في الحرّ.

وقال جالينوس^(٢): إنّ القوم الذين وصفوا الحراثة في الكتب^(٣)،
يقولون: إنّ الأرض أصناف، ويصفونها، ويسمّون بعضها أرضاً بيضاء،
وبعضها أرضاً سوداء، وبعضها أرضاً رملية.

ويقولون^(٤): إنّ الأرض السمينة هي التي يكون فيها طينٌ عليك مثل
الشمع^(٥).

ويقولون: [أرضٌ] هشة^(٦) للتي هي سمينة، وهي التي يكون فيها
طينٌ لا علوكة له.

(١) الفلاحة الرومية، ص ١٣٥، وفلاحة أبي الخير، ص ٤، المقنع، ص ٦: وأجود الأرض ما لا
يكثّر تشققها إذا اشتدّ الحر، وفلاحة أبي الخير، ص ٤.

(٢) جالينوس: صاحب الأدوية المفردة، وأغذية المرضى، ويتكرر ذكره في كتب النبات
العربية. انظر عمدة الطبيب، ٩، ٣٣، ١١٤، ٤١٣، وص ٨٥٧.

(٣) باريس: وضعوا الكتب في الحراثة.

(٤) هذا قول ابن حجاج في المقنع، ص ٥٨، وفي صفات الأرض السمينة والدسمة. انظر
الفلاحة النبطية، ص ٣٣-٣٣٢، والمقنع، ص ١٠/١٣، ١٩، ٢٠.

(٥) باريس: الصمغ.

(٦) تفرد ابن العوام بذكر هذا النوع من الأرضين، ولم نجده في كتب الفلاحة كلها التي عدنا
إليها، وهي في المقنع (ص ٥٧): الخوّارة.

ويذمُّون الأرضَ الهَشَّةَ البيضاء، والأرضَ الرَّمْلِيَّةَ، في أشياء كثيرة، فهذان صِنْفان: الأولُ منهما أفضلُ أصنافِ الأرض، والثاني أدوُّنُها، ومنها ما هو أقربُ إلى الصِّنْفِ الأوَّل، ومنها ما هو أقربُ إلى الصِّنْفِ الثاني، وبعضُها في الوَسَطِ بينهما. وقد تَقَدَّمَ هذا، وبعضُ زيادة [فيه] فائدة.

ويستدلُّ أيضاً بِشَمِّ الأرض، وذَوِّقِها^(١)، وبما يَطْفُوا على الماء الذي يَنْقَعُ فيها؛ وذلك أن يُجْعَلَ من ترابٍ وَجْهَها - إن كانت أرضَ زَرْعٍ - أو من أسفلٍ من ذلك بِنَحْوِ ذِرَاعَيْن أو أكثر قليلاً - إن كانت أرضَ غِرَاسَةٍ - يؤخذ من أيِّ الموضعين المذكورين - كان - قَدَرُ مِلْءِ الكَفِّ، ويُجْعَلُ في آنيةٍ واسعة الفم من زُجاج أو خَزَفٍ^(٢) جديد، ويُغَمَّرُ ذلك بماء السماء، أو بالماء العَذْب، ويُخَضِّضُ^(٣) حتى يَنْحَلَّ التُّرابُ فيه، ثم يُتْرَكَ حتى يرسبَ ذلك التُّرابُ في أسفلِ الإناء، ويُنْظَرُ إليه عند ذلك، فإن طَفَا عليه من (العَكْر) فهي أرضٌ طيبة، وإلاَّ فهي أرضٌ مَهْزُولَةٌ لا تَصْلُحُ إلاَّ بالزَّبَلِ الكثير، ويُذَاقُ أيضاً ذلك الماءُ ويُشَمُّ أيضاً، فإن كان الماءُ عَذْباً، فالأرضُ عَذْبَةٌ، وقيل: إن كان الماءُ طَيِّباً حُلُوًّا فهي أرضٌ حَسَنَةٌ طيبة حلوة، وإن

(١) امتحان الأرض بالذوق والشَّم والنظر في الفلاحة النبطية، ص ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢،
والفلاحة الرومية، ص ١٣٥، والمقنع، ص ٦، وفلاحة أبي الخير الإشبيلي، ص ٤، ومفتاح
الراحة، ص ١٠٤.

(٢) باريس ومدريد: حمم؟ لعلها: حَمَام: مكيال أو الجَمَم: ملء الإناء.

(٣) يخضض: عبارة الفلاحة النبطية.

كان مُرّاً أو مالحاً، فهي أرضٌ رديئةٌ، وإن كان [الماء] مُنْتِنَ الرّيح فهي أرضٌ رديئة لا تصلح لشيء ألبتّة^(١).

وقال قسطنطوس^(٢): إن كان [الماء] مالحاً، فهي أرضٌ رديئة.

وقال أبو الخير الإشبيلي^(٣): ويُشَمُّ ذلك الماء والتُّراب، فإن كان طيّبَ الرّيح، فتلك الأرضُ جيّدة، وذلك دليلٌ على اعتدالها. وإن كان مُنْتِناً فتلك الأرضُ رديئة.

وكذلك [الأرض] السّهْكة^(٤) والمتغيّرة الرّيح، ويدلُّ ذلك على خَمَجٍ وتَعَفُنٍ فيها، لرداءة مزاجها.

وقيل^(٥): الهَرَبُ كلُّ الهَرَبِ من الأرض المالحة، والرَّمْلُ المالح، والماء المالح. وقد تقدّم أيضاً مثل هذا، وفي هذا زيادة بيان فتأمّله.

(١) قال صغريث: شرّ الأرضين: الحرّيفة المَرّة المنتنة. الفلاحة النبطية، ص ٣٢٣.

(٢) قول قسطنطوس في الفلاحة الرومية (ص ١٣٥): الأرض المالحة لا تصلح إلاّ لغرس النخل والأثل، ويذاق الماء فإن كان مالحاً فالأرض سبخة. وقال ابن حجاج (ص ٦) وأبو الخير (ص ٤): اهرب كل الهروب من الأرض المنتنة والمالحة، والماء المالح والرمل المالح.

(٣) كتاب الفلاحة، ص ٤، وأضاف: على قدر الذوق والطعم تعرف الأرض.

(٤) السّهْكة: المنتنة ذات الرائحة الكريهة.

(٥) هذا قول ابن حجاج في المقنع، ص ٦-٧، وقول صغريث في الفلاحة النبطية (ص ٣٠٩).

وأيضاً: إِنَّ عُجْنَ تَرَابُ أَرْضٍ بِالماءِ، فَيَعْلِكُ طِينُهَا، وَيَصِيرُ
كَالشَّمْعِ^(١) فَهِيَ أَرْضٌ جَيِّدَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهِيَ أَرْضٌ دَنِيَّةٌ.
وَقَالُوا أَيْضاً^(٢):

إِنَّ مِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ: الْأَرْضُ السَّمِينَةُ وَالْكَثِيفَةُ^(٣)، [وَمَا] تَتَمَيَّزُ بِهِ
المهزولة عن السمينة أَنْ تَحْفَرَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي تَرِيدُ اعْتِمَارَهَا حَفْرَةً عَمِيقَةً
[قَدْرًا] ذِرَاعٍ^(٤)، وَلَا يُضَيِّعُ مِنْ ثَرَاهَا شَيْءٌ، [وَأَخْرَجَ قَدْرًا مِنْ تَرَاهَا]^(٥)،
ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى الْحَفْرَةِ ذَلِكَ الثَّرَابُ بَعْدَ أَنْ يَفْتَتَ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى
مِلْئِهَا فَتِلْكَ الْأَرْضُ سَمِينَةٌ^(٦)، وَإِنْ لَمْ يَفْضُلْ مِنْهُ شَيْءٌ فَهِيَ مُتَوَسِّطَةٌ، وَإِنْ
دَخَلَ التَّرَابُ كُلُّهُ فِيهَا، وَبَقِيَ مِنَ الْحَفْرَةِ شَيْءٌ لَمْ يَرْتَدِّمْ، فَالْأَرْضُ رَدِيَّةٌ
رَقِيقَةٌ.

(١) سبق أن ذكر هذا القول. انظر: المقنع، ص ١٠، ١٣، ١٩، ٢٠، وهو بمعناه
شبه حربي في المقنع، ص ٥٨.

(٢) ذكر هذا القول قسطوس: الفلاحة الرومية، ص ١٣٦، وابن حجاج في المقنع،
ص ٦، وأبو الخير: كتاب الفلاحة، ص ٤.

(٣) استخدم ابن العوام هذا المصطلح، وهو مرادف للسمينة والدَّسَمَة ولم نجده عند
غيره من أصحاب كتب الفلاحة.

(٤) أبو الخير: قدر شبر، الفلاحة الرومية: قدر ما بدا لك.

(٥) الزيادة من ابن حجاج وأبي الخير.

(٦) ابن حجاج وأبو الخير: جيدة، قسطوس: جيدة طيبة.

وفي كتاب ابن حجاج (رحمه الله) ^(١): لا يصحُّ هذا.

قال كَسِينُوس ^(٢): يُرْتَادُ لِلْبُقُولِ الأرض السَّمينَة والدَّسِمة أيضاً
التي ليست بالخشنة ^(٣)، ولا البَيضاء، ولا اللزجة، ولا التي تَشَقُّقُ في
الصيف.

وقال غيره ^(٤): أَوْفَقُ الْأَرْضِينَ لِلْبَقْلِ، الأرض التي ليست بِخَشِنَة
خَوَّارة؛ فَإِنَّ الْخَشِنَة ^(٥) لَا تَصْبِرُ عَلَى كَثَرَةِ الْمَاءِ، وَكَذَلِكَ الْمُتَشَقِّقَة وَالْخَوَّارَة
تَسْتَرْخِي فِي الشِّتَاءِ، وَتَبْيَسُ فِي الصَّيْفِ، فَيَهْلِكُ بِقَلْهَا سَرِيعاً ^(٦).

وقال ابن بَصَّال ^(٧): مِنْ الْأَرْضِ مَا وَجْهُهَا جَيِّدٌ، وَأَسْفَلُ مِنْهُ
رَدِيءٌ، فَهَذِهِ تُزْرَعُ فِيهَا الْحُبُوبُ، وَيُغْرَسُ فِيهَا —إِنْ دَعَتْ إِلَيْهَا ضَرُورَة—

(١) هذا القول ساقط من نسخة المقنع المنشورة.

(٢) هو كَسِينُوس بن باسوس، ورد ذكره في المقنع، ص ٨٧.

(٣) الخشنة والحرشاء والصلبة: سواء.

(٤) المقنع، ص ٥٧، والفلاحة لأبي الخير، ص ٦١-٦٢.

(٥) المقنع: الخشنة المشققة.

(٦) المقنع: إلا أن يكثر زبلها، ومن الرملة ما يجود فيها البقل وذلك لقلة عشبها.

(٧) هو أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن بَصَّال (صاحب كتاب القصد والبيان في
الفلاحة) ألفه بعد سنة (٤٩٠هـ)، سكن طليطلة وهاجر إلى قرطبة وإشبيلية
وصقلية والإسكندرية، والمنشور من كتابه ملخص له، محمد عزيمان تطوان، المغرب
١٩٥٥م، وقد سقط منه هذا النص.

من الشَّجَرِ ما تَدِبُّ عُرُوقُه على وجه الأرض، مثل: الخَوْخ والتَّفَّاح وشبههما، غير أنَّ عُرُوق هذه إذا وَصَلَتْ إلى التُّربة الرَّدِيئة منها اختَلَّت الشجرة وَفَسَدَتْ. وهذه الأرضُ يَنْبُتُ فيها العشبُ في أول العام، وَيَحْتَرِقُ إذا سَخَنَ الهواء، إِلَّا أن يُتَدَارَكَ بالسَّقْيِ بالماء. وإذا بُولِغَ في حَفْرِ هذه الأرض، أو عُمِّقَ حَرْثُها، ظَهَرَ ذلك الرَّدْيُ على وَجْهِها فأفسده.

وقيل^(١): لا تُنْهَكُوا وَجْهَ الأرض، [واتركوا] شَحْمَتَها فيها. ويُعَالَجُ مثل هذه بالزُّبْلِ الطَّيِّبِ المُعَفَّن؛ فَإِنَّ به يكونُ صلاحُها، ولا غِنَى لها عنه.

وقيل^(٢): تُزْرَعُ الأرض الطَّيِّبة، وتُغْرَسُ التي دونها.

* * *

(١) هذا قول ابن بصَّال.

(٢) الزراعة للبقول والغرس للأشجار.

[الـ] ... (فصل) [الثامن]

[طبائع تراب الأرض]

ومن كِتَابِي الشَّيْخَيْنِ: أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن بصَّال،
والحكيم أبي الخير (رحمهما الله) في معرفة طبائع تراب ظاهر الأرض التي
تصلح للزراعة والغراسة، وما يُعالج به كلُّ نوع منهما، وما يوجد فيه من
الشَّجر والخضَر، من ذلك التُّربة البيضاء، قال أبو الخير الإشبيلي^(١):
طَبَعُهَا البرودة واليُبوسة^(٢).

وقال أبو عبد الله، ابن بصَّال^(٣): وعِشْبُهَا رقيقٌ ما دامت مُبَوَّرَةً،
ولا يكون العشب الكثير إلَّا في الأرض الكريمة والسَّمينة منها، من غير ما
تحتاج هذه الأرض إلى عمارة كثيرة لطيبها، فإذا عُمِلَتْ، وكُرِّرَ عليها
الحَرْتُ والحَفَرُ وطُبِّيتْ بالزَّبَلِ الكثير، لأجلِ بَرْدِهَا^(٤)، طَابَتْ وَصَلَحَتْ،
وعَظُمَتْ فيها الأشجار، وتَدَوَّحَتْ.

(١) أبو الخير الإشبيلي له كتاب في الفلاحة مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين،
وعلى تجاربه. وله كتاب في النبات والأدوية المفردة (ضائع) وله معجم عمدة الطبيب في
معرفة النبات، حققه: محمد الخطابي، الرباط ١٩٩٠م، قال أبو الخير (٨٦) الأرض البيضاء
دنيئة ما لم تتعاهد بالعمارة والزبل، وقول أبي الخير هو في الحقيقة لابن بصَّال، ص ٤٥.

(٢) ابن بصَّال: وبرودتها أكثر من يسها.

(٣) كتاب الفلاحة (المسمى: القصد والبيان)، ص ٤٥، المبورة: هي البور.

(٤) ابن بصَّال: ولا تحمل الماء الكثير لبردها، وهي محتاجة إلى كثرة الخدمة والتزليل.

وإن كانت سهليّة، واعتُمِرَت، وطُيِّت بالزَّبل، وزُرِعت جَادَ ما يُزْرَعُ فيها. ويحتاج نباتها إلى الزَّبل الكثير الحارَّ الرَّطب، والعمارة الكثيرة، ولا تحملُ هذه الأرضُ كثرةَ الماء لبرْدِها^(١). ويجودُ فيها شجر التَّين، والزَّيتون، والخَرْبُوب، والكُمَثْرَى، والرُّمَّان، واللَّوز، والسَّفْرَجَل، والفُسْتُق، والكَرْم.

وينجبُ فيها شجر اللُّوز ويعظُم، وكذلك شجر التين، والخَرْبُوب، وليس يحتاج فيها شجر التين واللُّوز إلى عمارة كثيرة، وليس يَعْظُمَانِ فيها. والتين والعنب أَنَجَبُ في غيرها، إلَّا أَنَّ العنب يكونُ فيها شديد الحلاوة، كثير المائيّة.

ويَجُودُ فيها أيضاً أنواع الحَزَاء^(٢)، والسَّمَاجِي^(٣)، والنَّيْل^(٤)، والفُؤَّة^(٥). ويُصْلِحُ هذه الأرض ذَرْق^(٦) الحَمَام صلاحاً كثيراً.

(١) قال ابن بَصَّال (ص ٤٦): لا تحمل هذه الأرض الماء الكثير لبرودتها، وهي محتاجة إلى كثرة الزَّبل.

(٢) الحزاء: جمع حزاء؛ وهو سذاب البر، من الأحرار والأغلات. عمدة الطبيب، ص ٢١٦.

(٣) السماجي من صنف الأشجار البرية، الفلاحة النبطية، ص ١٦٩.

(٤) النيل هو النيلنج والليلك والصباغ. وقيل: هو الغبيراء والفضة.

(٥) الفؤة: عروق الصباغين، وحشيشة الأفعى، والعكرش. انظر: الفلاحة النبطية، ص ٦٣٢، ١٢٥٣-١٢٥٤.

(٦) ذَرْق الحمام: سُلَّاحه.

وقال أبو الخير الإشبيلي: شجرها لا يضرُّها الصَّرُّ!^(١) وقال غيره: توصفُ هذه التُّربة بأوصافٍ، فيقال: تُربةٌ بيضاء جبليَّة، وبيضاء جرداء، وبيضاء نديَّة وسمينة، وصلبة وكُدنيَّة^(٢)، وحُلوة، وبيضاء مالحة، ولا خيرَ فيها، وهي التي تَتَهَرَّأُ^(٣) بعد جُفوفها من الماء.

وقال جالينوس: ومنها مُعْتَرِقة^(٤) الأجزاء، غير سمينة.

والتُّربة العَبْرَاء: والعُبْرَة لونٌ مُحدَثٌ من اجتماع البياض والحُمْرة والسواد.

قال أبو الخير الإشبيلي^(٥): هي أرض مُنْقَادَة للعمارة، ومنها كريمة سمينة، ولزبة^(٦)، وتكونُ في السَّهْل والجبل، وهي أَصْلَحُ من التُّربة البيضاء،

(١) ربما يقصد الصر: البرد، ونرجح أن قراءة هذه الكلمة (الصَّر: أي البرد)، وأن الشجر الذي ينبت في الأرض الرملية البيضاء (وغالباً ما تكون حافة مالحة) فلا يضرها بعد ذلك شيء. ونرجح أن المقصود بالصر: وهو البرد. كتبت في النصوص الخطيَّة: الصَّرًا.

(٢) الكدنية: الصلبة الشديدة. الكدن: النبات ذو الأصول الصلبة، ومن الأرضين: الحمراء المكدنة وهي أخط من المضرة اليابسة.

(٣) هراً البرد الشيء: هراً وهراء: أفسده وهراً الحر الثوب: أفسده، واللحم: أنضجه واشتد عليه، تَهَرَّأت التربة: تفتت.

(٤) ذكر علماء الفلاحة: الأرض النَّزَّة والعرقه وهي التي ترشح ملحاً وماءً، تعرق الشجر وأعرق: امتدت عروقه في الأرض.

(٥) سقط قول أبي الخير من كتابيه المنشورين: الفلاحة، وعمدة الطبيب.

(٦) اللزبة: المتماسكة. لزب الطين: لرق وتماسك.

وتحتاج من العمارة أقلّ ما تحتاج إليه البيضاء، ويجودُ فيها: الزَّيتون، والرُّمَّان، والبَلُّوط، والخَرْبُوب، والفُسْتُق، والكُمَثْرَى، والزُّعْرُور، والمُشْتَهَى، واللَّوز، والكَرْم.

ومن أنواع التين الأحمر^(١) اللّطيف، والخبيص^(٢)، والشّعري^(٣)، وجميع أنواع التين الأسود.

ويصلحُ فيها من البُقُول: السَّلَق، والكُرْتَب، والفُجَل، والجَوْز، والسَّلْجَم^(٤)، وشبّه ذلك، ويُصلِحُهَا ويوافِقُهَا ذَرَقُ الحَمَام^(٥)، والماء العَذْب.

والثَّربَةُ الحَمْرَاءُ: قال أبو الخير الإشبيلي وغيره^(٦): طَبْعُهَا الحَرَارَةُ واليُبُوسَةُ، وحرارُثُهَا أَكْثَرُ من يُبُوسَتِهَا، وهي أنواع؛ منها: حمراءُ سَمِينَة،

(١) التين الأحمر: هو الجميز، ومنه: الطبار وهو أحمر كميّ اللون (عمدة الطبيب، ١٤٧-١٤٨).

(٢) ذكر أبو الخير من أنواع التين: الملاحى والشيولى، والقرطى والفاحر، والسهيلي والقرشي والجعفري. عمدة الطبيب، ص ١٤٧.

(٣) من أنواع التين: الشعري. عمدة الطبيب، ص ١٤٧.

(٤) السلجم: هو اللفت.

(٥) ذرق الحمام: سلاحه.

(٦) هذا قول ابن بصال (ص ٤٦)، وأضاف: من أجل ذلك صار فيها رطوبة متمكنة قوية، وفي تربتها غلظة، ويرق تراهما بأن يقلب أعلاها أسفلها، وهي تحتل الماء الكثير، وانظر: مفتاح الراحة، ص ١١٠-١١١. انظر قول أبي الخير في الأرض الحمراء، كتاب الفلاحة، ص ٨٦.

وحمرأ رِخْوَة^(١)، ومنها مائلةٌ إلى السَّوَادِ قليلاً، مثل لون الزَّيْب، وتُعرَف بالهنديَّة، ومنها ما يخالطها رملٌ يسيرٌ، وتُسمَّى "الرَّيسن"^(٢)، وهي نوعان: أحدهما يخالطه الرَّمْلُ، والآخر أَحْمَرُ عَلَيْكَ لا يخالطه رملٌ.

ومنها جبليَّة وسَهْلِيَّة؛ وهي أرض غليظة قوية غير منقادة للعمل إلاَّ بعدَ مشقَّة وقَهْر، وتحتاجُ إلى عِمارة كثيرة حتى يرقَّ ترابُها، وتَلِينَ شِدَّتُها، وبذلك يَصْلُحُ حالُها، وتُزْرَعُ بعد ذلك مرَّةً واحدةً دون زَبَلٍ^(٣)، وهي تحتملُ الماءَ الكثير، وتُمْسِكُ الثَّرَى^(٤) زماناً طويلاً.

وقال ابن بصَّال^(٥): ولا تحتاجُ إلى زَبَلٍ كثير، بل يُقلَّلُ لها منه لأجل حرارتها حتى لا يكاد يَظْهَرُ فيها، وكذلك يُقلَّلُ منه لأشجارها، وتكفيها العِمارة فقط^(٦)، ويُزَادُ من الزَّبَلِ إن زُرعت مرَّاتٍ؛ مرَّةً بعد أخرى، ولا سيما على السَّقْيِ، وكثرةُ الزَّبَلِ يوهنُها ويَمْرِضُها.

(١) هي رِخْوَة ورِخْوَة ورُخْوَة: هشة.

(٢) الرس: اللينة التي لم يخالطها حجارة أو آجر، والأرسان: الأرض الحزنة.

(٣) في المتحف وباريس ومدرید (تصحيف): دون رمل.

(٤) الثرى: الندى والرطوبة.. قال ابن بصَّال (ص ٤٧) هذه الأرض تملك الثرى ويدوم فيها.

(٥) قول ابن بصَّال في كتابه القصد والبيان، المسمى كتاب (الفلاحة)، ص ٤٧.

(٦) قال ابن بصَّال: هذه الأرض لا تجود إلا بعد الخدمة والاجتهاد.

وقيل تُكْرَم بقليل من الزَّيْلِ البالي من عامين، زَبَل دوابّ، وإذا
تَبَوَّرَت هذه الأرض لم ينبت فيها من العشب^(١) إلا ما لا حَظَرَ له.

وقال ابن بصّال^(٢): يَجُودُ فيها شجرُ التين والجَوْز، واللَّوز،
والفِرْصَاد^(٣)، والصَّنَوْبِر، والعَرَعَر^(٤)، والسَّرَو، والأُثْرُج، والخَرْبُوب،
والْفُسْتُق، والآس، والعَنَاب، والزُّعْرُور، والغُبَيْرَاء^(٥)، والثُّفَّاح، والإجَّاص،
وعيون البَقَر^(٦).

ويجودُ فيها الورْد نَعْمًا، ويَحْمَرُّ جدًّا.

وقال ابن بصّال: وَيَصْلُحُ في الثَّرْبَةِ الحمراء من البُقُول، وَيَجُودُ:
البَصَل والثَّوْم، والبادِنْجَان، والفِجْل، والجَوْز، واللفت، والخَرْدَل،
والْحُرْف^(٧)، والشُّونِيز^(٨)، والكِرَاوِيا، والفيجَن^(٩)، وما أَشْبَه ذلك.

(١) ابن بصّال: هي قليلة الدغل والعشب.

(٢) قوله سقط من النسخة المنشورة بتحقيق: خوسي مارية ومحمد عزيمان.

(٣) الفرصاد: التوت البلدي.

(٤) العرعر: الشث والازاب والأهمل.

(٥) الغبيراء: الجثجاث والقضة.

(٦) عيون البقر: هو البرقوق المسمى شاهلوك.

(٧) الحرف: حب الرشاد.

(٨) الشونيز: الحبة السوداء أو حبة البركة.

(٩) الفيجن: هو سذاب البر المسمى الذفراء.

وَأَمَّا الرَّيْسَنُ^(١)؛ وهي التُّربة الحمراء المُخْتَلِطَةُ بالرَّمْلِ اليسير؛ فهي تربة مَهْزُولَةٌ رقيقة، لا يُجُودُ فيها شيءٌ إِلَّا الزَّيتون إذا أَكْثَرَ تَزْيِيلُهَا بِذَرَقِ الحَمَامِ، وَحُرَّكَتْ بِالْحَرْتِ مَرَّاتٍ.

ومنه نوعٌ آخَرُ أَحْمَرُ عَلِكٌ لَا يُدَاخِلُهُ المَاءُ بِسُرْعَةٍ، يُعْرَفُ أَيْضاً بِالرَّيْسَنِ^(٢)، وَيُجُودُ فِيهِ الزَّيتون، وَالتَّينُ الشَّعْرِي^(٣)، وَالْخَرْبُوبُ، وَالبَلُّوطُ، وَالكُمَّثَرَى، وَالْغُبَيْرَاءُ^(٤)، وَالزُّعْرُورُ، وَالشَّاهُ بَلُّوطُ^(٥)، وَشَبَهُ ذَلِكَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الْعَمَلِ وَالتَّزْيِيلِ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ.

وَالْتُّرْبَةُ السَّوْدَاءُ^(٦)، قَالَ أَبُو الْخَيْرِ الْإِسْبِيلِيُّ: طَبْعُهَا الْحَرَارَةُ وَالْيَبُوسَةُ^(٧)، وَهِيَ قَلِيلَةٌ الْانْقِيَادَ لِلْعِمَارَةِ وَالْحَرْتِ، وَلَا تُنَجِبُ فِي ذَلِكَ^(٨)،

(١) بَارِيس: الرين، مَدْرِيد: اليس، الْمُتَحَف: الرسن أو (الرِيسن) وهي من (الأرسان من الأرض: الحزنة التي اختلطت تراهما بالحجارة فصلبت). وَالطِّينُ الْمَرِيسُ: الْمَلْطَخُ بِالزَّبْلِ.

(٢) بَارِيس وَمَدِيد: الريس، وَلَعَلَّهَا: المريس. وَفِي النَبْطِيَّة (ص ٣٦٧): طين الدبس، مفتاح الراحة، ص ١١٥ طين الدنس.

(٣) عَمْدَةُ الطَّبِيبِ، ص ١٤٧.

(٤) الْغُبَيْرَاءُ: هُوَ الْجُنْحَاتُ.

(٥) الشَّاهِبْلُوطُ: هُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي فُرُوءَ.

(٦) ابْنُ بَصَّالٍ، الْفَلَاحَةُ، ص ٤٤-٤٥.

(٧) ابْنُ بَصَّالٍ: طَبْعُهَا الْحَرَارَةُ وَالْيَبُوسَةُ مَعَ الْمُلُوحَةِ.

(٨) قَالَ أَبُو الْخَيْرِ (ص ٨٥): السَّوْدَاءُ لَطِيفَةٌ الْأَجْزَاءِ، سَرِيعَةُ التَّفْتَتِ، تَحْمِلُ الْغَيْثَ الْكَثِيرَ، مَسَامَاتُهَا مَفْتُوحَةٌ، تَصْلُحُ لِلشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ.

ولا تَتَشَقَّقُ، [ولا ينجب] فيها شجرٌ إِلَّا بَعْدَ العِمَارَةِ الكثيرة، والسَّقْيِ بالماء، ولا يُغْفَلُ عنها، وَيَصْلُحُ -في الجبليَّة منها على حال مع كثرة العِمَارَةِ- شَجَرُ الزَّيْتُون، والخَرْبُوب، والبلُّوط، والشَّاهِ بُلُوط، وشجر الغُبِرَاء، والكَمَثَرَى، والإجَّاص، والقرَّاصيا، وشبه ذلك.

ولا يَجُودُ فيها شجر التَّين، وكذلك الخَوْخ لا يطول عُمرُهُ، ولا يَكْثُرُ حَمْلُهُ فيها.

وَيُزْرَعُ فيها الفُولُ والشَّعِير، والعدس، والدُّخْن^(١)، والذُّرَّة، والكَمُون، والكَرَّاءيا، والشُّونِيز^(٢)، وشبه ذلك. ويجُودُ فيها الحُرْفُ^(٣)، والكُزْبَرَة، والخَرْدَل^(٤).

وقال غيره:

هي أنواعٌ، منها تُرْبَةٌ رِخْوَةٌ تَتَشَقَّقُ، وجبليَّة صُلْبَةٌ إذا ضَرَبْتَ فيها بِالْمَعْوَلِ يَمْتَنِعُ موضعُ الضَّرْبَةِ. ومنها ما يشبه لوئُها لَوْنُ الرَّمَادِ الأسود، ومنها رَطْبَةٌ.

(١) الدخن: الذرة الحمراء أو الجاورس (فارسية).

(٢) الشونيز: الحبة السوداء.

(٣) الحرف: حب الرشاد.

(٤) هذا القول في فلاحه ابن بصَّال، ص ٤٥.

وقال الحاجّ الغرناطي^(١): منها سوداء مُفْرِطَة السَّوَاد، احْتَرَقَتْ
حَتَّى خَرَجَتْ عَنْ حَدِّ الْعَتَدَالِ، وَعَدِمَتْ الرُّطُوبَةُ الَّتِي بِهَا، وَهَذِهِ يُصْلِحُهَا
الزَّبْلُ الْقَدِيمُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ذَهَبَتْ -لِقَدَمِهِ- حَرَارَتُهُ، وَبَقِيَتْ رُطُوبَتُهُ.

وقال جالينوس: منها سَمِينَةٌ لِرِجَةِ سَرِيعَةِ الْإِنْجِلَالِ بِالمَاءِ. وَقَالَ
غَيْرُهُ: التُّرْبَةُ مِنْهَا -وَهِيَ الَّتِي تَتَشَقَّقُ فِي فَصْلِ الْحَرِّ- مَا لَا يَجُودُ فِيهَا
شَجَرٌ، وَيُصْلَحُ فِيهَا: الْبُرُّ، وَبَعْضُ الْقَطَائِنِ، وَأَكْثَرُ عُشْبِهَا الشَّوْكُ، مِثْلُ:
الْحَرْشَفِ^(٢)، وَالْعَوَالِيقِ^(٣)، وَشَبَّهَ ذَلِكَ، وَالَّذِي يَكْثُرُ فِيهَا الْحَرْشَفُ نَعْمًا
رَدِيئَةً. وَيَعْرِفُ الطَّيِّبُ وَالْوَسْطُ وَالذُّونُ مِنْ أَصْنَافِهَا مِمَّا تَقَدَّمَ وَصَفُهُ.

والتُّرْبَةُ الْمُدْمِنَةُ^(٤)؛ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِاتِّصَالِهَا بِمَسَاكِنِ النَّاسِ، وَقُرْبِهَا
مِنْهُمْ، وَيُخَالِطُهَا لِذَلِكَ زُبُولُ الدَّوَابِّ، وَشَبَّهَ ذَلِكَ، وَيُصْلَحُ بِذَلِكَ الدَّنِيئَةُ
مِنْهَا. وَكَثِيرًا مَا يَغْلُبُ لَوْنُ ظَاهِرِهَا إِلَى السَّوَادِ، وَإِنْ كَانَتْ أَرْضًا طَيِّبَةً
أَضَرَّ كَثَرَةُ ذَلِكَ الدَّمَنِ^(٥) بِنَبَاتِهَا إِذَا سَخُنَ الْهَوَاءُ، وَإِنْ كَانَتْ رَمْلِيَّةً أَوْ

(١) الحاجّ الغرناطي؛ هو أبو عبد الله، محمد بن مالك المعروف بالتغري نسبة إلى بلدة تغري في
غرناطة، له كتاب اسمه: زهر البستان ونزهة الأذهان، مخطوط، يتولى الأستاذ بريس
تحقيقه في الجزائر.

(٢) الحرشف والخرشوف (نبطية): هو العكوب أو شوك الحمير.

(٣) العواليق؛ منها: البقلة الباردة، وعليق العدس، وعليق الكلب، وعليق الكباش.

(٤) ابن بصّال، ص ٤٤-٤٥.

(٥) الدمن: السماد المتلبد، والدمنة: آثار الناس وما سودوا، وما اختلط من البعر والطين عن
الحوض فتلبد، وهو اسم عام للمزيلة.

بَيْضَاء، أو جبليّة يابسة، أو حَرشاء^(١) مُضَرَّسَة^(٢)، أو نوعاً من الأرض التي يُصْلِحُهَا كثرة الزَّبَل نَفْعَهَا ذلك.

وَصِدَّ هذه تُسَمَّى "البَرَّانِيَّة" وهي التي تبتعدُ عن مَسَاكن الناس.

والأَرْضُ المَدْمِنَة يُكَرَّرُ حَرْثُهَا مَرَّاتٍ لِيَمْتَزَجَ أَعْلَاهَا بِأَسْفَلِهَا^(٣)، ويعتدل حالها. وَيُزْرَعُ فِيهَا الحُبُوب والقَطَائِي فيَجُود، وتُزْرَعُ فِيهَا البُقُول على السَّقِي فيَجُودُ أيضاً.

وَيَنْجُبُ فِيهَا جَمِيعُ الأشجار التي يُصْلِحُهَا كثرة الزَّبَل، والتي تَحْتَمِلُهُ، وَأَمَّا مَا لَا تَحْتَمِلُهُ مِنْهَا، مثل: السَّفَرَجَل وشبهه، فلا يَطُولُ عُمُرُهُ فِيهَا، وكذلك الخَوْخ لَا يَطُولُ عُمُرُهُ فِيهَا، وَلَا يَكْثُرُ حَمْلُهُ.

والتُّرْبَة الصَّفْرَاء، قال ابن بَصَّال^(٤): طَبْعُهَا قَرِيبٌ مِنْ طَبْعِ الأَرْضِ البِيضَاء فِي البُرُودَة والْيُبُوسَة^(٥)؛ إِلَّا أَنَّهَا دُونَهَا فِي الطَّيِّبِ، وَدُونِ الأَرْضِ السَّوْدَاءِ الجبليّة أيضاً، وَأَقْلَّ فائدة.

(١) الحرشاء: الخشنة التي احتلط تراها بحجارة صغيرة.

(٢) المضرسه: فيها حجارة كأنها أضرار الإنسان.

(٣) قال ابن بَصَّال: هذه الأرض لا يعلم جيدها من رديئها حتى يعلم ظاهرها وباطنها، فقد يكون وجهها رديئاً، وأسفلها بخلاف ذلك.

(٤) ابن بَصَّال، ص ٤٦.

(٥) ابن بَصَّال: في الطبع والجوهرية.

وهي ضَعِيفَةٌ مُعْتَلَّةٌ لطيفة^(١)، لا تصلحُ إلاّ بالعمارة الكثيرة، والزَّبلُ القديم الكثير جداً؛ زَبَلُ الدَّوَابِّ والغَنَمِ الذي قد أتى عليه الحَوْلُ. وإن عَدِمَتْ ذلك لم يكن فيها منفعة أَلْبَتَّة.

وقيل: إنّها أنواع؛ منها المَكْدَنَةُ التي تشبهُ الكِدَان^(٢)، إلاّ أنّها رَطْبَةٌ، ومنها ما يميلُ لونها إلى البياض، وهي طَفْلِيَّةٌ^(٣) وتُسَمَّى "النَّزَّة"^(٤)، و[قد] تتشَقَّقُ، وهي أَلْطَفُهَا، ومنها شديدة اللُّزُوجَةِ، لا خيرَ فيها.

وقال أبو الخير الإشبيلي^(٥): ولا يصلحُ منها إلاّ ما فيه رُطُوبَةٌ وكُدُونَةٌ، ولا يصلحُ فيها من الأشجار إلاّ ما له منها أصلٌ قويٌّ؛ مثل: الخَرْبُوبِ، واللَّوْزِ، والرُّعْرُورِ، والْبَلُّوطِ، والقَسْطَلِ^(٦)، والجَوْزِ، والنَّخْلِ، والأُتْرُجِ، والفَرْصَادِ، وشبّه ذلك، ولا يجودُ ذلك فيها إلاّ بالعمارة الكثيرة والتَّزْيِيلِ.

(١) ابن بصّال: ضعيفة، معتلة، متغيرة لا تصلح إلا بكثرة المعاناة. مدريد: مقتلة؟؟

(٢) الكدان: حبل يشد في عروة الدلو. كدن التراب كدنا: صلب واشتد، والمكدنة: الأرض الغليظة الصلبة الشديد المتلززة.

(٣) الطفل: الطين الأصفر، تصبغ به الثياب، وهو معروف بمصر. والطفيل: الماء الكدر، وطفل طفولة وطفالة: نعم ورق.

(٤) الأرض النَّزَّة: ذات نز، وهو ما يتحلب في الأرض من الماء.

(٥) أبو الخير الإشبيلي: كتاب الفلاحة، ص ٨٦-٨٧.

(٦) القسطل: هو الشاه بلوط.

والتربة الحرشاء^(١)، وتسمى المُرْسَة^(٢)، والمَحَجَّرَة^(٣) أيضاً: قال أبو الخير الإشبيلي^(٤): طَبَعُهَا البرودة واليُبوسة^(٥)، وهي نوعان^(٦): أحدهما ترابٌ مختلط برملٍ غليظ، والآخر: تراب مختلط بِحَصَى أو حجارة صغار مُحَبَّبة، وتكون جبليَّة، وتكون سهلية، فما كان منها في الجبل، وتحت ظاهرها حجارة كثيرة متَّصلة تَمْنَعُ العَمَلَ، فلا خير فيها، وما كان منها في السَّهْل، وَحَصَبًاؤها^(٧) صغار، بحيث يأخذُ فيها^(٨) العَمَلَ، فتلك يُكَرَّرُ عليها الحرثُ مرَّاتٍ حتى تختلط وتَمْتَزَج، فتصلح بذلك، وهي مُتَّعِبَة^(٩)

(١) الحرشاء: الخشنة.

(٢) المتحف وباريس ومدرید: محينة - المضمرة.

أرض مخروسة: فيها حجارة كأها أضراس، والضرس: الأكمة الخشنة كأها مخروسة.

(٣) ابن بصَّال: الحبية. وقال: هي تشبه الأرض الجبلية.

(٤) هذا القول منسوب لابن بصَّال في كتابه، ص ٤٧.

(٥) ابن بصَّال: وفيها رطوبة.

(٦) قال ابن بصَّال: هي على ضربين: ضرب يكون التحبب على وجهها لطيفاً، وضرب على وجهها تحبيب كثير، ومتى كشف عن باطنها وجد حجراً متصلاً.

(٧) باريس ومدرید: حصاؤها.

(٨) المتحف: يأخذها.

(٩) المتحف وباريس: نباتية؛ أي تصلح لزراعة النبات لا للشجر.

وهي مصحفة؛ لأن الجبلية تصلح للشجر لا للخضرة.

بالعمل، وتحتاج إلى العمارة الكثيرة، والسقي الكثير بالماء، والزبل الكثير، زبل الغنم، وذرق الحمام، وكذلك الأرض الجبلية كلها.

ويجود في التربة الحرشاء شجر الجوز، والفستق، والذكار^(١) والتين، والبرتقال، والورد، والإحاص. ويصلح فيها الكرّم جدًّا، ويجود فيها المشمش، واللوز، والرند، والعرعر، والسرو، والآس، والدادي^(٢)، والمشتهى^(٣). وجميع ما ينبت في الجبل من الأشجار الكبار والصغار.

قال أبو الخير الإشيلي^(٤):

والتين البري^(٥) والأحمر^(٦) يجود فيها.

ويجود فيها من الحضر: القرع - ويَعَجَلُ بالإطعام فيها - والبادنجان، وضروب الأحباق، والفيجن^(٧)، والسوسن، والنيلوفر^(٨)،

(١) الذكار: هو التين البري، تذكر به البساتين (عمدة الطبيب، ص ١٤٨).

(٢) الدادي: هو الفاريقون: أو أنس النفس (عمدة الطبيب، ص ٢٨٥).

(٣) المشتهى: هو شجر الزعرور، وقيل: هو العوسج، وقيل: هو الغبراء.

(٤) قول أبي الخير ذكره ابن بصّال، ص ٤٧.

(٥) التين البري: هو الذكار.

(٦) التين الأحمر: هو الحمير.

(٧) الفيجن: سذاب البر.

(٨) النيلوفر: زهر العروس، أو اللوطس، ومنه ما له زهر أبيض، أو أزرق.

والمرددوش^(١)، والمرو^(٢)، وشبه ذلك.

ومن الحبوب: العدس، واللوبياء، والحمص وشبهها، ولا سيما إذا
زُرعت مؤخرَةً، ويُجْتَهَدُ في عَمَارَتِهَا، فإن قَصَرَ عن ذلك قَصُرَتِ الْعَلَّةُ،
وهي بالجملة محتملة لتَقَلُّبِ الْأَزْمَنَةِ، واختلاف الأهوية على نباتها.

قال ابن بصّال^(٣): وإن نُقِلَ من ترابها إلى موضعٍ آخرَ رَطِبَ التُّرْبَةُ،
وزُرِعَ فيه القَرَعُ بَكَرٍ بالإطعام.

والتربة الحريية والرمل:

قال أبو الخير الإشيلي^(٤): الرملُ ثلاثة أنواع:

أحدها: رملٌ رقيقٌ جدًّا، لِينٌ.

والثاني: رملٌ غليظٌ غير مُلْتَمِّمٍ، لا خَيْرَ فيه، ولا يُنْبِتُ شَيْئًا.

(١) هو مرزنجوش ومرزجوش ومردقوش ومرددوش: نوع من الأحباق، وجنس من الصعاثر (عمدة الطبيب، ص ٤٧٩).

(٢) المرو: هي حبق الشيوخ والريحان المسمى لسان الفرس (عمدة الطبيب، ص ٤٨٠).

(٣) ابن بصّال، الفلاحة، ص ٤٧-٤٨، وقال: ويتصلب القرع ويكبر.

(٤) أبو الخير الإشيلي، كتاب الفلاحة، ص ٨٧، وقال: إذا كان وجه الأرض ترابًا، والباطن رمل؛ فهي شر الأرضين وأخبثها لجميع الشجر.

والثالث: رملٌ رقيقٌ مختلطٌ بترابٍ كثير، ويعرف بالثرية الحريية^(١).

وقال ابن بصّال^(٢) وغيره: الرَّمْلُ الرُّطْبُ يَقْبَلُ تَغْيِيرَ الهَوَاءِ لضعفه؛ فيبردُ في زمن البرد، وَيَسْخُنُ في زمن الحر^(٣)، وهو بالجملة باردٌ، وكذلك الأرض الرَّمْلِيَّة، فإن خالطَ الرَّمْلُ تراب^(٤)، فإن كان الرَّمْلُ هو الأكثر، فهو إلى البرد أَمِيلٌ.

وقيل: تَغْيِيرُ الهَوَاءِ تأثيره فيه أكثر إن قلَّ نباتُهُ.

وقال أبو الخير الإشبيلي: وكذلك يَتَعَجَّلُ سقوط أوراق أشجارها وثمرها.

وقال ابن بصّال^(٥): وأَحْسَنُ ما تكون [الأرض الرَّمْلِيَّة] في الاعتدالين^(٦)، وَيُصْلِحُهَا الزَّبَلُ الكثير، وهي سهلةٌ للعمارة، ولا تحتل الماء

(١) باريس ومدرید: الحریة.

(٢) ابن بصّال: الفلاحة، ص ٤٣.

(٣) عبارة ابن بصّال: بردها يتقوى ببرد الهواء، وتتقوى حرارتها بحرارة الهواء.

(٤) باريس ومدرید: تراباً.

(٥) كتاب الفلاحة، ص ٤٣.

(٦) يريد: الاعتدال الربيعي، والاعتدال الخريفي.

الكثير^(١)، والأصلح أن تعطش، وحينئذ تسقى.

والأرض الرملية المذكورة تبتلع الماء بسرعة، فيقدر لها منه ما تصلح به، فقد يجف وجهها، وباطنها راوٍ، ويجود فيها من الأشجار^(٢): النخل، والصنوبر، والطرفاء^(٣)، والسرو، وسائر الأشجار الثابتة في الرمل الرطبة. ومن الخضر: الرجل^(٤).

والثربة الحريية^(٥): تتكون بمقربة من الأنهار^(٦) الكبار، والأغلب على لوها العبرة، وهي في الأغلب مستوية، وهي تربة مختلطة برمليتين غير غالب عليها، ومنها رطبة ورخوة.

(١) قال ابن بصّال: لأن الماء يغيب في داخلها، وربما ظن أنها لم ترو.

(٢) وذكر ابن بصّال: التين والرمّان والتوت والسفرجل والخوخ والبرقوق.

(٣) الطرفاء: الأثل.

(٤) الرجل: هي البقلة الحمقاء؛ لأنها تنبت على جوانب الطرق دون زراعة، وتسمى: البقلة اللينة، والبقلة الزهراء لأن فاطمة (رضي الله عنها) كانت تحبها.

(٥) سماها ابن بصّال: الأرض اللينة (الليثة)، ص ٤١، وهي في مفتاح الراحة (ص ١٠٧) الأرض الليثة. قال المحققان: هي من الملازمة وليس من اللؤم.

(٦) المتحف: تكون من الأنهار الكبار (سقط).

قال أبو الخير الإشيلي: هي من أَعْدَل الأرضين^(١)، وأقبلها للعمل، وهي موافقة لكل نبات، ولكل هواء، ولكل ماء، وليست تحتل الزبل الكثير، ولا تُزبل إلا في زمن البرد فقط.

ويوافقها من أنواع الزبل ما قدم وعفن، وذلك زبل العنم وحده، أو زبل الإنسان وحده، والزبل المختلط أيضاً.

ويجود فيها من ضروب الفواكه، وأنواع الرياحين أصناف الأحباق، والياسمين، وأجناس الخضر كلها، والتين^(٢): الزنقال والقرطي^(٣)، والأبيض، والفارق، والسفرجل، والتفاح، والأترج، والتارنج^(٤)، والأعناب، والرمان؛ وهو ينجب فيها أكثر نجابة من غيرها. والفرصاد^(٥)، والورد، والجوز، والتشم^(٦)، والمشتهى^(٧)، والخوخ،

(١) هذا قول ابن بصّال، ص ٤١.

(٢) ذكر أبو الخير الإشيلي من أنواع التين: القربال والزنقال والبرجي والفارق، والمريني، والقرطي والفاخر.

انظر: عمدة الطبيب، ١٤٧-١٤٨.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: القرطي. والتصويب من عمدة الطبيب.

(٤) التارنج: هو البرتقال.

(٥) الفرصاد: التوت البلدي.

(٦) النشم: هو الدردار، والمسمى: شجرة البق أو شجرة البعوض.

(٧) المشتى: هو شجر الزعرور، وقيل: هو نوع من العوسج.

والقراسيا؛ إلا أنها ليس يطول عُمرها بها؛ لأنها تُدرك سريعاً، وشجرها قد يُصيبه الصرُّ لكثرة إيناعه^(١)، فيلحقه زمن البرد، وهو رخص.

وكذلك أيضاً يتأخر فيها التين بالنضج، فيلحقه المطر ويوجد فيها البصل، والبقلي^(٢)، والكثان، والحناء، والأرز، والنيل^(٣)، والقطن، والقطاني، والجلجلان^(٤)، والدخن^(٥)، والذرة، والزعفران، وجميع البقول البستانيّة.

وبالجملة كلّ ما يُزرع ويغرس في البساتين، من أنواع الخضّر، وأصناف الشجر يُجود فيها.

والتربة التي تُسمّى الغليظة:

قال أبو الخير الإشبيلي^(٦)، وغيره: لوئها بين البياض والصفرة، وهي غليظة قويّة علكة، ولا رطوبة فيها، وهي غير مُنقّادة للعمل، تتشقق

(١) المتحف وباريس ومريد: أتباعه.

(٢) المتحف وباريس ومريد: البقال.

(٣) النيل: هو الغبراء أو بطيخ الملائكة.

(٤) الجلجلان: هو الجلبان أو البسلة.

(٥) الدخن: الذرة الحمراء.

(٦) سقط وصف هذه التربة من كتاب أبي الخير المنشور. انظر: كتاب الفلاحة، ص ٨٥-٨٧.

في زمن الحرّ، مثل "البيرية"^(١)، وتنغلق شقوقها إذا نزل عليها المطر، وتتعلك^(٢)، ولا يغوص فيها الماء، لكثرة شعبها^(٣) ولزوجتها، وتحتمل الكثير منه.

ويوافقها زبل البقر والغنم معفنان للأبد^(٤)، قال ابن بصّال^(٥):
تتحلل الأرض الغليظة بالرماد والزبل والعمارة، حتى ترق وتسلّس.

قالوا: وهذه الأرض تصلح للزرع، ولا تصلح للغرسة، وكذلك كل أرض تشقق شقوقاً كباراً، [يجود فيها] الحنطة، وجميع القطاني،

(١) البيرية: هي التربة المستخرجة من البئر عند حفرها.

(٢) هذا الوصف ذكره ابن بصّال (ص ٤٢)، قال: وهي تتعلك عند نزول المطر عليها، وتشقق في فصل الحر ويغوص فيها الهواء الحار فيطبخها وينضجها، ويذهب ببرودتها.

(٣) المتحف: شبيها، باريس ومدريد: شبعها (تصحيف).

والصواب: شبعها: مجرى الماء تحت الأرض.

(٤) ابن بصّال: لا تحتاج إلا للزبل اليسير، وينبغي أن يكون زبلها سلسلاً مخدوماً معفناً رقيقاً قديماً.

(٥) ابن بصّال، ص ٤٢.

والقَطَفِ^(١)، والرجلة^(٢)، والكُرْب، والفُجْل، والسَّلْجَم^(٣)، والبَصَل،
والثَّوم، والشُّونِيز^(٤)، والكَرَأويا، وشبه ذلك.

وقال قسطنطوس^(٥): لا يُغرسُ الشَّجرُ إلَّا في الأرض العميقة^(٦) التي
ليس فيها خَزَفٌ ولا حجارة^(٧)، ولا يُغرسُ شَجَرٌ في الأرض المتشقَّقة.

وتوجدُ تربة مركَّبة من هذه الأنواع، فتنسَّب إلى الغالب عليها،
وتُذكر بحسب ذلك^(٨).

* * *

(١) القطف: البقلة الذهبية، أو بقلة الروم وتسمى: الريحان اليماني.

(٢) الرحلة: هي البقلة الحمقاء.

(٣) السلجم: هو اللفت.

(٤) الشونيز: الحبة السوداء.

(٥) بعض قوله في المقنع، ص ٨٦-٨٧، وسقط قوله من الفلاحة الرومية.

(٦) المتحف وباريس ومدريد: الأرض الصحيحة (سهو).

(٧) المتحف وباريس ومدريد: ليس فيها حرق ولا حجر (تصحيح).

(٨) جاءت هذه العبارة مصحفة تصحيفاً لا تستقيم معه، وفيها سقط وانتقال نظر،
واجتهدنا قراءتها على ها النحو المثبت في المتن.

[الـ]... (فصل) [التاسع]

[الأرض التي لا تصلح للزراعة]

ومن أنواع الأرض ما لا يصلح للزراعة ولا للغرسة، ولا ينجب فيها شيء من ذلك.

قال ابن بصّال^(١) وأبو الخير الإشيلي^(٢): من ذلك التربة الصفراء الفاقعة التي تعرف في صبغ الحشب والثياب^(٣).

والتربة الحمراء القانية التي تسمى "مغرة"^(٤)، وهي ثلاثة أنواع: تربة برقة^(٥)، وهي بيضاء إلى الصفرة تسطع منها رائحة الكبريت.

(١) كتاب الفلاحة، ص ٤٦، قال: هي أرض ضعيفة معتلة لا تصلح إلا بكثرة المعاناة والتزويل والخدمة وإلا لم يكن فيها منفعة ألبتة.

(٢) ذكر قول أبي الخير الإشيلي: عبد الغني النابلسي في كتاب علم الملاحنة في علم الفلاحة، ص ٦.

(٣) باريس ومديرد: الشب (تصحيف).

(٤) المغرة والمغرة: الطين الأحمر يصبغ به. والمغرة: لون ليس بناصع الحمرة، وهو شقرة بكدرية.

قال ابن حجاج في المقنع (ص ٨٦): الأرض اللزجة تسمى المكرة (الحمراء الطينية). وانظر الأرض الحصية وما يوافقها من الأزيال (الفلاحة النبطية: ٣٦٨).

(٥) البرقة والبرقاء (مؤنث الأبرق): أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة. قال النابلسي (ص ٦)، الحمراء القانية (المغرة) والبرقاء البيضاء.

والتُّرْبَةُ الجُصِّيَّةُ: وهي المحَجَّرَةُ، وهي بَيَضَاءٌ حَرِشَاءٌ تحتها حجارة،
يُعْمَلُ منها الجِيرُ.

والرَّمْلُ الغليظُ الأَحْرَشُ ^(١) السَّيَالُ الأَعْمَى ^(٢).

والتُّرْبَةُ الزَّرْقَاءُ ^(٣) التي تُخَلَطُ بِطِينِ الفَخَّارِينَ، يُعْمَلُ [منها]
الخَوَاطِي.

والصَّفْرَاءُ المُكَدَّنَةُ، التي كَأَنَّهَا الكِدَانُ ^(٤) الرُّطْبُ.

والأَرْضُ السَّبَخِيَّةُ والمَعْدِنِيَّةُ؛ مثل ^(٥): الزَّرْنِيخِيَّةُ، والكَبْرِيَّتِيَّةُ
والتُّحَاسِيَّةُ، والحَدِيدِيَّةُ وشبه ذلك.

(١) الأحرش ومؤنثه: الحرشاء: القشفة الغليظة.

(٢) عمى الرمل عمياً: سال، والأعميان: السيل والحريق، يريد الرمل الذي يسيل
وأسفله أرض يابسة صلبة.

(٣) النابلسي: علم الملاحة في علم الفلاحة، ص ٧.

(٤) الكدان جبل يشد في عروة الدلو، والأرض المكدنة المتلوزة الصلبة كأنها جبل
من مسد.

(٥) من الأرضين الفاسدة ما خالطها الشب والزاج والزنك والكبريت والمرتك
(الرصاص) والجص والملح وجثث الموتى، ومنها: الحديدية والكبريتية والزاجية
والحامضة والحريفة والمرة... انظر: الفلاحة النبطية: ٣٤٢، وعلم الملاحة،
ص ٦، ومفتاح الراحة، ص ١٠٤.

وكذلك أنواع الأَطْيَان اللَّزِجَةِ جدًّا، مثل: الطَّفْل^(١)، والطَّيْن
الأَرْمَنِي، والطَّيْن الرُّومِي -وهو خَاتَم الرُّؤُوس-^(٢) والطَّيْن الجُورِي،
والتُّرَاب السلُوقِي، والحَمَاءة^(٣)، وطَفْل الوَادِي، وشَبَّهَ ذلك.

وبعض الناس يُسَمِّي هذه الأرض "المُهْمَلَة". وقد تقدَّم علاج
الأرض الدَّسِيمَة، والعَرِقَة، والنَّزَة، والمالحة، والرَّمْلِيَّة، وما ذُكِرَ معها من
أنواع الأرضين التي يُصْلِحُهَا العلاج (في الفصل قبل هذا) حَسَبَ ما نقلت
من "الفلاحة النبطية" فَخَذَهُ من هنالك، واجْمَعَهُ إلى ما ذُكِرَ قبل هذا مِمَّا
نُقِلَ من كتابي الشَّيْخِينَ: أَبِي عبد الله [ابن بَصَّال] وأبي الخير (رحمهما الله)
يَجْتَمِعُ من ذلك ما فيه كفاية -إن شاء الله تعالى- وهو المُوَفَّق، لا رَبَّ
غيره، ولا مَعْبُودَ سواه.

* * * * *

(١) الطَّفْل: الطين الأصفر تصبغ به الثياب.

(٢) المتحف: خاتم الروس، ولعل المقصود أن الطيب الرومي تصنع منه الأختام أو
رؤوس الأختام التي يوقع بها.

(٣) الحَمَاءَة والحَمَاء: الطين الأسود المنتن.

الباب الثاني

في الزبول

[الفصل الأول]

[في الزُّبُول: أنواعها ومنافعها وتدبيرها]

"في الزُّبُول، وأنواعها ومنافعها، وتَدْبِيرُها، ووجه استعمالها، وعملها،
وتَسْمِيَةُ ما تَحْتَمِلُهُ من الأشجار والخُضَر، وما لا تَحْتَمِلُهُ منها"

من كتاب ابن حَجَّاج (رحمه الله) في القَوْل على السَّرْجِين^(١)،
وهو الزُّبُل؛

قال يُونْيُوس^(٢): إِنَّ السَّرْجِين يَزِيد في طِيب الأرض الطَّيِّبَةِ، وَأَمَّا
الأَرْض الرَّدِيئَةُ فَإِنَّهُ يُصْلِحُهَا إِصْلَاحاً كَثِيراً وَيُقَوِّيْهَا. والأَرْض الطَّيِّبَةُ^(٣) لَا
تَحْتَاج إلى سِرْجِين كَثِيرٍ، وَأَمَّا الأرض المعتدلة فَإِنَّهَا تَحْتَاج إلى سِرْجِين أَقَلَّ
قَلِيلاً مِمَّا تَحْتَاج إليه الأرض الطَّيِّبَةُ^(٤).

وَأَمَّا الأرض الضعيفة الرَّقِيقَةُ فَإِنَّهَا تَحْتَاج إلى سِرْجِين كَثِيرٍ^(٥).
وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تُسَرَّجَنَ الأرضُ دَفْعَةً، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ تُسَرَّجَنَ قَلِيلاً قَلِيلاً

(١) السرجين والسرقين: الزبل.

(٢) قول يُونْيُوس سقط من كتاب المقنع، وهو مضمن في الفلاحة النبطية، ص ٣٧١-٣٧٣،
قال: إذا طرح السرجين في أرض رديئة أصلحها، وإن كانت الأرض الصالحة زادها
صلاحاً وطيبها وقواها. وفائدته التقوية والإصلاح ودفع الهوام والعوارض الرديئة.

(٣) قال أنطربليوس: السمينة لا تحتاج إلى كثرة الزبل. المقنع، ص ١٠.

(٤) كذا في النسخ جميعها، وهو (سهو) والمراد: الأرض الرديئة. أو الضعيفة.

(٥) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص ٣٧١-٣٧٣.

مرّات متواترة، فإنّ الأرض التي لا تُسَرَّجَنُ بَرَدَت^(١)، والأرض التي تُسَرَّجَنُ بأكثر من المقدار تحترق^(٢)، وينبغي لمن يُسَرَّجَنُ الغُروس أن لا يلقي السَّرَجين على عروقها وأصُولها^(٣)، لكن ينبغي أن يلقي على الأصول -أولاً- تُراباً، ثم بعد ذلك يُلقِي السَّرَجين على التُّراب، ثم يُعْطِي أيضاً السَّرَجين بالتُّراب، فإنه إذا فَعَلَ ذلك لم تحترق الغُروس من إلقاء السَّرَجين عليها، ويُرسَل السَّرَجين الحَرارة من وراء حجاب التراب إلى العُروق قليلاً قليلاً، ويمنع التُّراب المغطى به السَّرَجين حرَّ السَّرَجين أن يَتَنَفَّسَ، فيعكسه إلى أسفل.

قال يُونيوس^(٤): وأجود ما يُسَرَّجَنُ به زَبَلُ جميع الطَّير، ما خلا زَبَلُ الإوز^(٥)، وطير الماء، فإنه أردأها^(٦)؛ لمكان رطوبته، إلا أنه إذا خُلِط مع سائر أنواع الزَّبَل كان نافعاً.

(١) المقنع: إذا لم تزل بردت. باريس ومدريد: باردة.

(٢) المقنع (ص ١٠): احترقت.

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٧٢، قال: فيكون السرجين بين ترايين سحيقين غريبين.

(٤) قول يُونيوس في المقنع، ص ١٠.

(٥) المقنع: ما خلا طائر الماء كالبط والوز.

(٦) المقنع: فلها رديئة تحرق الأرض وتهلك النبات.

قال قوثامي: حرّ طيور الماء والبط لا يستعمل ألبنة. الفلاحة النبطية، ص ٣٦٤.

وقال ابن بصّال: من السرجين ما هو سم للنبات مثل زبل طير الماء.

قال^(١): وأجود الزبل ذرق الحمام لحرارته؛ وذلك أنه ينفع الأرض الضعيفة، فإنه يقويها ويُعينها على إنبات ثمرها، وهو أيضاً يفيد التّبت ويُقويه^(٢).

وبعد ذرق الحمام في الجودة رَجِيع^(٣) الناس؛ لأنّ فيه قوّة شبيهة بقوّة ذرق الحمام، وله قوّة خاصّة أيضاً في إفساد الحشيش.

وقال قسطوس: كل ذرق الطير (غير البط) نافع (الفلاحة الرومية)، ص ١٣٧.

(١) قول يוניوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٨، والفلاحة النبطية، ص ٣٦١.

(٢) قال قسطوس: ذرق الحمام يذهب بكل آفة تصيب الشجر لشدة حره. (الفلاحة الرومية، ص ١٣٨)، وفي المقنع (ص ١٠)، أفضل الزبول خرة الحمام.

وقال قوثامي (الفلاحة النبطية، ص ٣٦١، وص ٣٦٥): ذرق الحمام له خاصية في دفع السموم، ويقتل الخفافيش والفأر والعصافير، ويقضي على الحشيش.

وقال ابن حجاج: زبل الحمام يطرد جميع الخشاش (المقنع، ص ٥٩).

(٣) قال أبو الخير (الفلاحة، ص ٨٩): أفضل الزبول زبل ابن آدم العفن الذي قد قدم وعتق في الكنف وفنيت بعض رطوبته.

والرجع والرجيع: الروث. قال قوثامي: خرة الناس دواء جليل لأشياء عظيمة الضرر للناس، وفي دفع الأمراض والسموم وإذا كان عتيقاً أسود مخلطاً بسحيق التراب فهو من أكثر الأزبال منفعة. الفلاحة النبطية، ص ٣٦٥، وقال: خرة الناس هو أعدل من خرة الطيور، وأكثر إسخناً، وألطف وقعاً ينفع النبات والشجر ويقويهما ويحفظهما من الآفات.

وسرّجين الحمير^(١) هو الثالث بعد هذه في الجودة، وذلك أن طبيعته تُزَكِّي ما يُزَرَع، وهو جيد لجميع الغروس. وبَعَر المعز هو رابع في الرتبة، وذلك أنّه حَرِيف جداً. ثم بعد [ذلك] الضَّان؛ وهو أَدَسَم من بَعَر المعز. ثم بَعَدَهَا خُثْي^(٢) البَقَر.

وأضعفُ جميع أنواع السَّرجين وأَحْسُهَا: سِرْجِين الخيل والبغال، إذا كان على وَجْهِهِ؛ فَأَمَّا أَنْ يُخْلَطَ مع أنواع السَّرجين الحَرِيفَة، فَإِنَّهُ يَجُودُ وينفَعُ فهذا تَنْوِيع "يُونِيس" للسَّرجين وتدرِيجُه^(٣).

وأَمَّا "قَسْطُوس" فَإِنَّهُ قَالَ^(٤): أَحْسَنُ زَبَلِ الطَّيْرِ ذَرْقُ الحَمَامِ، فَحَرَارَتُهُ تُمِيتُ الأعْشَابَ، ثم زَبَلُ الحَمِيرِ، ثم زَبَلُ الغَنَمِ، ثم زَبَلُ البَقَرِ.

(١) قال ابن بَصَّال (ص ٤٦): السَّرْقِين أنواع: زَبَلُ الخيل والبغال والحمير نوع واحد، ثم زَبَلُ الآدَمِي، ثم الزَبَلُ المضاف وهو المؤلف من الكناسات، ثم زَبَلُ الغَنَمِ، ثم زَبَلُ الحَمَامِ، ثم رماد الحمامات، ثم المولد، وهو زَبَلُ متخذ من الحشيش والتراب. ومنه سم للنبات كزَبَلِ طير الماء والخنزير.

(٢) هو خُثْيٌ وخُثْيٌ: روث البقر والفيلة، والجمع: أَخْتَاءٌ وخُثْيٌ وخُثْيٌ.

(٣) الفلاحة النبطية: حرء الحمام أفضل الأزبال، وأنفعها: أَخْتَاءُ البقر، وزَبَلُ الغزلان والخنزير، ثم الضَّان، ثم الجواميس ثم الخيل، ثم الحمر الأهلية. وقال عبد الغني النابلسي: أجود الزبول: ذرق الحمام، ثم زَبَلُ الناس، ثم زَبَلُ الحمير، ثم المعز، ثم الضَّان، ثم البقر والخير، والبغال أحسها إلا إذا خلط بغيره.

(٤) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٨.

وأنفع الأزبال عامة للنبات زبل الخيل والبَرادين. وأمّا الزّبل
المخلوط فصلاحة للزيتون أكثر من غيره.

ولكسينوس^(١) فصلٌ في (كتابهِ) فضّل فيه زبل الخيل، وأثنى عليه،
وحمل ذلك على قوم من الفلاحين.

وقال سيداغوس^(٢) الإسباني: حرارة الأزبال ورطوبتها على قدر
أزبال الحيوان في أمزجتها؛ فإذا كان الحيوان حارّ المزاج كان زبله كذلك؛
كذرق الحمام، فإنه حارّ يابس؛ لأنّ الحيوان الذي رمى به كذلك، وعلى
ذلك يكون قياسك في جميع السّراجين فأما منفعتها فإن يُذكي الحرارة
الغريزيّة في النبات^(٣)، ويفتح بحرّه مسامّ الأرض، ويُخوّرها^(٤) لؤلّوج
العُروق فيها. (انتهى قوله).

ثم رجع بنا سياق الكلام إلى قول "يونيوس" وذلك أنّه قال^(٥):
ينبغي قبل كلّ شيء أن تجتنّب استعمال السّرجين من سنته، وأن تمنع

وقال: أجود أرواث الدواب للسّمد أرواث الحمير، ثم الخيل والبالغ، وأجود الأبعاد:
أبعاد النعاج ثم المعز ثم أختاء البقر، وثلث الخنزير رديء يحرق الشجر. وأبعاد الإبل نافعة.

(١) كسينوس ذكره ابن حجاج في المقنع، ص ١٢٣.

(٢) جاء ذكره في المقنع، وضبطه: سيداغوس أو سيدغوس أو سيداعوس. ص ١١٣، ١٢٣.

(٣) عبد الغني النابلسي، ص ٩.

(٤) الأرض الخوارة: الهشة اللينة.

(٥) قوله ذكره ابن حجاج دون نسبة في المقنع، ص ١٠، وابن بصّال، ص ٥٠.

الفلاحين من استعماله، وذلك أنه لا يكون فيه منفعة في شيء، وهو مع هذا ضارٌّ يولّدُ الهوامَّ^(١).

وأما السّرجين الذي قد أتت عليه ثلاث سنين، وأربع سنين فجيد جداً^(٢)، وذلك أنه إذا طال به الزّمان ذهب عنه جميع ما كان به من طراوة وتتن الرائحة؛ ولأن ما كان فيه من الحشونة^(٣).

وقد قلنا في هذا قولاً كافياً^(٤). (انتهى قول يוניوس).

قال سولون^(٥): الزّبل إذا تقدّم عهده لطّف وبرّد، وأوفق ما يكون حينئذٍ للبقل، وينبغي أن يستعمل منه للشجر ما أتى عليه سنة وأقلّ من ذلك لاحتمال الشجر، وضعف البقل عن ذلك؛ ولأن الطّريّ كثيراً ما يتولّدُ منه الهوامُ المفسدة للبقل.

(١) المقنع: يتولد منه دواب كثيرة. النابلسي: يتولد منه الهوام المفسدة للبقل.

(٢) المقنع: كثير الصلاح والمنفعة.

(٣) المقنع: وكلما عتق الزبل احترق كل شيء فيه، ولانت حرارته وشدته، وحسن.

(٤) وقال ابن وحشية: أجود الأزبال ما أتى عليه بعد عفته سنتان، فإن أتت عليه ثلاث فهو أجود، وإذا أتت عليه أربع زال عنه جميع الروائح المتنتة، وصار لا ريح له، وهو حينئذٍ أصلح الأزبال كلها. (الفلاحة النبطية، ص ٣٦٩).

(٥) بعض قوله في المقنع، ص ١٠، وص ٥٩.

وابن بصّال، كتاب الفلاحة، ص ٥٠، والنابلسي، ص ٩.

وله أيضاً فصلٌ، قال فيه:

إِنَّ ذَرْقَ الْحَمَامِ^(١) فَعَلُهُ فِي الثَّمَرِ أَكْثَرُ؛ فَمَنْ أَرَادَ كَثْرَةَ الثَّمَرِ فِي الشَّجَرِ، فَعَلِيهِ بَذَرُقَ الْحَمَامِ، فَإِنَّهُ يُنْمِي ذَلِكَ، وَيُنْضِرُ الْفُرُوعَ، وَمَنْ أَرَادَ الزِّيَادَةَ فِي عُرُوقِ الشَّجَرِ، لَاسِيَّ مَا قَدْ ضَعُفَ مِنْهَا وَهَرِمَ، فَعَلِيهِ بَزْبَلُ الدَّوَابِّ وَالْبَقَرِ؛ فَإِنْ مِنْ خَاصِيَّتِهِ إِنْشَاءُهَا وَإِنْبَاتُهَا.

وَالْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الرُّطُوبَةُ يَصْلَحُ لَهَا الزَّبْلُ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْيُبْسُ كَذَرْقِ الْحَمَامِ، وَسِرْجِينِ الْحَمِيرِ. وَالْأَرْضُ الْقَلِيلَةُ الرُّطُوبَةُ وَالْدَّسَمُ يَصْلَحُ لَهَا زَبْلُ الْبَقَرِ، وَعَلَى هَذَا فَأَجْرُ عَمَلِكَ (انتهى قوله).

وقال يוניوس:

تُزَبَّلُ الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ بِزَبْلِ الضَّأْنِ وَالْمَعَزِ^(٢)؛ لِأَنَّ هَذِهِ الزُّبُولُ أَلْيَنُ مِنْ غَيْرِهَا.

(١) ابن بصّال: ذرق الحمام غياث النبات الذي قد ضعف من شدة الحر، فإنه يقويه من يومه، ويحييه من حينه (ص ٥١) وهو في مفتاح الراحة، ص ١١٤، وهو أفضل الأزبال ويطرد الخشاش من الأرض (المقنع، ص ٥٩)، ويذهب بكل آفة تصيب الشجر (الفلاحة الرومية، ص ١٣٧).

(٢) قول يוניوس سقط من كتابي ابن حجاج وأبي الخير، وبعضه في كتاب ابن بصّال، ص ٥٠، ومفتاح الراحة، ص ١١٣.

وقول قوثامي: بعر الضأن أدسم الأزبال كلها، وهو أصلح الأزبال للأرض المالحة والمرّة والحادة والحامضة (الفلاحة النبطية، ص ٣٧٥).

وأما في الأرض البيضاء فاستعمالُ زبلِ البَقَرِ ^(١) أجود؛ لأنَّ فيه
حلاوةً ودَسَمًا، وطبعُ هذه الأرض ضعيفٌ فيقوِّيها.

ومن كتاب "الفلاحة النبطية" في ذلك، قال قوثامي ^(٢): الزَّبلُ
يُسْتَعْمَلُ على ضَرَّيْنِ:
أحدهما من جهته.

والآخرُ زبلُ يَعْمَلُهُ الناسُ ويركَّبونه فيُخْلَطُ شيءٌ على شيءٍ،
ويُجْمَعُ زبلٌ إلى غيره، أو إلى تربةٍ من التُّرابِ الموافق له.

وأكثرُ الأزبالِ المفردةِ النّافعة ^(٣) للأرضين الفاسدة الخارجة عن
الطَّيبِ والعذوبة هو أخْتَاءُ البَقَرِ، ويتلوه في الجودة لذلك بَعَرُ الغَزَلَانِ ^(٤)،
وروث الحمير البرية، وبَعَرُ المَعَزِ من الغنم التي يَتَّخِذُهَا الناسُ، وبَعَرُ الغنمِ
الضَّانِّ ^(٥)، وأرواث الجواميس، والخيول والحمير الأهلية، وذَرْقُ الحَمَامِ ^(٦)
فإنَّه عندنا أفضلُ الأزبالِ كلّها.

(١) أكثرُ الأزبالِ المفردةِ منفعةٌ للأرضين الفاسدة، الخارجة عن الطَّيبِ والعذوبة هو أخْتَاءُ البَقَرِ
(الفلاحة النبطية، ص ٣٦١).

(٢) الفلاحة النبطية، ص ٣٦١.

(٣) الفلاحة النبطية: منفعة.

(٤) الفلاحة النبطية: زبلُ الغزلان.

(٥) الفلاحة النبطية: وزبلُ الخنازير والغنم الضَّانِّ.

(٦) الفلاحة النبطية: وخرء الحمام.

وأما ذَرَقُ غيرها من الطيور الأَجَامِيَّةِ^(١) فَإِنَّهُ أَنْقَصُ فِعْلاً إِلَّا أَنَّهُ إِذَا خُلِطَتْ بِغَيْرِهَا صَلُحَتْ.

ثم خُرءُ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَرَقِ الْحَمَامِ وَالطَّيُورِ، وَأَكْثَرُ إِسْخَانًا؛ لِأَنَّهُ أَلْطَفُ الْأَزْبَالِ كُلِّهَا، فَهُوَ يُسَخِّنُ الْأَرْضَ بِجُودَةِ اخْتِلَاطِهِ بِهَا، وَيُدْفَعُ عَنْهَا خَشَاشَهَا^(٢) وَغَلْظَ بَرْدِهَا، وَيُسَيِّسُهَا، وَفِيهِ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ لِلنَّخْلِ وَالشَّجَرِ وَالْكُرُومِ، وَأَكْثَرُ النَّبَاتِ الصَّغِيرِ، فَإِنَّهُ يُنْشِئُهُ وَيَحْفَظُهُ مِنَ الْآفَاتِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى -.

وخرءُ النَّاسِ^(٣) العتيق الأسود المختلط بسحيق^(٤) التُّرابِ مِنْ أَكْثَرِ الْأَزْبَالِ مَنْفَعَةٌ لِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ، وَغَيْرُهُ أَنْفَعُ مِنْهُ لِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَشْرَحُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَأَفْصَلُهُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

فهذه هي الأزبال المفردة.

(١) باريس ومدرّيد: الأجانب (تصحيف) وهي آجامية؛ أي تعيش في الأجمات والغابات.

(٢) الفلاحة النبطية (ص ٣٦١): خشاها.

باريس ومدرّيد: خشاها.

والصواب خشاشها: وهي صغار الهوام والدود والفراش وغير ذلك.

(٣) الفلاحة النبطية: ص ٣٦٣.

(٤) باريس ومدرّيد: بسحق.

وَبَعْدَهَا الْأَثْبَانُ الْمَفْرَدَةُ^(١) أَيْضاً مِنْ عِيدَانِ بَعْضِ النَّبَاتِ، وَأَوْرَاقُهَا وَأَصُولُهَا وَثَمَارُهَا، مَجْفَّفَةٌ مَسْحُوقَةٌ.

فَأَوَّلُهَا، وَأَعْظَمُهَا مَنْفَعَةً: تَيْنُ الْبَاقِلِيِّ، ثُمَّ تَبْنُ الشَّعِيرِ وَالْحِنْطَةِ وَالْقَرَعِ، وَالْعُلَيْقِ، وَالْخُبَّازَى^(٢)، وَالْوَرْدِ، وَالْخَيْرِي^(٣)، وَالْبَنْفَسَجِ، وَالنَّيْلُوفَرِ^(٤)، وَالْخَطْمِي^(٥)، وَوَرَقُ السَّلْجَمِ^(٦)، وَالْجَزَرِ، وَالْخَسِّ، وَعِيدَانِ التَّيْنِ وَوَرَقِهِ، وَمَا أَخْضَرَ مِنْ شَجَرِهِ^(٧)، وَسَعَفُ النَّخْلِ، وَخُوصِهِ، وَمَا لَطْفُ^(٨) مِنْ حَمَلِهِ الْمُسَمَّى "بَلَحًا". وَيَتَلَوُّ الْأَزْبَالَ وَالْأَثْبَانَ^(٩): الْأَرْمَدَةَ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا ذَكَرْنَا أَنْ يُؤْخَذَ تَبْنُهُ إِنْ أُحْرِقَ بَعْدَ تَجْفِيفِهِ، وَجُمِعَ رَمَادُهُ، كَانَ ذَلِكَ الرَّمَادُ نَافِعاً فِي إِصْلَاحِ الْمَنَابِتِ وَالْأَرْضِينَ.

(١) الفلاحة النبطية: ص ٣٦٣.

(٢) الخبازى والخباز: البقلة اليهودية، أو الخطمي البستاني.

(٣) الخيري: هو ورد النهار أو المنثور.

(٤) النيلوفر (فارسية) زهر العروس، منه أبيض وأزرق، ويسمى أيضاً: اللوطس.

(٥) الخطمي: هو الغسل أو الخبازى، وقد يسمى: العُضْرَس.

(٦) السلجم: اللفت.

(٧) الفلاحة النبطية: من ثمرته.

(٨) باريس ومدريد: وما ألطف.

(٩) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٤-٣٩١.

ويستعملُ رمادُ كلِّ شجرةٍ في إصلاحِ مثل تلك الشجرة، وكذلك الكُروم والنَّخل، والحبوب والبُقُول، وجميع النبات جملةً: صغيره وكبيره^(١)، فإنَّ ذلك يَنْفَعُهُ وَيُقَوِّيه. وهذا أصلُ وعمودُ هذا الباب وجملته.

قال قوثامي^(٢): الأصلُ في إفلاحِ النبات كُلِّها؛ شجرها ولطيفِ نباتها، أن يُخلَطَ شيءٌ منها بالأزبال التي تناسب^(٣) تلك الشجرة، وذلك النبات.

وقال أيضاً: إن أُحْرِقَ نوى الأشجار، وأغصان ما لا نَوَى له منها، وأغصان من سائر النبات، وزُبِّلَ برماد كلِّ نوعٍ منها مع زُبِّل ذلك النوع، كان ذلك صالحاً مُنْجِياً جيداً لذلك الذي زُبِّلَ به. وكذلك تعالجُ النباتُ والأشجارُ بأرمدة^(٤) من أجزائها مع الزُّبِّل، مثال ذلك أن تعالجُ

(١) باريس ومدريد: صغيرة وكبيرة.

(٢) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣٦٣، وقال: إن أزبال جميع الحيوان نافعة للمنابت، وكذلك أتبان جميع النبات وأرمدتها نافع مستعمل.

(٣) باريس ومدريد: التي تزبل. قال قوثامي (ص ٣٦٨)، الأشجار الخشنة الغليظة موافقة الأرض الخشنة الغليظة كالصلبة والبيضاء الحصية، فهي تقوى في هذه الأرض ولا تحتاج إلى تعاود وإفلاح.

وقال (ص ٣٧٥): يخلط رماد الشجرة بالزبل لتلك الشجرة ورماد البقول والحبوب، وكل شيء من النبات جملة، لكل واحد من النبات رماده؛ فإن هذا أفضل التزليل.

(٤) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٣.

الْكُرُومَ بِرْمَادٍ قُضْبَانِهَا، وَوَرَقِهَا، وَعَجَمَ ثَمَرِهَا، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَشْجَارِ وَالْمَنَابِتِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُحَرَّقَةً فَمُعَفَّنَةً، تُعَفَّنَ مَعَ الزَّبَلِ الَّذِي يَصْلَحُ لَذَلِكَ، وَتُزَبَّلُ بِهِ.

قال قوثامي^(١): وَأَقُولُ هَا هُنَا قَوْلًا كَلِيًّا^(٢): إِنَّ أَزْبَالَ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ نَافِعٌ مُسْتَعْمَلٌ، وَكَذَلِكَ أَرْمَدَةُ جَمِيعِ النَّبَاتِ نَافِعَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ، لَكِنَّ الَّذِي سَمَّيْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ "الْمُفْرَدَاتِ"^(٣) أَبْلَغُ مِنْ غَيْرِهَا، وَغَيْرِهَا إِذَا خِلِطَ بِتِلْكَ الْمَسْمَاةِ [المفردة]^(٤) جَوْدَهُ وَأَصْلَحَهُ.

قال صغريث^(٥): أَفْضَلُ الزُّبُولِ كُلُّهَا عَلَى الْعُومِ ذَرْقُ الْحَمَامِ، وَذَرْقُ جَمِيعِ الطُّيُورِ، إِلَّا طَائِرَ الْمَاءِ وَالْبَطِّ، فَإِنَّ أَكْثَرَ إِقْلِيمٍ بَابِلُ يَخْلُطُونَ ذَرْقَ الْحَمَامِ وَالْوَرَّاشِينَ، وَالْفَوَاحِتِ بِحَبِّ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَالذُّرَّةِ، وَالذُّخْنِ^(٦)، وَالْعَدَسِ وَاللُّوبِيَا، وَيَبْذُرُونَهَا مَعَ الْبَذْرِ [عندما] يَرِيدُونَ سُرْعَةَ

(١) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣٦٣.

(٢) الفلاحة النبطية: كلياً مجملاً.

(٣) الأصول الثلاثة هي: الأزبال المفردة، والأتبان المفردة، والأرمدة المفردة.

(٤) هذه الكلمة سقطت من الفلاحة النبطية.

(٥) قول صغريث حرفاً فحرفاً في الفلاحة النبطية، ص ٣٧٣-٣٧٤، وهو أول من

صنع كتاب (الفلاحة النبطية) باللغة السريانية.

(٦) الدخن: الذرة الحمراء.

نُشْئِهِ وَثَمَرِهِ، وَخَاصَّةً إِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَرْضُ رَقِيقَةً وَضَعِيفَةً، وَعَرِيقَةً وَنَزَّةً، فَإِنْ هَذَا النَّبَاتُ يَعْلُو نَشْؤُهُ^(١).

وَقَدْ يَفْعَلُ ذَرَقُ الطَّيُورِ فِي الشَّجَرِ الْمُثْمَرِ شَبِيهًا بِهَذَا الْفِعْلِ. وَاعْلَمُوا^(٢) أَنَّ خُرَّ النَّاسِ يَتَلَوُ ذَرَقُ الطَّيُورِ فِي الْجُودَةِ وَالْإِسْنَخَانِ^(٣) لِلْأَرْضِ وَالْمَنَابِتِ كُلِّهَا، وَفِيهِ خَاصِيَّةٌ فِي إِفْسَادِ نَبَاتِ الثِّيلِ^(٤) وَالشَّوْكَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْحَشِيشِ الْمُعَادِي لِلْحُبُوبِ الْمُقْتَاتَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ جَمِيعِ الْمَنَابِتِ.

وَقَدْ وَصَفَ يَنْبُوشَادُ^(٥) كَيْفَ نَعْمَلُ بِخُرِّ النَّاسِ قَبْلَ الْإِسْتِعْمَالِ لَهُ، فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يُجَفَّفَ مِنْ رَطوبته الأولى حَتَّى يَكْمَلَ^(٦) وَيَسْوَدَّ، ثُمَّ يُجْعَلَ فِي الْحَفَائِرِ الَّتِي يَأْتِي ذِكْرُهَا، وَيُرَشُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ الْعَذْبُ، وَيُحَرَّكَ تَحْرِيكًا كَثِيرًا، وَيُخَلَطُ حَتَّى يَخْتَلِطَ، وَيُجَفَّفُ حَتَّى يَجِفَّ جَفَافًا جَيِّدًا، ثُمَّ يُخَلَطُ بِهِ رَمَادُ أَغْصَانِ الْكُرُومِ^(٧)، وَتُرَبَّلُ بِهِ الْكُرُومُ، فَهَذَا أَوْفَقُ شَيْءٍ لَهَا، وَإِنْ زُبِّلَ

(١) الفلاحة النبطية: فإن زبل الطائر يقويها، ويعين النبات على النشوء.

(٢) هذا قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٤٧.

(٣) باريس ومدريد: الامتحان (تصحيف).

(٤) باريس ومدريد: النبل، والصواب الثيل؛ وهو النجيل.

(٥) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٦) الفلاحة النبطية: حتى يتم جفافه.

(٧) الفلاحة النبطية: رماد سعف الكروم.

به غير الكُروم من الشجر والبُقول والنبات، فليُخلط بالجزء المذكور رماد ذلك الذي يراد أن يُزبَل به.

وقال^(١): فإن هذا أفضل التزبيل، وإن تأذى الأكرة^(٢) برائحته، فلتُكسر رائحته بأن يُخلط بتراب أرض حمراء التربة، حرّة طيبة الريح، مخلوطة بأزبال الطيور، ويُخلط ذلك بخرء الناس خلطاً جيّداً، فإنه يزيل رائحته المُنْتنة، بعد أن يمكث جافاً أياماً كثيرة.

وسِرّجين الحمير^(٣) تال^(٤) لهذه بالجودة والإصلاح للشجر والمنابت، إلا أنّه غير موافق للكروم، ولا لشجر الزيتون، فينبغي أن يُتجنّب استعماله فيهما؛ فإنه يُحدِثُ بأصولهما إذا أُلقيَ تحتهما بعد يومين أو أيام ثلاثة منابت رديئة جدّاً، ويضرّ ذلك بهما ضرراً عظيماً.

وليُخلط سِرّجين الحمير بغيره إن احتجّت إلى استعماله فيهما بمثل: خرء الناس والطائر والتراب وسائر الأزبال.

(١) القول لينيوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٧٥.

(٢) الأكار: الحراث، والجمع أكرة. والفعل: أكر الأرض يأكرها أكرًا: حرثها وزرعها.

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٧٥.

(٤) الفلاحة النبطية: ثالث (تصحيح).

ويتلوه بَعَر الضَّان^(١)، وتَخْتَصُّ منفَعته بالغروس الحديثة من الشَّجَر، وغيره من الرِّياحين والبقول التي تُحوَّل من موضع إلى موضع. واعلموا أن بَعَر الضَّان^(٢) أدسم الأَزْبَال كُلِّها، فلذلك هو أصلحُها للأرض المالحة والمُرَّة، والحَادَّة^(٣)، والحامِضَة^(٤)، وللمنابت النابتة في هذه الأرضين. ويتلوه روث الخيل والبغال. وقد فضَّل قوم^(٥) أخْتَاء البَقَر على البَعَر من المَعَز والضَّان، وجَعَلُوهُ تالِيًا^(٦) لزبل الحمير.

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٧٥: بعَر الضَّان والمعز.

(٢) انظر في بعَر الضَّان: ابن بَصَّال، ص ٥٠، ومفتاح الراحة، ص ١١٣.

قال قوثامي (ص ١١٢٥): الزبل الدسم هو المركب من أخْتَاء البقر وأتبان الجبوب وأوراق المنابت الباردة الرطبة، والأشياء اللعابية من المنابت.

والزبل الحاد النافذ: هو أزبال الناس، وخرء الحمام، فهو أحد ما زبل به وأشدَّ إسْخَانًا ونفوذًا. ويرى صغريث أن الدسمة والحلوة شيء واحد.

(٣) باريس ومديرد: الحارة.

(٤) قال يוניوس: تزبل به الأرض اللينة؛ لأنه أَلين من غيره.

(٥) الذي قدم زبل الخيل والبغال والحمير على زبل الضَّان (ابن بَصَّال)، قال: هو دون ما تقدم من الزبول لأنه يكثر به العشب في الأرض إذا استعمل قبل التعفين. الفلاحة لابن بَصَّال، ص ٥٠، ومفتاح الراحة، ص ١١٣.

(٦) باريس ومديرد: تالٍ (خطأ نحوي).

وأما زبل الخنازير^(١) فَجُرِّبَ فُؤْجِدَ شديد الإحراق لأصول الشجر
العُظَام، والنَّخْل، والنبات كَلَّة، فهو على هذا لا خير فيه.

قال ينبوشاد^(٢): إِنَّ أَفْضَلَ السَّرَّجِينَ كَلَّة ذَرَقَ الْحَمَام.

ويتلوه^(٣) ذَرَقَ سائر الطَّيْرِ، إِلَّا طَيْرَ الْمَاء.

ثم يتلوه، وهو الثالث خُرءُ النَّاس.

والرَّابِع: بَعَرُ الْمَعَز.

والخامس: بَعَرُ الضَّأْن.

والسادس: روث الحمير.

والسابع: أَخْتَاءُ الْبَقَر. والثامن: أرواث الخيل والبغال.

ثم يتساوى ويتقارب ما بقي، حتى يَشْكُلُ أمره، ولا يتبيَّن فيه
تَفَاضُلٌ.

(١) قال ينبوشاد (الفلاحة النبطية، ص ٣٧٥): التالي لزبل الخيل والبغال: زبل الخنازير، وقد
زعم طماثرى الكنعاني العالم أن زبل الخنازير موازٍ لزبل الحمام والطير.

قال قوثامي: والذي جرَّباه أن زبل الخنازير شديد الإحراق لأصول الشجر والنخل
والنبات كلة، ولا خير في استعماله.

وقال قسطوس: ثلث الخنزير رديء يحرق ما يسمد به (الفلاحة الرومية، ص ١٣٨).

(٢) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص ٣٧٥.

(٣) الفلاحة النبطية: يتلوه خُرءُ النَّاس ثم سائر الطيور.

قال قوثامي^(١): وُثِرَ كَبَّ هذه الأُزبال مع الأُتبان والأُرمدة [حتى] تَغْفَن، وحتى تصير كالأدوية المركبة التي يتعالجُ بها الناس، ويعالجُ بهذه الشَّجَر، والنَّخْل والكُرُوم، وجميع المنابت، من جميع الآفات والعاهات. وقد يعالجُ بعض أدواء النبات^(٢) بالدماء والأبوال؛ لأنَّ للدماء قُوَّةً^(٣) عجيبة في إنعاش^(٤) بعض الشجر والنبات.

* * *

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٤، وص ٣٧٧.

(٣) باريس ومدريد: قوى (وهذا صحيح).

(٤) الفلاحة النبطية: نغش.

[الـ]... فصل [الثاني]

[في كيفية عمل الأزبال]

وأما كيفية عمل الأزبال،

قال قوثامي في الفلاحة النبطية^(١): من أراد أن يَعْمَلَ الأزبال النافعة للشجر والنبات على العُوم^(٢) في الأرض الموافقة له، والأزبال المُستعملة لدفع عَاهَات النبات وغيره؛ فَيَحْفِر في الأرض حَفَائِر طَوَالاً عميقة، كهَيْئَةِ السَّوَاقِي والأحواض، وكُلَّمَا كانت أَوْسَع وأَعْمَق كانت أَجْوَد، ثم يُلقَى فيها من الأَزْبَال كَافَّةً مع خُرءِ النَّاسِ، وذَرْقِ الحَمَامِ، وغيرها من الطَّيْرِ^(٣)، إِلَّا طَيْرَ الْمَاءِ، والبَطَّ، فلا يستعمل البَتَّةَ.

فإذا أُلْقِيَت الأَزْبَالُ في تلك الحَفَائِرِ، فَلتُخَلَطْ جَيِّدًا، ويُضَاف إليها شيء من وَرَقِ القَنَبِيطِ، وورَقِ الكَرَمِ، ويضاف إليها حَمَاءُ^(٤) سَوْدَاءٍ من بعض الأنهار والآبار^(٥) رَطْبَةً ويُخَلَطُ الجميع، ويُقَلَّبُ بالخُشْبِ الطُّوَالِ

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٤.

(٢) الفلاحة النبطية: لدفع الآفات في الأرض.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: الطائر.

(٤) الحمأة: الطين الأسود.

(٥) الفلاحة النبطية: من بعض الأنهار رطبة (بإسقاط الآبار).

حتى تختلط، ويُرش عليها شيء من دُرْدِيّ الحَمَر^(١)، وأبوال الناس^(٢)، فهو أجود الأزبال للكرُوم خاصّة.

ويقلّب كلّ يوم أو ثلاثة أيّام قليلاً جيّداً، حتى تفوح منه رائحة مُننّة، فإذا نَتَنَ واسودَّ فليُضَاف إليه رَمَادُ أَغْصَانِ الكَرَمِ المُحرّقة مع ورقه، ويُخلط جيّداً.

وكُلِّمَ زِدَتْ من هذا الرّماد كان أجود.

ويقلّب في كلّ يوم كما وصَفْنَا دائماً، وإذا اختلط الجميع تُرك في موضعه، ويُبال عليه كلّ يوم، ولا يُقَطَّع البَوْلُ عنه، حتّى إذا انتهى إلى شِدَّةِ نَتَنِ الرِّيحِ والسَّوَادِ، ولم يتميّز للناظر شيءٌ ممّا خلط به متفرّداً [فقد بَلَغَ وجاد اختلاطه، فليُخَرَجَ بعضُهُ من تلك الحفائر]^(٣) فيُيسَطَ على الأرض ليضربهُ الهوَاءُ، ويُيسَطَ باقيه في حفائره ليَجِفَّ أيضاً، فإذا جَفَّ^(٤) فقد بَلَغَ، فهذا زَبَلٌ تُزَبَّلُ به الكُروم السليمة من الآفات، فإنّه يُنْعِشُهَا ويُقَوِّيْهَا، ويدفع عنها أكثر الآفات بمشيئة الله (تعالى).

(١) الدردي: ما رسب أسفل مائع الأشربة، من مثل: دردي الزيت والخمر وعصير الفاكهة.

(٢) الفلاحة النبطية: ويطلب رب الضيعة من الأكرة أن يولوا على الخليط.

(٣) هذه الزيادة من الفلاحة النبطية، وقد سقطت من النسخ الخطية.

(٤) الفلاحة النبطية: جف أو قب.

وأما سِرْجِين الشَّجَرِ الْمُثْمِرِ^(١)، مثل: الرُّمَّان، والسَّقَرَجَل، والتُّفَّاح،
والكُمَثْرَى، والزُّعْرُور، والخَوْخ، والمُشْمُش، والعُنَّاب، والسَّبَّسْتَان^(٢)، وما
أشَبَّه ذلك مِمَّا ثَمَرَتْهَا باردة، فَيُؤْخَذُ [لَهَا] مِنْ حَمَاءِ الدَّبَّاعِينَ ذَلِكَ الْقَدَرُ
الْمَجْتَمِعِ مِنْ دِبَاغِهِمْ، فَيُلْقَى عَلَيْهِ مِنْ طِينِ الْمَرِيْسِ^(٣)؛ الَّذِي يَكُونُ تَحْتَهُ،
وَتَخْلَطُهُمَا جَمِيعاً [خَلْطاً] جَيِّداً، ثُمَّ تَخْلَطُ مَعَهُمَا شَيْئاً صَالِحاً مِنْ ذَرَقِ
الْحَمَامِ، وَالْوَارْشِينَ^(٤)، وَزَبَلِ الْخَفَّاشِ^(٥)، وَيُخْلَطُ هَذَا بِالْخَشْبِ الطُّوَالِ، أَوْ
بِمَجَارِفِ الْخَشَبِ، حَتَّى يَخْتَلَطَ جَيِّداً، وَيُصَبَّ عَلَيْهِ إِمَّا بَوْلُ الْجِمَالِ أَوْ بَوْلُ
النَّاسِ، وَيُقَلَّبُ حَتَّى يَسْوَدَّ وَيَعْفَنَ، ثُمَّ يُخْلَطُ بِهِ مِنْ خُرَّةِ النَّاسِ الْعَتِيقِ
الْأَسْوَدِ مِقْدَاراً كَثِيراً، وَيُخْلَطُ الْجَمِيعُ بِالْمَجَارِفِ^(٦)، وَيُبَالِ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ،
حَتَّى يَزِيدَ عَفْنُهُ، وَيَتَنَنَّ رِيحُهُ. وَبَوْلُ الْجِمَالِ لِهَذَا أَنْفَعُ مِنْ بَوْلِ النَّاسِ، فَإِنْ

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٧.

(٢) السبستان: هو نبق مخيط أو زيتون الكلب. وقد يسمى أطباء الكلبة أو حب العروس.

(٣) الطين المريس: الملطخ بالأزبال والأملس، وأصل المريس: ما مرسته في الماء من تمر أو ثريد أو غيرهما. وقد سبق الإشارة إلى التربة الحمراء، ومن أصنافها "الريس" وهي حمراء علكة قد يخالطها رمل، وقد لا يخالطها. أما الأرسان؛ فهي الأرض الحزنة.

الفلاحة النبطية: طين الدبس. باريس: المدبس، مدريد: المديس.

(٤) الورشان: طائر يشبه الحمامة، والجمع ورشان، وورشين.

(٥) زبل الخفاش يسمى (الشيزوق). الفلاحة النبطية، ص ٣٦٧.

(٦) الفلاحة النبطية: المجاذف.

لم يَحْضُرْكَ بول الناس، فتزيده من زبل الخفّاش^(١)، وضُمَّ إليه من أصول الفجل وورقه، فإنه يُعْفَن جميع ما يُخالطه بسرعة، ويَتَن رِيحُه أيضاً، ثم بعد عَفْنِه يُحَرِّك دائماً ويسَط على الأرض، حتّى يجفَّ، ويبقى فيه أدنى نَدَاوَة، ثم تُطْمَرُ به أصول تلك الأشجار، وما كان نَحْوَهَا، فإنه يُصْلِحُهَا ويُنْعِشُهَا.

وأما سرجين أصول الموز والبطيخ المدوّر الهندي^(٢)، وغيره من أنواع البطيخ المدوّر؛ فإنَّ سِرْجِينَه الموافق له^(٣): سرجين البقر، وسرجين الحمير، يُخْلَطَان^(٤) جميعاً، ثم تُؤخذ أصول الشوك^(٥) الذي يَنْبُتُ في الأرض الخالية من الإفلاح وفروعه أيضاً، فيُحَرَّق ذلك^(٦) الشوك، ويُخْلَط رماد هذين بذلك، ويُجَوَّد خَلْطُهما، ويُصَبُّ عليهما من دُرْدِيّ النبيذ^(٧)،

(١) الفلاحة النبطية: تزيده من الشيزوق (وهو زبل الخفّاش). باريس ومدرسد: تزيده من بول الخفّاش (سهو).

(٢) أنواع البطيخ: الهندي والسندي، والشامي والعقابي، والدمسي وهو الملون، والأرميني والدلاع (الفلسطيني). انظر: عمدة الطبيب، ص ١٠١-١٠٢.

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٨.

(٤) الفلاحة النبطية: يخلط.

(٥) الفلاحة النبطية: أصول الحشيش.

(٦) الفلاحة النبطية: يحرق مع الشوك.

(٧) الدردى: ما رسب في أسفل الآنية من الزيت والنبيذ وغيرهما.

وَيُقَلَّبُ حَتَّى تَخْتَلَطَ رُطُوبَتُهُمَا الَّتِي فِيهِمَا، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَتَعَفَّنَ وَيَسْوَدَّ، ثُمَّ يَخْلَطُ بِهِ مِثْلُهُ مِنْ تَرَابٍ سَحِيقٍ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ مِنْ أَرْضِهَا، أَوْ مِنَ الْعُبَارِ الْمَرْتَفِعِ مِنْ كُلِّ [شَيْءٍ] مُعَبَّرٍ، وَيُخْلَطُ الْجَمِيعُ بِالْمَجَارِفِ، ثُمَّ يُلْقَى فِي أُصُولِ الْمَوْزِ وَالْبَطِيخِ، فَإِنَّهُ يُصْلِحُهُمَا وَيُقَوِّيَهُمَا.

وَأَمَّا صِفَةُ عَمَلِ سِرْجِينَ شَجَرِ التِّينِ^(١) وَالْأُتْرُجِّ، وَاللَّوْزِ، وَالْفُسْتُقِ، وَالْجَوْزِ، وَاللَّوْزِ الْمُرِّ، وَمَا أَشَبَّهَا مِمَّا ثَمَرَتْهُ حَارَّةٌ^(٢)، فَيُؤْخَذُ لَذَلِكَ سِرْجِينَ الْبَقَرِ، وَمَا يَبْقَى مِنَ الْخِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ بَعْدَ الْحَصَادِ، وَحَشِيشِ الْخِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَقَصَبِ^(٣) الشَّيْلَمِ^(٤)، وَمَا صَغُرَ مِنَ الْقَصَبِ، فَتَجْمَعُ هَذِهِ وَتُتْرَكُ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْوِي^(٥) إِلَيْهَا الْبَقَرُ، وَيُفَرِّشُ فِيهَا فَرَشًا حَتَّى تَذُرُّسَهَا الْبَقَرُ، وَتَبُولَ عَلَيْهَا وَتُرْوِثَ فِيهَا، وَتَطْحَنَهَا بِأَرْجُلِهَا، حَتَّى تَصِيرَ كَالْمَخِ وَتَخْتَلِطَ بِأَخْثَائِهَا، وَلَا بَدَّ أَنْ تَعْفَنَ عَفْنًا بَلِيغًا سَرِيعًا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، وَاسْوَدَّتْ فَقَدْ بَلَعَتْ، [فَتُجْمَعُ]^(٦) بِمَجَارِفِ الْحَدِيدِ وَالْخَشَبِ الْقَوِيَّةِ، وَيُخْلَطُ بِهَا

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٨.

(٢) المتحف وباريس: حادة.

(٣) الفلاحة النبطية: فضيل.

(٤) الشيلم والشولم: البهمى والمسمى عندنا الزوان.

(٥) الفلاحة النبطية وباريس ومدرید: تأويها.

(٦) الزيادة من النبطية.

تُرَابٌ^(١) أَحْمَرُ طَيِّبُ الرِّيحِ، وَيُخْلَطُ الْجَمِيعُ، وَيُنْشَرُ^(٢) حَتَّى يَجْفَ، وَيَبْقَى فِيهِ أَدْنَى نَدَاوَةٍ، ثُمَّ يُزَبَّلُ بِهِ مَا ذَكَرْنَا وَشَبَّهَهُ.

وَأَمَّا صِفَةُ عَمَلِ السَّرَجِينَ الْعَامِّ الْمَنْفَعَةِ^(٣) لِكُلِّ نَبَاتٍ جَمَلَةٍ، صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ؛ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ عِيدَانُ نَبَاتِ الْحَنْطَةِ مَعَ أُصُولِهَا بَعْدَ الْحَصَادِ، وَمِنْ الشَّعِيرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالشَّوْكَ^(٤) وَالْعَوْسَجِ، وَخَشَبِ شَجَرِ التِّينِ وَوَرَقِهِ، فَتُحْرَقَ هَذِهِ، وَيُجْمَعُ رَمَادُهَا، وَيُضَافُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ مِنْ أَخْتَاءِ الْبَقَرِ، وَجُزْءٍ مِنْ ذَرَقِ الْحَمَامِ، وَمِنْ تِبْنِ الْبَاقِلَى وَالْحَنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَعِيدَانِ الْقَرْعِ عَلَى وَجْهِهَا^(٥) غَيْرَ مُحْتَرَقَةٍ، وَوَرَقِ الْكَرْمِ وَشَيْءٍ مِنْ عِيدَانِهِ، وَأُصُولِهِ، وَشَيْءٍ مِنَ الطُّحْلُبِ الْمَجْمُوعِ مِنَ الْأَنْهَارِ، وَحَافَاتِ الْأَجَامِ، وَالسَّوَاقِي، وَصَغَارِ الْقَصَبِ الْمَقْتَلَعِ بِأُصُولِهِ، فَتُجْمَعُ هَذِهِ فِي الْخَنَادِقِ^(٦) الَّتِي وَصَفْنَا، وَيُعْمَلُ لَهَا مَجَارِي مَنْصُوبَةٌ مِنَ الطُّرُقِ لِتَجْرِيَ إِلَيْهَا مِيَاهُ الْأَمْطَارِ، فَتَقِفَ فِيهَا، وَتُعَفَّنَ؛ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلْيُبَلِّغْ عَلَيْهَا الْأَكْرَةَ.

(١) الفلاحة النبطية تراب حر أحمر...

(٢) الفلاحة النبطية: ويشرد (تصحيف).

(٣) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٨.

(٤) الفلاحة النبطية: والباقلَى والشوك.

(٥) الفلاحة النبطية: على جهتها غير محترقة.

(٦) المتحف وباريس: الحفور.

واعلموا^(١) أن مياه الأمطار تغسل من الطُّرُق أَرْبَالاً وَحَمَاءً^(٢) وطيناً، وجَوَاهِرَ أَرْضِيَّةً لطيفةً وغلِيظةً؛ فإذا وَقَعَتْ على ذلك الزَّبَل بقيت فيه، فإذا نَضَبَ الماء وشربته الأرض، وَقَلَبَ ما في تلك الحَنَادِق، ثم ضُرِب بالخُشْب حتى يدخلَ بعضه في بعض، وَيَعْفَنَ عَفْناً بليغاً جيّداً، فإذا اسْوَدَّ، وفَاحَ منه ريحُ العَفْن، فليُحَرَّك بالمجَارِفِ حركةً دائمة، ويَقْلَبَ تَقْلِيماً كثيراً، حتى يجود اختلاطه، ويصير كالمُخ، فهذا سِرَجِيٌّ نافعٌ لجميع الشجر والمنابت، وَيُزَبَّلُ به كلُّ شيءٍ^(٣) إلا البَطِيخَ والمَوْزَ فقط.

وأما الخِيَار^(٤) والقِثَاء، والقَرَع، واللِّفْت، والجَزَر، والكُرَّاث الشَّامي، وغير هذه مما يشبهها من المَكُونَةِ^(٥) تحت الأرض كالْعُرُوق، فإنَّ هذا الزَّبَل يوافقها إذا خُلِطَ بِحُرَّةِ الناس العتيق.

وأما الخيار والقثاء فزبلهما أخثاء البقر^(٦)، وروث الحمير، وخرء الناس [العتيق] مُخَلَّطَةً^(٧) بمثلها من ترابٍ طَيِّبٍ.

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٩.

(٢) مدريد: حماتاً (تصحيف).

(٣) الفلاحة النبطية: مثل الحبوب والبقول.

(٤) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٩.

(٥) المتحف وباريس ومدريد: المتكونة.

(٦) الفلاحة النبطية: وورق الحمير.

(٧) الفلاحة النبطية: مخلوطة.

وأما الباذنجان^(١)، والقنبيط، والكُرنب، والفجل، والبصل، والثوم،
والرَّاسَن^(٢)، وما أشبه هذه، فينبغي أن تُزَبَّلَ بِجُرءِ الناسِ مختلطاً بِسِرَجِينَ
الحمير وأيِّ رَمَادٍ كان، أَجودَها أَرَمَدَةُ العَرَبِ^(٣)، وَيُضَافُ إليها من ورق
الشَّاهِ بَلُوطٍ قُضْبَانِهَا وَأَصْلُهَا، وَيُجْعَلُ ذَلِكَ فِي الخَنَاقِ المذكورة، وَيُصَبُّ
عليها الماءُ العَذْبُ، يُرَشُّ به رَشًّا حَتَّى تَغْفَنَ جَيِّدًا، وَتُقَلَّبَ، وَتُخْرَجَ بَعْدَ
عَفْنِهَا مِنَ الخَنَاقِ، وَتُنَشَّرَ حَتَّى تَيَّسَ جَيِّدًا، وَتَصِيرَ مِثْلَ الذَّرُورِ، ثُمَّ زَبَّلُوا
بِهَا مَا ذَكَرْنَا فَإِنَّهَا تَنْعَشُ بِهَا وَتَفْلَحُ^(٤).

وأما صفة عَمَلِ زَبْلِ البَقُولِ الصَّغَارِ^(٥)، مِثْلُ: التَّنْعَعِ، وَالهِنْدَبَا^(٦)،
وَالطَّرْخُونِ^(٧)، وَالسَّلْقِ، وَالْكُرَّاثِ التَّبْطِي، وَالْجَرَجِيرِ^(٨)، وَالْحُرْفِ^(٩)،

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٩.

(٢) الرَّاسَن: الزنجبيل الشامى، أو ما يسمى بالقسط.

(٣) الغرب: هو الصفصاف. باريس ومدريد: العرب.

(٤) الفلاحة النبطية: تعيش بها وتصلح (تصحيف).

(٥) الفلاحة النبطية، ص ٣٧٠.

(٦) هندباء وهندبا: نوع من البقول يسمى العلت.

(٧) الطرخون: هو الخوذان.

(٨) هو جرجير، وجرجار وجرجر: ويسمى بقلّة عائشة (نبت مشهور).

(٩) الحرف: حب الرشاد (عمدة الطبيب، ص ٩١).

والبَادِرُوجُ^(١)، والبَقْلَةُ اللِّينَةُ^(٢)، والكَرْفَسُ، وما أشبه هذه، فينبغي أن يؤخذ من خُرءِ الناس، وذَرَقِ الحمام، وروث الحمير، وأخثاء البقر، وليكن خُرءِ الناس الغالب عليها، وجُزؤه أكثر من أجزائها، ويُضَاف إليها مثلها من ترابٍ طَيِّبٍ سَحِيقٍ، وترابٍ مجموع من المزابل وما أشبهها، فتُجمَعُ هذه في الخَنَادِقِ المذكورة، ويُصَبُّ عليها الدَّم، أي دمِ كَانٍ، وأفضَلُها دَمُ الناس، ودَمُ الجَمَالِ، ودَمُ الضَّأْنِ، ويُرَشُّ عليها الماء العَذْبُ، ويُخَلَطُ، ويُقَلَّبُ جَيِّدًا حَتَّى يَخْتَلِطَ، وإن سِيقَ إليها ماءُ المطر عَفْنًا وأَحْمَاءًا^(٣)، وجَوَدَ خَلَطَها بعضها ببعض، وليُكْثَر من تقلبيها حَتَّى تَعْفَنَ وتَسْوَدَّ، فإذا صارت حَمَاءً فلتُجَفَّفَ، وتُخَلَطَ بعد جفافها بترابٍ سَحِيقٍ، ويُجمَعُ إليها أي ترابٍ وغبارٍ كَانٍ، وتُزَبَّلُ به البُقُولُ على ما ذكرنا، ويُجَعَلُ منه في أَصُولِها، فإنه يُنْعِشُها وَيُنْبِتُها^(٤).

وَأَمَّا الخَسُّ^(٥) فَإِنَّ زَبْلَهُ النَّافِعَ لَهُ خُرءِ النَّاسِ وَذَرَقِ الْحَمَامِ، وَزَبْلُ

(١) البادرُوج (فارسية): الريحان الملك المسمى شاهسفرم أو الحبق الكرمانى، أو الحبق الصعترى.

(٢) البقلة اللينة هي البقلة الحمقاء وتسمى الرحلة، والبقلة المطلقة لأنها تنبت على جوانب الطرق.

(٣) المتحف وباريس: وأحيائها.

(٤) الفلاحة النبطية: فإنه يعيشها (تصحيف) وينميتها.

(٥) الفلاحة النبطية، ص ٣٧٠.

الدَّجَاج، وورق الحَسِّ، وشيء من زبل الحَفَّاش^(١)، ورماد الطَّرَفَاء^(٢) والأَثَل وما أشبهها، يُخَلَطُ بعض هذه ببعض، ويكون خُرءً^(٣) الناسِ نَصْفَهَا، والنصفُ الآخرُ من هذه التي عَدَدْنَا، ولِيُحْزَرَ ذلك حَزْراً على التقدير، لا على التَّحْقِيقِ^(٤)، وَيُجْعَلُ في الخَنَاقِ المذكورة، وَيُصَبُّ عليها من الدَّمِ، أي دَمِ كَانَ، وَيُصَبُّ^(٥) عليها ماء المَطَرِ، وتُتْرَكُ حتى تَعْفَنَ وتَسْوَدَّ وتَتَنَّنَ ثم تُخْرَجُ من الخَنَاقِ وتُجَفَّفُ جَفَافاً^(٦) جيّداً، ثم تُسْتَعْمَلُ للحَسِّ من وضعها في أصوله، وتُعَبَّرُ فروعه بذلك جميعاً كما نَصَفَهُ إن شاء الله (تعالى).

وهذه الصِّفَاتُ في تَعْفِينِ الزُّبُولِ كافية -إن شاء الله- في هذا المعنى، وما هو في التَّعْفِينِ لها بمِثْلَةِ الخَمِيرِ في العَجِينِ^(٧).

(١) الفلاحة النبطية: الشيزوق (زبل الحفّاش).

(٢) الطرفاء: هو العفص والعل، وقيل: هو الأثل شجر يشبه الصفصاف ينبت في الرمل.

(٣) الفلاحة النبطية: كبان الناس؟؟ (تصحيف).

(٤) الفلاحة النبطية: وليحزر ذلك حزراً على التقريب لا على التحديد.

(٥) الفلاحة النبطية: ويصوّب.

(٦) باريس ومدريد: جفاً (تصحيف).

(٧) الفلاحة النبطية: ص ٣٧٦.

والشَّيْزُوقُ (وهو خُرءُ الخُفَّاشِ) وأبوال الناس، ودماءؤهم، هذا هو
في الأَزْبَالِ بمِثْلَةِ الخَمِيرِ فِي العَجِينِ؛ يُصْلِحُهَا وَيُقَوِّي^(١) سُخُونَتَهَا،
وَيُعَفِّنُهَا، وَيُجَوِّدُ اخْتِلَاطَهَا، وَيَزِيدُ فِي إِسْخَانِهَا^(٢).

* * *

(١) الفلاحة النبطية: يقوم.

(٢) النص السابق كله في الفلاحة النبطية، ص ٣٧٦.

[الـ]... فصل [الثالث]

[أجود السرجين]

ومن "الفلاحة النبطية"^(١): أجودُ السرجين والأزبال ما أَّتَتْ عليه بعد عَفَنَه سَنَتَانِ، فَإِنْ أَّتَتْ عليه ثَلَاثُ سَنِينَ فهو أجودُ، وَإِنْ أَّتَتْ عليه أَرْبَعُ سَنِينَ، وَزَالَتْ عَنْهُ جَمِيعُ الرِّوَاثِ الْمُنْتَنَةِ، وَصَارَ لَا رِيحَ لَهُ، فَهُوَ أَصْلَحُ مِنْ هَذِهِ الْأَزْبَالِ كُلِّهَا الَّتِي هِيَ قَرْيَةُ الْعَهْدِ^(٢).

قال قوثامي^(٣): والذي أوصيكم به أَنْ لَا تَسْتَعْمِلُوا الزُّبْلَ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهِ مِنْ أَوَّلِ سَنَةٍ، حَتَّى يَخْتَلِطَ وَيَعْفَنَ، فَإِنَّهُ إِنْ اسْتَعْمَلَ قَبْلَ سَنَةٍ مَاضِيَةٍ عَلَيْهِ كَانَ ضَارًّا، وَهُوَ بَعْدَ مِضِيِّ سَنَةٍ لَيْسَ بِالْكَامِلِ الْجُودَةِ، وَالَّذِي عَثَقَ ثَلَاثَ سَنِينَ أَوْ أَرْبَعَ سَنِينَ هُوَ أَفْضَلُ.

وَلَا يُسْتَعْمَلُ مَا قَدْ أَتَى عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِ سَنِينَ؛ لِأَنَّهُ لَا عَمَلَ لَهُ؛ لِأَنَّ قُوَّتَهُ قَدْ انْقَطَعَتْ، وَالَّذِي يُسْتَعْمَلُ قَبْلَ تَمَامِ سَنَةٍ فَضَرَرُهُ أَنَّهُ يُولَدُ هَوَامًّا^(٤) رَدِيئَةً، وَدِيدَانًا صَغَارًا وَكِبَارًا^(٥)، وَرُبَّمَا إِذَا زُبِلَ بِهِ نَبَاتٌ، وَسُقِيَ

(١) الفلاحة النبطية: ٣٦٩.

(٢) الفلاحة النبطية: قرية العفن.

(٣) قوله في الفلاحة النبطية: ٣٧٦.

(٤) باريس ومدريد: حيوانات رديئة.

(٥) الفلاحة النبطية: قريباً من الحيات.

ماءً كثيراً، وكانت الأرضُ نَزَّةً أو عَرِقةً تَأْكَلَتْ أَصُولَ النبات^(١)؛ فينبغي أن لا يُسْتَعْمَلَ^(٢) إلاّ بعد شهر أو شهرين من انْسِلَاخِ السَّنَةِ الأولى، وأمّا الزَّبَلُ الذي قد بَلَغَ خَمْسَ سنين، أو جاوزَها فلا يَصْلُحُ لشيء، بل هو يَقُومُ مقام الأتربة المختلطة بالأزبال المأخوذة من الأراضي الغربية بل هو أَفْضَلُ منها.

والزَّبَلُ^(٣) [الذي تجاوزَ] سَبْعَ سنين^(٤) يصيرُ تراباً مَحْضاً، حُكْمُهُ حَكْمُ التراب الصالح المحمود. هذا إن كانت الأزبال تحت السَّمَاءِ [بحيث تضربه الرياح، وتطلع عليه الشمس، وتحيء عليه فأما إذا كان موقى، مصوناً في بيت]^(٥) تحت سُقْفٍ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ عَمَلَ الأزبال، وَيَجُودُ إلى سَبْعِ سنين، ولا يصيرُ هذا تراباً إلى بَعْدَ عشر سنين إلى اثني عشرة^(٦).

* * *

(١) الفلاحة النبطية: فإنه يأكل أصول النبات.

(٢) الفلاحة النبطية: لا يستعمل إلا في السنة الثانية وبعد مضي شهر أو شهرين من انْسِلَاخِ سنته الأولى.

(٣) الفلاحة النبطية: ٣٧٦-٣٧٧.

(٤) الفلاحة النبطية: بعد الخمس سنين وإلى سبع سنين، فإذا جاوزها فقد صار تراباً محضاً...

(٥) هذا النص سقط من النسخ الخطية، وهو ضروري لسلامة السياق.

(٦) الفلاحة النبطية: الثانية عشر؟؟

[الـ]... فصل [الرابع]

[كيفية استعمال الأزبال في الشجر والخضر والتغير]

"أما كيفية استعمال الأزبال في الشجر والخضر وتغير بعض الخضر بها"

من "الفلاحة النبطية"^(١):

كل هذه التي ذكرنا تزيلها^(٢) من الأشجار والخضر، يُخَفَّرُ في
أصُولها إما قليلاً، وإما كثيراً، على حسب كِبَر الأشجار وصغرها، وتُطْمَرُ
بعض هذه الأزبال؛ وإما أن يُنْثَرَ عليها بعض هذه، أو يُعَبَّرَ به فُرُوعُها فلا
يَعْمَلُ ذلك؛ فإنَّ جميع هذه الأزبال يَنْفَعُ الشجر والمنابت إذا كانت في
أصُولها، وتَضُرُّها إذا وَقَعَتْ على أوراقها وأغصانها ضَرَرًا شديداً، وخاصة
الشجر المثمر والكُروم.

وليس ينبغي أن يُعَبَّرَ شيء منها إلا الباذنجان، والكُرنَب، والقنبيط،
والبُقُول الكبار^(٣)؛ جملة؛ فإن هذه ينبغي أن يُرَشَّ عليها كلها من الزَّبَل
الذي يَنْفَعُ البُقُول الصَّعَّار خاصة نَثراً خفيفاً لطيفاً، ويقام في أصُولها منه
شيء.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٦٩-٣٧٠.

(٢) باريس ومدرّيد: ترسلها (تصحيف).

(٣) الفلاحة النبطية: والبُقُول كلها.

وفي "الفلاحة النبطية" أيضاً^(١): أن التَّغْيِيرَ بالأزبال بَيْنَ النَّفْعِ
للكُروم، وأنَّ الغُبَارَ الواقعَ عليها يقوم لها مقام التُّراب الغريب الذي يُسَاق
إلى الكروم من غيرها من المواضع، فَتُغَيَّرُ بِهَا؛ فينفعُها، ويعين على إثمارها.
وقيل^(٢): إِنَّ الغُبَارَ إذا تراكم على الكُروم نَفَعَهَا منفعة عظيمةً.
وقيل في "الفلاحة النبطية" أيضاً^(٣): إِنَّ التَّغْيِيرَ بالزَّبَلِ يَضُرُّ الكُروم
ضرراً في الغاية إذا أُكثِرَ عليها منه.
وفي "الفلاحة النبطية"^(٤): إِنَّ الكروم لا تَغَيَّرُ بالزَّبَلِ، وإنَّما يُغَيَّرُ به
مع التُّراب السحيق البقول، وما صَغُرَ من المنابت مما يوافقُه منها [إذا] وقع
الزَّبَلُ على وَرَقِه.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٧١، ٣٧٦، ١٠٢١، ١٠٦٦-١٠٦٧.

هذا مذهب دوناي، وهو يرى أن رماد أغصان الكرمة إذا خلط بأخشاء البقر وغير به
الكرمة السقيمة نفعها (الفلاحة النبطية، ص ١١٣٠).

(٢) الفلاحة النبطية: ١٠٢١، ١٠٦٧، وهذا مذهب الكنعانيين (الفلاحة النبطية: ١٠٢٥).

(٣) الفلاحة النبطية: ٣٧٢، قال ينبوشاد: إذا باشرت البقول بالأزبال الحادة فرمما نكبتموها.
وقال (ص ١٠٤٩): ولا تغير الكروم ألبتة بزبل ولا بغيره، بل تصان مبلغ الجهد من الغبار.
وقال طامثري وصردايا الكنعانيان: إن الغبار يضر بالكروم ضرراً في الغاية، إذا كثر عليها
(الفلاحة النبطية: ١٠٢١).

(٤) وقال في الفلاحة النبطية: ٣٧٠، ٣٧٣: الأزبال لا تلقى على أوراق الكروم والشجر،
ولا على فروعها وأغصانها، لأنها حادة شديدة الحدة؛ ولأن الإسخان في جوف الأرض
وعلى الفروع والأوراق يحرقها.

وقال (ص ١٠٤٩): الكروم لا تغير بزبل ولا غيره.

وقيل في "الفلاحة النبطية"^(١): إِنَّ التَّغْيِيرَ بِهَا يُصْلِحُ الْخُضَرَ بَعْدَ أَنْ يُرَشَّ عَلَيْهَا الْمَاءُ لِيَسْتَمْسِكَ الْغُبَارُ عَلَيْهَا.

قال ينبوشاد^(٢): إِنَّكُمْ إِنْ بَاشَرْتُمْ بِهَذِهِ الْأَزْبَالِ لَا سَيِّمًا الْحَادَّةَ مِنْهَا أَصُولَ الشَّجَرِ^(٣)، وَعِيدَانِ سَائِرِ النَّبَاتِ الصَّغَارِ رِمًا نَكَبْتُمُوهَا بِذَلِكَ، لَكِنْ يَجِبُ فِي تَزْيِيلِ الْغُرُوسِ وَالشَّجَرِ [أَوْ تَلْقَوْا]^(٤) فِي أَصُولِهَا تُرَابًا غَرِيًّا مِنْ غَيْرِ تِلْكَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تُلْقُوا السَّرَجِينَ فَوْقَ ذَلِكَ التُّرَابِ، [ثُمَّ تَلْقُوا فَوْقَ السَّرَجِينَ تُرَابًا] فَيَكُونُ السَّرَجِينَ بَيْنَ تُرَابَيْنِ سَحِيقَيْنِ^(٥).

وَتُرَابُ الْأَرْضِ الْحَمْرَاءِ^(٦) الَّتِي تَسْمَى "حُرَّةً" هِيَ أَفْضَلُ الْأَتْرَبَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي هَذَا، وَيَتْلُوهَا التُّرَابُ الْمَجْمُوعُ مِنَ الْمَزَابِلِ وَالْمَوَاضِعِ الْخَرَابِ الَّتِي لَا تُسْكَنُ.

وقال (ص ١٠٢٤-١٠٢٥): الكروم لا ينبغي أن تغبر أوراقها وأغصانها بزل ولا بتراب سحيق... وإن الغبار إذا كثرت تكاثفه على ورق الكروم أضر به ضرراً بيناً واضحاً.

(١) هذا القول في الفلاحة النبطية: ٣٧٣.

(٢) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

(٣) الفلاحة النبطية: أصول وأبدان سائر النبات.

(٤) الزيادة من الفلاحة النبطية.

(٥) الفلاحة النبطية: سحيقين غريين.

(٦) الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

قال صغريث^(١): يُؤْخَذُ التراب الذي تُصْنَعُ منه عادةً^(٢) الأُزْبَال من الأرض الوَحْشِيَّة^(٣) المنقطعة من الناس، فهو أبلغُ مَنَفَعَةً للشَّجَرِ كُلِّهِ، والنَّخْل بأجمعه، وكل النَّبَات: صغيره وكبيره.

قال أبو بكر بن وَحْشِيَّة^(٤): يعني "صغريث": المواضع الواسعة، والصَّحَارَى التي يكثر عليها هبوب الرِّيح^(٥).

فإن كان السَّرَجِين بين ترايين^(٦)، كان في ذلك احتياطٌ للشَّجَر والنَّخْل من حَيْف^(٧) السَّرَجِين عليها.

وأما الباذنجان والخيار والقثاء والبَطِيخ، وهذه [التي] نَسَمَّيْهَا البُقُول الكبار؛ فإنها تحتاج إلى التَّغْيِير، وإلى طَرَح السَّرَجِين في أَصُولِهَا.

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

(٢) الفلاحة النبطية: عادية.

(٣) سماها صغريث في موضع آخر: الأرض الوحشية، قال: هي أرض الغيلان (ص ٣٧٢).

(٤) قول ابن وحشية في الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

(٥) الفلاحة النبطية: هبوب الرياح في المواضع الواسعة والبراري المقفرة.

(٦) هذا قول قوثامي؛ الفلاحة النبطية: ٣٧٣.

(٧) الحيف: الجور.

وفي "الفلاحة النبطية": ومن جملة البقول الكبار: الكرنب والقنبيط، والسلق، والخس، والإسفاناخ^(١)، والحرف^(٢) فيطرح الزبل بين الثرايين قبل التغير بالسرجين، وليكن التراب من أرض غريبة طيبة جداً، ومن التراب المجموع من المزابل التي تكون في المواضع الخربة، والتراب المأخوذ من البراري والصحاري (كما قال صغريث)^(٣) وربما ذر السرجين على الماء الجاري في سواقي البقول ليؤدي الماء السرجين إلى أصول تلك النباتات، فإن هذا عند قوم أجود^(٤).

وأما أكثر الناس^(٥) فإنهم يتبعون^(٦) التزليل بصب الماء على أصول الشجر التي زبلوها، ثم يسقونها كما جرت العادة.

وفي "الفلاحة النبطية"^(٧): إذا وقع الزبل بحدته على أوراق الشجر الكبار، وزاد وقع الشمس عليها زاد في سخونتها كثيراً، فإنه يحرقه، ويثقب ورقه، وينقص من قوته بذلك.

(١) الإسفاناخ: هي البقلة المباركة (عمدة الطبيب، ص ٢٨١).

(٢) الحرف: حب الرشاد.

(٣) الفلاحة النبطية: كما علمنا صغريث.

(٤) وأضاف قوثامي: فإن السرجين إذا لم يياشر أوراق النبات لم يضره. الفلاحة النبطية: ٣٧٣.

(٥) الفلاحة النبطية: ٣٧٣.

(٦) الفلاحة النبطية: يتبعون.

(٧) الفلاحة النبطية: ٣٧١.

وحال البُقُول، وما لَطُفَ من المَنَابِت، كَحَالِ أُصُولِ تلكِ المَنَابِتِ
الكِبَارِ من اُنْدِفَانِهْمَا جَمِيعاً، فَوَجَبَ من أَجْلِ ذلكِ [أَنَّ] يَنَالُ الزَّبَلُ من
المَنَابِتِ الصَّغَارِ أَصُولَهَا وفُرُوعَهَا، ولا يَنَالُ من الكِبَارِ إِلَّا أَصُولَهَا وفُرُوعَهَا
وأورِقَاهَا، فهذه هي العِلَّةُ في مَنَفَعَةِ الأَزَابِلِ للمَنَابِتِ الكِبَارِ في أَصُولِهَا
[وَضَرُّرُهَا إِذَا وَقَعَ عَلَى] ^(١) أَصُولِهَا وفُرُوعِهَا معاً في زَمَانٍ وَاحِدٍ.

* * *

(١) هذه الجملة سقطت من النسخ الخطية، وهي في الفلاحة النبطية.

[ال]... فصل [الخامس]

[منفعة الأزبال ووقت التزيب]

أَمَّا مَنَفَعَةُ الْأَزْبَالِ لِلأَرْضِينَ وَوَقْتُ التَّزِيلِ لَهَا

(من كتاب الفلاحة النبطية)

قال "صغريث"^(١):

وهذه الأزبال التي قَدَّمْنَا وَصَفَهَا مَع مَنَفَعَتِهَا لِلنبات؛ فَإِنَّمَا تَنفَعُ
الأَرْضِينَ التي فِيهَا نباتٌ، والتي لَا نبات فِيهَا، وَلَا شَجَرٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا
طُرِحَتْ فِي أَرْضٍ رَدِيئَةٍ أَصْلَحَتْهَا. وَإِنْ كَانَتِ الأَرْضُ صَالِحَةً زَادَتْهَا
صَالِحًا فِي طَبِيعِهَا^(٢) وَقُوَّتِهَا.

وَكذلك هُوَ فِعْلُهَا فِي النبات وَفِي الشَّجَرِ: التَّقْوِيَةُ، وَالصَّلَاحُ،
وَدَفْعُ العَوَارِضِ الرَّدِيئَةِ عَنْهَا؛ مِنَ الرِّيحِ الفَاعِلَةِ لِلضَّرَرِ، وَمِنَ البَرْدِ وَالْحَرِّ
المُفْرِطَيْنِ، وَالْعَطَشِ، وَفَرَطِ الرِّيِّ المَعْفَنِ^(٣).

وَقَدْ يَنْفَعُ أَيْضًا الأَرْضَ المَعْتَدِلَةَ^(٤) الصَّالِحَةَ، والأَرْضَ الفَاسِدَةَ يَرُدُّهَا
إِلَى الصَّلَاحِ وَالسَّدَادِ.

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية: ٣٧١.

(٢) الفلاحة النبطية: وطبيعتها وقوتها.

(٣) الفلاحة النبطية: وفرط الندى المعفن.

(٤) الفلاحة النبطية: المعتدلة بين الصالحة والفاصلة.

وأما الأرض الضعيفة (وهي من أنواع الأرضين التي تُسمَّى:
الرَّيِّقَة، والنَّزَّة، والعَرَقَة) فإنَّها تحتاج إلى سِرْجِين فيه [فَضْل] ^(١).

* * *

(١) الزيادة من الفلاحة النبطية.

[الـ]... فصل [السادس]

[مقادير الأزبال]

والأزبال^(١) التي تقدّم ذكرها على العموم صالحة للأرضين الفاسدة كلها، ومنفعتُها للأرضين هي منفعةُ عامّة. وأمّا الخُصوصُ فهو في منفعَتِها للشجر والنبات. والأرض الضعيفة، متى كان فيها شجر أو غيره من النبات كبير أم صغير^(٢)، فينبغي أن تُزبَل مرّات كثيرة متواترة. وربما احتاجت في الخريف، والشتاء، وأوّل الربيع إلى أن تُزبَل دائماً، والدائم في التّزبيل هو أن تُحرث في كلّ يومين، وفي اليوم الثالث يُطرح لها السّرجين، يُفعلُ بها هكذا نحواً^(٣) من عشرين يوماً^(٤)، أو خمسة عشر يوماً، أو عشرة أيّام، على قدر ما ترى [الأكرة]^(٥) وعلى مقدّار بلوغ الأرضين في الفساد، وقربها من الصّلاح، وذلك أنه إن زاد السّرجين، وجاوز^(٦) المقدّار أفسد الأرض والنبات وأحرقهما وأضعفهما، حتى تحتاج أن تُعالج من هذا الفساد، فإن استعمل باعتدال لم يحرق الأرض

(١) الفلاحة النبطية: ٣٧١.

(٢) الفلاحة النبطية: كبير أم صغر.

(٣) النسخ الخطية: نحو (بالرفع).

(٤) الفلاحة النبطية: ويقطع ذلك عنها عشرين يوماً أو خمسة عشر يوماً أو عشرة أيّام.

(٥) الزيادة من الفلاحة النبطية.

(٦) الفلاحة النبطية: وجاز الحد...

والغُرُوس؛ لأنَّ الزَّبْلَ إذا أَكْثَرَتْهُ في بُقْعَةٍ من الأرض حتى تصيرَ تلك البُقْعَةُ زَبْلاً كُلُّهَا احْتَدَّتْ وَسَخُنَتْ؛ فأفسدت أكثرَ المنابت حتى تحتاج أن تُعالَجَ بأنَّ يُخَلَطَ معها ترابٌ كثيرٌ طيِّبٌ؛ ليصلحَها، أو يُقاوَمَ حَدَّتْهَا فيها بالماء العَذْب؛ ليصلحَها، ويذهبَ بِحِدَّتِهَا.

وليس نَحْتَاجُ الأرض إلى أنْ يَكْثُرَ فيها الزَّبْلُ، ومن مَنَافِعِ الزَّبْلِ^(١) أَنَّهُ يَعيْنُ الشَّمْسَ والهَوَاءَ على التَّسْخِينِ، فيُقاوِمُ البَرْدَ والغَلْظَ اللَّذِينَ اكْتَسَبَهُمَا النَبَاتُ من الأرض والماء ببردهما؛ فالزَّبْلُ يَنْفَعُ^(٢) ما يَتَّصِلُ بِأَصْلِهِ من الشَّجَرِ والنَّخْلِ، والكُرُومِ، وسائرِ المنابت الكبارِ؛ فيُسخِّنُ الأرضَ، وتبلغُ سُخُونُتُهُ إلى قَعْرِ الأرض في أصل هذه وفروعها، فيكون هذا الإِسْخَانُ في جوف الأرض^(٣) لِفُرُوعِ الشَّجَرِ والمَنَابِتِ.

ومن "الفلاحة النبطية"^(٤): الزَّبْلُ يُسخِّنُ وَجْهَ الأرض في البَرْدِ، وَيَدْفَعُ تبريدَ الهَوَاءِ عنها، وَيُبرِّدُ عُمُقَ الأرض في الحَرِّ؛ لأنَّ عُمُقَهَا يسخِّنُ في الحَرِّ فيضُرُّ ذلك بالنبات والشجر أيضاً.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٧٠.

(٢) الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

(٣) الفلاحة النبطية: والإسخان الآخر في ظاهر الأرض لفروع الشجر والمنابت الكبار.

(٤) الفلاحة النبطية: ٣٧١.

قال "صغريث"^(١): إِنَّ الْأَرْضَ الطَّيِّبَةَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَرْبِيلٍ، إِذَا كَانَتْ فِي الْغَايَةِ^(٢) مِنْ طَيِّبِ الثَّرْبَةِ، فَأَمَّا الْأَرْضُ الْفَاسِدَةُ فَإِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى سَرِّجِينَ، وَتَحْتَاجُ مِنْهُ إِلَى مِقْدَارٍ مَا يُصْلِحُهَا عَلَى مِقْدَارِ خُرُوجِهَا مِنَ الْجُودَةِ إِلَى الرَّدَاءَةِ.

وَأَمَّا الْأَرْضُ الَّتِي بَيْنَ الرَّدَاءَةِ وَالْجُودَةِ، وَكَأَنَّهَا فِي الْوَسْطِ بَيْنَهُمَا جَمِيعًا، فَتَحْتَاجُ إِلَى السَّرِّجِينَ الدَّائِمِ الْكَثِيرِ مِثْلَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الرَّقِيقَةَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَإِنَّا قُلْنَا إِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى تَكَرُّرِ^(٣) الزَّبَلِ لِتَصْلُحَ مِنْ ضَعْفِهَا وَتَقْوَى. وَمِنْ مَنَافِعِ بَعْضِ الْأَزْبَالِ أَنَّ مِنْهَا مَا يَطْرُدُ الدَّيِّبَ^(٤) وَالطَّيْرَ عَنِ الْمَزَارِعِ^(٥).

قال "قوثامي"^(٦): وَمَتَى خَلَطْتُمْ زَبَلَ الطَّيْرِ، وَزَبَلَ الْخُفَّاشِ (وَهُوَ الشَّيْزُوقُ)، وَالْدَّمَ الْمُجَفَّفَ إِمَّا مَسْحُوقًا، وَإِمَّا قِطْعًا مَعَ الْحُبُوبِ الْمَرْوَعَةِ، وَزُرَعَتْ مَعَهُ، لَا سِيَّمَا فِي أَرْضٍ رَقِيقَةٍ أَوْ ضَعِيفَةٍ، أَوْ عَرِيقَةٍ، أَوْ نَزَّةٍ، أَصْلَحَ

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية: ٣٧٣-٣٧٤.

(٢) الفلاحة النبطية: في النهاية.

(٣) النسخ الخطية: تكثير الزبل.

(٤) الديب: ما يدب على وجه الأرض من الدود والهوام والفئران والحشرات.

(٥) انظر: الفلاحة النبطية: ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٤، والفلاحة الرومية: ١٣٨، والمقنع: ٥٩.

(٦) قول قوثامي في الفلاحة النبطية: ٣٧٤، قال: إِذَا كَانَتْ الْأَرْضُ رَقِيقَةً وَضَعِيفَةً وَعَرِيقَةً وَنَزَّةً فَإِنَّ زَبَلَ الطَّيْرِ يَقْوِيهَا وَيُعِينُ النَّبَاتَ عَلَى النُّشُوءِ.

تلك الأرض و[ذلك] النَّبات، وأسْرَعَ [في] نُموّه، ونُشوئه، ودَفَعَ الدَّيِّبَ عنه المُضِرَّ بالنَّبات الآكِلَ له، مثل: الفأر، والحَيَّات، والدُّود وغيرها، ممَّا يُفْسِدُ البَذَرَ وَيَلْتَقِطُهُ، فإن هذا الخليط^(١) إذا وَقَعَ في الأرض فأصابته رُطوبةُ الماءِ عَفِنَ، وخَالَطَ الترابَ وأُصُولُ النَّبات، وانبسط على وجه الأرض، وفاحتْ له رائحةٌ تكرهها جميع الطيور من العصافير وغيرها، من جميع الدَّيِّب، مثل: الفأر وغيره.

* * *

(١) يقصد بالخليط هنا: خليط خرد الطير والشيزوق والدم والأتبان؛ إذا وقعت في الأرض وأصابها رطوبة الماء عفنت فيها.

[الـ]... فصل [السابع]

[قوى الأزبال]

وأما قوى الأزبال، فإنَّ منها ما هو حارٌّ، ومنها باردٌ ودَسِيمٌ ولَيِّنٌ. ويستعملُ كلُّ نوعٍ منها في علاج ما يُضادُّه؛ يُعالج الحارُّ بالبارد، والباردُ بالحارِّ، والدَسِيمُ بالجافِّ، وشبه ذلك.

قال في "الفلاحة النبطية"^(١): الزَّبلُ الحارُّ مركَّبٌ من خُرءِ النَّاسِ، ومثله ذَرْقُ الحَمَامِ، ومثله بَعَرُ الغَنَمِ، ومثله زبلُ الخُفَّاشِ، ومثله عَكْرُ الزَّيْتِ، يُعَفَّنُ الجميعَ زماناً حتَّى يَتَدَوَّدَ، ويُجَفَّفَ بعد ذلك، وتُزَبَّلُ به الكُرُومُ^(٢) التي أصابتها الرِّيحُ الباردة الهابَّةُ عليها، وشبه ذلك.

والزَّبلُ اللَّيِّنُ^(٣) هو الذي لا يكون فيه خُرءُ النَّاسِ، ولا ذَرْقُ الحَمَامِ، بل يُرَكَّبُ من أخْثاءِ البَقَرِ، وبَعَرِ الغَنَمِ مع ترابٍ سَحِيقٍ مَجْمُوعٍ من المَزَابِلِ.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) الفلاحة النبطية: تزبل به الكروم التي أصابها اليرقان، أو إذا اسودَّ عود الكرم وقشف وتقرش بعض لحائه. ويزبل به الكروم السليمة من الآفات والعاهات، فإنه يقويها وينعشها، ويدفع عنها الآفات.

(٣) الفلاحة النبطية: ١٠٤٩، قال صغريث: الزبل اللين: الذي لا يقع فيه خرم الناس ولا زبل الحمام، ولا شيء حاد، بل يكون مركباً من أخثاء البقر، وورق الكرم والقرع والبطيخ

قال^(١): ومتى احتجتم إلى زبلٍ فيه حِدَّة، فأرْمِدَة الأخْثاء الحارَّة،
إذا خلطت بها الأَرْبَالُ أكْسَبَهَا ذلك فضل حَرَارَة وحِدَّة، مثل:
رماد النَّعْنَع والياسمين، والنَّسْرِين^(٢) والثَّمَام^(٣) والباذرُوج^(٤)،
والكَرْفَسُ بخاصيَّة فيه؛ فإنه عجيبٌ في هذا.
وتُسْتَعْمَلُ أرْمِدَة هذه، وأرْمِدَة ما أشبهها من المنابت الحارة بأنْ
تُخْلَطَ مع الأَرْبَالِ، وتَعْفَنَ معها، حتى تختلط معها، ثم يستعملُ هذا الزَّبَلُ
فيما أضرَّ به البردُ وشبهه^(٥).

والقثاء، تعفن، حتى إذا صارت هباء خلطت بتراب سحيق مجموع من المزابل ونبشت
أصول الكروم وطمت بها.

(١) هذا قول قوثامي، الفلاحة النبطية: ٣٧٠.

(٢) النسرين: هو الورد الصيني والصنف الكبير منه يسمى جلنسرين، وهو الورد الذكر.

(٣) الثمام: الغرب، ذكره أبو حنيفة في كتاب النبات: ٧٨/١.

(٤) الباذرُوج: هو الحبق الريحاني، عريض الورق، له رائحة قوية. عمدة الطبيب: ٩١، ٣٤٦،
٣٧٠.

(٥) يفيد هذا الزبل وهذه الأرْمِدَة في علاج الكرم اليابس فإنه يورق وترجع إليه الحياة
(الفلاحة النبطية: ١٠٥١)، ويعالج به الكروم التي أصاب ساقها عقر أو رشح عارض أو
الورم الساعي أو استرخاء الكرم أو البرقان أو لدفع ضرر البرد والجليد (الفلاحة النبطية:
١٠٦١).

والزَّبَلُ الحُلُو^(١) أيضاً يركَّبُ من أخْثاء البَقَر، وأتبان الحُبوب،
وأوراق المَنَابِت الرُّطبة، والأشياء اللُّعابية^(٢) من المَنَابِت.

وصفَةُ عَمَلِ الأَزْبَالِ المُبرِّدة أَنْ يُخْلَطَ ما تيسَّرَ من أنواع الحَشَخَاشِ
البرِّيِّ والبُسْتَانِيِّ بورقها وشجرها^(٣) وعُرْوَقها، وتُعَفَّنَ بالأزبال.

وقيل^(٤): تُعَفَّنُ مع خُرءِ النَّاسِ، وأزْبَالِ الحَمِيرِ^(٥)، وأخْثاء البَقَر،
فيكون من ذلك زَبَلٌ نافعٌ^(٦) بمشيئة الله (تعالى) لجميع المَنَابِت التي يَعْرِضُ
لها آفات من الحِدَّةِ والحرارة، وللدَّاءِ المسمَّى "اليرقان"^(٧) و"التَّشْيِيط"^(٨)
العارض للشجر والبُقُول من إحراق الهواء الحار^(٩)، فَإِنَّهُ يَعْمَلُ في ذلك

(١) الزبل الحلو الذي يخلو من الخرافة والحرارة والحدة والإسخان القوي، ويغلب في تركيبه
الأتبان والأعشاب مع أخثاء البقر، وزبل الحمير والبغال.

(٢) الأشجار اللعابية التي يسيل منها ما يشبه لعاب الإنسان مثل الألبان والأصماغ والماء
الراشح.

(٣) الفلاحة النبطية: ٥٣٥: بورقها وحملها.

(٤) هذا القول في الفلاحة النبطية: ٥٣٥.

(٥) الفلاحة النبطية: روث الحمير.

(٦) الفلاحة النبطية: زبلاً نافعاً.

(٧) اليرقان: مرض يصيب الكروم والنباتات؛ فيصفّر ورقها وتيبس، وتتساقط ثمارها. انظر:

الفلاحة النبطية: ٢٩، ٣٠، ١٣٢، ٣٦٥، ١٠٥٣.

(٨) التشيط: الاحتراق من الزبل الحار ونقص الماء.

(٩) الفلاحة النبطية: الرديء الكيفية.

عَمَلًا قَوِيًّا نَافِعًا—إِنْ شَاءَ اللَّهُ (تعالى)— وَاَنْظُرْ كَيْفِيَّةَ تَرْكِيبِ الزَّبَلِ الْمَبْرَدِ
الْمُرْتَبِ^(١) فِي (فصل: زراعة الأرز، وتركيب زبل حارٍ في فصل: زراعة
السلق).

* * *

(١) الأزبال المبردة مكونة من سرجين البقر مخلط بورق القرع والبطيخ وتراب سحيق معفن.

[الـ] [فصل] [الثامن]

[علاج الأرض بالزبل]

ولا تُسْتَعْمَلُ هذه الأَزْبَالُ الحارَّةُ في الكُرُومِ لئلا تَحْتَرِقَ أَصُولُهَا، وَيَحْدُثُ فِيهَا الدَّاءُ الَّذِي تَبْسُ ثَمَرُهَا مِنْهُ^(١)، وَكَمَا لَا تُحْتَمَلُ الأَزْبَالُ الحارَّةُ المُحْرِقَةُ الأشجارَ والنباتَ؛ فَيُعْدَلُ بِهِ عَنْهَا إِلَى الأَثْبَانِ المَعْفَنَةِ، وَهِيَ أَثْبَانُ الحُبُوبِ المَأْكُولَةِ الَّتِي هِيَ أَغْذِيَةٌ، وَأَوْفَقُهَا لِلْكَرْمِ^(٢) تَبْنُ الباقِلَى، والشَّعِيرِ، وَالْحِنْطَةِ، وَهِيَ نَافِعَةٌ لِلْكَرُومِ، وَلَا يُتَخَوَّفُ مِنْهَا مَا يُتَخَوَّفُ مِنْ إِحْرَاقِ الأَزْبَالِ.

ومن كتابي أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن بصَّال^(٣)، والحكيم

أبي الخير^(٤)، وغيرهما في الزُّبُولِ، قالوا: إِنَّ الزُّبُولَ المُسْتَعْمَلَةَ فِي الفَلاحةِ سَبْعَةٌ أَنْوَاعٌ^(٥) - سَيَأْتِي ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (تعالى) - وَطَبِيعَةُ الزُّبُولِ عَلَى الْعُمُومِ: الحَرَارَةُ، والرُّطُوبَةُ. [وَالْعَتِيقُ مِنْهُ أَكْثَرُ رُطُوبَةٍ مِنَ الْحَدِيثِ،

(١) يقصد: البرقان.

(٢) وكذلك تبْنُ القَرعِ والبَطِيخِ والخَرَبِقِ والبقَالِ والفَجَلِ وورق الكَرَمِ نَفْسُهُ.

(٣) كتاب الفَلاحة لابن بَصَّال، ص ٤٩-٥٣.

(٤) كتاب الفَلاحة لأبي الخير الإشبيلي، ص ١٠-١١.

(٥) هَذَا قَوْلُ ابْنِ بَصَّالٍ، وَهِيَ: زَبَلُ الخَيْلِ والبَغَالِ والحَمِيرِ، والزَبَلُ الآدَمِي، وزَبَلُ الكَنَاسَاتِ، وزَبَلُ الغَنَمِ، وزَبَلُ الحَمَامِ، ورماد الحمامات، ثم المولد من زبول الحشيش والتراب. (ابن بصَّال، ص ٤٩).

والحديثُ أكثرُ حرارة؛ إلاَّ أنَّه غيرُ صالح ولا يستعمل إلاَّ بعد مضي عام فأكثر^(١)، ويُنْضِجُهُ إن أُحْتِيجَ إلى استعمال ذَرَقِ الحَمَام، والرَّمَاد أيضاً مُنْضِجٌ له -وسَيأتي كيفية العمل في ذلك، إن شاء الله (تعالى)-.

وأما ذَرَقِ الحَمَام، والدُّكْم^(٢)، واليَمَام فهو شديد الحرارة واليُبوسة^(٣)، وَعَتِيقُهُ وحديثُهُ سواء، ويُعَالَجُ به ما أَضَرَ به البَرْدُ من المَنَابِت. وخُرُّ الناس^(٤) يُعَالَجُ به ما أَضَرَ به الحرُّ منها. والزَّبَلُ يُرَطَّبُ الأرضَ المحترقة، ويُخْلَخِلُ الغليظة، ويُسَخِّنُ الباردة، وَيُسَمِّنُ المَهْزُولَةَ،

(١) ابن بصَّال: لا سبيل إلى استعمال شيء من الزبل إلا بعد عام وما يجاوزه إلى ثلاثة أعوام كان أفضل، ومتى استعمل قبل عام تولد منه حيوان يضر بالنبات. وقال أبو الخير: إذا ترك الزبل حولاً صار طيباً للحرث والأرض، ولا ينبغي أن تزل الأرض بزبل لم يأتي عليه أقل من عام واحد، فإنه لا ينفع، ولكنه يضر، وتولد منه دواب كثيرة (أبو الخير، ص ١١)، وانظر: الفلاحة النبطية، ٣٧٦.

(٢) الدلم: الفيل.

(٣) ابن بصَّال: زبل الحمام ذو حرارة مفرطة ورطوبة شديد، ولا يبوسة فيه بوجه وهو غياث النبات الذي قد ضعف من شدة البرد. وانظر: مفتاح الراحة، ص ١١٤.

(٤) ابن بصَّال (ص ٥٠): الزبل الآدمي طبعه الرطوبة واللزوجة ولا حرارة فيه، يوافق النبات لأنه رطب لا حرارة فيه ولا يبوسة، ويحيا به النبات المحترق، وهو

ويزيد الطَّيِّبَةُ طَيِّباً^(١).

والأْتَبَان^(٢): تبْنُ الْفُؤْلُ وَالشَّعِيرُ وَالْقَمْحُ يَنْفَعُ الْأَرْضَ إِذَا بُذِرَتْ
مَجْمُوعَةً أَوْ مَنْفَرَدَةً أَوْ مُعَفَّنَةً.

* * *

أَعْدَلَ مِنْ خَرِّ الطَّيُورِ، وَأَكْثَرَ إِسْخَانًا، فِيهِ مَنَافِعُ لكَثِيرٍ مِنَ الْأَشْجَارِ، وَالنَّبَاتِ
الصَّغِيرِ يَقْوِيهِ وَيَحْفَظُهُ مِنَ الْآفَاتِ (مِفْتَاحُ الرَّاحَةِ، ص ١١٢).

(١) ابْنُ بَصَّالٍ: وَتَحْيَا بِهِ الْخَضِرُ وَتَنْعَمُ. وَقَالَ أَنْطَرَلْيُوسُ (أَبُو الْخَيْرِ، ص ١١) وَالْأَرْضُ الطَّيِّبَةُ إِذَا
زَبِلَتْ زَكَ خَرَّاجُهَا.

(٢) هَذَا الْقَوْلُ ذَكَرَهُ أَبُو الْخَيْرِ الْإِشْبِيلِيُّ، ص ١١.

[الـ]... (فصل) [التاسع]

[ذرق الطير والأبعار والأرواث]

قال أبو الخير الإشبيلي^(١): أَمَّا ذَرْقُ الطَّيْرِ فَهُوَ سُمٌّ قَاتِلٌ لِلنباتِ، سوى ذَرْقِ الحمامِ فإنَّه أَفْضَلُ من غيره من الزُّبُولِ.

وطبيعة ذَرْقِ الحَمَامِ: الحرارة المَفْرِطَةُ، وفيه يُبْوسَةُ^(٢). وقال ابن بصَّال^(٣): هو ذو حرارة مفرطة ورطوبة شديدة، وقال أبو الخير الإشبيلي^(٤): وأضرُّ ذَرْقٍ بالنباتِ ذَرْقُ طيرِ الماءِ، والدَّجَاجِ والإوزِ.

وبذرق الحَمَامِ يَنْمَى النباتُ وَيَنْشَأُ سَريعاً بعد جُمُودِهِ، وإذا أوقفه البرْدُ والجَمْدُ ينهضُ بعد ثباتِهِ، فيُعَالَجُ بهِ محلولاً بالماءِ العذبِ، يُسَقَى بهِ، وهو يوافق جميعَ الشجرِ والخُضَرِ، وله خاصيَّةٌ عجيبةٌ في الحِنَاءِ^(٥)، وشجرِ الزيتونِ، ولا يُكثَرُ منه للحرارةِ [التي فيه]^(٦).

(١) قال أبو الخير (ص ١٠) أَفْضَلُ الزُّبُولِ خَرَّ الحمامِ، وكل سَرَقِينَ الطَّيْرِ جَيِّدٌ ما خلا طَائِرِ الماءِ كالْبَطِّ والإوزِ فإنَّها رَدِيئةٌ تَحْرِقُ الأَرْضَ وتَهْلِكُ النَباتَ.

(٢) ابن بصَّال: ولا يَبْوسَةُ فيه.

(٣) قول ابن بصَّال في كتابه، ص ٥١.

(٤) الفلاحة لأبي خير، ص ١٠.

(٥) الحِنَاءُ: شجرة الخَضَابِ. عمدة الطبيب، ص ٢٣٦.

(٦) قال ابن بصَّال: زيل الحمام لا يستعمل منه إلا اليسير؛ لأنَّه بمِزَلَةِ النارِ إذا غلبَ.

قال الشيخ ابن بصّال^(١): هو غِيَاث النبات إذا [ضعف] وَتَحَيَّرَ^(٢) من شدّة البرد، يُسَقَّى به محلولاً مع الماء، ولا يستعمل إلاّ عند الحاجة إليه. وقيل: إنه نافع للأرض الضعيفة، وإنّه في الدرجة الثانية^(٣) من الفضل لكثرة حرارته.

وقال قسطوس^(٤): كُلُّ خُرء الطير [ما خلا] البطّ، وغيره نافع لكلّ ما سُمِدَ به من الشجر والزّرع والعدس، وأنفعه وأذهبه لكلّ آفة تُصيبُ الشجر وغيره ذَرَقُ الحمام لشدّة حرّه. والتّسميدُ: هو التّزبيل. **وفي الفلاحة النبطية^(٥):** إنّ ذَرَق الحمام والوراشين والفواخيت والعصافير سواء.

(١) قول ابن بصّال في كتابه، ص ٥١.

(٢) الحور: الهلاك والتراجع، حار الشيء: نقص، وحور: اسود، وتخير النبات: هلك وفسد.

(٣) عده ينبوشاد (الفلاحة النبطية، ٣٧٧) في الدرجة الأولى، قال: أفضل السرقين كله خرء الحمام، ويتلوه خرء الناس. ثم سائر الطيور إلا طيور الماء.

(٤) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٧-١٣٨.

(٥) الفلاحة النبطية، ٣٧٣-٣٧٤؛ قال: أفضل السرقين على العموم هو خرء الحمام وخرء جميع الطير إلا طائر الماء والبط، وأكثر أهل بابل يخلط خرء الحمام والوراشين والفواخيت بحب الحنطة والشعير عند البذار، وقال ينبوشاد (ص ١٣٨٠) النخلة الحائل تعالج بزبل الحمام والوراشين والفواخيت والعصافير، يعفن ثم تزبل به النخلة.

وأما خُرء الإنسان، وهو زبل الكُنْف، قال أبو الخير الإشبيلي^(١):
يُسْتَعْمَلُ مَجْفَافاً مَسْحُوقاً، وطبعه الحرارة والرطوبة، واللزوجة.

وقال ابن بصَّال^(٢): طَبَعُهُ الرُّطُوبَةُ واللُّزُوجَةُ والحرارة فيه
متوسطة^(٣). وقيل: إِنَّ خُرءَ الإنسان إذا عَفِنَ فهو بارد رَطْب.

وقال أبو الخير الإشبيلي^(٤): زبل الإنسان إذا عَثَقَ في الكُنْف
وَفَنِيَتْ رطوبته [يصلح للزرع والشجر].

وقال ابن بصَّال وغيره^(٥): يَصْلَحُ زبل الإنسان لُبْقُول الصيف؛
مثل: القَرَع، والبادنجان، والرجلة^(٦)، والبَصَل، والقَبْطِيط، واليَرَبُوز^(٧)،
والحِنَّا بخاصية فيه لها، وكذلك للخس أيضاً.

(١) صاحب هذا القول هو ابن بصَّال (ص ٥٠)، قال: الزبل الآدمي طبعه الرطوبة واللزوجة.

وقال ينبوشاد (الفلاحة النبطية، ٣٧٤-٣٧٥) ينبغي أن يجفف خُرء الناس من رطوبته
حتى يسود ويخلط بتراب أحمر حر وأرمدة النبات حتى تذهب رائحته الكريهة.

(٢) الفلاحة لابن بصَّال، ص ٥٠، ومفتاح الراحة، ص ١١٣.

(٣) ابن بصَّال لا حرارة فيه ولا يبوسة.

(٤) قال أبو الخير الإشبيلي (كتاب الفلاحة، ص ٨٩): أفضل الزيول زبل ابن آدم العفن الذي قد قدم
وعتق في الكنف، وفنيت رطوبته، فإنه حار رطب تصلح به جميع الشجر والحبوب والمقاي.

(٥) الفلاحة لابن بصَّال، ص ٥٠.

(٦) الرجلة: هي البقلة الحمقاء أو البقلة المباركة.

(٧) اليربوز والجربوز (فارسية): هي البقلة اليمانية.

وهو يصلح للنخل، وله فيه خاصية عجيبة. ويحل بماء الصهريج^(١)، وتُسقى به الخضر، وهو أوفق ما يستعمل للخضر في فصل الحر، وهو ينفع فيه ولا يضره.

وأكثر النبات إذا جُرَّ، أو قَحَل، أو احترق^(٢) من الحر، يُحل [زبل الناس] بالماء، ويسقى به، فينفعه سريعاً.

وقيل^(٣): إن زبل الإنسان من أصلح ما زُبلت به الأرض، وأنه أدفأ الزبول.

[وقيل^(٤): إنه] أعقرها لكل نبت، ويضر الزرع.

وقيل: إنه يضر شجر الزيتون، وإنه ينفع الكروم نفعاً عظيماً.

وقيل: إنه في الدرجة الثالثة من الفضل.

(١) الصهريج: حوض كبير للماء يستخدم لجمع الماء، وتوزيعه على المزروعات.

(٢) ابن بصّال، ص ٥٠.

(٣) هذا قول أبي الخير الإشبيلي، كتاب الفلاحة، ص ٨٩.

(٤) قال قوثامي (الفلاحة النبطية، ص ٣٧٥): خرد الناس إذا خلط بغيره نفع، أما وحده فلا يستعمل في الكروم والزيتون ألبتة، فإنه يحدث في أصولها منابت رديئة جداً، ويضر بالزيتون والكروم ضرراً عظيماً.

وقيل^(١): إِنَّهُ تَالٍ لَذَرْقِ الْحَمَامِ.

وَأَمَّا الْأَبْعَارُ؛ مثل: بَعَرُ الضَّأْنِ، وَالْمَعَزُ^(٢)، وَالْإِبِلُ، وَالْغِزْلَانُ،
وَالْأَيَّائِلُ، وَالْأَكْدَاشُ^(٣)، قَالَ أَبُو الْخَيْرِ الْإِشْبِيلِيُّ^(٤): هَذِهِ الْأَبْعَارُ مُتْقَارِبَةٌ،
وَهِيَ حَارَّةٌ رَطْبَةٌ، وَهِيَ دُونَ ذَرْقِ الْحَمَامِ، وَلَا تُسْتَعْمَلُ حَتَّى تَعْفَنَ وَتَمُوتَ
زَرَارِيعُ الْأَعْشَابِ الَّتِي فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَعْفَنَ نَبَتَ تِلْكَ الزَّرَارِيعُ وَأَضْرَبَتْ^(٥).
و[أَنْ] تَكُونَ مُعَفَّنَةً أَنْفَعُ وَأَجْوَدُ لِلْأَرْضِ إِذَا كُرِّمَتْ بِهَا قَبْلَ زِرَاعَةِ الْحَنْطَةِ
وَالْقَطَانِيِّ فِيهَا.

وَيَصْلُحُ أَنْ تَكْرَّمَهَا الْأَرْضُ الْمُسْتَقَّةُ الرَّخْوَةُ الْبَثْرِيَّةُ.

وَإِذَا خُلِطَتْ الْأَبْعَارُ مَعَ غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الزُّبُولِ، وَعَفْنَتْ صُلِحَ
ذَلِكَ لِكُلِّ مَا يُزَبَّلُ بِهِ مِنَ الْخُضَرِ وَغَيْرِهَا.

(١) قَالَ صَغْرِيثٌ: خَرَّ النَّاسُ أَعْدَلَ مِنْ خَرَّ الدَّوَابِّ وَالطَّيُورِ وَأَكْثَرَ إِسْخَانًا لِأَنَّهُ الْطُّفُفُ
الْأَزْبَالُ كُلُّهَا، وَهُوَ دَوَاءٌ جَلِيلٌ يَدْفَعُ الْهُوَامَ وَالْدَّبِيبَ عَنِ الْبَقُولِ وَالْأَشْجَارِ. (الْفَلَاحَةُ
النَّبَطِيَّةُ، ص ٣٦١).

(٢) هِيَ مَعَزٌ وَمَعَزٌ، مَفْرَدُهَا: مَاعِزٌ وَمَعَاةٌ وَمَعَزَى وَجَمْعُهُ أَمْعَزٌ وَمَعِيزٌ.

(٣) الْأَكْدَاشُ: الْبَغَالُ، مَفْرَدُهَا: الْكَدِيشُ: الْفَرَسُ غَيْرُ الْأَصِيلِ (الْبَغْلُ).

(٤) قَوْلُ أَبِي الْخَيْرِ الْإِشْبِيلِيِّ ذَكَرَهُ ابْنُ بَصَّالٍ فِي كِتَابِهِ، ص ٥٠.

(٥) قَالَ ابْنُ بَصَّالٍ: يَكْثُرُ فِيهِ الْعُشْبُ إِذَا اسْتَعْمَلَ قَبْلَ التَّعْفِينِ لِأَنَّ الضَّأْنَ يَسْتَكْثِرُ مِنْ أَكْلِ
الْحَشِيشِ فَلَا يَنْضِجُ فِي بَطُونِهَا، فَتَلْقِيهِ فِي بَعْرِهَا عَلَى الْأَرْضِ كَمَا أَكَلَتْهُ.

قال قسطوس^(١): أجود الأبقار بعر النعاج والمعز، ثم أخشاء البقر، وأبقار الإبل نافعة في كل ما سمد بها^(٢).

وقيل: إن بعر المعز في الدرجة الرابعة في حرارته، وبعر الضأن^(٣) دونه في القوة، وبعده أرواث البقر.

وقال أبو الخير الإشيلي^(٤): وأما زبل الخنازير فريء للنبات، وهو له سم قاتل.

قال غيره^(٥): سماده رديء لكل ما سمد به إلا اللوز المر؛ فإنه يحلو به.

(١) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٨.

(٢) الفلاحة الرومية: أما تُلط الخنازير فإنه رديء يحرق كل ما سمد به غير شجر اللوز المر.

(٣) قال ينيوشاد: بعر الضأن أدسم الأزبال كلها، وأصلحها للأرض المالحة والمرة، والحادة والحامضة. وقد فضل قوم أخشاء البقر على المعز والضأن وجعلوه يتلو زبل الحمير.

(٤) قول أبي الخير ذكره ابن بصّال (ص ٤٩)، قال: زبل الخنازير وطائر الماء كالسم، فالقلييل منهما يهلك الكثير من العشب. وزعم طماثرى أن زبل الخنازير مواز لزبل الحمام والطيور.

وقال أبو الخير (الفلاحة، ص ١١) زبل الخنازير يهلك كل ما دنا منه.

(٥) هذا قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٨.

وأما أرواث الدواب، مثل: الخيل والحمير والبغال، قال أبو الخير^(١): هو جنس واحد، وطبعها الحرارة والرطوبة، وهو زبلٌ محمودٌ إلا أنه دون ما سمينا قبل هذا، ويستعمل كما هو قبل أن يُنقَى مما اختلط به من التبن والحشيش، والحجارة والعظام، وشبه ذلك.

قال ابن بصّال^(٢): هو زبلٌ محمودٌ، يُستعمل وحده بعد تنقيته، ولا يستعمل إلا بعد التعفين في فصل الشتاء وحده في مصاطب القرع والبادنجان والخيار، والقرقاس، وشبه ذلك خاصة يستعمل في ذلك الروث طرياً كما هو.

قال قسطوس^(٣): أجود أرواث الدواب للسّماد أرواث الحمير، ثم أرواث البغال والخيّل.

وقيل: إنّ أجود الأرواث أرواث الخيل والبغال والحمير.

وقيل^(٤): إنّ أضعف الأرواث أرواث الخيل والبغال إذا كان محضاً.

(١) هذا القول ذكره ابن بصّال في كتاب الفلاحة، ص ٥٢.

(٢) ابن بصّال، كتاب الفلاحة، ص ٤٩.

(٣) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٨.

(٤) هذا رأي طماترى الكنعاني قال: الأزبال الضعيفة: زبل البغال والخيّل إذا خالطت الأزبال القوية غلب القوي على الضعيف فجوده، فصارت نافعة جيدة (الفلاحة النبطية، ص ٣٧٦).

قال^(١): وإذا خُلِطَ بزبل حارّ صلّح، وقال أيضاً^(٢): الزّبل المخلوط من أرواث الدّواب والأبعار، وخرّء الطير هو أفضل ما سُمّدَ به شجر الزيت.

والزّبل المؤلف من كناسات الدّور، **قال أبو الخير^(٣):** هو أدناها، إلّا أنّه إذا عفن وقطع ونُقّي، ومضى عليه الحول صحّ للشجر والخضر والزّرع، وله خاصيّة في الرّجّلة^(٤) وهي الفرّج^(٥)، وفي اليربوز^(٦)، وفي البقّلة اليمانيّة، وفي السّرمق^(٧) وهو القطف، وفي بقلة الأنصار^(٨)، وهو الكرّنب، وفي الملوخية وشبه ذلك.

وقال ابن بصّال^(٩): الزّبل المضاف هو ذو حرارة ورطوبة،

(١) الفلاحة النبطية، ص ٣٧٦.

(٢) الفلاحة النبطية، ص ٣٧٥.

(٣) قال أبو الخير: زبل الكناسات شر أنواع الزبول وأردأها (كتاب الفلاحة، ص ٩٠-٩١).

(٤) الرّجلة: هي البقلة الحمقاء.

(٥) الفرّج: هي البقلة الحمقاء أو المباركة أو لارجلة.

(٦) اليربوز والجربوز: هي البقلة اليمانية.

(٧) السرمق: هي البقلة الذهبية أو القطف وتسمى بقلة الروم أيضاً والريحان اليماني.

(٨) بقلة الأنصار قيل هي السلق، وقيل: هي الكرنب الدوري وهو الأصح (عمدة الطبيب، ص ١٢١).

(٩) قول ابن بصّال في كتابه، ص ٥٠.

ومُلُوحة ولُزوجة^(١)، ويقومُ قليلُهُ مقامَ كثيرٍ من غيره، ولا يُستعملُ إلاّ بعد أن يمضي عام من وقت جمعه^(٢)، وبعد تنقيته^(٣)، وإن استعملَ قبل ذلك تولّد منه عشبٌ وحيوانٌ يضرّان بما يجاورهما. ولا ينفع كثير نفعٍ إلا بعد مضيّ العام [عندئذٍ يصيرُ] من أفضل الزُّبول، وأشدّها موافقةً للأرض، لأنه إذا مضى عليه الحَوْل اعتدلت كِفَايَتُهُ^(٤)، وهو بعد عامين يكون حَسَنًا.

قالوا^(٥): وأفضل ما تكون الأزبال كلها بعد ثلاثة أعوام، وحينئذ تصُلحُ لكل نبات، ولكل نوعٍ من الأرض الرَّملة.

وقيل^(٦): إن أضيف إلى الزُّبُل الحديث مثل ثُلثِهِ، وقيل: سُدُسُهُ من رماد الحمّامات أسرع في تَعْفِينِهِ، وأَصْلَحُهُ.

(١) قال بعدها: ولأجل هذه القوى المجتمعة فيه صار من أفضل الزبول وأشدّها موافقة للأرض والماء؛ لأجل اللزوجة التي فيه.

(٢) ابن بصّال: إلى ثلاثة أعوام.

(٣) التنقية: إزالة العشب الذي ينبت في الزبول، وكذلك الحجارة والعظام.

(٤) ابن بصّال: لأن أجزاءه مختلفة الأجناس، لا تأتلف إلا بعد مكث طويل، تنضج فيه أحلاطه وتعتدل.

(٥) هذا قول أبي الخير الإشبيلي، وابن حجاج وابن بصّال، وصاحب الفلاحة النبطية. انظر مثلاً: ابن بصّال، ص ٤٩، ٥٢.

(٦) قال ابن بصّال: يؤخذ حمل من زبل مضاف، ويضاف إليه ثلاثة أحمال من التراب ويخلطان معاً، ويتركان عاماً كاملاً، فإنه يأتي زبلاً جيداً بعد العام.

وأما زبل الحمامات، قال أبو الخير^(١): هو زبل مختلط بأرْمَدَة، وكناسة، وهو مالح ويابس، عديم الرطوبة، لا يُستعمل وحده إلا لتحلية الأرض الغليظة^(٢)، فيفتح مسامها إذا كانت خشنة أو حرشاء أو غليظة.

وهو غير موافق للخضر، ولا يصلح أن يستعمل وحده^(٣) إلا بعد مرور الحول عليه وأكثر؛ ليرطبه^(٤) الهواء، وتقل بريقه حرارته، وله خاصية قتل الحيوانات المتولدة في الأرض، من قبل خمج أو عفونة، مثل الدود والجعلان^(٥)، وشبه ذلك مما يفسد أصول النبات.

قال ابن بصّال^(٦): رماد الحمامات ذو يئوسة ومُلوحة، ولا رطوبة فيه، وهو يدفع مضرّة الحيوانات المتولدة في البساتين وغيرها في عُروق الأرض، والدّيدان وشبهها^(٧)، وذلك بأن يُفرش منه في الأحواض فرشة

(١) قول أبي الخير بتمامه ذكره ابن بصّال في كتاب الفلاحة، ص ٥١.

(٢) ابن بصّال: الحرشاء.

(٣) قال ابن بصّال (ص ٥١): لأنه أشبه بالحيوان الميت الذي فارق الروح، لأنه لا يتركب من الطبايع إلا إذا خلط مع غيره من الأزبال عندئذ يصلح وتتكون فيه رطوبة.

(٤) ابن بصّال: إذا طال مكثه ألف الهواء، وفارق تأثير النار.

(٥) باريس ومدريد: والطرطان.

(٦) قول ابن بصّال في كتابه، ص ٥١.

(٧) دفع مزار الحيوان المتولد في البساتين، قضية عاجلها ابن بصّال في موضع آخر من كتابه (ص ١٧٣)، والمؤلف ينقل من موضعين متباعدين.

نحو غَلْظِ الْكَفِّ^(١)، ويُجْعَلُ الزَّبْلُ فوقه، ثم نَزَرَ الزَّرِيعَةَ في تلك
الأَحْوَاضِ، فإن الحيوان إذا رأى النباتَ يُلقَى الرَّمَادُ دونه يَفِرُّ منه، فيصير
الرَّمَادُ حِجَاباً بَيْنَهُ وبين ذلك النبات. والرَّمَادُ يُحَلِّلُ^(٢) الأرض الرَّقِيقَةَ حتى
ترق وتَسْلَسُ. وقيل^(٣): الرَّمَادُ حَارٌّ يدفعُ البردَ عَمَّا سُمِّدَ به.

ومن كتاب ابن حجاج (رحمه الله)؛ قال يוניوس^(٤): الرَّمَادُ خَيْرٌ
لِلْبَقْلِ من جميع السَّرَجِينَ؛ وذلك أَنَّ الرَّمَادَ لطيفٌ، شديدُ الحرارة في
طَبْعِهِ، فهو يَعْدُو الْبَقْلَ وَيَقْتُلُ الدُّودَ، وسائر الهَوَامِ التي تتولَّد في الأرض من
السَّرَجِينَ وغيره.

قال ابن حجاج (رحمه الله)^(٥): هذا وَهْمٌ من يוניوس؛ لأنَّ الرَّمَادَ
شديدُ اليُبْسِ جدًّا، وإنَّ كان حارًّا فهو عديم الرُّطوبَةِ، فإذا بُذِرَ في أرضٍ

(١) ابن بصَّال: غلظ الإصبع.

(٢) ابن بصَّال: يحلِّي الأرض. وقال أنطربليوس: الأتبان تصلح الأرض المالحة وتحليها.

(٣) قال أبو الخير الإشبيلي: جميع الزبول حارة يابسة، وهي مختلفة في قواها وجواهرها، وقوام
التراب بارد يابس، والزبل يدفعه، ويذهب البرودة عنه. وقال: الأرض إذا لم تزل بردت،
وإن كثر زبلها فوق ما تحتاج إليه احترقت (الفلاحة، ص ١١).

(٤) قول يוניوس حرفاً فحرفاً في المقنع، ص ١١٢.

(٥) رد ابن حجاج على يוניوس في المقنع أيضاً، ص ١١٢.

هزلت ورقّت، وقَلَّتْ رُطُوبُهَا، وليس لِوَضْعِهِ فِي الْأَرْضِ مَعْنًى إِلَّا لِقَتْلِ
الهُوَامِ وَالْدُّودِ خَاصَّةً^(١).

وينبغي إِذَا طُرِحَ فِي الْأَرْضِ أَنْ يُخْلَطَ مَعَهُ زَبْلٌ^(٢) مَعْفَنٌ لِيُدْفَعَ
مَضَرَّةُ يُنْسِهِ.

قال كَسِينُوس^(٣): أَفْضَلُ مَا تُزَبَّلُ بِهِ الْبُقُولُ الرَّمَادُ لِحَرَارَتِهِ، وَقَتْلُهُ
الدُّودَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، ثُمَّ ذَرَقَ الْحَمَامَ -يَلِيقُ بِهَا أَيْضاً وَلَا
يُكْثَرُ مِنْهُ- وَبَعَرَ الْغَنَمَ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَزْبَالِ فَيَسْتَعْمَلُ عِنْدَ
الاضْطِرَارِّ إِلَيْهَا، وَلَا يَكُونُ الزَّبْلُ رَطْباً فَإِنَّهُ يُولَدُ الْهُوَامُ وَالْدُّودُ^(٤).

وقال قوثامي في الفلاحة النبطية^(٥): بَعَرَ الْغَنَمَ، وَأَخْتِأَ الْبَقَرَ
يَصْلُحَانِ لِلزَّرْعِ، وَرُوثُ الدَّوَابِّ لِلشَّجَرِ، وَزَبْلُ الْإِنْسَانِ لِلنَّخْلِ، وَذَرَقَ
الْحَمَامَ^(٦) يُوَافِقُ جَمِيعَ الْأَشْجَارِ، وَإِنْ خَلَطَ بِالْبُذُورِ، وَزُرِعَتْ مَعَهُ فِي

(١) المقنع: فمجراه مجرى الدواء القاتل للحيوان.

(٢) المقنع: زبل طيب متعفن.

(٣) قول كسينوس باسوس سقط من كتاب المقنع المنشور.

(٤) قال أبو الخير الإشبيلي (كتاب الفلاحة، ص ١١): الزبل الحديث الرطب تتولد منه دواب كثيرة.

(٥) الفلاحة النبطية، ص ٣٦٣-٣٧١.

(٦) ذرق الحمام يوافق الشجر وينميه ويقويه ويعينه على إنبات الثمر وتكثيره، وينفع الأرض الضعيفة، ويقتل الحشيش، ويطرده الدود والهُوَامُ والفئران من الأرض.

الأرض النَّدِيَّة المتطامنة^(١) نَفَعَ البُذُورَ جَدًّا. وأما في الأرض الجافَّة فلا فَضْل فيه.

وقد تُسْتَعْمَلُ زُبُولٌ عندَ عَدمِ وُجُودِ غيرها. ولذلك صفات منها ما ذكر ابن بصَّال^(٢) وأبو الخير [قالا]: يُجْمَعُ بين تَبْنٍ بَالٍ، وما في قيعان بيوت التَّبنِ، وحشيش مُقَطَّعٍ، ويجمع ذلك في حُفْرَةٍ على قَدْرِهِ، ويخلط معه رماد^(٣).

وقال أبو الخير^(٤): وترابٌ، ويُعْطَى ذلك بتراب قليل، ويُرَشَّ بالماء الحارَّ - إن أمكن - أو الماء البارد مراراً إلى أن ينزل عليه ماء المطر، ويُرَشَّ أيضاً بأبوال الناس - إن أمكن - ويُتْرَك إلى أن يمضي عليه حَوْلٌ. ويُقَلَّبُ مراراً، ويُقَطَّعُ مراراً، ويُنَقَّى ممَّا يخالطه من الحجارة وغيرها، ويكثر تحريكه، فذلك أسرع لعفنه ونُضْجِه، وخروج أبخرة رديئة منه، ويُستعمل بعد الحَوْلِ، وهو موافق للشجر والخُصَرِ في جميع الفصول، وهو أنفعُ الزُّبُولِ للشجر والزيتون.

قال ابن بصَّال^(٥): الزُّبُلُ المؤلَّفُ أقوى منه.

(١) المتطامنة: المنخفضة.

(٢) ابن بصَّال: كتاب الفلاحة، ص ٥١-٥٢، وسمَّاه: الزبل المضاف.

(٣) ابن بصَّال: أي رماد أمكن من رماد الحمامات والأفران وغيرهما.

(٤) أبو الخير الإشبيلي: كتاب الفلاحة، ص ١١.

(٥) قال ابن بصَّال: إلا أن الزبل المضاف أقوى منه على كل حال. (الفلاحة، ص ٥٢).

صفة أخرى^(١): يُخَلَطُ أنواع من الزُّبُول في حُفْرَةٍ، ويُجْعَلُ عليها رماد^(٢)، ويُروى بالماء العذب^(٣)، ويُقَلَّبُ مرَّاتٍ حتى يَعْفَنَ.

وهو زبلٌ جيّدٌ للزَّيتون والضُّبَّار^(٤)، وإن أُضِيفَ إلى وِقْرِ^(٥) منه ثلاثة أوقار من التُّراب، وخُلِطاً معاً، فذلك جيّدٌ للزَّرْع.

صفةٌ أخرى: قال ابن بصَّال^(٦): يؤخذ من الزُّبُل المضاف المؤلَّف قَدْرَ حمل.

وقال غيره^(٧): من أيِّ زبلٍ كان جزءاً قَدْرَ حَمَلٍ أو أكثر، ويُخَلَطُ معه ثلاثة أمثاله من تراب.

(١) هذه الصفة ذكرها ابن بصَّال، ص ٥٢-٥٣. وذكرها أيضاً أبو الخير الإشبيلي، ص ١١.

(٢) أبو الخير: رماد التنانير. المقنع: رماد التنانير أيضاً.

(٣) أبو الخير: الماء العذب وأبوال الناس. وكذلك هو في المقنع.

(٤) أبو الخير: جيد للزيتون والثمار. والصواب: الضبار: شجر كالبلوط، جزل الحطب، قيل: هو القرظ، وقيل: هو العفص. عمدة الطبيب، ص ٥٤٤.

(٥) الوقر: الحمل الثقيل. المقنع: كل وقر (وهو تصحيف) الوقر: النقرة في الحجر.

(٦) ابن بصَّال: الزبل المولد: يؤخذ حمل من زبل مضاف، ويضاف إليه ثلاثة أحمال من التراب.

(٧) المقنع، ص ١٠.

قال أبو الخير^(١): وجزء واحد من رماد، وجزء من رمل، ويُقَطَّع^(٢) ويُخَلَط بالتقطيع نَعْمًا، ويُتْرَك حتى يمضي عليه حَوْل، ويُرَشَّ مرَّات بالماء البارد أو الحارَّ، إن لم ينزل عليه المطر، ويقطَّع مرَّات؛ فإنه يَنْقَلِبُ زَبَلًا جَيِّدًا، ويستعمل في كلِّ ما يُحْتَاج فيه الزَّبَل.

صفة أخرى: قال ابن بصَّال^(٣): يُؤْخَذُ من ذَرَقِ الحَمَامِ حَمْلٌ واحدٌ، ومن التُّرابِ عشرون حملاً.

وقال أبو الخير^(٤): ومن نوى الزيتون حمل واحد، ويُخَلَط الجميع، ويُقَطَّع مرَّارًا، فإنه ينقلبُ كُلُّه زَبَلًا طَيِّبًا عَجِيًّا نافعًا للشجر والخضر، ويستعمل بعد مضي حَوْل.

قال قسطوس^(٥): إِنِّي جَرَّبْتُ في الزَّبَلِ شيئًا لم تذكره النَّبَطُ ولا غيرهم، وذلك أَنِّي أَخَذْتُ من هذه الزُّبُولِ المشهورة، وأَحْرَقْتُهَا بالنَّارِ حَتَّى صَارَتْ أَرْمِدَةً، واستعملْتُهَا فوجدْتُهَا في نهاية الجُودَةِ والصِّحَّةِ للشجر والخضر.

(١) قول أبي الخير في كتاب الفلاحة، ص ١١، والمقنع، ص ١٠.

(٢) أبو الخير: يفتت.

(٣) ابن بصَّال، ص ٥٣، وهو في المقنع، ص ١٠، وكتاب أبي الخير، ص ١١.

(٤) قول أبو الخير هذا سقط من النسخة المطبوعة (فاس، ١٣٥٧هـ).

(٥) قول قسطوس ساقط من كتاب الفلاحة الرومية، ولم يذكره ابن حجاج في المقنع.

لي^(١): يُشبهه أن يكون رَمَاد الحَمَامَات التي تحترق فيها الزُّبُول بهذه الصِّفَة.

قال ابن بصَّال^(٢): قالوا: لَا يُسْتَعْمَلُ زَبْلٌ قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ لَهُ عَامٌ، غَيْرَ أَنَّ مِنْ أَحَبِّ اسْتِعْمَالِهِ قَبْلَ تَمَامِ الْعَامِ، فَيَجْمَعُ مِنَ الزَّبْلِ مَا أَحَبُّ، وَيَجْعَلُهُ فِي مَوْضِعٍ، وَيُسَوِّيهِ فِيهِ، وَيَحْفَرُ فِي وَسْطِهِ حُفْرًا مَفْتَرَقَةً، وَيُعَمِّقُهَا قَلِيلًا، وَيَجْعَلُ فِي كُلِّ حُفْرَةٍ مِنْهَا مِنْ ذَرَقِ الْحَمَامِ جِزَاءً عَلَى عَشْرِينَ مِنَ الزَّبْلِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَيُعْطِيهِ بِالزَّبْلِ، وَيَتْرَكُهُ كَذَلِكَ شَهْرًا فَإِنَّهُ يَنْضُجُ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ.

لي^(٣): جَمَعْتُ فِي الْقَصْرِ^(٤) زَبْلًا مَوْلَفًا مِنْ أَرْوَاثِ الدَّوَابِّ، وَكُنَاسَاتِ^(٥) الدِّيَارِ، وَتَرَابًا أَسْوَدَ مِنْ قِيَعَانِ الْمَزَابِلِ، وَرَمَادًا، وَفَرَشْتُهُ فِي [مَكَانٍ] وَاحِدٍ وَاسِعٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الْغَيْثُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ قُطِعَ

(١) فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةُ: (لِي)، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا التَّعْلِيقَ لِابْنِ الْعَوَّامِ.

(٢) كِتَابُ الْفَلَاحَةِ، ص ٥٢، قَالَ ابْنُ بَصَّالٍ: مَنْ أَرَادَ اسْتِعْجَالَهِ قَبْلَ تَمَامِ الْعَامِ فَلْيَنْضِجْهُ بِزَبْلِ الْحَمَامِ.

وَقَالَ: يُؤْخَذُ زَبْلُ الْحَمَامِ وَيَطْرَحُ فِيهِ عَشْرُونَ حِمْلًا مِنْ تَرَابٍ، وَيَتْرَكُ عَامًا، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِزَبْلِ جَيِّدٍ.

(٣) هَذَا قَوْلُ ابْنِ الْعَوَّامِ.

(٤) يُشِيرُ ابْنُ الْعَوَّامِ هُنَا إِلَى خِدْمَتِهِ فِي قُصُورِ الْمُرَابِطِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ دُونَ تَعْيِينِ.

(٥) الْكُنَاسَةُ: الْقِمَامَةُ، وَالْجَمْعُ: كُنَاسَاتٍ.

(وهو رَطْبٌ من ماء الغَيْث) بالمَسَاحِي^(١)، وَنُقِّي مِمَّا خَالَطَهُ مِنْ حِجَارَةٍ
وغير ذلك، وَكُومٌ أَكْوَامًا، وَدُرُسٌ بِالْأَقْدَامِ نَعَمًا^(٢)، وَبَعْدَ لَيْالٍ قُلِّبَتْ،
وَتَشَقَّقَتْ تِلْكَ الْأَكْوَامُ، وَتَهَرَّأَتْ^(٣)، وَصَارَ الْكُلُّ فِي قَوَامٍ ذَرَقِ الْحَمَامِ
وَلَوْنُهُ، يَفُوحُ مِنْهُ رِيحُهُ، وَطَرَحَتْهُ فِي أَصُولِ شَجَرِ الزَّيْتُونِ: الْأَصْلُ الْكَبِيرُ
نَحْوُ نِصْفِ حِمْلٍ صَغِيرٍ، وَالْوَسْطُ وَالصَّغِيرُ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ، فَرَأَيْتُ لَهُ مَنَفْعَةً
عَظِيمَةً، وَبَرَكَاةً كَثِيرَةً فِي كَثْرَةِ حِمْلِ الزَّيْتُونِ، وَوَالَيْتُ ذَلِكَ أَغْوَامًا كَثِيرًا،
فَحَمَدْتُه، وَقَامَ الْقَلِيلُ مِنْهُ مَقَامَ الْكَثِيرِ مِنَ الزَّبَلِ الْمَفْرَدِ.

* * *

(١) المسحاة: أداة من حديد ويدها من خشب تقطع بها التربة وتفتت وتقشر، والجمع: مساح.

(٢) نَعِمَ الشَّيْءُ يَنْعَمُ نَعَمًا وَنَعْمَةً وَنَعِيمًا: لَانَ وَنَضِرَ وَرَقَ، وَنَعْمُ نَعُومَةٍ: صَارَ نَاعِمًا لِينًا.

(٣) مدريد: ونثرت، باريس: ونهرت. المتحف: تهرت. والصواب: تهرأت: نضجت، ومنه هَرَى اللحم هَرَاءً وَهَرَاءً وَهَرُوءًا نَضِجَ أَشَدَّ النَضِجِ.

[الـ]... (فصلُ) [العاشر]

[وقت التزويل]

وَأَمَّا وَقْتُ التَّزْوِيلِ مِنَ الشَّهْرِ الْعَرَبِيِّ،

قال قوثامي في الفلاحة النبطية^(١): ينبغي أن لا [يُسَرَّجَنَ] زَرْعٌ ولا نُحْلٌ ولا شَجَرٌ، ولا شيء من المنابت الصَّغار في أول يوم من الشهر، ولا بعده إلا أن يجوز القَمَرُ استقبال الشمس^(٢)، فإذا جَاوَزَ ذلك فلتُزَبَّلْ الأرض والمنابت كلها في نقصان القمر [من الضوء] وذلك من اليوم السادس عشر من الشهر القَمَرِيِّ إلى آخره.

وقيل^(٣): تُزَبَّلُ الكُرُوم في زيادة ضوء القمر، وذلك من أوله إلى نصفه، فيبين نفعه لها. وإنْ فَعَلَ ذلك في نقصان ضوءه لم يبين نفعه لها. وفي ليلة امتلاء القمر يظهر من القُوَّة، والنمو، والزيادة في الحُسْن والمنظر في النَّبَاتِ ما يتبين، ولا يَخْفَى.

وَأَمَّا وَقْتُ التَّزْوِيلِ مِنَ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ فَذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي فصول هذا الكتاب فيما بعد — إن شاء الله (تعالى) — في الباب الجامع.

* * *

(١) الفلاحة النبطية: ٣٧٧.

(٢) قول قوثامي: والعلة في هذا أن الزبل إذا وقع في الأرض، والقمر زائد في الضوء أنبتت الأرض حشائش كثيرة. وإذا كان الضوء ناقصاً لم تنبت الأرض شيئاً من الحشائش.

(٣) هذه أقوال ماسي السوراني في الفلاحة النبطية: ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠.

[الـ]... (فصل) [الحادي عشر]

[ما يحتمل الزبل وما لا يحتمله]

قد تقدّم أنّ من الأشجار والخُضَر ما لا تحتملُ الزُّبْلَ، ومنها ما تحتمله؛ فأما ما لا تحتملُ الزُّبْلَ من الأشجار والخُضَر، ولا تحتاج إليه.

[قال قوثامي] في كتاب الفلاحة النبطية^(١): أمّا الأشجار التي لا

تحتاج إلى تزييل، ولا إفلاح فالجوز^(٢)، والبُنْدُق، والأثل، والخَرْبُوب الشامي، والبلوط، والشّاه بلوط، والغار، وشجر الحبة الخضراء^(٣)، والزيتون البرّي (وهو اللطيف الحمل)^(٤)، والورد، وما أشبه هذه ممّا يَنْبُتُ في البراري كثيراً لنفسه، وما طبيعته خَشِنَةٌ غليظة، وما توافقه الأرض الغليظة الخَشِنَةُ منها—فإنّها لا تحتاج إلى تزييل، وإن زُبِلَت ببعض الأزبال التي ذكرنا كان ذلك نافعاً لها، وإن لم تُزَبَل لم تحتج إليه؛ لأنّ الأرض الحرّة والصُّلْبَةَ والبيضاء الجُصِّيَّة توافَق ذلك الشجر، ويقوَى فيها، ولا يحتاج إلى تعاهدٍ وإفلاح، وإن استُعمل التَّعَاهُدُ والإفلاحُ فيها كان أصلح لها.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٦٨.

(٢) الفلاحة النبطية: مثل شجرة إبراهيم وشجرة الجوز والبندق والشربين والأثل والخور.

(٣) الحبة الخضراء: هي البطم.

(٤) الفلاحة النبطية: اللطاف الحمل.

قال قوثامي^(١): جميع الأشجار التي لها دهن لا تحتاج إلى تزييل، وإن زُبِلَت نَفَعَهَا الزَّبِل ولم يَضُرَّهَا.

وهي تقبل التركيب دون غيرها من الأشجار التي لا تحمل الزَّبِل^(٢) [مثل]:

الرَّيْحَان، والياسمين، والأُثْرَج، والنَّارَنْج، والمَوْز —والتي يُهْلِكُهَا الزَّبِل من الأشجار، وهي كَالسَّمِّ لها: السَّفَرَجَل وحبّ الملوك، والتفّاح، والورد، والرَّند، والصَّنَوْبَر، والمُشْمُش، وذوات الصُّمُوغ^(٣) كلها يفسدُهَا الزَّبِل.

(١) لم نعثر على قول قوثامي في الفلاحة النبطية.

قال ابن حجاج في المقنع (ص ١٠)، الأرض السمينية لا تحتاج إلى كثرة زبل.

وعدد قوثامي الأشجار التي لا تحتاج إلى تزييل (الفلاحة النبطية: ٣٦٨).

وقال: الأرض الحرة الصلبة والبيضاء الجصّية... لا تحتاج إلى تعاود وإفلاح.

وقال (ص ٣٧٣): الأرض الطيبة لا تكاد تحتاج إلى تزييل.

(٢) قال ينبوشاد في الفلاحة النبطية: ١٤٣، الآس وهو سيد الرياحين ليس يحتاج إلى إفلاح وخدمة إذا كانت أرضه نقية من الدغل والحشيش.

(٣) ذوات الصموغ: البرقوق واللوز وعيون البقر والخوخ.

وأما ذوات الأدهان: الزيتون والرند واللبان والضرو.

وذوات الألبان مثل التين والدفلى.

ومن الخُضَرِ والريَّاحين التي يفسدها الزَّيل: الموز، والمَرْدَقُوش^(١)،
والبنفسج، والنَّعْنَعة، والريَّحان، والبَادِرُوج^(٢).
ومن الخُضَرِ: الفِجْل، واللَّفْت والجزر.
ومن الأشجار التي تحمل الزَّيل: الزَّيتون، والتَّين، واللوز، والنَّخل،
والكُمَثْرَى، والرُّمَّان، والأعْنَاب، والفُسْتُق، وما أشبهها.

* * * * *

(١) هو مردقوش ومرزنجوش ومردكوش: هو السمسق والعنقر.

(٢) البادرُوج: هو الحبق الصعترى المسمى شاهسفرم.

الباب الثالث في المياه

[الفصل الأول]

[في أنواع المياه المستخدمة في السقي]

"في أنواع المياه المستعملة في سَقْي الأشجار والخُضَر، وما يوافق من أنواع المياه كلَّ نوعٍ من أنواع الخُضَر، وكيفية العمل في فتح البئر في الجنات؛ لسقيها وتعديل أرضها لجري الماء منها وإليها، وذكر ما يُستدلُّ به على قُرب الماء من وَجْه الأرض، وبُعده عنها، وما يشبهه في معناه، وهو لاحقٌ به"

قال قوثامي في الفلاحة النبطية^(١): الماء المَشْرُوبُ المحمودُ هو الذي يُقال عليه إنه "العذب" وهو الذي لا يغلبه طعمٌ يُضَافُ إليه. والعذوبة هي الطعمُ التَّفَّهُ^(٢)، والماءُ المرُّ هو شرُّ^(٣) المياه، ثم الماءُ المالحُ الزُّعَاقُ^(٤)، ثم القابضُ العَفْصُ، ثم ما غَلَبَ عليه طعمُ بعض المَعَادِنِ^(٥).

(١) قول قوثامي في الفلاحة النبطية: ٨٧.

(٢) الفلاحة النبطية: وقد يخرج عن هذا الطعم العذب التفه إلى طعوم مختلفة، بحسب أصل مخرجه من العيون النابع منها، ومقدار جريه على التراب.

(٣) الفلاحة النبطية: أشر.

(٤) قال هو من الرداءة والضرر أن شاربه لا يروى ويزداد عطشه.

(٥) الفلاحة النبطية: ثم الكبريتي، ثم الرصاصي، ثم النحاسي، ثم الزاجي، ثم البورقي، ثم التطروني ثم العفن.

قال أبو الخير الإشيلي^(١): الماء ستّة أنواع^(٢)، منها:

الماء العذب؛ وهو أخفُّها وزناً، وأوفقُها لتغذية الناس والنبات.

وماء المطر؛ وهو الماء المبارك، وهو يصلح لسقي ما لَطُفَ من
النبات؛ مثل: الزَّرْع والقَطَاني، وجميع الخُضَر التي تقومُ على ساق واحدة،
مّا أَصْلُهُ قريب من وجه الأرض، وهو يصلح لسقي أبقال^(٣) الأشجار،
وهو يُرَيِّبها.

قال ابن بصّال^(٤): هو أحمدُ المياه وأفضلها، يجودُ به جميع النبات
لعذوبته^(٥) ورطوبته، ويجودُ به الكُرْنُب^(٦) والقَطَف^(٧) والباذنجان وشبَّهها.

(١) قول أبي الخير سقط من كتابه (الفلاحة).

(٢) الأنواع الستة هي: الماء العذب، وماء المطر، وماء الأنهار، والماء الزعاق، والماء المر، وماء العيون. وأضاف ابن بصّال: ماء الآبار.

(٣) جمع بقل: بقول، ولم يرد في جمعه: أبقال، ولعلَّ المقصود: أنقال، جمع: نقلة.

(٤) ابن بصّال: كتاب الفلاحة، ص ٣٩.

(٥) ابن بصّال: لعذوبته ورطوبته واعتداله، وتقبله الأرض قبولاً حسناً، ويغوص فيها.

(٦) ابن بصّال: الأكرنب والبقل؟

(٧) القطف: هو الریحان الیماني المسمى: البقلة الذهبية.

وماء الأنهار: قال أبو الخير^(١): ما عَذَّبَ مأوَّةٌ منها، وصَفِي،
فيصلُّحٌ لسقي جميع الخُضَر؛ مثل^(٢): القَرَع، والبادنجان، والثوم، والبصل،
والكَرَّاث، وجميع أنواع الخُضَر البستانيَّة، وبعض الزَّراريح البريَّة، مثل
الكِتَّان، وجميع أنواع الزَّراريح العطريَّة؛ كالكرأويا، والحُرْف^(٣)،
والشُّونيز^(٤)، وشبهها.

وهذه الخُضَر تحتاج إلى ماء النهر احتياجاً كثيراً إذا كَثُرَ عليها
الزَّبَلُ، وكذلك أَكْثَرُ الخُضَر التي أَصْلُها ضعيفٌ وقريب من وجه الأرض،
فإنَّها تحتاج إلى ماء كثير، وزَبَلٍ وافرٍ، وهي تجوِّدُ بماء النهر أكثر ممَّا تجوِّدُ
بغيره من المياه.

قال ابن بصَّال^(٥): مياه الأنهار طبائعها مختلفة باليُبوسة والرُّطوبة
والحرُوشة^(٦)، وهي تذهبُ برطوبة الأرض، فتحتاج لذلك الخُضَرُ
الضعافُ التي تُسقى بها إلى الزَّبَلِ الكثير.

(١) قول أبي الخير ساقط من المنشورة، وهو مضمن في كتاب ابن بصَّال.

(٢) ابن بصَّال، ص ٣٩.

(٣) الحرف: هو حب الرشاد. ومنه حرف الماء، ورقه كالننع، يسمى: جرجير الماء (عمدة
الطبيب، ص ٢٠٩).

(٤) الشونيز: يسمى الكمون البري وقزحة، وحب البركة، والحببة السوداء.

(٥) كتاب الفلاحة، ص ٣٩.

(٦) ابن بصَّال: الحروشة واللين.

والماء الزُعَاق والمُرُّ^(١):

قال ابن بصَّال^(٢): يَصْلُحَان لبعض بقول الجنَّات، مثل: الفَرْفَج^(٣)، والْبَقْلَة، والرَّجْلَة^(٤)؛ -وهي الْبَقْلَة اليمانية، وهي الْيَرْبُوز^(٥)- والْبَقْلَة الذهبية، وهي الْقَطَف^(٦)، والدُّسْتِي^(٧) وهو الْإِسْفَنَاح^(٨)، والخَسَّ والْهِنْدَبَاء^(٩)، والسَّوسَن البُسْتَانِي، والملوخية، وشبه ذلك.

(١) انظر في مضارهما ومنافعهما في الفلاحة النبطية: ٨٩.

(٢) قال ابن بصَّال سقط من النسخة المنشورة، وهي مختصر لكتابه الكبير المسمى: القصد والبيان.

(٣) الفرفج: اسم البقلة الحمقاء، أو البقلة المباركة أو البقلة اللينة، أو بقلة الزهراء.

(٤) الرحلة: هي البقلة اليمانية، وهي نوع من الحبق تشبه القطف.

(٥) اليربوز والجربوز: هي البقلة اليمانية.

(٦) البقلة الذهبية هي الريحان اليماني، والخوشان، وتسمى السرمق أو بقلة الروم.

(٧) الدستي هو الإسفناخ الرومي، جلب بزره إلى الأندلس من تستر في المشرق، وهي لفظة فارسية أصلها دشتي أي صحراوي أو بري، وهو في بعض المراجع الهندباء البري. (انظر: عمدة الطبيب، ص ٢٩٩) ورئيس البقول، وقد يسمى البقلة الذهبية والريحان اليماني والْقَطَف البري. أو السبانخ.

(٨) الأسفناخ: هو القطف أو الريحان اليماني.

(٩) هو هندب وهندباء: هو السريس من أنواع البقول وقد تسمى بقلة العصافير، وهي أنواع كثيرة. انظرها في عمدة الطبيب، ص ٨١٥-٨١٧.

وَيَصْلُحَانِ أَيْضاً لِسَقْيِ الْكِتَّانِ، وَالْقَرَعِ، وَالْبَاذِنْجَانِ، وَالْحَنْئَاءِ،
وَضُرُوبِ الْأَحْبَاقِ، وَشَبْهِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْعُيُونُ الْعَذْبَةُ الْمَاءُ:

قال أبو الخير الإشبيلي^(١): تَصْلُحُ لِسَقْيِ كُلِّ مَا يُزْرَعُ فِي الْجَنَّاتِ
غَيْرِ الَّذِي ذَكَرْنَا (قَبْلُ).

قال ابن بصَّال^(٢): مَاءُ الْعُيُونِ وَمَاءُ الْآبَارِ يُوَافِقَانِ مِنَ الْخُضَرِ مَا لَهُ
أَصْلٌ كَبِيرٌ غَائِرٌ تَحْتَ الْأَرْضِ؛ كَالْجَزَرِ [وَالْفُجْلِ]^(٣) وَاللَّفْتِ الطَوِيلِ، وَلَا
يَتِمُّ صَلَاحُهَا إِلَّا بِهِ [سِوَاهُ] أَكَانَتْ أَرْضُهَا ثَرِيَّةً بِمَاءِ الْمَطَرِ أَمْ لَمْ تَكُنْ. [وَلَا
يَدُلُّهُ مِنَ السَّقْيِ] بِمَاءِ الْآبَارِ وَمَاءِ الْعُيُونِ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ، فَيَحْرُكُ الْخُضَرَ
[وَيُدْفِنُهَا]^(٤) وَإِذَا سَقَيْتَ بِهِمَا صَلَحَتِ.

وَالْخُضَرُ تَحْتَاجُ الْمَاءَ النَّابِعَ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ مِنَ السَّنَةِ: فِي فَصْلِ
الشَّتَاءِ، وَفِي وَقْتِ الْخَرِيفِ، وَفِي فَصْلِ الرَّيِّعِ، أَمَّا فِي فَصْلِ الشَّتَاءِ
فَيَحْرُكُ^(٥) الْمَاءُ النَّابِعُ الْخُضَرَ بِرَقَّتِهِ وَرَطُوبَتِهِ وَدِفْنُهُ إِذَا سَقَيْتَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ

(١) هذا القول سقط من كتاب أبي الخير الإشبيلي المنشور.

(٢) ابن بصَّال: الفلاحة، ص ٤٠.

(٣) سقطت من الأصول الخطية وهي في كتاب ابن بصَّال.

(٤) الزيادات كلها من ابن بصَّال.

(٥) ابن بصَّال: يكون عند شدة برد الهواء دفيئاً ليناً يحرك الخضر إذا سقيت في هذا الفصل.

يكن ذلك فَيَعْوَضُ عنه بالزُّبُل الكثير، وكذلك تَصْلُحُ الحُضْرَ إذا سُقِيَتْ به في فصل الخريف^(١)، وفي فصل الربيع صلاحاً بَيِّنًا.

والماء المالح: قال أبو الخير^(٢): هو الذي يَنْعَقِدُ منه المَلْحُ، وماء
الْبَحْرِ ليس يَصْلُحان^(٣) لِسَقْيِ شيء من النبات، بل هُمَا مُفْسِدَانِ لَجميع
الشجر والحُضْر.

لي^(٤): وأما المياه الحديديَّة والكبريتية والنُّحَاسِيَّة وشبهها فغير
موافقة للنبات. وأفضل المياه الماء العَذْبُ كما تقدَّم القول فيه.

* * *

(١) ابن بصَّال: وفي فصل الحر يصلح الخضر ببرده صلاحاً بَيِّنًا.

(٢) قول أبي الخير سقط من كتابه المنشور باسم: كتاب في الفلاحة.

(٣) ذكر صاحب الفلاحة النبطية طرائق في معالجة الماء المال حتى يتحول شبه عذب، ويستفاد منه في الشرب والسقي. انظر: الفلاحة النبطية: ٩٠.

(٤) أضاف قوثامي في الفلاحة النبطية: ٨٨: الماء العفن القابض، والماء الرصاصي والزاجي، والحديدي، والكبريتي، والماء العفن المتن، والكدر الغليظ الراكد.

[الـ]... (فصل) [الثاني]

[دلائل قرب الماء وبعده عن الأرض]

"وَمِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْمَاءِ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَبُعْدِهِ مِنْهَا"

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْتَحَ بَثْرًا، قالوا^(١): يُسْتَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ النَّبَاتِ، وَبِلَوْنِ وَجْهِ الْأَرْضِ^(٢)، وَبِطَعْمِهِ وَبَرِيحِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَذْكُرُ بَعْدُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

قال قوثامي في الفلاحة النبطية^(٣): إِنَّ الْجِبَالَ الَّتِي فِيهَا مِائَةٌ كَثِيرَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ يَظْهَرُ عَلَى سَطُوحِهَا نَدَاوَةٌ بَيْنَهُ، تَوْجَدُ بِاللَّمْسِ بِالْيَدِ، وَتُرَى بِالْعَيْنِ، وَلَا سِيَّما فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، وَفِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْهُ؛ يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فِيهَا شَيْبَةٌ عَرَقٍ وَنَدَى، فَمَتَى أَرَدْتَ الْيَقِينَ بِذَلِكَ، فَخُذْ شَيْئًا مِنْ تَرَابٍ سَحِيقٍ فَغَبِّرْ^(٤) بِهِ وَجْهَ حَجَارَةٍ تِلْكَ الْجِبَالِ، وَسَطِّحِ الْأَرْضَ، وَانْتَظِرْ إِلَى الْعِشَاءِ، فَإِنْ رَأَيْتَ ذَلِكَ الْغَبَارَ قَدْ تَنَدَّى، فَفِي

(١) هذه أقوال أبي الخير الإشبيلي، ص ٥، وابن حجاج في المقنع، ص ٧.

(٢) قال قوثامي: ينظر إلى وجه الأرض، فإن كانت متقدرة، ممتلئة، رضاءاً، خشنة، قحلة الوجه، عديمة النبات فهي عديمة المائية. وإن رأيتموها دسمة التربة، سوداء اللون، شديدة الغبرة، لزجة، فهي أرض ماء، والماء في غورها كثير ممكن. (الفلاحة النبطية: ص ٥٨).

(٣) قوله في الفلاحة النبطية: ٥٧، وذكره أبو الخير الإشبيلي، كتاب الفلاحة: ٩٢.

(٤) أبو الخير: تغبر به وهدة من حجارة تلك المواضع ضحوة، وينظر إليها بالعشي. (كتاب الفلاحة، ص ٩٢).

ذلك الجبل ماءً قريباً من وجه الأرض، وعلى قدر كثرة الماء في ذلك الجبل وقربه من ظاهره يكون كثرة الندى. وإن كان الماء هناك قليلاً أو بعيداً كان ذلك الندى ضعيفاً، فاعلموا هذا.

وقد يُستدلُّ على كون الماء في أغوار الجبال^(١) بالاستماع بالأذن لدويّه^(٢).

ويُستدلُّ على ذلك أيضاً بصفة تراب وجه الأرض من الملاسة والخشونة، وغير ذلك من أحوالها، ومِمَّا يظهرُ على وجهها من الدسومة المعروفة للأرض، أو عدمها، وهو القَشَف^(٣)، فاعلموا ذلك.

وانظروا إلى وجه الأرض، فإن كانت التربة دَسِمةً سَوْداءَ اللون، أو شديدة العُبْرة، دَسِمةً في المَجَسَّة^(٤) إذا أصابها أدنى ماء، فاعلموا أنَّها (أرضُ ماءٍ) وأنَّ الماء في غورها، وفي عمقها كثير متمكّن^(٥).

(١) هذا قول قوثامي في الفلاحة النبطية: ٥٧، والفلاحة لأبي الخير الإشبيلي، ص ٩٢.

(٢) الفلاحة النبطية: لأن الماء إذا كان كامناً كان له حفيف ودوي.

(٣) القَشَف والقَشَف: فذارة الجلد، والخشونة، والوسخ.

(٤) الفلاحة النبطية: سمينة دسمة لرجة في المحسة.

(٥) الفلاحة النبطية: ممكن.

وإن كانت الأرض^(١) لَرِجَّة رِخْوَةٍ سَوْدَاء دَسِمة^(٢)، وإذا عَجَنَتْ شيئاً من تُرابها وَجَدَتْ فيه صَمْغِيَّة، فهي رِيَّانة^(٣)، فيها ماءٌ كثير. وإن كانت خَشِنَةً قَحْلَةً الوجه، عديمة النبات، أو هو قليلٌ فيها، فاعلموا أَنَّها عديمة الماء جداً. وكذلك إنْ رَأَيْتُم المَدَرَ المتكوِّن على وَجْهها قطعاً قطعاً^(٤)، وهو يابسٌ قَحْلٌ شديدٌ، وسوادٌ وجه الأرض أَصْفَرٌ لوناً، مائلٌ إلى البياض، فاقضوا في هذه الأرض على عَدَم الماء منها أَلْبَتَّة.

وأما الأرض^(٥) القحلة اليابسة التي يكون لونُ مَدْرِها المتكوِّن فيها بمنزلة الخَزَفِ اليابس، فإذا رَأَيْتُموها كذلك، فاعلموا أَنَّها عديمة الماء.

فإن كان لَمَدْرِها طينٌ كَطَيْنِ^(٦) الخَزَفِ، فهو أوكد الأدلة على أَنَّها عديمة التَّدَاوَةِ والماء.

وأما الاستدلالُ على قُرْبِ الماء^(٧) وبُعْده بطَعْمِ التُّرابِ وريحه؛ فَيُحْفَرُ في تلك الأرض حفرة عُمُقَ ذراعٍ، ويؤخذُ من تراب أسفلها فيَنْقَعُ

(١) الفلاحة النبطية: ٥٨.

(٢) الفلاحة النبطية: سواد سواد الدسومة.

(٣) المتحف وباريس ومدرید: زيانة (بالزاي).

(٤) الفلاحة النبطية: أن يكون مدرها بمنزلة الخزف اليابس.

(٥) الفلاحة النبطية: ٥٩.

(٦) المتحف وباريس ومدرید: طين كطين.

(٧) الفلاحة النبطية: ٦٢، والمقنع: ٦، وكتاب أبي الخير: ٤.

في ماء عَذْبٍ في إناءٍ نظيفٍ؛ ويُذَاق الماء، وتُذَاق الثَّرْبَةُ، وتُسْتَطَعَمُ؛ فإن ضَرَبَ طَعْمُهَا، أو طَعَمَ الماء الذي تُقَع فيها إلى مَرَارَةٍ، فتلك الأرض عديمة الماء أَلْبَتَةً^(١)، وإن ضَرَبَ إلى ملوحة حادة^(٢)، فهي عديمة الماء أيضاً، وإن ضرب إلى ملوحة خفيفة^(٣)، فهي أقرب إلى الماء قليلاً، وإن كان لا طَعَمَ له، فالماء أقرب من وَجْه الأرض، وإن كان [يَضْرِبُ] إلى التَّفَاهَةِ^(٤)، فالماء إلى سَطْحِهَا قَرِيبٌ.

ويُشَمُّ ذلك التُّراب^(٥)، فإذا كَانَ بين الماء^(٦)، وبين وَجْه الأرض أَذْرُعاً يَسِيرَةً، وجد رِيحُ ذلك التُّراب مثل رائحة التراب المُسْتَخْرَج من السَّوَاقِي والأَنْهَار الدَّائِمَةِ المياه إذا جَفَّ ذلك التراب منها. وكذلك الرائحة الشَّبِيهَةُ^(٧) بِالْعُفُونَةِ تدلُّ على قُرْبِ الماء. والشَّبِيهَةُ بِرَائِحَةِ الطَّحْلُبِ كذلك.

(١) الفلاحة النبطية: عديمة المائية.

(٢) الفلاحة النبطية: وإن كان يضرب إلى عفونة أو ملوحة حادة فهي عديمة الماء.

(٣) الفلاحة النبطية: خفيفة عذبة؟؟

(٤) الماء التفه: الذي ليس له طعم.

(٥) الفلاحة النبطية: ٦٢.

(٦) الفلاحة النبطية: الماء في غور الأرض.

(٧) الفلاحة النبطية: التي تضرب إلى العفونة.

ومن كتاب الفلاحة النبطية، وكتاب الفلاحة لابن بصّال،

وكتاب الفلاحة لأبي الخير الإشيلي، قالوا^(١): يُسْتَدَلُّ أَيْضاً عَلَى قُرْبِ
الماء في الأرض السَّهْلَةِ أَنْ يَنْبُتَ فِيهَا شَجَرُ السَّرْوِ، وَالْبُطْمِ، وَالْعُلَيْقِ،
وَالْعَوْسَجِ، وَالصَّعْتَرِ؛ قال ابن بصّال^(٢): هو الذي يسمّى "الحلب"^(٣) وفي
الفلاحة النبطية^(٤): العَوْسَجُ الصَّغِيرُ خَاصَّةً مِنْ نَوْعِهِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى
الماء، لَأَنَّ الْعَوْسَجَ الْكَبِيرَ يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ الْقَشْفَةِ الْبَعِيدَةِ الْمَاءِ، وَالنَّوْعِ
الصَّغِيرِ اللَّطِيفِ مِنْهُ يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ التَّنَدِيَّةِ الَّتِي فِي سَطْحِهَا الْمَاءُ^(٥).

(١) الفلاحة النبطية: ٥٩، وابن بصّال: ١٧٥، وأبو الخير: ٥-٦، ٩١-٩٢. الفلاحة النبطية:
المنابت التي يستدل بها على الماء القريب: الخربق والزلم، ولسان الكلب، والحماض
والعوسج ولسان الثور، والبردي، والحبق البري، والقصب، والقراص، والثيل، وإكليل
الملك وعنب الحية وعنب الثعلب.
وقال أبو الخير: العليق والسعد والبردي والديس (السمار) ولسان الثور، والغبيراء، وكزبرة
البثر.

وقال ابن بصّال: البطم والعليق والبردي والسعد، والحماض، والعوسج الصغير، وهو
الحلب، ولسان الثور، وكزبرة البثر، والبابونج وإكليل الملوك والضموران والدوم.

(٢) ابن بصّال، ص ١٧٥، قال: العوسج الصغير وهو الحب.

(٣) الحب: نوع من العوسج، له وصف في كتاب النبات لأبي حنيفة، ص ١٠٤، وعمدة
الطبيب، ص ٢١٨.

(٤) الفلاحة النبطية: ٥٩.

(٥) أضاف قسطنطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٣٣: الحاج والثيل والسوس والقصب.

والطَّرْفَاء^(١)، والْبَرْدِيّ، والسُّمَّاق، والحُمَّاض^(٢)، ولسان الحمل^(٣)؛
وهو ينبتُ في المواضع الرّطبة بالماء، وفي السِّبَاخ والآجام.
ولسان الثور^(٤)، والفُودَنْجَات^(٥)، والبَابُونَج، والخَطْمِي^(٦)، وكُزْبَرَة
البئر^(٧) (وهي البرشاوشان)، والدِّيس^(٨) والسُّعْدَى^(٩)، والثَّيْل^(١٠)،

-
- (١) الطرفاء: هو شجر الأثل، وثمره: جوز الطرفاء، أو عفص الطرفاء.
(٢) الحماض أنواع كثيرة، وغالباً ما يطلق على البقلة الخراسانية ومنه: حماض الأسد، والبقر،
والبر، والبهايم، والسواقي، وحماض الماء.
(٣) لسان الحمل: يسمى أيضاً: ذنب الثعلب، وآذان الجدي، ولسان الكلب. وهو ورق
الصابون.
(٤) لسان الثور هو الحمحم ويطلق عليه أيضاً: ذنب القط ومفرح.
(٥) هو فودنج وفوتنج: حبق الماء، والننع البري، والضومران.
(٦) الخطمي: نبت الغسول، ويسمى: الغسل أو الخبازي البري أو العُضرس.
(٧) هي بالفارسية برشاوشان، يستدل به على قرب الماء ويسميه العرب: شعر الجبار وشعر
الجن (الفلاحة النبطية: ٦٠).
وقيل: هو بالفارسية برسياوشان ومعناه: دواء الصدر. ويسمى: شعر الكلاب، وشعر
الغول، وشعر الجن، وكزبرة البير.
(٨) الديس: هو السمار الذي تصنع منه الحصر.
(٩) السُّعد والسعدى هو الخلتجان البري أو ريحان القصارى.
(١٠) الثيل: كل نبات لا ساق له، وخصوا به النجيل أو نجم الصليب.

وإكليل الملك^(١)، والخِرْوَع، والضَّومَرَان^(٢)، والأسَل^(٣)، والخَبَازَى^(٤)،
والخَنْدَقُوقَا^(٥)؛ وهو ينبتُ في المُرُوج، والقَنْطُورِيُون الصَّغِير^(٦)، وهو
الزَّكَم الصَّغِير^(٧)، فهذه وشبهها تنبتُ في المواضع الرَّطبة القليلة الماء، وقُوَّتُها
وكثرة رَقِّها، وأغصانها وعروقها، ودوام خُضْرَتِها يدلُّ على كثرة الماء في
باطن الأرض التي تَنْبُتُ فيها، وعلى قَرَبِهِ وبالضَّدِّ. ويدلُّ على قرب الماء
وعُدُوْبَتِهِ الْقَصَب^(٨) والثَّيْل^(٩).

(١) إكليل الملك: هو النفل.

(٢) الضومران والضميران: الننع البري أو حبق الماء.

(٣) الأسل: هو سمار الحصر وهو نوع من الديس.

(٤) الخبازى: البقلة اليهودية.

(٥) هو هندقوقى وحنقوق وحنقوقاء بستاني: هو النفل ولوطس، وهو الحباقا عند أهل
الحيرة. عمدة الطبيب، ص ٢٣٢، والنبات لأبي حنيفة، ص ١٧٨.

(٦) قنطريون صغير: هو الطرطر وفصة الحية والمرارة. وهو أيضاً قنطريون أي عشبة المرارة،
وهي المعروفة بالشريق. أما القنطريون الكبير فهو فول الحمام، انظر تفصيلات ذلك في
عمدة الطبيب، ٦٨٤-٦٨٦.

(٧) حب الزلم: هو حب العزيز (لأن فرعون كان مغرماً به) وهو أيضاً فلفل السودان.

(٨) القصب يسمى بالنبطية (زالا). الفلاحة النبطية: ٦٠.

(٩) الثيل: هو النجيل أو نجم الصليب، ويسمى بالنبطية (إثيال) الفلاحة النبطية: ٦٠.

وفي الفلاحة النبطية^(١): وَتَسْكُنُ عُرُوقُ هَذِهِ الْمَنَابِتِ فِي الْأَرْضِ
جَدًّا، وَبَأَصْلِهَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا سِيَّما فِي فَصْلِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ [وهذا]
يدلُّ على كثرة الماء في باطن تلك الأرض.

وقال في الفلاحة النبطية، وفي غيرها^(٢):

وَمِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ أَيْضًا عَلَى قَرَبِ الْمَاءِ، وَيُعَرِّفُ بِهِ طَعْمَهُ: أَنْ تَحْفَرَ فِي
الْأَرْضِ -وَلَا سِيَّما الَّتِي تُنْبِتُ تِلْكَ الْمَنَابِتَ الْمَذْكُورَةَ أَوَّلًا- حَفْرَةً عُمُوقَ
ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ أَوْ نَحْوِهَا، وَيُؤْخَذُ إِنَاءٌ مِنْ نُحَاسٍ^(٣) أَوْ رِصَاصٍ شَبَهَ
الطَّسْتِ^(٤) أَوْ السَّطَلِ الْكَبِيرِ قَدْرُ مَا يَسَعُ عَشْرَةَ أَرْطَالٍ أَوْ نَحْوِهَا، وَقِيلَ:

(١) الفلاحة النبطية: ٦١-٦٢. قال: انظر إلى وشوج عروق النبت في الأرض، فإن كانت
متمكنة جدًّا قد ضربت العروق إلى غور كثير في الأرض، فثم ماء قريب في باطن
الأرض. وإذا انبسطت العروق على وجه الأرض في الشتاء والربيع، فاعلم أنها تنبت من
ماء الغمام.

(٢) هذه الطريقة موصوفة في الفلاحة النبطية: ٦٣، وابن بصَّال، ص ١٧٦، والفلاحة الرومية:
١٣٤، والمقنع: ٧-٨، وكتاب أبي الخير، ص ٧-٨.

(٣) سمى قوثامي هذه الآلة (مراثا) وقال هي على هيئة المحجمة تصنع من الأسرب أو النحاس
أو الخزف كهيئة نصف دائرة.

الرومية: قدر من صفر أو بستوفة. ابن بصَّال: كورة مجوفة من نحاس.

المقنع وأبو الخير: نصف كورة مجوفة من نحاس أو رصاص أو خزف.

(٤) هو طشت وطست وتشت.

من فخّار. وفي الفلاحة النبطية^(١): وليكن الإناء نصف كُرّة قدر ما يتسع من الماء؛ سبعة أرطال إلى واحدٍ وعشرين رطلاً^(٢).

قالوا: تؤخذ قطعة من صوف أبيض، وتُغسل نَعْمًا حتى لا يكون فيها طعمٌ لشيء، ثم تُبَسُّ وتُنَشَّفُ، وتُرَبَّطُ بخيط في وسط ذلك الإناء، وفي جوانبه من داخله، ولا يَمَسُّ ذلك الصُّوف الأرض إذا كُفِّا الإناء على وجهه.

وقيل^(٣): يُدْهَنُ الإناء من داخله بغير مُذابٍ أو بشحم أو بدُهْنٍ – ولاسيما إن كان من فخّار – فيدهن بذلك (ولا بُدَّ)، قالوا: فإذا غابت الشمس فيَكْفَأُ ذلك الإناء على فَمِهِ من أسفل تلك الحُفْرة، وتُغَطَّى

(١) الفلاحة النبطية: ٦٣.

(٢) ابن بصّال: تسع تسعة عشر رطلاً أو أكثر.

(٣) الفلاحة النبطية: يجعل في قعرها قطع شمع مذاب.

ابن بصّال: يطلّى داخلها بالشمع المذاب والزفت.

الرومية: شمع مذاب.

المقنع: شمع أو زفت.

أبو الخير: بالشمع المذاب والزفت.

المسعودي: تطلّى جوانب الكرة بموم مذاب (شحم) أو بشمع مذاب (مروج الذهب:

٥٥/١).

بحشيشٍ رَطْبٍ^(١) وُثْرَابٍ قَدَرِ ذِرَاعٍ. وقيل: تُغَطَّى بالتراب حتى تَمْتَلِئَ الحُفْرَةُ.

قالوا^(٢): فإذا كان من الغد قبل طلوع الشمس^(٣) يُزَالُ جميعُ ما غُطِّيَ به ذلك الإناء، ويُنْظَرُ إلى ذلك الصُّوف؛ فإن كان في ذلك الموضع ماءً قريباً، فيجد ذلك الصُّوف قد استَنْقَعَ منه^(٤)، وإن كان الماء فيه متوسطاً فتجد الصوف قد تَنَدَّى وَتَرَطَّبَ، وإن لم يكن كذلك فالماء في ذلك الموضع بعيد، وإن وجدته جافاً فليس هناك ماءً، أو قد حال دونه حَجَرٌ صَلْدٌ. ومع كثرة الماء في ذلك الموضع قد توجد جَبَابٌ^(٥) من الماء، وقد يعلَق بالماء [رائحة] أو يُذَاق ذلك الماء، فطعم ماء ذلك الموضع مثل طعمه أو قريب منه (إن شاء الله تعالى).

(١) المقنع، ص ٨.

(٢) يفعل ذلك قبل غيوبة الشمس (المقنع، ص ٨).

(٣) تخرج قبل طلوع الشمس، الفلاحة النبطية: ٦٣، والفلاحة الرومية: ١٣٤، والمقنع: ٨، وابن بصال: ١٧٦، وكتاب أبي الخير: ٨.

(٤) الفلاحة النبطية: تجد الصوفة مبتلة قد عرقت وترطبت وابتلت.

الرومية: وجدت تلك الصوفة قد امتلأت ماءً.

ابن بصال: فإن كان الصوف قد ابتل بالماء والإناء كذلك.

ابن حجاج وأبو الخير: فتجد الصوفة مملوءة والإناء كذلك.

(٥) الجباب: طرائق على وجه الماء وفقاقيع.

والجب: البئر الواسعة، والجمع: جباب، وهو المقصود.

قال ابن بصّال^(١): قد جرّبناه واختبرناه فوجدناه على حسب ما ذكره.

وقال ابن بصّال^(٢): ومِمَّا وجدناه^(٣) أيضاً في معرفة ماء البئر قبل أن يُفْتَحَ؛ أن يُحْفَرَ في ذلك الموضع الذي يراد فتح البئر فيه حفرة عميقة قَدْر ذراعٍ. ويؤخذ من تراب أسفلها قطعة، وتُجْعَلُ في صَحْفَةٍ^(٤) حَتِّمٍ^(٥) جديدة، ويُلقَى عليها من الماء العَذْبُ الحلو؛ مثل: ماء المطر، وشبهه، أو [ماء] بئار، ويُحَلُّ فيه التُّراب ويُتْرَكُ إلى الغدِّ، ويُذَاق ذلك الماء؛ فإن كان عذْباً فماء ذلك الموضع عَذْبٌ، وإن كان على غير ذلك فماء ذلك الموضع على حسب ما تجدد من طعم ذلك الماء.

* * *

(١) ابن بصّال: ١٧٦، قال: هذا مما جربه صاحب النسخة واختبره فوجده كما وصف.

(٢) ابن بصّال: ١٧٦.

(٣) قال ابن بصّال: ومما جربته أيضاً في معرفة طعم الماء.

(٤) ابن بصّال: في صحيفة (تصنيف).

(٥) الحتّم: الخزف الأسود، وقيل: الجرة الخضراء، وأصلها: شجرة الحنظل.

[الـ]... (فصل) [الثالث]

[في فتح الآبار]

وأما فتح الآبار في الجنّات^(١)، وفي الدّيار:

قال أبو الخير الإشبيلي^(٢): البئر المستديرة الأسفل، المستطيلة الفم تُعرَف بـ(العربي)^(٣)، والمستطيلة الفم والأسفل معاً تُعرَف بـ(الفارسي). وقد تكون البئر المستديرة الأسفل أكثر ماءً من المستطيلة إذا كانت استدارتها على قدر تلك الاستطالة؛ لأنها تكون أوسع فناءً.

قال قوثامي في الفلاحة النبطية^(٤): إذا حَفَرْتَ البئر، فرأيت الأرضَ صُلْبَةً فَوَسَّعْ استدارة البئر أكثر من المعهود، وإن كانت رِخْوَة فضَيِّقْها، فإذا نَبَعَ الماءُ فيؤْخِذُ منه في كُوزٍ ويُدَاقُ؛ فإن كان حُلُوءاً فَيَتِمَادَى في العَمَلِ، وإن كان مُتَغَيِّرَ الطَّعْمِ، فَيُمَسِّكُ عن العمل قليلاً، ثم يُدَاقُ مرّةً أُخْرَى، فإن كان على الحقيقة متغيّراً إلى المُلُوحَةِ فَيُسْتَمَرّ بالعَمَلِ، ولا

(١) ابن بصّال، ص ١٤٧، والفلاحة النبطية: ٧٠.

(٢) هذا النص سقط من كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي.

(٣) البئر مؤنثة، وكان ينبغي له القول: تعرف بالبئر العربية، لكنه اعتمد الاسم المعروف شعبياً.

(٤) الفلاحة النبطية: ٧٠.

بأس، فإن كان فيه مرارة أو زعارة^(١) فتُعْطَى البئر إلى الغد، ثم يعاد إلى البئر، ويُتَمَّم العمل.

قال أبو الخير الإشبيلي^(٢): البئر العميقة تَفْتَحُ فيها فَتْحاً كبيراً؛ لتكونَ سَانِيَتُهَا^(٣) كذلك. فإن كان عمق البئر نحو خَمْسِ قامات^(٤)؛ فليكن طول فم البئر نحو ستّة عشر شِبراً، ليدخلَ في الطّيِّ من ذلك نحو ذراعين، ويبقى فيها نحو تسعة أشبار، وإن كان العُمقُ أكثر فاعْمَلْ فَمَ البئر أكبر لتكونَ سَانِيَتُهُ أكبر، ويكون قُطْرُ دَوْرَهَا^(٥) نحو اثني عشر شِبراً.

وفي "الفلاحة النبطية"^(٦): إن ظَهَرَ لِلْحَفَّارِ أن البئرَ عِيُونَهَا قليلة، وأنَّ ماءَهَا نَزْرٌ، فإنَّ أَرَدَتْ تَكْثِيرَ مَائِهَا، فَعَمِّقْ حَفْرَهَا فَضْلَ تَعْمِيقٍ، واجتهد في ذلك غاية ما تقدّم عليه، فإنَّ أَرَدَتْ أن تَكْثُرَ ماءَهَا نَعْمَاءً،

(١) الفلاحة النبطية: إن كان فيه زعارة أو مرارة فينبغي أن يكفوا عن العمل ويغطوا البئر، وينصرفوا عنها إلى الغد، ويعطل العمل في البئر إذا كان لها بخار حبيث الريح، ودهان غريب قاتل.

(٢) قول أبي الخير ليس في كتابه المنشور.

(٣) السانية: الناقة التي تسنو الماء من البئر بالحبال والبكرات والدلاء.

(٤) المتحف وباريس ومدرّيد: خمس قيام (أي قامات) وهذا جمع على غير قياس، قامة الإنسان: طوله، وجمعها قِيم وقامات.

(٥) الدائرة: خشبة تركّز وسط الكدس تدور بها البقرة أو الناقة، قطر دورها: أي قطر دائرتها. دار دوراً ودوراناً: طاف حول الشيء.

(٦) الفلاحة النبطية: ٧٦.

فاحْفَرُ بئراً أخرى إلى جانبها غير متصلة بها حتى تصل إلى الماء، وتعمّقها أقلّ من عمق تلك الأولى قليلاً بذراعٍ ونصف، ثم تحفر بئراً أخرى غير ملاصقة للبئر الأخرى، يكون عمقها -بعد الوصول إلى الماء- أقلّ من عمق الأخرى بذراع، ثم تحفر كذلك إلى تمام أربعة آبار، تكون الأولى أعمق من كل واحدة منها، ثم تُنفذُ الأربعة آبار إلى الأولى في أسفلها، وفي قُعر كل واحدة منها، لتكون الأولى (أُمّاً) لها لتجمع مياه جميعها فيها، فإنّه إذا اجتمع ماء الأربعة آبار في الأمّ كثر ماؤها وتضاعف.

وقال ابن بصّال^(١): إذا كان العرقُ الذي ينبعُ منه الماء في البئر حصيّ، كان ماؤها معيّناً كثيراً، وإن كان رملاً كان دون ذلك في القوّة، وإن كان [العرقُ] كَدِناً^(٢) لم يخرج منه الماء إلا رَشْحاً. ومِمّا يزيدُ في كثرة الماء في الينابيع الظّاهرة^(٣)، وهو يصلحُ أن يُعمَلَ للآبار إذا قلّ

(١) قول ابن بصّال في كتابه، ص ١٧٦-١٧٧.

قال: العيون التي تنفجر على وجه الأرض إنّما هي عروق من حصى أو رمل تندفع من تحت الأرض.

(٢) ابن بصّال: إذا كان العرقُ كَدِناً (وهو تصحيف).

الكِدَان: حبل يُشدّ في عروة وسط الدلو لئلا تضطرب الدلو في أرجاء البئر.

والصَّوَاب (كَدِناً) كَدِنَ يَكْدُن كَدَنًا: صَلَبَ واشتدّ، فهو كَدِنٌ.

(٣) هذه الفقرة في الفلاحة النبطية، ص ٧٠.

ماؤها، أَنْ يُؤْخَذَ مَكُّوكٌ^(١) مِلْحٍ عَذْبٍ كَيْلًا، وَيُخْلَطَ بِمِثْلِهِ مِنَ الرَّمْلِ
الْمَأْخُودِ مِنْ نَهْرٍ جَارٍ، وَيُنَجَّمُ^(٢) تَحْتَ الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ لَيْلَةً، ثُمَّ يُؤْخَذُ مِنَ
الْعَدِّ، فَيُذَرُّ فِي أَصْلِ الْيَنْبُوعِ، أَوْ يُلْقَى فِي الْبُئْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ حِثَاثٍ^(٣)
بِمِلْءِ الْكَفِّ الْيُمْنَى وَمَا حَمَلَتْ فَقَطْ، فَإِنَّهُ عِنْدَ اسْتِكْمَالِ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ مِنْ
زِيَادَةِ الْمَاءِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

ومن غيرها^(٤): إِذَا أَرَدْتَ زِيَادَةَ الْحَفْرِ فِي الْبُئْرِ لَتَغْزِيرِ الْمَاءِ فِيهَا،
فَلْيَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ تَنَاهِي غُرُورِ الْمِيَاهِ فِي (شَتْنَبَر)^(٥) وَفِي أَكْتُوبَرِ قَبْلَ نَزُولِ
الْمَطَرِ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ مِنَ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْهُ، وَفِي الْحَادِي
وَالْعِشْرِينَ، وَالثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ.

قال ابن بصَّال^(٦)، وَغَيْرُهُ: يُقْصَدُ أَنْ تَحْفَرَ الْبُئْرَ فِي أَرْفَعِ مَكَانٍ مِنَ
الْجَنَّةِ، وَفِي الْمِبْقَلَةِ، وَأَقْرَبِهِ مِنْ بَابِهَا، وَفِي وَسْطِهَا إِنْ أَمَكْنَ.

(١) الْمَكُّوكُ: طَاسٌ يَشْرَبُ بِهِ أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَوَسْطُهُ وَاسِعٌ، وَهُوَ مَكِّيَالٌ يَسَعُ صَاعًا وَنِصْفًا، وَهُوَ
عِنْدَ النَّسَاجِينَ: الْوَشِيعَةُ.

(٢) يُنَجَّمُ: يُوَضَّحُ قِبَالَةَ النُّجُومِ يَرَعَاهَا وَيَسْهَرُ مَعَهَا.

(٣) الْحَثَا: التُّرَابُ الْمَحْتُوُّ، حَتَّى التُّرَابِ حَثِيًّا وَحَتَّى: أَهَالٌ، الْحَثِيَّةُ: قِطْعَةٌ مِنَ التُّرَابِ الْمَحْتُوِّ.

(٤) أَيُّ مِنْ غَيْرِ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ، وَلَمْ نَجِدْهَا فِي كُتُبِ الْفَلَاحَةِ الْآخَرَى.

(٥) شَتْنَبَر: هُوَ شَهْرُ أَيْلُولَ.

(٦) ابْنُ بَصَّالٍ، ص ١٧٤.

ويقصدُ أن يكون في أرفع موضعٍ مِنْهَا؛ ليصل الماء منه إلى كلِّ موضعٍ منها، وكَوْنُهُ يَقْرُبُ من باهما لِيَقْرُبَ الدخولُ منه إليها، وليكن فتح البئر^(١) في أغشت^(٢)، وفي شتنبر^(٣)، وفي أكتوبر.

وانظر إلة ما يَقْرُبُ من ذلك الموضع من الآبار، وصفة تراهما، وعمقها، وكثرة مائها، واستدل به، وإذا وَصَلَ الحَفَّارون إلى الماء فَيَنْزَحْ، وَيُتِمَّادَى بالحفر إلى أن يكون الماء وَيَعْلُبُ، فَإِنْ وَجَدَ في أسفل البئر تربةً قويَّةً صفراءَ، قليلة النَّداوة، مائلة إلى البياض قليلاً، أو بيضاء مائلة إلى الصَّفْراءِ، وهذه تُسَمَّى^(٤): "المِطْفَال" فَإِنَّ ماءَهَا يكون قليلاً، وكذلك إن كانت التربة أسفل البئر مُكْدَنَةً^(٥) أو حجراً يرشحُ الماءُ من جوانبه فلا يعتدُّ به، فاحفرْ حتى تكسِرَ الطَّبَقَ^(٦) الذي [يُخْفِي] عيون الماء، فتصل إلى الماء المعين على الحصى.

(١) ابن بصال، ص ١٧٥.

(٢) ابن بصال: أغشت، أبو الخير: غشت، وهو شهر آب.

(٣) شتنبر: شهر أيلول.

(٤) التربة المِطْبَال (في الأصول الخطية جميعاً)، ولعلها مصحفة عن كلمة "المِطْفَال" التي فيها طينٌ طَفَلٌ: وهو الأصفر. وهذا ما نرجحه.

(٥) الأرض المُكْدَنَة: الصُّلْبَة الشديدة كأنها الكِدَان وهو الحبل المشدود المفتول.

(٦) الطَّبَق هنا: طبقة من الصخر تخفي الماء تحتها.

وفي الفلاحة النبطية^(١): إِنَّ ظَهَرَ فِي الْبُئْرِ حَجَرٌ يَعُوقُ الْحَفَرَ،
فَلْتُشْعِلْ عَلَيْهِ النَّارَ لَتَقَطَّعَهُ النَّارُ بِشِدَّةِ حَرَارَتِهَا وَدُخَانِهَا.

قال أبو الخير الإشبيلي^(٢): وَيُبَادَرُ بِطِي الْبُئْرِ فِي الْأَرْضِ الرَّخْوَةِ،
وإن احتاجت البئر إلى تابوت^(٣)، فيكون طوله نحو عشرين شبراً، وعرضه
نحو اثني عشر شبراً، وأصغر التوابيت يكون طوله نحو اثني عشر شبراً،
وعرضه نحو خمسة أشبار ونصف شبر.

وفي الفلاحة النبطية^(٤): إِنَّ حِفْتَمَ أَنْ يَكُونَ فِي الْبُئْرِ^(٥) الْبُخَارُ
الْمُؤْذِي الْمَانِعُ مِنْ دُخُولِهَا لَعْمَلٍ يُعْمَلُ فِيهَا، فَيَعْرِفُ ذَلِكَ بِأَنْ تُوقَدَ شَمْعَةٌ
وَتُدَلَّى فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَنْطَفِئْ، فَهِيَ حَسَنَةٌ سَلِيمَةٌ مِنَ الْبُخَارِ الْمُؤْذِي، فَإِنْ
انْطَفَأَتْ، [فَيَنْبَغِي أَنْ] يُخْرَجَ الْبُخَارُ مِنْهَا، بِالتَّرْوِيحِ فِيهَا بِالْأَكْسِيَةِ
وَشَبِهِهَا، وَذَلِكَ مَعْلُومٌ؛ وَصِفَتُهُ أَنْ يُدَلَّى فِيهَا رَجُلٌ وَاحِدٌ كِسَاءً كَبِيراً
مَرْبُوطاً بِجِلٍّ يُحَرِّكُهُ بِسُرْعَةٍ، وَيُطْلَعُهُ مِنْ فَمِهَا، وَيُنْزِلُهُ بِسُرْعَةٍ إِلَى أَسْفَلِهَا،
يَكْرُرُ ذَلِكَ مَرَّاتٍ. وَإِنْ كَانَتْ الْبُئْرُ وَاسِعَةً، فَيَعْمَلُ ذَلِكَ رِجَالٌ بِأَكْسِيَّاتٍ

(١) الفلاحة النبطية: ٧٣.

(٢) ليس في كتاب الفلاحة المنشور.

(٣) التَّابُوتُ الموصوف هنا: نُقْرَةٌ فِي الصَّخْرِ تَحْفَظُ الْمَاءَ الْمُسْتَخْرَجَ مِنَ الْبُئْرِ، وَيُصَبُّ فِيهَا الْمَاءُ،
فَتَشْرَبُ مِنْهُ الْحَيَوَانَاتُ أَوْ يَنْقَلُ الْمَاءُ مِنْهُ فِي قَنَوَاتٍ إِلَى الْأَشْجَارِ.

(٤) الفلاحة النبطية: ٧١، ٧٣.

(٥) البئر مؤنثة، ووردت في النسخ الخطية مذكّرة، فقال: دخوله —يعمل فيه— تتدلَّى فيه...

وشبّهها على حسب سعته، ثم تمتحن بالشمعة، فإن لم تنطفئ فقد زال ذلك البخار الرديء.

أو تُعمل حُزْمٌ من قَصَبٍ^(١) وشبّهه على قَدَرٍ سَعَةٍ فناء البئر وتُدَلَّى بِحِبَالٍ إلى قَعْرِ البئر بأيدي رجالٍ، ويحرّكونها ويطلعون بها إلى فمها، ويتزلون بها بسرعة إلى أسفلها، ويكرّرون حركتها من الصعود إلى النزول، ومن النزول إلى الصعود، ثم يُنزلونها في قعرها قليلاً، ثم يرفعونها بسرعة، وينزلونها كأنّهم يريدون دقّ شيء في أسفلها، فإن بهذا العمل يخرج البخار الرديء من البئر.

أو يقوم على رأس البئر^(٢) عشرة رجال أو أكثر بمقدار ما يسع دورّها [وفي أيديهم مراوح من خوصٍ كبار، ثم يُروّحون البئر ترويحاً شديداً، فإن ذلك يُجفّف البخار، أو يأخذ هؤلاء]^(٣) بأيديهم أواني مملوءة بماء باردٍ يسع كلٌّ إناءٍ منها نحو عشرة أرتال^(٤)، ثم يصبّونه كلّهم معاً في حينٍ واحدٍ من الأواني، ويُتبعونه بالترويح^(٥). بما ذكرنا وشبّهه، فإن ذلك البخار يخرج منها (إن شاء الله تعالى).

(١) الفلاحة النبطية: ٧٥.

(٢) الفلاحة النبطية: ٧٥.

(٣) هذا النص سقط من النسخ الخطية، وتَمَمْنَا السياق من الفلاحة النبطية.

(٤) الفلاحة النبطية: إلى سبعة، وليكن الماء مبرداً بالثلج أو بالهواء.

(٥) الفلاحة النبطية: الترويح بالمراوح أو الترويح بالأكسية.

وقيل: يُصَبُّ فيها ماءٌ سَاخِنٌ شديد السُّخُونَةِ^(١)، وَيُغَطَّى فَمُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ بِثَوْبٍ كَثِيفٍ، ثُمَّ يُزَالُ عَنْهَا، فَيُخْرَجُ الْبُخَارُ مِنْهَا (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

وقيل^(٢): يُجْعَلُ فِي آنِيَةٍ^(٣) تَبْنُ وَشِبْهُهُ، وَيُوقَدُ فِيهَا نَارٌ^(٤)، فَإِذَا دَخَنَ يُدْخَلُ فِي الْبُئْرِ ذَلِكَ الدُّخَانُ، وَيُخْرَجُ، وَيُعَادُ، وَيُكْرَّرُ ذَلِكَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الْبَخَارَ [الرَّديء] يَخْرُجُ مَعَهُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

قال أبو الخير الإشبيلي^(٥): وَلَيَكُنْ فِي الْقَامَةِ مِنْ حَبْلِ السَّانِيَةِ خَمْسَةُ قَوَادِيسَ^(٦) أَوْ نَحْوَهَا.

وقال: كُلَّمَا كَثُرَتْ الْأَمْشَاطُ فِي الْفَلَكِ^(٧) الصَّغِيرِ الَّذِي يُدِيرُ السَّانِيَةَ مَعَ كَبَرِ الْفَلَكِ الْكَبِيرِ، جَاءَتْ السَّانِيَةُ أَخَفَّ وَأَسْهَلَ.

(١) المتحف وباريس ومدرید: شديد السخانة.

(٢) الفلاحة النبطية: ٧٥-٧٦.

(٣) الفلاحة النبطية: مَجَامِر... وتَدَخَّنْ بَعِيدَانِ الْهَنْدَبَاءِ وَالْخَسَّ وَالْبَقْلَةَ اللَّيْنَةَ وَقَشُورَ الْبَطِيخِ.

(٤) المتحف وباريس ومدرید: ناراً.

(٥) قول أبي الخير الإشبيلي ذكره ابن بَصَّال في كتابه، ص ١٧٤-١٧٥.

(٦) القادوس: وعاء خَزَفِي كَالْجَرَّةِ، تَنْتَظِمُ الْقَوَادِيسُ فِي سِلْسَلَةٍ تَدِيرُهَا النَّاعُورَةُ أَوْ السَّانِيَةُ فَتَغْرِفُ الْمَاءَ مِنَ الْبُئْرِ وَتَصْعَدُ بِهِ إِلَى سَطْحِ الْمَزْرَعَةِ.

(٧) أصل الفلكة القطعة المستديرة من الخشب أو الحديد يثبت فيها عود المِعْزَلِ أَوْ عَمُودِ السَّانِيَةِ.

وطول المجرّة^(١) يسهل به [عَمَل] السَّانية، ولا ضَيْرَ إن كانت من ثلاثين شبراً أو نحوها.

ومما تَسْهَلُ به السَّانية أن يُقَطَّعَ ما فوق ثَقْبِ المجرّة من السهم القائم.

وتَسْهَلُ السَّانية أيضاً أن تكون الدائرة الحاملة للقَوَاديس من خَشَبٍ رزين، وأن تُعْمَلَ غليظة جداً حتى تكون ثقيلة نَعْمًا، وتكون أغلظ وأرزن من المعتاد فيها، فإنها بذلك تخفّ السَّانية.

وقيل: إنَّ مِمَّا يَمْنَعُ من انفتال السَّوْقَرَةِ^(٢) بالقَوَاديس في ماء البئر أن يُثَقَّبَ في أسفل كلِّ قَادوس من قواديس السَّانية ثَقْبٌ صغيرٌ، فلا تَنْفَتِلَ القَوَاديس في الماء في البئر، وتَسْلَمَ من أن يَكْسِرَ بعضها بعضاً عند ذلك، أو تُكْسِرَ بَطِيَّ البئر إذا وقفت السَّانية تَفَرَّغَتِ القواديس، وطال عُمُرُ الحَبَلِ لذلك (إن شاء الله تعالى).

* * *

وهنا يربط بها خرزات من حديد ليكون جري اللَّوْلُبِ فيها سريعاً، والمُشْطُ والمُشْطُ:
خشبة عريضة تدور في لولب البكرة.

(١) المجرّة: القائم الذي فيه المغازل القائمة.

(٢) السَّاقُور: الحديدية التي تربط بها الحبال والقواديس، وجمعها سَوَاقِير. وسمّاها هنا المؤلف:
سَوَقَرَة.

[الـ]... (فصل) [الرابع]

[تعديل الأرض ووزنها ليجري الماء فيها]

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الْعَمَلِ فِي وَزْنِ^(١) الْأَرْضِ بِالْآلَةِ الَّتِي تُسَمَّى:
"الْمَرْجِيقِل"^(٢)، وَبَغِيرِهَا [لِتَعْدِيلِهَا لِيَجْرِيَ] الْمَاءُ عَلَيْهَا.

قال أبو الخير الإشبيلي^(٣): هذه الآلة معلومة، وصفة وزن الأرض بها لتعديلها؛ أن تأخذ ثلاث عصي أو أربعة، متساويات الطول، وتقيم كل واحدة منها قياماً مستوياً على لوح لتكون على خطوط متساوية، ولتكن كلها مع قواعدهما مستوية الطول، ولا بُدَّ [أن] تُقيم الواحدة من على استقامة دون تحريف على فم البئر — إن كان سقي الماء من البئر دون صهريج^(٤)، أو عند بَكَار^(٥) الصَّهْرِيحِ إن كان السَّقي منه. وتقيم [العَصَا]

(١) وزن الأرض: ميزانها وتسويتها بالآلة.

(٢) ابن بصَّال (ص، ٥٥): المرجيقِل هو ميزان الماء، تُعدَّلُ الأرض وتُوزن بميزان الماء، بحيث تسوى، ويؤخذ التراب من المكان المرتفع ويوضع في المكان المنخفض.

واسم ميزان الماء المرجيقِل بالإسبانية القديمة: AL – marchaquel

وهو في اللغة السريانية "كنافرا" قال قوثامي (ص، ٨١) الآلة كنافرا تعمل من الشَّبه (النحاس) توزن بها الأرض من علو موضع منها إلى أدنى موضع، حتى تمرَّ القناة على استواء.

(٣) بعض قوله في فلاحه ابن بصَّال، ص ٥٥.

(٤) الصَّهْرِيح: حوض الماء يوضع عند فم البئر.

(٥) البَكَار: جمع بَكَرة، وهي بكرة السانية التي تسنو الماء من البئر.

الثانية أمامها على بُعدٍ منها، والثالثة كذلك، والرابعة في آخر الفناء الذي تريد تُعَدِّل فم البئر أو بَكَار الصَّهْرِيج إليه.

وليكن البُعد بين تلك العصي مُتَسَاوِيًا، وتُثَقِّل قواعدها بالحجارة وشِبْهَهَا لئلا تَمِيل أو تَسْقُط. ثم تَمُدُّ على رؤوسها من الأولى إلى الأخيرة شريطاً رقيقاً مشدوداً نَعْمًا، ثم تُعَلِّق تلك الآلة من ذلك الشَّريط فيها بين القائمين الأوَّلين، وتنظُرُ إلى الثَّقَالَةِ الرَّصَاصِيَّةِ، فإن وَقَعَتْ على الخطِّ الذي يَقْسِمُ تلك الآلة نصفين، فذلك الفناء الذي بين القائمين الأوَّلين مُستَوِيًا^(١)، وإن مال عنه إلى جِهَةٍ إحدى القائمتين؛ ففي تلك الجِهَةِ هو الانخفاض، وفي الأُخْرَى هو الارتفاع؛ فَيُعَدَّلُ بأن يُوْخَذَ من تراب الأعلى، ويجْعَلُ في [المكان] الأخفض؛ حتى يَسْتَوِيَا، ويقع خيط الثَّقَالَةِ على الخطِّ الذي في وَسَطِ تلك الآلة.

وكذلك يُعْمَلُ فيما بين كل قائمتين منهما، فإذا استوت تلك الأرض إلى آخرها بهذا الوزْن، فتَقْصِدُ أن يكونَ الطَّرْفَ الذي يُحْمَلُ إليه الماء أخفض من الأعلى الذي عند فم البئر أو البَكَار^(٢)، وأقل ذلك عرض إصْبَعٍ في مسافة مائة ذِرَاعٍ.

(١) المتحف وباريس ومدريد: مستوي.

(٢) البَكَار: جمع البَكَرَةِ؛ وهي خشبة مستديرة في جوفها مِخْوَرٌ تدور عليه، أو اسطوانة من خشب أو حديد يدور فيها جبل لإخراج الماء.

ذكر هذا القَدْر "أَفْلِيمُون" ^(١) في كتابه في "قود المياه".

وتوزَن الأرض أيضاً بذلك، وتُسَوَّى "بالأُصْطُرْلَاب" ^(٢) وذلك أن يُوضَعَ عند فم البئر أو عند بَكَار الصَّهْرِيح لوحٌ مُستَوٍ يُوضَع عليه الأُصْطُرْلَاب، وليكن شُطْبُهُ ^(٣) إلى فوق، والثَّقْبَان اللذان في طَرَفِهِ؛ أحدهما من جهة فم البئر أو بَكَار الصَّهْرِيح، والآخر من الجهة التي يُرَادُ مِضِيَّ الماء عليها.

ويؤخذ لوحٌ أو عُودٌ مُرَبَّع، ويُعْمَلُ في أحد تَراييعه دوائر كِبَار مُتَّصِلَةٌ على قَدْرٍ واحدٍ من أعلاه إلى أسْفَلِهِ، ويُصَنَعُ كُلُّ واحدٍ منها مُخَالَفاً للذي يليه، أو يُعْمَلُ فيه علامات مختلفات من أيِّ شيءٍ يَسَّرُ، ولتَكُنْ ظاهرةً لَتَرى من البُعد.

(١) هو أفليمون البيزنطي صاحب كتاب "قود المياه" وهذا الكتاب شرحه وبيَّنه أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي، وهو أحسن كتاب أُلِفَ في هذا المعنى (على حد قول ابن حجَّاج). المقنع، ص ٧.

وجاء اسمه مصحَّفاً في كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي (ص، ٥)، قال: قيلون البربطي صاحب كتاب "قود المياه".

وقد ذكر له ابن حجَّاج كتاباً آخر اسمه "فراصة الحَمَام وتَخْيِيرُهَا" المقنع، ص ٧١.

(٢) الأُسْطُرْلَاب: جهاز استعمله القدماء لمعرفة الوقت، وتحديد أبعاد الأرضين، وتحديد أبعاد النجوم وحرركاتها.

(٣) الشُّطْبُ: الخطوط التي تتراءى في متن الأداة، الواحدة شُطْبَةٌ.

ثم يُرَكَّنُ ذلك اللُّوحُ أو العود [الذي] يُقَامُ على استقامة دون انحناء ولا مِيلٍ في أحد [جوانب] ذلك الفناء الذي يُعَدَّلُ لجرِّي الماء.

وتكون تلك الدوائر إلى جهة الأَصْطِرْلَاب، ثم يجعل الإنسانُ حدَّهُ في الأرض فيما بين بَكَارِ الصَّهْرِيجِ والأَصْطِرْلَابِ وبِمَقْرَبَةٍ منه، وينظر من ثَقْبَةِ الشُّطْبَةِ التي تليه إلى الثَّقْبَةِ الأخرى منها إلى الدوائر الملوَّنة التي في ذلك القائم على خطٍّ مستوٍ، حتى يقع بَصَرُهُ على دائرة منها، وَيَتَحَقَّقُهَا، وَتَنْتَظِمُ مع ثَقْبَتِي الشُّطْبَةِ بالسَّوَاءِ، وتعرف [عندئذٍ] أيُّ دائرة هي بلونها أو علامتها التي تتميَّز بها من غيرها، ويحفظها ثم يَصِيرُ إليها ويعرفُ مِقْدَارَ بُعْدِهَا من وجه الأرض في الموضع الذي فيه ذلك القائم مَرَكُوزاً، فيُقَدَّرُ ذلك الارتفاع، وهو ارتفاعُ حَدِّ به الأرض من بَكَارِ الصَّهْرِيجِ، ومن ذلك القائم [فـ] يُنْقَصُ من تراب تلك الأرض المرتفعة، ويزَادُ في [التراب] المنخفض، حتى ينتظم شُعَاعُ بَصَرِ النَّازِلِ بين ثَقْبَتِي شُطْبَةِ الأَصْطِرْلَابِ، وبين أوَّلِ دائرة من ذلك القائم مِمَّا يلي وَجْهَ الأرض هنالك. فإذا كان كذلك فقد استوى ذلك البُعد الذي بينهما في ذلك الموضع، فيجعلُهُ أَمَاماً، وَيَعْمَلُ على جانبيه يميناً وشمالاً على بعد منه مثل ذلك، وَيَعَدِّلُ الفناء الذي بينهما بانتقال التراب من الأعلى إلى الأسفل حتى يكتملَ ما تريدُ في ذلك الموضع.

ذَكَرَ هَذَا وَشِبْهَهُ "أَفْلِيمُونَ" فِي كِتَابِهِ فِي "قَوْدِ الْمِيَاهِ".

وقد يُسْتَعَاضُ مِنَ الْأُصْطِرْلَابِ^(١) بِلَوْحٍ طَوِيلَةٍ^(٢)، نَحْوِ ذِرَاعٍ بِحَيْطٍ فِي وَسَطِهَا عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ، وَتُثَقَّبُ فِي أَحَدِ طَرَفَيْ ذَلِكَ الْخَيْطِ ثُقْبَةً، وَفِي الْآخَرِ أُخْرَى، وَيُرَكِّزُ فِي أَحَدِ الثُّقْبَيْنِ رَزَّةً^(٣) مِنْ حَدِيدٍ، وَفِي الْآخَرِ مِثْلُهَا مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي السَّعَةِ وَالْإِرْتِفَاعِ، وَيَكُونُ ثُقْبُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُقَابِلُ الْآخَرَى عَلَى ذَلِكَ الْخَطِّ، وَتَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ الْفِعْلُ بِالْأُصْطِرْلَابِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، فَتَنْظُرُ مِنْ إِحْدَى ثُقْبَتِي الرِّزَّتَيْنِ إِلَى الْآخَرِ [ثُمَّ] إِلَى ذَلِكَ الْقَائِمِ.

وَكَذَلِكَ اجْعَلِ فِي مَوْضِعِ الْأُصْطِرْلَابِ قِرْمِيدَتَيْنِ^(٤) ظَهَرَ إِحْدَاهُمَا فِي الْأَرْضِ، وَالْآخَرَى مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا لِكَيْ يَصِيرَ مِنْهَا شِبْهُ قَيْدٍ مَثْقُوبٍ، ثُمَّ تَنْظُرُ مِنَ الثَّقْبِ الْأَعْلَى مِنْ جِهَةِ الْبِكَارِ إِلَى الثَّقْبِ الْآخَرِ، ثُمَّ إِلَى الْقَائِمِ، وَتَعْمَلُ مِثْلَمَا تَقْدَمُ، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ الْأَرْضُ وَاسْتَوَتْ فَتُقَطَّعْ وَتُعْمَلُ فِيهَا السَّوَاقِي الْمَعْلُومَةُ، وَيَكُونُ بَيْنَ السَّاقِيَتَيْنِ قَدْرُ الْإِخْتِيَارِ فِي طَوْلِ الْحَوْضِ، وَيُتَوَخَّى أَنْ يَكُونَ أَخْفَضَ قَلِيلًا مِنَ الْأَحْوَاضِ، وَتَكُونُ الْأَحْوَاضُ مُسْتَوِيَةً

(١) اسم هذه الآلة في الفلاحة النبطية (ص ٨٢): العوجا، وهي من خشب السَّاج أو الدَّرْدَارِ أو من البلوط، ويعمل في وسطها (فردايا) تُخَرِّطُ مِنْ وَسْطِ لَوْحِ الْخَشَبِ...

(٢) قال: لوح طويل أي صفيحة عريضة من الخشب؛ لذلك جاءت صفة اللوح مؤنثة.

(٣) الرِّزَّة: حديدة يُدْخَلُ فِيهَا الْقُفْلُ، وَالْمَقْصُودُ: حَلَقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ.

(٤) بعضه عند ابن بَصَّال، ص ١٧٧.

نَعْمًا، لا يكون أعلاها أخفض أو أرفع من أسفلها، فيُحْمَل الماء إلى الزَّرَارِيع والزُّبُل من أعلاها إلى أسفلها.

واختار ابن بصَّال^(١) أن يكون طول الحَوْض اثني عشر ذراعًا، وعرضه أربعة أذرعٍ؛ وهو الحوض الذي يُتَعَرَف ذكرُهُ في هذا الكتاب إن شاء الله (تعالى) وإن عُمِلَ أَقَلَّ من ذلك فلا بأس، فإن أردت أن تُخْرِجَ ساقيةً مستقيمة من بَكَارِ الصَّهْرِيح، أو ساقية أخرى، فتأخذ ثلاثة أوتاد من خشب على قدر ما شئت، وتضرب أحدها في الأرض عند البَكَار، وتُعَيِّبُه حتى يبقى منه نحو شِبْر، وتضرب الثاني عند يَمِينِهِ مع حائط الصَّهْرِيح، وتجعل بينهما من البُعد نحو ذراعٍ أو أكثر، وتضرب الآخر عن يَسَارِهِ مثل الأوَّل، وتجعل بينه من البُعد، وبين الذي عند البَكَار مثل الذي عند البَكَار والآخر الذي عن يمينه سواء.

ثم تأخذ شريطة رقيقة صغيرة، وتعملُ في إحدى طَرَفَيْهَا عِينًا، وتجعل في أَحَدِ الوَتْدَيْنِ الطَّرَفَيْنِ، وتمدُّها إلى الآخر الذي في الطرف الآخر، وتعقد فيه عُقْدَةً هناك، وتمسك بالعقدة، وتديرُ منها إلى جهة الِيسَارِ نصف دائرة، ثم تردّ العين في ذلك الوَتْدِ، وتمدّ الشريط إلى ذلك الوتد الذي كان فيه أوَّلًا، وتديرُ منه نصف دائرة إلى جهة اليمين؛ فإنّ الدَّائِرَتَيْنِ تلتقيان قبالة الوتد الذي في الوسط عند البَكَار، ثم تربط طَرَفَ حبل التقطيع في الوسط الذي هو قبالة البَكَار، وتمدُّه إلى موضع التِّقَاءِ

(١) بعض قول ابن بصَّال في كتاب الفلاحة، ص ١٧٧-١٧٩.

الدائرتين المذكورتين. ومثل ذلك تعمل في إخراج ساقية من أخرى، وهذه صورة ذلك [الرّسم مفقود].

* * * * *

الباب الرابع

في اتخاذ البساتين، وترتيب غراسه الأشجار فيها

"في اتخاذ البساتين، وترتيب غراسة الأشجار فيها"، من كتاب

ابن حجاج (رحمه الله) في ذلك":

قال يוניوس^(١): ينبغي أن تختارَ مَوْضِعاً لَعَرْسٍ^(٢) البساتين، فيه مياهٌ كافية، يَقْرُبُ من منزل صاحبه -إن أمكن ذلك- ليكون مع النَّظر إليه، والسُّرور به، يُصْلِحُ الهواء، [وَيَسُرُّ] أعين الناظرين.

وينبغي أن لا يكون غرسُ الأشجارِ غَرْساً مختلطاً^(٣)، لكن يُعْرَسُ كُلُّ واحدٍ منها قريباً من جنسه، لئلاَّ تَغْلُبُ القَوِيَّةُ منها على الرَّقِيَّةِ^(٤)، فيعدم ذلك الضعيفة منها.

وينبغي أن تكون الفُرَج التي فيها بين العُروس على قَدَرٍ طَبَع الأرض وقوّتها.

وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله (تعالى).

(١) قول يוניوس في كتاب المقنع، ص ٣٥، وكتاب أبي الخير الإشبيلي، ص ٣٨، قال ابن حجاج: إذا أردت أن تتخذ بستاناً، فاختر موضعاً صالحاً، وماءً رويّاً، وليكن قريباً من مساكن الناس...

أبو الخير: ما كان قريباً من مساكن الناس، فإنّها مصحّحة لهم.

(٢) النسخ الخطية: موضع.

(٣) ابن حجاج (ص ١١) ينبغي أن يزرع كل نوع على حِدَّتِهِ.

(٤) المتحف: الغدا، باريس ومدريد: الغدى. الفلاحة الرومية، ص ٢٥٨: تغلب الشجرة الباسقة الواسعة الظلّ على الشجرة اللطيفة.

قال يוניوس وقسطوس^(١):

ينبغي أن يُعْلَمَ أَنَّ الغُرُوسَ التي تكون من البذور -في الجملة-
أضعف من جميع الغروس.

وينبغي أن يُعْلَمَ أَنَّ أجودَ جميع الغُرُوس: التي تُحوَّل^(٢)، وأنَّ خيرَ
غرسِ الشجر ما يكون من عُصُونه^(٣).

قال قسْطُوس^(٤) (نحو ما تقدّم ليونيوس)، وهو قوله: ينبغي أن
يكون غرس كل نوعٍ من الشجر مع ما يُشَاكِلُهُ من الشجر، غير مختلف،
ولا متفرّق، حتى لا تكون^(٥) لِيَطَافُ الشجر وبَوَاسِقِهِ جميعاً، فإن الأشجار

(١) قولهما في الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩، قالاً: إن خير غرس الشجر ما يكون من عُصُونه
وقضبانته، ولا خير في شجر يكون غرسه من ثمرته وبذره. وقال الحكيم (أرسطو) ربّ
غرس من البذر خير من غرس من قضبانته.

(٢) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص ٢٦١): الغروس التي تنبت من الأصول بالثقب
والأوتاد واللّواحق إذا علقت في موضع ثم حوّلت إلى موضع آخر؛ كان ذلك أصلح لها
وأجود. وقال يוניوس (المقنع، ص ٩٢) الغروس التي تُحوَّل من مواضع تربي فيها كان
أصحّ وأحكم في الإمساك.

(٣) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩): خير غرس الشجر ما يكون من عُصُونه
وقُضْبَانِهِ.

(٤) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ٢٥٨.

(٥) الفلاحة الرومية: حتى تكون (سقط وتصحيف).

الباسقة الواسعة الظلّ إذا جاورت^(١) الأشجار اللطيفة وأظلت عليها،
أضرّت بها، وأذهبت قوّتها^(٢).

وقال كسينوس^(٣): إنَّ أَحَقَّ ما أُتخذَ فيه البُستان ما كانَ تحت
سَقْيٍ، في قاعٍ مستوٍ.

وقال بعض الفلاحين^(٤): ملاك صلاح جميع الأشجار سقيها بالماء
في الصيف، وليُنزَع بالأيدي ما كان ثابتاً في أصولها وحواليها طرياً، قبل
أن يشتدَّ إلى أن يلحق فروعها، فيصير إليه قوّة ذلك أجمع.

وقال غيره^(٥): وليُقَوِّم المَعَوِّجَة منها بالدَّعائم والجبال، حتى تشتدَّ
وتستقيم؛ فإنَّها إذا كانت لدنة قبلت ذلك، ويُتعاهد أمرُها بالسَّرجين^(٦).

(١) المتحف وباريس ومدريد: تجاوزت (تصحيف).

(٢) الفلاحة الرومية: أذهبت قوّة أصلها.

(٣) معنى قول كسينوس بأسوس مُضَمَّن في كتاب المقنع، ص ٣٥. قال اختر للبُستان موضعاً
صالحاً وماءً رويّاً.

(٤) الفلاحة الرومية، ص ٢٦٢، قال قسطوس: ملاك الغرس ألا يُعْفَلَ عن سقيه في الصيف.
وأن يُكسَّر من الغرس ما كان من فضل ينبت في أصله أو في عروقه بالأيدي من غير أن
تمسه حديدة قبل أن يأتي عليه عام، فإن ذلك يضرّه، ويذهب بقوّته.

(٥) الفلاحة الرومية، ص ٢٦٢.

(٦) الفلاحة الرومية: أن يتعاهد الشجر المثمر بالسَّرجين كل عام في (مهرماه) حزيران، من
غير أن ينال السماء أصل الأشجار.

وقال أبو الخير الإشيلي^(١): وغيره:

يُخْتَارُ لِلْبَسَاتِينَ وَالْجَنَّاتِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَرْضِ أَطْيَبُهَا بُقْعَةً، وَأَعَذَّبُهَا مَاءً^(٢)، وَلِيَكُنْ مَعَ ذَلِكَ مَعِينًا، وَتُعَدَّلُ أَرْضُهَا قَبْلَ غِرَاسِهَا، ثُمَّ تُسَوَّى لِحَرْبِي الْمَاءِ عِنْدَ سَقِيهَا؛ لِأَنَّهَا إِنْ سُوِّتِ أَرْضُهَا بَعْدَ غِرَاسَةِ الْأَشْجَارِ فِيهَا، فَرُبَّمَا انْكَشَفَ بَعْضُ أَصُولِ الشَّجَرِ عِنْدَ تَعْدِيلِ الْأَرْضِ، فَيَضُرُّ ذَلِكَ بِهَا.

وَلَتَكُنِ الْبَسَاتِينَ مُسْتَقْبَلَاتٍ لِلْمَشْرِقِ^(٣)—إِنْ أَمَكُنْ— وَتُغْرَسُ الْأَشْجَارُ فِيهَا صُفُوفًا عَلَى أَسْطَارٍ مُسْتَقِيمَةٍ.

وَلَا تُغْرَسُ الْأَشْجَارُ الَّتِي تَعْظُمُ مَعَ الْأَشْجَارِ الَّتِي لَا تَعْظُمُ^(٤)، وَلَا الَّتِي تَتَعَرَّى مِنْ أَوْرَاقِهَا مَعَ الَّتِي لَا تَتَعَرَّى مِنْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَلُ.

(١) قول أبي الخير في كتابه، ص ٣٨، والمقنع، ص ٣٥، وفي كتاب علم الملاحاة في علم الفلاحة للنابلسي، ص ١٨.

(٢) أبو الخير وابن حجاج: اختر موضعاً صالحاً وماءً رويًا.

(٣) المقنع، ص ٨؛ قال: ولتكن الزروع والبساتين مستقبلة ريح الشمال والشرق حتى تدخل فيها الشمس؛ لأن الرياح الشرقية أصح من الغربية، وسخونة الشمس تنفي الأسقام.

(٤) الفلاحة الرومية (ص ٢٥٨): يغرس كل نوع من الشجر مع ما يُشَاكِلُهُ فلا تُغْرَسُ لَطَافُ الشجر مع بواسقه جميعاً؛ لأن الباسقة إذا أظلت اللطيفة أضرت بها وأذهبت قوتها، وانظر: النابلسي، ص ١٨.

وَيُغْرَسُ مِنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي لَا تَتَعَرَّى بِمَقْرَبَةٍ مِنَ الْبَابِ وَالصَّهْرِيحِ؛
مثل: الرَّئْدُ، وَالرَّيْحَانُ، وَالسَّرُّو، وَالصَّنَوْبَرُ، وَالْأُتْرُجُّ، وَالْيَاسْمِينُ، وَالنَّارَنْجُ،
وَالزَّيْتُونُ، وَاللَّامُونُ، وَالْجَنَاءُ الْأَحْمَرُ^(١)، وَشَبِهَا.

وَيُغْرَسُ شَجَرُ الصَّنَوْبَرِ حَيْثُ يُحْتَاجُ إِلَى الظِّلِّ الْكَثِيفِ مِنْهُ، وَفِي
وَسَطِ الرِّيَاضَاتِ^(٢) أَيْضًا.

وَيُغْرَسُ السَّرُّو أَيْضًا فِي الْمَاشِي^(٣)، وَفِي أَرْكَانِ التَّرَايِعِ^(٤) وَيُغْرَسُ
أَيْضًا بِمَقْرَبَةٍ مِنَ الْبَيْتِ وَالصَّهْرِيحِ^(٥) شَجَرُ الْعُبَيْرَاءِ، وَالْأَزَادَرَخْتُ^(٦)،
وَالدَّادِي^(٧)، وَالنَّشْمُ^(٨)، وَالْحُورُ الرُّومِي^(٩)، وَالصَّفْصَافُ، وَالْجَلَنْارُ، وَشَبِ
ذَلِكَ.

(١) الْجَنَاءُ الْأَحْمَرُ: هُوَ الْقُطْلُبُ أَوْ الْقَيْقَبَانُ، وَيُسَمَّى قَاتِلَ أَبِيهِ؛ لِأَنَّ نَبْتَهُ وَثْمَهُ لَا يَجْفَأَنَّ.

(٢) الرِّوْضَةُ: جَمْعُهَا رَوْضٌ وَرِيَّاضٌ... وَجَمْعُ الْجَمْعِ رَوْضَاتٌ، رَاضَهُ رِيَّاضَةً: ذَلَّلَهُ، فَهُوَ
مُرَوَّضٌ، وَجَمْعُ رِيَّاضَةٍ: رِيَّاضَاتٌ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا: الرِّوْضَاتُ وَلَيْسَ الرِّيَّاضَاتُ.

(٣) الْمَاشِي: الْمَمَرَّاتُ.

(٤) التَّرَايِعُ: الْمَكَانُ الَّذِي تَتَقَاطَعُ فِيهِ الْخُطُوطُ (الْمُرَبَّعَةُ).

(٥) الصَّهْرِيحُ: حَوْضُ الْمَاءِ.

(٦) الْأَزَادَرَخْتُ؛ (فَارْسِيَّةٌ): مَعْنَاهَا حُرُّ الشَّجَرِ، وَهُوَ اللَّبَخُ وَالْعُنَابُ الْأَبْيَضُ، شَجَرٌ عَظِيمٌ
يَنْبِتُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَخِرَاسَانَ (عَمْدَةُ الطَّبِيبِ، ص ٥٥).

(٧) الدَّادِي وَالدَّادِي: مِنَ الشَّجَرِ الْعِظَامِ، مُتَكَاثِفُ الْأَغْصَانِ، لَوْنُهُ لَوْنُ الْخُرُوبِ، وَالدَّادِي
الرُّومِي: هُوَ الْقَطْرَانُ، وَقِيلَ: الْخَوْخُ (عَمْدَةُ الطَّبِيبِ، ص ٢٨٥).

(٨) النَّشْمُ هُوَ الدَّرْدَارُ أَوْ الْبَقَمُ الْأَسْوَدُ، أَوْ شَجَرَةُ الْبَعُوضِ.

(٩) النَّابِلْسِي: الْحُورُ الْفَارْسِي. ابْنُ حِجَاجٍ: الْحُوزُ.

وَيُعَلِّقُ عَلَى الْعِظَامِ مِنْهَا الْعَرَائِشَ، وَيُرَدِّدُ الْمَاءَ فِي ظِلِّهَا.
وَالْمَاءُ الْبَارِدُ أَنْجَعُ لِلسَّقْيِ فِي فَصْلِ الْحَرِّ وَأَنْفَعُ.
وَيُجْعَلُ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الظِّلِّ^(١)، وَالْمَشُوكُ^(٢)، مِثْلُ^(٣):

الْعُنَابُ وَالصَّنَوْبَرُ، وَالْمَيْسُ، وَالنَّشَمُ، وَالصَّفْصَافُ وَشِبْهَ ذَلِكَ مَعَ
حَائِطِ الْبُسْتَانِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ، وَمِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ أَيْضاً؛ فَلَا يَضُرُّ ظِلُّهَا
شَجَرُ الْبُسْتَانِ وَخُضْرَتُهُ.

وَلِيَكُنْ كُلُّ نَوْعٍ مِنَ الْأَشْجَارِ فِي الْجَنَّةِ الْكَبِيرَةِ عَلَى حِدَةٍ، وَكَذَلِكَ
مَا يَأْتِي فَائِدَةً مِنْهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ يُغْرَسُ مَعاً فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، مِثْلُ:
التُّفَّاحِ، وَالْإِجَّاصِ، وَالْكُمَثْرَى، وَالْمُشْمُشُ لِتَخِفَّ الْمُوْنَةُ فِي حَرَازَتِهَا^(٤).
وَيُغْرَسُ الْوَرْدُ^(٥) فِي نَاحِيَةِ تَصْلُحُ مِنَ الْبُسْتَانِ. وَيُغْرَسُ فِي الْمَوَاضِعِ

(١) هذا القول في المَقْنَعِ، ص ٣٥، وكتاب أبي الخير: ٣٩، والنابلسي، ص ١٨.

(٢) النابلسي: الشَّائِكُ.

(٣) المَقْنَعِ وكتاب أبي الخير: الدُّلْبُ وَالسَّرُّو وَالصَّنَوْبَرُ وَالصَّفْصَافُ وَالْجُوزُ وَالْبِنْدَقُ.

(٤) حُرُزَ يَحْرُزُ حَرَازَةً: امْتَنَعَ وَتَحَصَّنَ، خَفَّتِ الْمُوْنَةُ فِي حَرَازَتِهَا: حَفَظَهَا فِي مَكَانٍ مَنِيعٍ وَوَعَاءٍ
حَصِينٍ.

(٥) النابلسي (ص ١٨): يَغْرَسُ الْوَرْدَ عَلَى الْحَجَارِيِّ الَّتِي يَسْقَى بِهَا أَوْ فِي نَاحِيَةِ تَصْلُحُ مِنَ
الْبُسْتَانِ.

الرَّطْبَةُ الكثيرة النَّدَاوة منها: النَّشَم^(١)، والغَرَب^(٢)، والصُّفَيَاء^(٣)، والأُثْرَجُ،
والمَيْسُ، والرَّند.

وَيَتَوَخَّى أن يكون شجر الأُثْرَجِ في موضع مستور عن الريح
الشرقية والريح الغربية، مكشوف للريح القبليَّة^(٤).

وسوف نذكرُ اختيار الأرض التي تصلح للمباقل في الباب (الثالث
والعشرين) إن شاء الله (تعالى) وقد تقدّم ذكر بعضها فتأمّله، وبالله
التوفيق.

* * * * *

(١) النَّشَم: هو الدَّرْدَار.

(٢) الغَرَب: هو الصُّفَصَاف.

(٣) الصُّفَيَاء والصُّفَيَاء: عشبة لها زهر أصفر تعرف بالحنس البري أو المصاصة (عمدة الطبيب،
ص ٥٣٩-٥٤٠).

(٤) المقنع، ص ٤٤: توافقه الريح القبليَّة.

الباب الخامس
غراسة الأشجار

[الفصل الأول]

[في اتخاذ الأشجار في البعل والسقي]

في اتّخاذ الأشجار في البعل، وفي الجنّات على السّقي،

وذكر ما لا يسقي العّارسُ منها عن معرفة^(١)

اعلم أنّ من الأشجار ما يُتخذ لثمره، ومنها ما يُتخذ لجمّاله،
وفوّح زهره ونوره، ومنها ما يُتخذ للانتفاع بخشبه.

وتُتخذ جميعُ الأشجار^(٢) من نوىّ منها، ومن حبّ ثمر ما لا نوى
له منها، ومن أغصانٍ تُملخ^(٣) وتُقطع متخيّرة من الجهة التي تَصْلُح أن
يؤخذ ذلك منها، ومن أعينٍ من أعالي تلك الأغصان^(٤)، ومن أوتادٍ تُعملُ
من أسفل تلك الأغصان، ومن القضبان النّابتة في أصول بعض الأشجار،
وبمقرّبة من بعضها^(٥)، وفي اختيارٍ أيضاً [ما] يُسمّى النّوامي واللّواحق^(٦)،

(١) المتحف وباريس ومدرّيد: عن معرفة إخراجها عنها (وهي جملة غير مفهومة).

(٢) هذا النص حرفاً فحرفاً ذكره النابلسي، ص ٢٠.

(٣) ملخ الغصن: جذبه قبضاً، واستله واقتلعه.

(٤) قال ابن بصّال: الغراسة تنقسم ثلاثة أقسام: زرايع ونوامي ونوى (كتاب الفلاحة،
ص ٥٩).

(٥) يشير إلى زراعة فسائل النخل وشبهها.

(٦) اللاحقة: الثمر بعد الثمر الأول، والغصن بعد الغصن الأول، والفسيلة بعد الأصل الأول،
والجمع لواحق.

والنبات، والأنقال^(١) [التي] تُقْلَعُ بعروقها وأصُولها، وتنتقلُ إلى موضع التّربية^(٢)، وإن لم يكن لها عُرُوق فَتَرْبُو حتى يصير لها عُرُوق.

ونذكرُ تدبيرها بعد هذا (إن شاء الله تعالى) ويُسمَّى هذا التدبير: التّعطيس^(٣) والاستسلاف^(٤)، ولكل نوع منها عَمَلٌ في غراسته، وتدبيرٌ في إفلاحه، نذكره (إن شاء الله تعالى).

فإذا عَلِقَتْ هذه العُرُوسات^(٥)، وصار لها عُرُوق، وصَلَبَ عودُها — وذلك بعد ثلاثة أعوام أو نحوها — وصارت نُقْلًا تَنْتَقِلُ إلى المواضع التي تصلحُ لها؛ لتؤتي فيها أَكْلَهَا (بمشيئة الله تعالى).

(١) المتحف وباريس: اللقاح: نبت معمر سام، يسمى البيروح، ينبت برياً في بلاد الشام. ويسمى الزعرور الجبلي وخوخ الدب، والصواب: الأنقال: جمع نُقْلَة: ما ينقل بعد التربية في الأحواض.

(٢) سمى المؤلف هذا النوع من الغروس: الأنقال، وواحدته نقلة (كما سيأتي) وقد تسمى المحولة.

(٣) التّعطيس: أن يحفر حول الدالية وتغطس قضبانها وتخرج من كل الجهات.

(٤) الاستسلاف: إحدى طرائق تكثير الأشجار، سوف يتولّى شرحها ابن العوام بفصل مستقل من الباب الخامس ويعني: اقتراض غصن من شجرة لزراعته بالتكيس أو بالأوتاد.

(٥) هذا قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ٢٦١.

ومن كتاب ابن حجاج (رحمه الله) في أصناف المغروسات وأشكالها، قال يُونيوس^(١): تكادُ جميع الأشجار تغرسُ بكل واحدٍ من أنواع الغرس؛ أعني أن غرسها يكون من نوى، ومن بُذور، ومن فروع تُنتزع من الشجر، ومن أوتادٍ؛ وليُختَر ما لَانَ منها، وما تُفَقَد كثيراً^(٢)، وأن نباته أجود، وله طبعٌ خاص، وينبغي لنا أن نَتَفَقَد ذلك كثيراً؛ فإن الذي ينبغي أن يصير غرسه من بذره^(٣) هو: الجوز، واللوز، والشَّهْء بلوط^(٤)، والخنوخ، والإجاص، والنخل، والصنوبر، والسرو^(٥)، والغبيراء^(٦)، والغار، وشجر الصنوبر الذكر.

وذكر دِيمُقْرَاطِيس في جملة هذه: المَشْمَش.

(١) قول يُونيوس مضمن في كتاب المقنع، ص ٣٤، والفلاحة الرومية، ص ٢٦٠-٢٦١، وابن بصّال، ص ٥٩، وما بعدها.

(٢) يريد: ما تم اختياره.

(٣) المقنع: ما يغرس من نواه وبذره: اللوز والخروب والبطم والبندق والسدر والمشمش والأترج والعنب والتين، وأضاف قسطوس (الرومية، ٢٦٠): القسطرون والعرعر والدهمشيت والموز.

(٤) الشاهبلوط: هو القسطل، ويعرف بالكستناء.

(٥) المقنع: السدر. الفلاحة الرومية: السرو.

(٦) الغبيراء: شجرة لها نوى أحمر، غبراء الورق، ثمرها كالعنب.

وذكر قسطوس^(١): (الفُسْتُق) قال قسْطوس^(٢): فإذا عَلِقَ كُلُّ
غَرْسٍ من هذه البُذُورِ في موضعه [ثم] حُوِّلَ إلى موضع آخر فهذا خيرٌ له.
قال ديمقراطيس^(٣): إذا حال على هذه الغروس حَوْلَان، حُوِّلَت
كُلُّها إلى مكان آخر.

وقال يוניوس^(٤): ينبغي أن تنقل هذه الأشجار وتُغرس.
قال ابن حَجَّاج (رحمه الله تعالى): هذا إِجْمَاعٌ من حُذَّاق
الفلاحين على أن لا تَقَرَّرَ هذه الأشياء في مواضعها.
وقال يוניوس^(٥): وأما ما ينبغي أن يُغرسَ من فُرُوعٍ تُنْتَزَعُ من
الشجر^(٦)؛ فالتُّفَّاح، والقرَّاسيا، والبُنْدُق، والآس، والزَّعرور.

(١) الفلاحة الرومية، ص ٢٦٠.

(٢) الفلاحة الرومية، ص ٢٦١.

(٣) الفلاحة الرومية، ص ١٤٠، قال ديمقراطيس: لست أرى أن ينزع الغرس الذي قد أتى له
سنة؛ لأن الأصول لا تعلق ولا ترسخ في موضع غيرها لضعفها ورقتها.

وقال (الفلاحة الرومية، ص ٢٦٢): لا ينبغي لشيء من الغرس أن يحول من موضع إلى
موضع دون أن يستبين لصاحبه أنه قد علق ورسخت عروقه.

(٤) قال يוניوس في المقنع، ص ٣٦، قال تحول بطينها مستمسكاً وبعروقتها.

(٥) قول يוניوس ذكره قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ٤٠، وعزاه إلى ديمقراطيس. وهو في
المقنع دون عزو (ص ٣٥)، وقال: إن شئت قضباناً وإن شئت أصولاً.

(٦) أضاف في الفلاحة الرومية، ص ١٤٠، ص ٢٦٠: الكلاشيه والغيراء والتفاح الجبلي.

وذكر قسطنطوس في هذه الأشجار^(١): شجرة الغبيراء.

قال يونيوس^(٢): ومن الناس من يعمد إلى فروع هذه الأشجار، وهي بعد ملصقة بأشجارها فيميلها ويطمرها في التراب، حتى يصير لها أصول، ثم ينقلها، ذلك أن الفروع تحب أن تنقل فتعرس.

وسوف يأتي وصف العمل في هذا الوجه (إن شاء الله تعالى).

قال: والأشياء التي تُعرس من أوتاد، هي: شجر التوت، والأترج، والسفرجل، والزيتون، والطرفاء^(٣)، والخور.

وقال: وهذه أيضاً إن نُقلت فغرست تكن أجود.

قال سيداغوس^(٤): إن الأشجار إذا لم تتعر من الأوراق، أو كان بقاؤها على الأرض كثيراً، ولا تهرم إلا في الأزمنة المتطاوله، أو كان

وأضاف ابن حجاج: الرمان والزيتون والإحاص والدلب والشاهبلوط والخلاف والتين والعنب.

(١) قول قسطنطوس في الفلاحة الرومية، ص ٢٦٠.

(٢) يشير يونيوس هنا إلى التغطيس والتكبيس وقد سبقت الإشارة إليهما.

(٣) الطرفاء: الأثل، وهو نوع من العضاء تأكله الإبل ويخرج عصياً سمحة في السماء، ولا حشب له. منه بري وبستاني، وينجب في الأرض المالحه.

(٤) ورد ذكره في المقنع: سيدعوس وسيداغوس (ص ١١٣).

إيراقها وَفَتَحُهَا بِطِيئاً، عَلِمْنَا أَنَّهَا مِنْ مَادَّةٍ غَلِيظَةٍ^(١) لَزِجَةً لَيْسَتْ بِرَقِيقَةٍ، سَخِيفَةٍ^(٢).

وَالشَّجَرُ الَّذِي يَكُونُ بَقَاؤُهُ وَلُبُّهُ قَلِيلاً، عَلِمْنَا أَنَّهُ مِنْ مَادَّةٍ لَطِيفَةٍ رَقِيقَةٍ، سَرِيعَةِ الْإِنْتِفَاشِ^(٣)، وَلِذَلِكَ أَرَى أَنَّ تَكُونَ غُرُوسِ الْأَشْجَارِ الْغَلِيظَةِ الْمَادَّةَ أَكْثَرَ شَيْءٍ مِنَ الْأَوْتَادِ الْمُلَسِّ الْمُحْدَثَةِ، لَا مِنَ الْقُضْبَانِ اللَّيِّنَةِ؛ لِأَنَّ الْمَادَّةَ الَّتِي تَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْتَادِ أَثَخَنَ وَأَكْثَفَ، وَأَشَدَّ انْدِمَاجاً مِنَ الَّتِي تَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْقُضْبَانِ [اللَّيِّنَةِ].

وَمِنْ تِلْكَ الْأَشْجَارِ: الْفِرْصَادُ^(٤)، وَالسَّفَرَجَلُ، وَالزَّيْتُونُ، وَالْكُمَثْرَى، وَالْأُتْرُجُ، وَالرُّمَّانُ، وَالْآسُ.

(١) ابن بَصَّال: الْأَشْجَارُ الَّتِي لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا قَلِمَا يَعْرِضُ لَهَا الْهَرَمُ وَالْإِرْتِكَاسُ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ مَوَادَّهَا فِيهَا بَاقِيَةٌ لِأَنَّهَا مَوْدَكَةٌ، وَمَاؤُهَا ثَقِيلٌ (كِتَابُ الْفَلَاحَةِ، ص ٩٠).

(٢) الْمَتَحَفُ وَبَارِيْسُ: سَخِيفَةٌ (تَصْحِيفٌ).

وَالصَّوَابُ: سَخِيفَةٌ؛ أَيْ رَقِيقَةٌ.

الْمَسْحَفَةُ: الْأَرْضُ الرَقِيقَةُ الْكَالَاءُ. يُقَالُ: سَحَفَ الشَّحْمَ عَنْ ظَهْرِ الشَّاةِ: قَشَرَهُ مِنْ كَثَرَتِهِ.

وَالسَّحُوفُ: السَّمِينَةُ.

(٣) الْإِنْتِفَاشُ: الْإِنْتِشَارُ بَعْدَ تَلَبُّدٍ، وَالْإِنْتِفَاشُ: التَّفَرُّقُ.

(٤) الْفِرْصَادُ: التَّوْتُ الْبَلَدِي.

[فينبغي] أن يُغرس من هذه الأوتاد التي مادتها غليظة لتكون
عُرُوقها ناشئة منها، وأشدَّ مُطَابَقَةً لها، وأليق بها جدًّا. وإن شئتَ غرستَ
قضبائها، لكنّ الذي ذكرتُ أحسنُ وأشبهُ.

وما كان من الأشجار، القليلة اللبث^(١)، التي تتقدّم بالفتح^(٢)
سريعاً عرفنا أنّها من مادّة لطيفة رقيقة؛ كاللّوز، والخوخ، والتفّاح،
والإجاص، وما شاكل ذلك.

وتكونُ غروسُ هذه من القضبان اللينة، والثمار أليقَ بها.
وأما شجرة التين^(٣) — وإن كانت من الأشجار اللابثة^(٤) —
فلتجويف عودها وخوره^(٥) رأوا غرسه من القضبان الرقاق؛ لأنّ الودّ منه
إذا قطع وغرس، فكثيراً ما يلجُ الهواء ورطوبة الأمطار إلى جوفه من
موضع قطعهِ الأعلى، فيصيرُ إلى لبّه الذي يُسمّى "المخّ" وهو ضعيفٌ بعدُ؛
لأنّه لم يتصل ويتخذ أصولاً، فيهنّ^(٦)، ويتعفنّ لذلك (انتهى قوله).

(١) أي: غير المعمرة.

(٢) يريد أن زهورها تنفتح أول الربيع قبل غيرها من الأشجار.

(٣) شجر التين يغرس من قضبانهِ ونقله وتكاييسه وأقلامه وزراريه (بذوره). انظر: ابن
بصّال، ص ٦٤-٦٦.

(٤) المعمرة التي يطول عمرها وتمكث في الأرض طويلاً.

(٥) الخور: الهشاشة والرخوصة.

(٦) المتحف وباريس: يهق (تصحيف) يهن: من الهوان والضعف.

وقال سولون^(١): الأوتادُ القليلةُ الرُّطوبةُ، اليابسةُ بالطَّبعِ، يُخْتَارُ عليها المُلُوخ^(٢) والقضبان؛ لأنَّها أرطبُ منها؛ كالرُّمان ونحوه.

أَمَّا قسطوس^(٣) فَنَوَّعَ في هذه الأشياءِ، وأكثر من هذا التنويعِ، وخالف "يونيوس"^(٤) في أشياء منها، وهذا نصُّ قوله: "ينبغي أن يُعْلَمَ أيُّ العُرُسِ يُغرسُ بذره، وأيُّها يكسرُ كسراً بالأيدي ثم يُغرس، وأيُّها من العُصون، وأيُّها من أواخر الشجر التي تنبت في أصوله؛ فإنَّ ذلك كله مختلفٌ، فَرُبَّ غرسٍ^(٥) إن بُكِّرَ في غرسه، كان خيراً له^(٦)، ورُبَّ غرسٍ إن أُضيفَ إلى غيره من الشجر كان خيراً له، فلكلِّ ذلك أمرٌ لا يُصْلِحُهُ غيره؛ فأما ما يُغرسُ من العُرُسِ بذراً^(٧): فالفُسْتُق، والجوز، والبُنْدُق، واللَّوز،

(١) ورد ذكره في المقنع، ص ٨٩ في حديث عن أوتاد الزيتون، وما ورد هنا سقط من المقنع.

(٢) الملوخ: القضبان التي تقتلع من الأشجار جذباً ونزعاً.

وقيل: هي الفسائل والعقل التي تنتزع من الأشجار ثم تغرس، كعقل التين والرمان.

(٣) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٤) يرى قسطوس ويونيوس أن لا خير في شجر يكون غرسه من ثمره وبذره.

(٥) هذه الأقوال نسبت إلى الحكيم قسطوس (الفلاحة الرومية، ص ٢٦٠).

(٦) الرومية: ورب غرس إن قلع من موضع يعلق به، فيحول إلى غيره يكن خيراً، ورب غرس من اللواحق التي تنبت في أصول الشجر، إن زرعت كانت خيراً.

(٧) الفلاحة الرومية، ص ٢٦٠.

والقَسْطَل^(١)، والخَوْخ، والإجَّاص، والصَّنَوْبَر، والسَّرَّو، والدَّهْمَشْت^(٢)،
والنَّخْل، فإذا عَلِقَ كُلُّ غَرْسٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهِ [ثم] حُوِّلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ،
فَهَذَا خَيْرٌ لَهُ.

وَأَمَّا مَا يُجَذَّبُ بِالْأَيْدِي^(٣) جَذْبًا؛ فَيَمْلَخُ، فَيُنَزَعُ مِنْ غُصُونِ
الشَّجَرِ، أَوْ يُكْسَرُ كَسْرًا لِلْعَرْسِ: فَشَجَرَةُ الْغُبَيْرَاءِ، وَالْأَسْ، وَالتُّفَّاح^(٤)،
فَإِذَا عَلِقَ كُلُّ غَرْسٍ مِنْهَا وَحُوِّلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ كَانَ خَيْرًا.

وَأَمَّا مَا يُعْرَسُ مِنَ الْعَرْسِ مِنْ لَوَاحِقِ الشَّجَرِ^(٥)، وَالَّذِي يَنْبُتُ مِنْ
أَصُولِهِ بِالتُّقْبِ^(٦) وَالْأَوْتَادِ؛ فَالْلُّوزُ، وَالْكُمَثْرَى، وَالْفِرْصَاد^(٧)، وَالْأَثْرَجُ،
وَالْتُّفَّاح، وَشَجَرَةُ الزَّيْتِ^(٨)، وَالسَّفَرْجَلُ، وَالْأَسْ، وَالْغُبَيْرَاءِ^(٩)، فَإِذَا عَلِقَ

(١) الرومية: القسطرون: نبات حولي ورقه يشبه البلوط، طيب الرائحة ينفع من نهش الهوام.

أما القسطل فهو الشاهبلوط أو الكستناء.

(٢) هو دهمست ودهمشنت: وهو ريحان الريف أو الغار أو الرند (عمدة الطبيب، ص ٣٠٠).

(٣) الفلاحة الرومية، ص ٢٦٠.

(٤) الرومية: وشجرة تسمى كلاشيه، وتسمى بالعربية: تمر الهند.

(٥) المتحف وباريس: من أواخر الشهر (تصحيف).

(٦) الفلاحة الرومية: بالنقب (تصحيف).

(٧) الفرصاد: التوت البلدي الأحمر.

(٨) الفلاحة الرومية: الزيتون.

(٩) الغبيراء: شجرة ورقها يضرب إلى الغبرة وثمرها يشبه العناب.

كلّ غرس من هذه الغروس في موضعه، ثم حوّل إلى موضع آخر كان خيراً له.

وأما ما ينبغي أن يُجذبَ جذباً^(١) من أنواع هذه الغُروس^(٢)؛ فالفرصاد، والأثرَج، والزيتون، والرُّمان، والنَّبق الجبليّ الأبيض^(٣)، والسَّفرجل.

وأما ما يُحفرُ عن أصله من أنواع هذه الغروس، ثم يَنْزَع بالأيدي^(٤)، فأصول الكُروم، والغَرْب^(٥)، والصَّنَوْبَر^(٦).

وأما ما يَعْرق^(٧) غَرْسُهُ بذراً وانتزاعاً من أصله من هذه الغروس؛ فالمشمش، وأنواع الإِجاص كله^(٨)، واللَّوز، والفُسْتُق^(٩)، والدَّهْمَشْت.

(١) المتحف وباريس يجد جداً (تصنيف).

(٢) الفلاحة الرومية: ولا يجذب ما والاها من لحائها.

(٣) الفلاحة الرومية: والرمان الجبلي الأبيض (سقط).

(٤) الفلاحة الرومية: يَنْزَع بالأيدي انتزاعاً.

(٥) الغرب: الصفصاف.

(٦) الفلاحة الرومية: وشجرة القسطرون (نبات ورقه مثل ورق البلوط سام).

(٧) الفلاحة الرومية: يعرف غرسه (كذلك) ولعلها مصحفة هنا وهناك. وصوابها: ما يزرع غرسه بذراً، أو يَعْرق: يتخذ غُرُوقاً، أو يَعْلق: أي: ينبت من إضافته إلى غيره.

(٨) الإِجاص أنواع: منه الشامي والبستاني والبري، والإِجاص الرطب والإِجاص الشتوي (عمدة الطبيب، ص ٤٦-٤٧).

(٩) الفلاحة الرومية: والنخل والفستق.

قال ابن حجّاج (رحمه الله)^(١): ذكرَ قسطوس - كما ترى - ما يُعْرَسُ من هذه الأشجار على حال واحدةٍ، فأفرد له فصلاً في كتابه، وما يكونُ عَرْسُهُ على حالتين مختلفتين، فأورده أيضاً في فصل آخر. وما اتَّفَقَ فيه كل واحدٍ من هذه الأشياء مع صاحبه في حاله، فذكره معه في فصلٍ أفردَه لذلك، وإن كان قد كرّره.

وقال ابن حجّاج^(٢) (رحمه الله) في صِفَةِ الترمذانات^(٣): قال يُونيوس في استعمال هذه المُلُوخ والأوتاد، وتَصْيِيرُهَا فِي الْمَوْضِعِ الْمُسَمَّى بِـ "الترمدانات" ثم نَقَلَهَا عَنْهَا: وَالتَرْمَذَانَاتُ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ: الْمَوَاضِعُ الَّتِي تُعْرَسُ فِيهَا أَوَّلًا، ثُمَّ تُنْقَلُ عَنْهَا، كَذَلِكَ فَسَرَّهَا يُونيوسُ فِي كِتَابِهِ^(٤)، قَالَ^(٥): الْأَجْوَدُ أَنْ تُعْرَسَ هَذِهِ الْقُضْبَانُ وَقْتَ الْخَرِيفِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُحْفَرَ الْمَوْضِعُ أَوَّلًا، ثُمَّ يُزَيَّلَ، وَيَوْضَعُ فِيهِ مَا يُرَادُ أَنْ يَصِيرَ لَهُ أَصُولٌ، أَكَانَ ذَلِكَ مِنْ قُضْبَانٍ أَوْ أَوْتَادٍ، وَيَصِيرُ فِيهَا قَدَرُ ذِرَاعٍ، ثُمَّ تُطْمَرُ وَتُسْقَى، وَمَتَى

(١) قول ابن حجّاج أحل به كتابه المنشور باسم (المقنع).

(٢) هذا القول سقط من كتابه المقنع.

(٣) الترمذانات: هي أحواض تربية الغروس قبل أن تنقل إلى مغارسها الدائمة.

(٤) اعتمد ابن حجّاج على كتاب يُونيوس في الفلاحة اعتماداً كثيراً، ونقل من آرائه أكثر من ثلاثين فقرة أثبتتها في المقنع.

(٥) بعض قول يُونيوس في المقنع، ص ٩٢-٩٣.

كانت السنة الثالثة تُنْقَلُ إلى المواضع التي يرادُ غرسها فيها، ويُنْقَى^(١) ما حَوْلَهَا بِالْمِنْجَلِ.

وينبغي عند تحويلها^(٢) أن يُحْفَرَ حَوْلَهَا بِرَفْقٍ لئلا يَضُرَّ الْحَفَرُ بالأصل، ولا يَنْتَشِرُ عند نقلها منها الطِّين الذي يكون في الأصل، ويُربط ما حوله، وتوضع في المواضع التي يرادُ أن تُغرسَ فيها.

وله قولٌ في البُذُورِ، وهذا نصُّ قوله^(٣): إنَّ الغُروسَ إذا نُقِلَتْ من مواضع بعيدة، كثيراً ما تَعْطَبُ، ولهذا صار بعض الناس يَسْتَعْمِلُونَ الغُروسَ من البُذُورِ على هذا التَّوَع: وهو أَنَّهُ إذا نَضَجَتِ الثَّمَرَةُ في شجرتها، يَنْشُرُونَ بذورها، وَيُجَفِّفُونَهَا، ثم يزرعوها.

وينبغي أن لا تُجَفَّفَ في الشَّمْسِ، لكن في الظِّلِّ، ومن الناس من يَنْشُرُ رماداً على البُذُورِ^(٤)، وينبغي [عندئذٍ] أن يُسْقَى الموضع الذي

(١) التنقية: كسح فضل الأغصان الزائدة.

(٢) هذا قول يוניوس، ص ٩٣.

(٣) قال يוניوس (المقنع، ص ١١٣): الأشجار التي زرعت من البذور ينبغي عند تحويلها أن تغرس حين تقلع من ساعتها قبل أن تذبل في الهواء. وقال قسطوس في الفلاحة النبطية، ص ٢٦٥، لو حملت غصون الشجر وقطعه ولطاف الشجر بأصوله مسافات بعيدة ييسر وضاعت لبعده الشقة، لذلك يحمل البذر بعد إدراكه ونضجه ويحفظ برماد البلوط.

(٤) قال يוניوس في المقنع، ص ١١٢: الرماد خير للبقول من جميع السرجين؛ ذلك أن الرماد لطيف شديد الحرارة في طبعه، ويقتل الدود وسائر الهوام.

قال ابن حجاج: هذا وهم من يוניوس، لأن الرماد شديد اليبس عديم الرطوبة، وليس له فائدة سوى قتل الهوام.

[يُغْرَس] فيه، ويُزَلَّل، وتُحْفَرُ فيه حُفْرَةٌ؛ كُلُّ واحدةٍ شَيْءٌ، ويصير فيما بَيْنَ الحُفْرَةِ قَدْرَ قَدَمٍ، فيوضَعُ في كل حُفْرَةٍ بَذْرَةٌ واحدة، ثم تُطْمَرُ بالتراب، وتُسْقَى في كلِّ يومٍ حتى يجيء المطرُ. وحتى إذا أَتَتْ عليه سَنَتَانِ أو ثلاث سنين، فَهَاجَتِ النباتات حَوْلَهَا، قبل أن يَنْبُتَ لها فُرُوعٌ، فيغرسها في حُفْرٍ مع أَصُولَهَا، ولا يَدَعُ فيها فوقَ الأرض إلا رُؤُوسَهَا فقط، ويُغْرَزُ إلى جوانبها دعائم.

ومن الناس^(١) من يَرَى أَنَّ العَرَسَ الذي يكون من البذر ضعيف.

قال^(٢): وينبغي أن يُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ غَرْسٍ بِذَرٍ يُنْبِتُ جِنْسَهُ الذي منه، ما خلا الزيتون فإنه قد يتولَّدُ منه شيءٌ بَرِّيٌّ، يقال له "قَرطِينون"^(٣) ولا يكون منه زيتونٌ.

(١) هذا قول قسطنطوس (الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩)، قال: لا خير في شجر يكون غرسه من ثمرته وبذره، وخير غرس الشجر ما يكون من غصونه وقضبانته، وما أضيف من بعض الشجر إلى بعض.

(٢) هذا قول يוניوس (المقنع، ص ٩١)، قال: الغروس التي تطاعم تكون أجود وأكثر حملاً [وبذر الزيتون ونواه] قد تصير غروسه "القرطينون" يعني الزبوج (المقنع: الزبوج).

وقال قسطنطوس (الفلاحة الرومية، ص ٢٦٥): شجرة الزيتون البرية التي لا تغرس في البساتين، إذا زرعت ثمرتها في غير منبتها لم تطعم الزيتون ولا تحمله ثم خالفت ثمرة الزيتون غيرها ثم تذبل وتيبس.

(٣) القرطينون: هو الزيتون البري، وقد يسمى زيتون الكلبة والزبوج، ينبت من نوى الزيتون.

قال سِيدَاغُوس^(١) في ذلك: ينبغي أن يُنْثَرَ على البُذُور الرَّمَاد متى أَرَدْنَا أَنْ نَنْقُلَهَا مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ؛ لَعَلَّا تَلْحَقَهَا النَّدَاوَةُ، فَكَثِيرًا مَا تَنْبِتُ أَوْ تَعْفَنُ إِنْ لَمْ يُفْعَلْ بِهَا ذَلِكَ.

ولا ينبغي أن يُجَفَّفَ شيء منها في الشَّمْس؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ^(٢) تَضُرُّهَا، وَتَصِيرُهَا قَحْلَةً، وَتُذْهِبُ رَطُوبَتَهَا اللطيفة الدَّسْمَةَ، فَتُضْعَفُ لَذَلِكَ. فَإِنْ كَانَتِ الْبُذُورُ ذَاتَ قُشُورٍ كَالْجَوْزِ وَالْبُنْدُوقِ، وَأَصَابَتْهَا الشَّمْسُ فَلَا تَضُرُّ بِهَا، وَالْأَحْسَنُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ تُجَفَّفَ فِي الظِّلِّ.

وقال في موضع آخر من كتابه^(٣): ينبغي إذا نحن نَقَلْنَا الْغُرُوسَ مِنَ التَّرْمَدَانَاتِ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي نُرِيدُ أَنْ نُقَرِّهَا فِيهَا، أَنْ نَقْلَعَهَا بِطِينِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ نَنْثُرَ عَنْهَا، وَإِذَا طَمَرْنَاها فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَدْفِنَ قَدْرَ ثَلَاثَةِ أَرْبَاعِ

(١) هذا قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص ٢٦٥.

وقيل: إن أرمدة جميع النبات نافعة، وتعالج الأشجار والنباتات بأرمدة من أجزائها مع الزبل وكذا عجم ثمرها ونواها (النايلسي، ص ١٠) وإذا كان الرماد رماد البلوط كان أجود.

(٢) ما يحفظ البذور والنوى أن تعلق في موضع بارد لا تصيبه الشمس ولا الريح، ولا الدخان، ولا حرارة نار، حتى تذهب رطوبتها. وقد توضع البذور في أولاني لم يصبها دهن مخلوطة برماد أو ملح فتحفظها (الفلاحة الرومية، ص ٢٦٥).

(٣) كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي، ص ٣٩، والمقنع، ص ٣٦: قال: إن قدرت أن تحولها بطينها مستمسكاً وبعروقها فافعل، فهذا أحرى أن تثبت ولا تتغير.

الغرس^(١)، وَيَقَى الرُّبْعُ بارزاً على الأرض، فهذا أجود ما رأى العلماء بهذا الشَّانِ في طَمَرِ الغُروسِ.

قال يוניوس^(٢): ينبغي أن تكون الترمدانات في أرضٍ لم تُفْلَح قطّ؛ يعني أن تكون الأرضُ جافّةً لم يكن فيها شيءٌ مُودَع من قَبْل. وأن تكون الشمسُ مشرقةً عليها، وتَصِلُ إليها الرِّيحُ الجارية، وينبغي أن تُقَلَبَ هذه الأرضُ قلباً مُسْتَقْصَى؛ لِيُنْزَعَ منها أصول الحشيش.

وينبغي أن يكونَ فيها بين غَرْسٍ وغَرْسٍ في هذه المَوَاضِعِ فُرْجَةٌ قَدَرِ قَدَمٍ، وتوضعُ الغروسُ في عمقٍ قَدَرِ نصفِ قَدَمٍ؛ فَإِنَّ الغَرْسَ إِذَا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ سَهْلَ قَلْعُهُ بِالْمَعُولِ، وإِنَّمَا ينبغي أن توضعَ الغُروسُ مُفْتَرِقةً^(٣) [غير^(٤) مُتَضَاعِطَةً^(٥) جداً لتصلَ إليها الشمسُ أكثرَ فَتُسَخِّنُهَا في كلِّ وقت.

(١) هذا قول يוניوس (المقنع، ص ٩٠) قال: ينبغي أن يغمر في الأرض ثلاثة أرباع الغرس، ويترك الربع الباقي فوق الأرض.

(٢) قول يוניوس هذا سقط من نسخة المقنع المنشورة.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: مفتوحة.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) المتحف وباريس: متضامنة، متطامنة، متعاقبة.

وَيُخْتَارُ مِنَ الْقُضْبَانِ لِلْعُرْسِ^(١): الْقُضْبَانِ الْمُتَقَارِبَةِ الْعُيُونِ
لِتَسْتَمْسِكَ سَرِيعًا.

وينبغي أن لا يكون طول القُضْبِ أقلّ من قَدَمٍ ونصف، ومن
الناس من يرى أن يحفرَ حولَ الغروس التي تصير في الترمدانات ستّ
مرات، وأن يبتدأ في حفرها من أوّل شهر آذار، وأن تُحْفَرَ في كلّ شهر
مرّة، وأن تكون الآلات التي تحفرها صغاراً جداً لئلا يضرّ ذلك الحفرُ
بالعُروس إذا كانت متقاربة بعضها من بعض.

قال^(٢): وينبغي أن تُلْقَطَ الفُرُوعُ^(٣) التي تنبتُ في العُروس إلى
جانب العُيُون، وهي غَضَّةٌ، قبل أن تَحْشَنَ؛ ليكون لقطعها بغير عُنْفٍ،
وليس ينبغي أن يكون طول ما يُتْرَكُ من الغروس أكثر من قَدَمٍ؛ وأمّا ما
طال أكثر من ذلك فينبغي أن يُقَطَعَ؛ لتكون زيادة النَّشْرِ في غِلْظِ الغرس،
وينبغي أن يكون قطع هذه الأشياء ولقطعها بالأيدي لا بالحديد.

وينبغي أيضاً في السنة الثانية أن يُحْفَرَ حَوْلَ العُروس ستّ
مرّات^(٤)، كما فُعِلَ في السنة الأولى، وأن يترك عِنان فقط في كلّ واحدٍ

(١) المقنع، ص ٢٧. قال: يختار القضيب الرطب الأملس المتقارب العيون، وليكن القضيب من
عامه فإنه أحرى أن يعلق.

(٢) هذا قول يוניوس، بعضه في المقنع، ص ٩٣، والفلاحة الرومية، ص ١٤٠.

(٣) المقنع: ينبغي أن ينتزع الفضل من الأغصان بالأيدي، وهي رخصة؛ لأن انتزاعها سهل.

(٤) يحفر حول الغروس في كل سبعة أيام مرة (المقنع، ص ٩٣).

من الغروس، وأن تُلقَطَ أيضاً الفروعُ الثانية في أوّل ما تَنْبُتُ مثلما وَصَفْنَا من التقاطها في السنة الأولى.

وإذا فُعِلَ بالغروس هذا الفِعْلُ، وتُعْوهَدَتُ بالترمدانات، ونُقِلَتُ منها إلى المواضع التي تغرس فيها [نَجَبَتُ].

ومن الناس مَنْ يُحَوِّلُها في السَّنَةِ الثالثة^(١)، ذلك أَنَّ الغرسَ إذا حُوِّلَ في سنة واحدة لا يكاد يَنْبُتُ سريعاً، وهذه العِلَّةُ [يُنْصَحُ] صَاحِبُ الْفِلاحةِ ألاَّ يُحَوِّلَ هذه الغروس إذا حالت عليها [سَنَةٌ]^(٢).

وعِلَّةُ ذلك أَنَّهُ أَوَّلُ تَعَلَّقِها وتَكُونُ عرووقها، فهي لذلك ضِعَافٌ لم تَسْتَحْكَمَ، فإذا حُوِّلَت كان التَّحْوِيلُ مُضِرّاً بها لذلك.

قال يُونيوس^(٣): ومن النَّاسِ مَنْ يَسْقِي الْغُرُوسَ وهي في الترمدانات، وليس ينبغي أَنْ يُفْعَلَ ذلك إلا إذا نقلت من الترمدانات وغُرِسَتْ.

(١) الفلاحة الرومية، ص ١٤٠، ٢٦٥، تقلع الشجرة المحولة بأصلها وعرووقها بعد عامين أو ثلاثة، فإنها تعلق وترسخ.

(٢) زيادة يقتضيها السياق، وتدل عليها القرائن.

قال ديمقراطيس (الفلاحة الرومية، ص ١٤٠): لست أرى أن ينزع الغرس الذي قد أتى عليه سنة من الكرم، فإن تلك الأصول لا تعلق ولا ترسخ في موضع غيره لضعفها ورقتها.

(٣) سقط قوله من كتاب ابن حجاج.

قال ابن حجاج (رحمه الله)^(١): هذا يُعَصَّد قول سيد اغوس، حيث قال: ينبغي أن يُتَحَرَّى بُجْهْدٍ مِّنَّا أَلَّا نَنْقَلَّ مَا كَانَ مِنَ الْمُلُوخِ وَالْقَضْبَانِ وَالتُّوَى وَالْأَوْتَادِ، وَمَنْشَوُهُ عَلَى السَّقْيِ وَالرُّطُوبَةِ الدَّائِمَةِ إِلَّا إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ.

وقال ابن حجاج (رحمه الله): جميع الفلاحين قالوا: لا بأس بسقي العُرُوس في الترمذانات عند إفراط الحرِّ، ويُيسر الأرض.

قال يُونْيُوس: إِنَّ —فيما بين غرس الكرمة التي لها أصول^(٢)، والتي من القضبان التي تقطع من ساعتها من الكرْم للغرس— اختلافاً، وذلك أن الغروس التي كلُّها أصول أخرى أَنْ تَعْلَقَ فِي نَبَاتِهَا^(٣).

وَيُقَال [إِنْ يُونْيُوس قَالَ]: إِنْ نَقَلَ الْعُرُوسَ يَصِيرُ الثَّمَرُ أَجْوَدَ، وَنَحْوُ هَذَا [القول] لقسطوس^(٤).

(١) قوله في المقنع بعبارات أخرى (ص ٣٦)، قال: احذر أن تحول شجرة من موضع جيد وماء عذب إلى موضع رديء، وأرض قحلة وماء غير عذب ولا رواء، فإن فعلت وهلكت فلا لوم علينا.

(٢) المقصود هنا غرس الكرمة بالترقيد بأن تميل قضيباً غير منفصل من أصل الشجرة وتضعه في خندق ييسط فيه ويظم ويخرج رأسه ويبقى سنتين ونصف ثم يفصل عن أمه.

(٣) قال يُونْيُوس (المقنع، ص ١٠٧): هذا الغرس أسرع إدراكاً وإطعاماً، وأكثرها نزولاً.

(٤) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص ٢٦١) الغرس إذا حول من موضع إلى موضع آخر كان أصلح له وأجود.

وقال يוניوس^(١): ينبغي أن تُنقى المواضع التي يُراد أن يُغرسَ فيها الغُروس من جميع الدَّغل^(٢) الذي فيها، وأن يُفعلَ ذلك فيها -ليس بالحفر فقط^(٣)- لكن بالسَّكك والحَرث مرّات كثيرة.

وينبغي مع قَلْع الدَّغل أن تُنقى من الحجارة، وأن تُخرَج منها، ولاسيما الحجارة التي لها حَدٌّ: ذلك إنَّ جميع الحجارة التي تكون على وَجْه الأرض تحرقُ الغروس^(٤) في وقت الصيف إذا أَحْمَتْهَا الشمس لدوام الحرارة في الأجسام الصُّلبة زماناً طويلاً، وفي الشتاء أيضاً تَبْرُدُ الحجارة

(١) قول يוניوس مذكور بمعناه في المقنع، ص ٢٠، قال: نقّ الأرض التي تريد غرسها من جميع أصناف النبات والحجارة، وقد سقط من كتاب المقنع فصل استئصال الحلفاء والثيل والشوك والقصب والنجيل وكل ما ينبت حول الأشجار من حشائش وما يخالط البقول والرياحين، والمنابت المستأجمة.

وأفرد له فصل في الفلاحة النبطية، ص ٣٧٨ وبما بعدها، وفصل في الفلاحة الرومية (ص ١٦٠) ما يذهب النبات المضر بالحَرث.

(٢) الدغل: الشجر المتلف، والجمع دغال وأدغال.

(٣) يقصد أن لا تزال الأعشاب بالمشق فقط، وإنما المقصود إزالتها من جذورها بالسكك.

قال ابن حجاج (المقنع، ص ١٣) ينبغي أن تحفر الأرض بالمدور (أحد أنواع السكك) ليستأصل ما فيها من حشيش.

وقال: ولتكن سكة الفدان كبيرة لتقلب الأرض وتخرج شحمها.

(٤) قال ابن حجاج (المقنع، ص ٧): إذا كان في الأرض حجارة عظام فهو رديء لها، لأنها تسخن في القيظ، وتحرق بحرارها أصول الشجر والبقول، وفي الشتاء تبرد فتفسدهما، والصغار من الحجارة أقل ضرراً، فانقل الحجارة من أرضك.

فَتَضُرُّ بِسَيْقَانِ الْغُرُوسِ إِذَا كَانَتْ عَلَى جِهَةِ الْأَرْضِ لاصِقَةً بِالْغُرُوسِ، كَمَا أَنَّهَا تَفْعَلُ ضِدَّ هَذَا الْفِعْلِ إِذَا كَانَتْ فِي الْعُمُقِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَئِذٍ تَبْرُدُ أَصُولَ الْغُرُوسِ فِي وَقْتِ الْحَرِّ.

قال: وينبغي أن تجتهد في أن تُسَوِّيَ المواضع - ما أمكن - فلا تدع في الكروم مواضع عميقة وغير [عميقة].

وينبغي أن يتقدم ذلك اختبار الأرض التي تصلح لذلك النوع من الأشجار التي يراد غراستها فيها [بحيث] تُعْمَرُ عِمَارَةً جَيِّدَةً مَرَاتٍ فِي ثَرَى طَيِّبٍ، وَيُنْقَى مَا فِيهَا مِنْ عُشْبٍ وَغَيْرِهِ^(١). وكلما أكثر من عمارتها كان ذلك أحسن، ولتعمق لذلك، فهو أفضل وأبقى للثرى فيه، وتعدل إن كانت أرض سقي، وبعد ذلك تُعْرَسُ فِيهَا الْأَشْجَارُ. وللغراسة أوقات تذكر - في هذا المَجْمَلِ إن شاء الله - فيما بعد.

وفي الفلاحة النبطية^(٢): تُخْتَارُ الْمَوَاضِعُ الَّتِي هِيَ مَوَاضِعُ الثَّرْبَةِ لِنَقْلِ الْأَشْجَارِ وَالنَّوَى، وَلِتَكُنَ الْأَرْضُ الْمُسْتَرِيحَةُ مِنَ الزَّرْعِ، وَلِتَكُنَ مِمَّا لَمْ تُفْلَحْ هَذِهِ السَّنَةَ - إن أمكن - وَإِلَّا فَلِتَكُنْ مِنَ الْأَرْضِينَ الَّتِي لَمْ تُفْلَحْ سَنَتَيْنِ، وَمِمَّا لَا يَلْحَقُهَا هُبُوبُ الرِّيحِ كَثِيرًا.

(١) الفلاحة النبطية، ص ٩٧٨.

(٢) انظر آراء أنوحا وصردايا وطامثري في الفلاحة النبطية، ص ٩٦١-٩٦٥.

وينبغي^(١) أن تكون الأرض التي تُحوَّل إليها الغروس من موضع تربتها مقاربة في الصِّفَةِ^(٢) للأرضين التي ابتُدئ زراعتها فيها، أو مثلهما، ولا تُحوَّل من أرض جيدة إلى أرض رديئة^(٣).

* * *

(١) الفلاحة النبطية: ص ٩٧٨.

(٢) الفلاحة النبطية: مشاكلها لها أو قريبة منها شديدة التقارب.

(٣) الفلاحة النبطية: لا ينبغي أن يحول الغرس من موضع أجود إلى موضع دون، فيصبح كالصبي الرضيع الذي يعتاد مرضعة جيدة فينتقل إلى أخرى رديئة المزاج فاسدة اللبن، فيفسد مزاجه ويلتات بدنه. (الفلاحة النبطية، ص ٩٧٩).

وهذا القول ذكره ابن حجاج في (المقنع، ص ٣٦)، قال: ينبغي ألا تحول شجرة من موضع جيد وماء عذب إلى موضع رديء، وأرض قحلة، وماء غير عذب ولا رواء.

[الـ]... فصل [الثاني]

[في أوقات غراسة الأشجار والملوخ والعُيون والأوتاد]

في أوقات غراسة الأشجار والملوخ والعُيون والأوتاد

من كتاب ابن حجاج (رحمه الله)^(١):

قال سيداغوس^(٢): في البلاد الحارّة، ينبغي أن يكون غرس الأشجار في الخريف^(٣)، وخاصة إذا كان البلد قليل الماء؛ ليلحق الغروس رطوبة أمطار^(٤) الخريف والشتاء والربيع.

وقد تُغرس أيضاً الغروس بعد انقلاب فصل البرد، ودُثُو الأغصان من التفتُّح^(٥). وهلاك هذه الأشجار المغروسة الإكثار من اعتمارها بالحرث المعمّق المضموم الخطوط، لتتمسك الأرض بالارتواء المؤدّع فيها.

(١) سقط هذا النص من كتاب ابن حجاج.

(٢) قول سيداغوس هو نفسه. معناه منسوب لقسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٨٣-١٨٤.

(٣) الفلاحة الرومية: إذا غرس في الخريف كان أسرع نباتاً.

(٤) الفلاحة الرومية: ليستقبل به أنداء الشتاء كله؛ فترسخ عروقه في الأرض حتى يأتي الربيع.

(٥) الفلاحة الرومية (ص ٢٥٩): هناك من جعل أوان الغرس حينما تورق الأشجار وتخصر إلى آخر شهر آذار. قال ابن حجاج: الأرض لا تقبل زرعاً في شدة البرد.

وأما البلاد الباردة^(١): فينبغي أن تكون الغراسة فيها بعد انكسار
حدّة الشتاء، وقلبها إذا قُرُبَت الأغصان من النضارة والفتح.

وإن شئت غرست في الخريف^(٢) لما يزعمون من قوّة العُروق في
هذا الفصل، ولأن الأرض تطيب لملاطفتها الشمس والقيظ بحرّها، ولأنّ
البرد لم يُجمدّها، فهي هشة بعد متهيّئة لقبول ما أُلقي فيها؛ وهو عندهم
أحسنُ لذلك.

وقال يוניوس^(٣): إنّ أوقات الغرس تختلفُ على قدر اختلاف
البلدان والأمم؛ فإنّ بعض الناس يشيرُ بأن تُغرس الغروس بعد القِطاف^(٤)
إذا سقط الورق عن قضبان الكرّم.

(١) الفلاحة الرومية (ص ٢٥٩): البلاد التي هي أشد برداً، والشتاء فيها أطول مدة يستقبلون
بالغرس آخر نيسان حين تهبّ ريح الدبور.

(٢) قال قسطوس: وقد ابتدعت الغرس في تشرين الثاني، وفي غيره من شهور الخريف، فأنكر
ذلك من شهبه، ولما رأوا عاقبته حمدوه.

وقد وجدت أفضل أوقات الغرس في الخريف؛ لاسيما في البلاد التي في مياها قلة؛ لأن ما
يغرس في الخريف يستقبل أنداء الشتاء وأمطاره كلها؛ فترسخ عروقه في الأرض. (الفلاحة
الرومية، ص ٢٥٩).

(٣) هذا قول أبوليوس في المقنع، ص ٢١، قال: أفضل غرس الكروم حين يقطف العنب. وقوله
أيضاً ذكره أبو الخير الإشبيلي، ص ٢٣.

(٤) قال أنطربليوس: تنصب الكروم في الأرض المالحّة بعد القطف. (المقنع، ص ٢١)، وفلاحة
أبي الخير، ص ٢٣.

ومن الناس من يغرسُ في أوّل الربيع^(١)، ويتدئون في ذلك، في سبعة أيّام من شباط.

والأجود أن تُغرسَ المواضع المرتفعة اليابسة الضعيفة، بعد القطاف، وأن تغرس المواضع السهلة والقريبة من السهلة في أول الربيع؛ أول يوم من آذار.

وأن تُغرسَ المواضع التّديّة في آخر الأوقات.

وأما الأرض^(٢) المالحة فينبغي أن تغرسَ بعد القطاف؛ ذلك أن الأمطار التي تقع عليها بعد ذلك تُغسلُ الرّديء الذي في هذه الأرض. وعندما تُعمّرُ هذه الأرض ينبغي أن تُلقَى عند ساق الغرس زبلُ البقر^(٣)؛ ذلك أن هذا يُذهبُ الملوحة.

(١) قال ديمقراطيس: تغرس الكروم في أيار، ومنهم من يغرسه حين ينضج الشجر، ومنهم من يغرسه حين قطاف الكروم (المقنع، ص ٢١)، وفلاحة أبي الخير، ص ٢٣.

وقال قسطوس: منهم من يرى أوان الغرس حينما تورق الأشجار وتخضر إلى آخر شهر آذار. (الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩).

(٢) هذا قول أنطربليوس (المقنع، ص ٢١)، و(كتاب الفلاحة لأبي الخير، ص ٢٣).

(٣) قال ابن حجاج (ص ٢١): ومن نصب في أرض ملحة فليلق مع النصبه الزبل (ولم يذكر أي الأزبال).

وقال أبو الخير الإشبيلي، ص ٢٣: فليلق مع النصبه من زبل البقر... (الهر) مصحفة.

وينبغي أن تُمشَق^(١) الأرضُ الدَّسِمةُ في الصيف؛ [حيث] تقع الشمس عليها فتسخنُها، ثم تقع عليها الأمطار فتجعلها هشة سريعة إلى قبول الغراس.

وأما الأرض الرقيقة^(٢) فليس ينبغي التَّقدُّم في حفرها، ذلك أنَّ حرارة الشمس تصيرها رمادية.

لكن ينبغي أن يكون حفرها وغرسها في وقت واحد، ويكون ذلك في الخريف، ذلك أنَّ غرس هذه الأرض في مثل هذا الوقت نافع.

(١) المتحف وباريس: تعبّر (التغيير للنبات، أما المشق فللأرض).

قال ابن حجاج: الأرض السمينية لا ينبغي أن يزيد حدها في عمق الحفر عن ثلاثة أشبار (المقنع، ص ٢٠).

وقال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص ١٣٥): لا تحفر أرضاً لغرس كرم فوق ثلاثة أشبار عمقاً في الأرض.

وقال (ص ١٩٠) ينبغي أن يكون عمق ما يحفر للكرم في الأرض الجافة ضعف ما يحفر له في الأرض الندية؛ لأن الأرض قد تشقق تشقّقاً عميقاً فيدخل حر الشمس في تلك الشقوق.

(٢) قال ينيوشاد: الأرض التي تسمى رقيقة ضعيفة، قليلة القوة، لذلك ينبغي أن يقلل من كراهما، وإن كربت مرة بعد أخرى تخلصت فزاد ضعفها. الفلاحة النبطية، ص ٣٣٣.

قال: ومن الناس مَنْ يرى أنه ينبغي في الجُمْلَة أن يكون العَرْسُ في المواضع الحارّة في الخريف^(١)، ويبدأ في ذلك من نصف تشرين الأوّل إلى أول كانون الأوّل، ثم يُتَجَنَّب من بعد هذا العرس على كلّ حالٍ إلى سبعة أيّام من شباط [حتى] يكون الدّفء، فينبغي أن يبدأ بالعَرْس^(٢).

وأما في المواضع الشّتويّة، لاسيّما ما كان منها جبليّاً؛ فينبغي أن يكون العَرْسُ في آخر الرّبيع؛ لأن هذه المواضع إنّ لم يسخن الهواء [فيها] وتحوّل الغروس إليها لم تقو^(٣) على الإنبات؛ ولهذه العلّة ينبغي أن تكون الغروس في المواضع الحارّة (أكثر ذلك) في وقت الخريف؛ لأنّ الغروس في هذا الوقت لا تُسرّع في الإنبات، وتميل كلّها إلى أن تُرْسِلَ أصولاً^(٤).

وأما في الرّبيع^(٥) فإنّ الهواء يكون حارّاً، ويُسرّع الزّهْرُ في أطراف الغروس، قبل أن ترسل أصولاً، وينبغي لنا أن نأخذ في العَرْس من الساعة

(١) قال قسطنطوس: أفضل أوقات العرس في الخريف، ولاسيما في البلاد التي في مياهها قلة (الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩).

(٢) قال قسطنطوس: البلاد الباردة ذات الشتاء الطويل يغرس العرس فيها آخر نيسان، حيث تهب رياح الدبور (الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩)، لأن الأرض لا تقبل زرعاً عند شدة البرد (المقنع، ص ٩٩).

(٣) المتحف وباريس: لم تقوى.

(٤) الشجر الذي يغرس في الخريف ترسخ عروقه في الأرض (الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩).

(٥) منهم من ينصب الشجر في مارس والأرض ندية وعندما ينضّر الشجر (المقنع، ص ٢١، وأبو الخير الإشبيلي، ص ٢٣).

الثالثة من النهار إلى الساعة العاشرة^(١)، ذلك أن الرياح تشتدّ في أول النهار وفي آخره.

وينبغي أن تكون الأرض في وقت الغرس لا رطبة جداً وحلة، ولا يابسة قحلة.

وقال أيضاً (وقد ذكر غرس الزيتون)^(٢):

قد قلنا في مواضع كثيرة أخرى ينبغي أن تكون الأرض التي تُغرس فيها الغُروس حارة رطبة^(٣)، فإنه إن عدمت الأرض أحد هذين الشيئين لم يكن ثمر^(٤) الغروس تاماً؛ ولهذا ينبغي أن تغرس الغُروس إما في وقت الربيع، وإما في وقت الخريف، وذلك أن الأرض تكون حارة لحرّ الشمس في وقت الخريف، وتكون رطبة من الأمطار الخريفية، وتكون في الأرض حرارة ورطوبة من اعتدال مزاج الهواء في ذلك الوقت^(٥).

(١) المقنع، ص ٢٢: الشجر لا ينصب ولا يزبر إلا بعد ساعة من النهار إلى عشر ساعات لأن الرياح تهيج في أول النهار وآخره.

(٢) هذا قول يוניوس في المقنع، ص ٨٥.

(٣) المقنع: لينة رطبة (ص ٨٥)، والصماء الندية (ص ٨٧).

(٤) المقنع: شجرة الزيتون تحمل في مثل هذه الأرض ثمرة كبيرة دسمة كثيرة الزيت.

(٥) قال يוניوس: الهواء الموافق لشجر الزيتون هو الهواء الحار اليابس، مثل بلاد سوس وما اتصل بها من بلاد الشام (المقنع، ص ٨٨).

وفي وقت الربيع^(١) تبدئ تسخن؛ وذلك إنه حينئذ ينقطع البرد الذي يصير إليها من السماء، وتُنشِفُ الشمسُ من الأرض أكثرَ الماء الذي فيها، فترفعه، فتنتج الأرضُ الغروسَ بعد نقصان رطوبتها، وابتداء حرارتها. والوقت الخريفي^(٢) أجودُ من غيره للغروس، فينبغي أن تغرس الغُروس في هذا الوقت حين تقع الأمطار^(٣)؛ وذلك بعد غيوبة الشَّربا إلى أن يشتد البرد، ثم يُمسكُ عن الغرس إلى ابتداء الربيع قبل نُضُور الأوراق، وانفتاح الأغصان؛ لأنَّ الزمان —من انقلاب الوقت الشتوي إلى ابتداء الربيع— باردٌ جدًّا، ثم يُبدأ بالغرس أيضاً من أول الربيع في الأيام التي تهبُّ فيها ريحُ الجنوب، وتُجْتَنَّبُ [الأيام] التي [تهب] ^(٤) فيها ريحُ الشمال.

وقال قسطوس (وهذا نصُّ قوله)^(٥): أحقُّ أوان الغرس الخريف، ولاسيما في البلد الذي يقلُّ ماؤه؛ فيصيب الغرس نَدَى الشتاء كله. وهذا ما قد توافق عليه العلماء من الغرس في الخريف، ولا بأس به في الربيع.

(١) قال يونيوس: ينبغي أن تغرس غروس الزيتون في أحد وقتين: إما الخريف، وإما الربيع (المقنع، ص ٩٦).

(٢) قال يونيوس حرفاً فحرفاً في المقنع، ص ٩٦، وعلم الملاحظة، ص ١٩.

(٣) المقنع: حين تقع الأمطار إلى أن يشتد البرد؛ فيمسك عن الغرس، إلى ابتداء الربيع، ثم يبتدأ بالغرس.

(٤) الزيادة من المقنع.

(٥) قول قسطوس في الفلاحة الرومية حرفاً فحرفاً، ص ١٨٣، وقوله مكرر في الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩ أيضاً.

ويقول قسطوس^(١): قد ابتدعتُ الغرسُ في الخريف في سائر الأراضي، فَحَمَدْتُ ذلكَ الرَّأْيَ، واقتدى غيري [به] فاغبتطوا بذلك. والعُلَمَاءُ يَخْتَارُونَ من ذلكَ غَرَسَ الخريف على غرس الربيع؛ لأنَّ زيادة بعض الشجر في أعلاه، وزيادة بعضه في أسفله، وغرس الربيع زيادة في أعلاه، وزيادة غرس الخريف في أصله وعُرْوَقه، فأحقُّ أوان الغرس ما كان زيادة في أصوله وعروقه^(٢). (انتهى قول قسطوس).

قال ابن حجاج (رحمه الله)^(٣): فهذا إجماعٌ من الحكماء الثلاثة^(٤) المشاهير بهذا العِلْمِ على أنَّ غراسة الخريف أفضل، وقد اعتلَّوا بذلك بما تقدَّم ذكرُهُ.

(١) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص ٢٥٩): وقد ابتدعت الغرس في تشرين الثاني، وفي غيره من شهور الخريف، فأنكر ذلك من شاهده، ثم استجادوا عاقبته، فاقتدوا به. وقال (ص ١٨٤) قد ابتدعت الغرس في قريتي (مردانة) في الخريف، فأنكر ذلك من شاهده، ثم حمدوا غبه وعاقبته، فاقتدوا به. وقال أبو الخير (ص ١١٥) قال قسطوس: خرقت العادة في زمن وغرست الكرم في قريتي في الخريف، فعجب الناس لذلك، فكان أجود غرس وأحمد.

(٢) قال قسطوس: لأن ما يغرس في الخريف يستقبل أنداء الشتاء وأمطاره كلها فترسخ عروقه في الأرض. والقول حرفاً فحرفاً عند النابلسي، ص ١٩.

(٣) قوله في المقنع، ص ٨٧.

(٤) الحكماء الثلاثة المشار إليهم، هم: ديمقراطيس وقسطوس ويوننيوس.

وقال مرسينال الطيب^(١): ينبغي لكل شجرة وصَفْنَا ذَكَرَهَا أَلَّا تُغْرَسَ فِي أَيَّامٍ بَارِدَةٍ إِلَّا فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ فِي وَقْتِ إِحْلَاقِهَا مِنْ أَوَّلِ فَبْرَايِر (انتهى قوله).

قال ابن حَجَّاج (رحمه الله تعالى): فهذا خَالَفَ الرَّأْيَ الْأَوَّلَ كَمَا تَرَى بِالتَّزَامِ الْغَرَاةَ فِي الرَّبِيعِ، وقولُ يُونْيُوس^(٢) أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ عِنْدِي. وفي الفلاحة النبطية^(٣): إِنَّ الْوَقْتَ الْمُخْتَصَّ بِغَرَاةِ الْكُرُومِ مِنْ مَشْرِقِ الْأَرْضِ إِلَى مَغْرِبِهَا مِنْ أَوَّلِ فَصْلِ الرَّبِيعِ. وقيل^(٤): إِنَّ الَّذِي يَغْرَسُ فِي الْخَرِيفِ يَكُونُ أَكْثَرَ حَمَلًا مِنَ الَّذِي يُغْرَسُ فِي الرَّبِيعِ.

ومن غيرها^(٥): الْأَشْجَارُ الَّتِي عَوْدُهَا صُلْبٌ؛ مِثْلُ: الزَّيْتُونِ، وَالْعُنَّابِ، وَالْبَلُّوطِ، وَالْفُسْتُقِ، وَالْدَّرْدَارِ، وَشَبَّهَهَا يُغْرَسُ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ.

(١) هو مرسينال الطنيسي، ورد ذكره في المقنع، ص ١٢٣.

قال ابن حجاج، ص ١٣: لا ينبغي أن يزرع في أيام شدة البرد بريح الشمال فإن الأرض لا تقبل زرعاً.

(٢) قول يُونْيُوس: يغرس الزيتون في الخريف أو الربيع، والوقت الخريفي أجود من غيره للغرس، ولا ينبغي الغرس عندما تهب ريح الشمال، وإذا اشتد البرد فيمسك عن الغرس إلى ابتداء الربيع (المقنع، ص ٩٦).

(٣) هذا قول أنوحا في الفلاحة النبطية، ص ٩٤٤، وهكذا قال آدمي أيضاً.

(٤) النابلسي، ص ١٩.

(٥) النابلسي، ص ١٩.

والمتوسطة منها في صلابة العُود^(١)، مثل: شجر التين، والأعناب،
والتفاح، والسَّفرجل، والخوخ، والمُشمش، وشبهها، فيغرس في أول فصل
الربيع، وليكن ذلك قبل فتحها وإيراقها^(٢).

وقيل^(٣): تُغرس كل شجرة حين تتجدد بالفتح، وذلك من نحو
شهر يناير إلى [أول آذار، أو إلى عشرة تَخْلُو منه]^(٤)، إلا اللوز وشبهه ممَّا
يَكْرُ بالتَّوَّار فيغرس قبل ذلك.

ولا يغرس شجر بعد نُضُوره، وظهور وَرَقِهِ^(٥) إلا الرُّمَّان خاصة؛
فإنه إن غرس كذلك نَجَبَ، وقيل: إن غرسَ الإِجَّاصَ والتين، وهو
كذلك، لم يضرَّهما ذلك.

وقيل: إنَّ فصل الخريف أفضل الفصول للغرسة، ثم فصل الشتاء.
وإنَّ الغرسة في أوَّل فصل الربيع ودون ذلك؛ لأنَّ فصل الحرِّ يدخل على
النبت ويلحقه وهو أخضر رَخَصَ لم يشتدَّ، فيفسده الحرُّ، فإن خَلَصَ منه
أفسده البرد.

(١) النابلسي، ص ١٩.

(٢) انتهى النص من نسخة باريس التي سقطت منها الأوراق من ص ٦٩-٩٤، والتتمة من
نسخة المتحف البريطاني ومن النسخة المطبوعة في مدريد.

(٣) هذا قول كاماس النهري في الفلاحة النبطية، ص ٩٤٤.

(٤) هذا النص سقط من نسخة المتحف، ونسخة مدريد، والزيادة من الفلاحة النبطية.

(٥) النابلسي، ص ١٩.

وَيُكْرُ بِالْغَرَاةِ فِي الْبِلَادِ الْحَارَّةِ^(١)، وَ[لَا] يَكْرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ
الْبَارِدَةِ، وَفِي الْأَرْضِ الْبَارِدَةِ؛ لَا سَيِّمًا فِي الْمَرْجِ؛ لِأَنَّ الْمَرْجَ وَالْأَرْضَ
الرَّطْبَةَ بِالْمَاءِ لَا تَصْلَحُ أَنْ يَغْرَسَ فِيهَا شَجَرٌ لَا فِي الْخَرِيفِ، وَلَا فِي الشِّتَاءِ،
وَإِنَّمَا تَصْلَحُ لِلْغَرَاةِ بَعْدَ نُضُوبِ الْمَاءِ مِنْهَا، وَاعْتِدَالِ الْبَرْدِ فِيهَا، وَلَا يَغْرَسُ
بَعْدَ اسْتِوَاءِ الرَّبِيعِ^(٢) شَيْءٌ مِنَ الْأَشْجَارِ فِي الْبَعْلِ.

وَقِيلَ^(٣): إِنْ الْأَوَّلَى أَنْ تُغْرَسَ الْمُلُوخُ وَالْعَيُونُ وَالْأَوْتَادُ، وَالنَّوَى فِي
فَصْلِ الشِّتَاءِ (هَذَا فِي أَرْضِ الْبَعْلِ).

وَأَمَّا عَلَى السَّقْيِ^(٤) فَتُغْرَسُ الْأَشْجَارُ كُلُّهَا فِي الْفُصُولِ الثَّلَاثَةِ،
وَلَا سَيِّمًا فِي أَوَّلِ فَصْلِ الرَّبِيعِ، وَلَا سَيِّمًا إِذَا قَلِعَتْ بَعْرُوقُهَا كُلُّهَا أَوْ

(١) الفلاحة النبطية: ص ٩٤٧، وقال قوثامي: وقت الغرس والزرع للكروم في البلدان
الحارة في تشرين الأول والثاني.

(٢) قال قسطنطوس في الفلاحة الرومية (ص ٢٦٠): لَا يَنْبَغِي لِلشَّجَرِ أَنْ يَغْرَسَ بَعْدَ اسْتِوَاءِ
الليل والنهار في الربيع، وَلَا قَبْلَ اسْتِوَاءِهُمَا فِي الْخَرِيفِ.

وقال أبو الخير الإشبيلي (ص ١١٥): أَجُودُ الْأَوْقَاتِ لَغْرِسِ الْكُرْمِ فِي الْبَعُولِ وَالسَّقْيِ
مِنْ أَوَّلِ شَهْرِ نَوْفَمْبَرٍ إِلَى آخِرِ يَنَآيَرٍ، فَهَذَا الْغَرْسُ مَحْمُودٌ، سَرِيعُ الْإِنْبِعَاطِ، مَضْمُونُ
اللقح.

(٣) قال النابلسي (علم الملاحة، ص ١٩-٢٠) لَا يَغْرَسُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْجَارِ الْبَعْلَ بَعْدَ
الاستواء الربيعي. وَهَلَاكَ الْأَشْجَارُ سَقْيُهَا فِي الصَّيْفِ.

(٤) ابن بصَّال، كتاب الفلاحة، ص ٣٩؛ قَالَ: لِأَنَّ الْمَاءَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ يَحْرُكُ الْخَضِرَ
بَدْفَتِهِ وَرَطُوبَتِهِ، وَفِي الْخَرِيفِ وَالرَّبِيعِ فَإِنَّ الْخَضِرَ تَصْلَحُ بِالْمَاءِ النَّافِعِ صَلاَحًا بَيْنًا.

أكثرها، وبُجُرْزَات^(١) من تراهما، ولم يُعْفَل عن سَقِيها.

قال أبو الخير الإشبيلي^(٢): أفضل الأهوية في بلدنا^(٣)، والرياحُ
ووقت الغراسة: الرِّيحُ الغربيَّة والغَيْم والرِّذاذ، ولا يُغْرَسُ شيءٌ منها يومَ
مَطَرٍ إلاَّ الزيتون خاصَّة.

وينبغي أن تُنْقَلَ^(٤) (الأنقال) الثانية من النَّوى والحُبُوب —ولا بُدَّ—
إلى موضع آخر من موضعها الأوَّل.

وقال أبو الخير الإشبيلي أيضاً^(٥): رأيتُ حَبَّةَ لَوْزٍ صارَ منها
شَجَرَةٌ لَوْزٍ، لم تُنْقَلْ، فكانت بخيلة الحَمَل.

(١) جاءت هذه الكلمة مكررة في كتاب ابن بَصَّال ومصحفة بأكثر من صورة، هكذا:
حرزة- حوزة- حرزة، وخرزة... ونرجح أنها حرزة: الحزمة من القت ونحوه، وهنا
حزمة مما يعلق بجذور الشجرة من التراب والزل، وقد يصلح لها لفظ الحوزة، من حاز
الشيء: ضمه وملكه، والحوز: ما يجتازه الشخص لنفسه ويضمه إليه.

(٢) قول أبي الخير أحل به كتابه المنشور.

(٣) يقصد: إشبيلية.

(٤) سماها ابن بَصَّال (ص ٧٤) نقلة ونقول وأنقال. ووصف طريقة نقل الأنقال إلى مواضعها
الجديدة (ص ٧٤).

(٥) سقط قوله من النسخة المنشورة.

وقيل^(١): لا يغرس غرسٌ يوم الجمعة، ولا يوم الأحد؛ وأما النوى
والحبّ والقضبان والأوتاد؛ فلغراسه كلّ نوعٍ منها وقت يُذكر في
الفصول الآتية بعد هذا (إن شاء الله تعالى).

* * *

(١) هذا القول ذكره عبد الغني النابلسي، ص ١٨، وقال: حربت كراهية ذلك.

[الـ]... فصل [الثالث]

[وقت غراسة نوى الأشجار]

قال ابن بصّال^(١) وغيره: الوقتُ العام للغرّاسة جميعها — عندما يحين أكلُها وطُعْمُها، وبعد استحكام نُضجِها — في شهر نوفمبر، وديسمبر، ويناير، وفبراير، وهو آخر مدّة ذلك، وما يُعرّسُ بعد ذلك يُدرِكُ نباتُهُ الحرُّ؛ فيفسده، ويحرقُه البردُ أيضاً.

وينبتُ أكثرُ النّوى^(٢) في (مارس) والنّوى التي جرّت العادة بغرستها في بلدنا، مثل: الخوخ، والمشمش، واللّوز، والجوز، والإجاص، والزيتون، والخروب، والبندق، والصنوبر، والبُلوط، والشّاه بُلوط^(٣)، والميس^(٤)، والقراسيا^(٥)، والزُّعرور، والأزادرخت^(٦)، والنّخل، والعُبراء، والفُسْتَق، والسَّرو، وما أشبه ذلك.

(١) ابن بصّال، كتاب الفلاحة، ص ٦٥، ص ٧٤.

(٢) المقنع، ص ٣٤.

(٣) الشاهبلوط: المعروف بـ(أبي فروة).

(٤) الميس: هو اللوطس أو حباقا (بالسريانية) والهندقوق بالعربية.

(٥) القراسيا والقراسيا والجراسيا سواء؛ وهو حب الملوك أو الكرز الأحمر.

(٦) الأزادرخت (بالفارسية معناه: حر الشجر) هو شجر اللبخ، والشيشعان (بالعربية).

وصفة العمل في غراستها^(١) أن يُخْتَارَ من النَّوى الحديثُ السَّالمُ الذي لم تلحقه آفةٌ، وليكن من ثَمَرٍ ناضجٍ مأخوذٍ من شجرةٍ معروفةٍ بكثرةِ الحَمَلِ، وطِيبِ الطَّعمِ، ولا خيرَ فيمن لم يكن كذلك منها.

قال أبو الخير الإشبيلي^(٢): وليكن [النَّوى] من البَطْنِ الأوَّلِ؛ وهو أوَّلُ ما يطيبُ من تلك الشجرة. ويُعْرَسُ [النَّوى] في الأحواض^(٣)، وفي الظُّروفِ الكِبَارِ^(٤) الجُدُدِ من الفَخَّارِ أيضاً، وذلك أن تُقامَ له الأحواضُ في الأرض التي تصلحُ لذلك (وقد تقدَّم ذكرها) ولتكن معمورة مكرَّمة بالزُّبَلِ البالي^(٥)، وتثرى بالماء^(٦)، ويُعْرَسُ النَّوى صفوفاً في حُفَرٍ عميقة، كل حفرة منها ثلثا شِبْرِ^(٧)، وأقلُّ من ذلك قليلاً، وذلك بحسبِ قُوَّةِ ذلك النَّوى وضعفه، ويُردُّ عليه من تُرابِ وَجْهِ الأرض، ويكون بين [كلِّ] نواة وأخرى قَدَرُ ذراعٍ، هذا فيما يُنْقَلُ منها دون جُرْزَةٍ^(٨) من تُرابه، وأمَّا ما

(١) ابن بصَّال، ص ٦١، وأضاف: أن يؤخذ النوى من مختار الثمر ولم يمسسه ملح. النابلسي (ص ٢٠)، قال: يختار النوى الجديد السليم من الآفة.

(٢) سقط من كتابه، وذكره النابلسي، ص ٢٠.

(٣) ابن بصَّال، ص ٧١-٧٢.

(٤) النابلسي: وأوعية الخزف الكبار الجديدة.

(٥) النابلسي: يطيب كل حوض بثلاثة قفف من الزبل القديم الطيب.

(٦) النابلسي: وتسقى بالماء، وكثرة الماء تملكه وتقطعه أكان صغيراً أو كبيراً.

(٧) النابلسي: كل حفرة ثلاثة أشبار، وبين حفرة وأخرى عشرون ذراعاً.

(٨) الجرزة: الضمة أو الحزمة.

يُنْقَلُ مِنْهَا بِجُرْزَةٍ مِنْ ذَلِكَ الثَّرَابِ فليُبَاعَدَ بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ الْبُعْدِ
(ويذكر ذلك فيما يأتي ذكره) وَيُسْقَى بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَاءِ، وَلَا تَتْرَكَ أَرْضُهُ
تَبْيَضُ دُونَ سَقْيِ، حَتَّى يَنْبُتَ وَيَصِيرَ قَدْرَ الشَّيْبَرِ أَوْ أَكْثَرَ^(١).

(وسيأتي ذكر تدبيرها إلى أَنْ تَلْحَقَ بِغَيْرِهَا، وَسَنَذَكُرُ غَرَاسَةَ النَّوَى
فِي "الظُّرُوفِ"^(٢) فِي الْفَصْلِ الَّذِي بَعْدَ هَذَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

* * *

(١) ذكر هذا القول النابلسي أيضاً، ص ٢٠.

(٢) الظروف: هي القصارى، وأواني الخزف، وأواني الزجاج والفخار.

[الـ]... (فصل) [الرابع]

[غراسة حبوب الأشجار التي ليس لها نوى]

وأما غراسة الحبوب التي في ثمار الأشجار التي ليس لها نوى؛
مثل: السَّفرجل، والتفاح، والكمثرى، والرَّند، والأُترج، والتَّارنج،
واللَّيْمون، والرَّيْحان، والسَّرو، وعَجَم العنب، وحَبِّ التَّين، والفِرْصاد^(١)
وشبه ذلك مما لثمرته حبٌّ؛ فيُختار من هذه ما يوافق الصِّفات المذكورة
في اختيار النَّوى، وليكن من البطن الأوَّل من بطون تلك الشجرة، وهو
الذي يطيبُ منها أوَّلاً، وتُزرعُ حبوبها في الشُّهور المذكورة^(٢) (في الفصل
السابق) ليدخل على نباتها فصلُ الحرِّ وقد اشتدَّ وقوي، وما يُغرسُ منها،
ومن النَّوى في فصل الربيع يُخافُ على نباتها أن يفسدهُ الحرُّ والبردُ في
فصليهما لرُخوصتهما^(٣).

وصفة العمل في غراستها^(٤)؛ أن تُغرسَ الحبوبُ المأخوذة من

(١) الفرصاد: التوت البلدي.

(٢) يقصد: شهر نوفمبر وديسمبر، ويناير وفبراير.

(٣) ابن بصَّال: يحرقه البرد ويفسده لرُخوصته وتنعمه.

(٤) صفة العمل هذه ذكرها النابلسي في علم الملاحاة، ص ٢٠.

النوع الذي يراد غراسته منها في قُصَارَى^(١) أو ظُرُوف^(٢) كبار شبيهها، جُدْدٍ، من فَخَّارٍ مثقوبة الأسفل، يُجْعَلُ فيها من تُراب وجه الأرض الذي يَصْلُحُ، أو من أطيب أنواع الأرض مخلوطاً بزَبَلٍ طَيِّبٍ بال^(٣)، يُذَرُّ أَقْلُ القليل منه على [أصلها] لأجل سقيها بالماء.

وَتُخَفَّفُ زراعتها وعلى قَدَرٍ ضَعْفِها وقُوَّتُها يُزَادُ في مقدار ما يُزْرَعُ من الضعيفة، لما يحدثُ من بُطْلان بعضها، ويُقَلَّلُ من القويَّة للأمن من ذلك فيها.

وَتُعْطَى بِقَدَرٍ غِلْظِ الثَّوبِ^(٤)، أو أكثر، من الزَّبَلِ، يُغَرَّبَلُ عليها، وليكن غِلْظُهُ عليها بقدر قُوَّتِها على نفاده إذا أُنبتت، وضَعْفُها عنه، ويُجْعَلُ فوقه دِيسٌ^(٥) مُقَطَّعٌ، أو حَلَفَاءٌ^(٦) كذلك؛ ليسترها عن تَجْفِيف

(١) القصارى: جمع قصرية؛ وهي إناء من فخار. قال النابلسي: هي قدور واسعة من فخار تتقب من أسفلها. وقيل: أصلها القوصرة: وهو وعاء للتمر من قصب.

(٢) الظروف: جمع ظرف، وهو وعاء من زجاج أو خزف أو فخار.

(٣) النابلسي: زبل قديم سليم. ابن بَصَّال (ص ٧٨): زبل رقيق بال.

(٤) ابن بَصَّال (ص ٧٨): زبل رقيق بال يلقى عليه الحصر، ويطرح عليه رمل رقيق نحو غلظ الثوب.

(٥) الديس: هو النجيل، وقيل: هو جنس من الأعشاب المائية من الفصيلة السعدية تصنع منه الحصر، ومنه ديس الحلفاء والسمار والسامان (عمدة الطبيب، ص ٣٠٦).

(٦) المتحف: خلقان (تصحيف).

الهواء لها، وتُسْقَى بالماء بعد ذلك على قطعة حصير حَلْفَاء، وشبه ذلك
لثلا ينتقل الحَبُّ من موضع إلى آخر، وإن أمكنَ أن تُسْقَى (قبل إنباتها)
الماء رَشًّا باليد فذلك أحسن. هكذا يُعْمَلُ في الضعيف منها، وأضعفها
حَبُّ السَّرْو، وحَبُّ الرِّيحَان، والفرصاد وشبهها.

ويُعْمَلُ مثل هذا في البذور الضَّعَاف أيضاً؛ مثل الأَحْبَاق^(١) وشبهها
بحسب قوتها ولُطْفها يكون وجه العَمَلِ في التَّلَطُّفِ بها، وتُعَاهَدُ بالسَّقْيِ
بالماء^(٢) حتى تنبت، وفي استقبال فصل الشتاء يُخَفَّفُ عليها السَّقْيُ، وإنْ
تَوَالَتْ عليها الأمطار قُطِعَ عنها السَّقْيُ؛ لأنَّ الأمطار تُغْذِّيها.

ويُخَفَّفُ عنها السَّقْيُ^(٣) أيضاً في استقبال فصل الحرِّ؛ لتَشْتَدَّ، ويقلُّ
إنعامُها؛ لأنَّها إنْ أدركَهَا وهي رَخْصَةٌ أَضْرَّ بها وإنْ رَخِصَتْ^(٤) منه
أَحْرَقَهَا البَرْدُ.

والصواب: حلفاء، يريد حصيراً مصنوعاً من حلفاء ليقى البذور من حر الشمس وضوئها
المباشر. والحلفاء من الأغلاث، قيل: هو الديس، وقيل: شبهه (عمدة الطبيب، ص ٢٢٠).

(١) الحيق: النعنع البري أو الریحان البري، والأحباق أنواع: الحبق النبطي، والكرماني،
والنهری، والصعتری، وحبق الشيوخ، والبري والبستاني وحبق الراعي وحبق البقر وحبق
التمساح.

(٢) النابلسي: يخلط بزبل قديم ويسقى بالماء على حصير وشبهه لثلا يجرف الماء الحب، وإن
أمكن الرش باليد فهو أحسن.

(٣) ابن بصَّال (ص ٧٤): تسقى مرتين أو ثلاثاً إلى أن يلحقها أمطار الخريف والشتاء، فيتترك
سقيه.

وإنْ غُرِسَ النَّوَى فِي الْقُصَارَى وَالظُّرُوفِ الْمَذْكُورَةِ، فَيُعْمَلُ فِيهَا
مثلما ذكرنا في غِرَاسَتِهَا بِالْأَحْوَاضِ، وَإِنْ غُطَّتْ بِالرَّمْلِ فَحَسَنٌ.

* * *

(١) المتحف: خلصت (تصحيف) والصواب: رخصت: أي نعتت وغضرت.

[الـ] ... (فصل) [الخامس]

[غروس القصارى والظروف]

ولا تُتْرَكُ [الغروس] في القُصَارَى أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ^(١)، وَتُنْقَلُ مِنْهَا إِلَى أَحْوَاضٍ تُرَبَّى فِيهَا، وَإِنْ تُرِكَتْ فِي "الظُّرُوفِ" أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ضَعُفَتْ، وَكَذَلِكَ إِنْ نُقِلَتْ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَسَدَتْ، وَلَا سِيَّما إِنْ كَانَتْ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَصْلُبْ عَوْدُهَا، وَتَذْهَبُ غُضْرُهَا^(٢)، ثُمَّ تَنْقَلُ مِنْ أَحْوَاضِ التَّرْيِيبَةِ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَعْظُمُ فِيهَا.

قال ابن بصّال^(٣): وَالتَّوَى قَدْ يُدْرِكُ الشَّجَرَةَ الَّتِي يُتَّخَذُ مِنْهَا، وَتُطْعَمُ بَعْدَ سَبْعَةِ أَعْوَامٍ^(٤).

وَالَّتِي تَتَّخَذُ مِنَ الْحَبِّ الْمَذْكُورِ تَدْرِكُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ، وَيَنْقَلُ مَا أُدْرِكَ مِنْهَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ^(٥).

(١) النابلسي: عام، ابن بصّال (ص ٢٠) من عامين.

(٢) المتحف: خضرتها (تصحيف)، والصواب: غضرتها، أي غضارتها ونضارتها ورخصتها، والغُضْرَةُ والغُضْرَاءُ: الأرض الخضراء الطيبة، العذبة الماء.

(٣) ابن بصّال، ص ٦٠-٦١.

(٤) النابلسي (ص ٢٠): ما أصله من (القوى) تصحيف (النوى) يدرك بعد ستة أعوام.

(٥) النابلسي: ينقل ما يدرك ويتخذ من الحب بعد أربعة أعوام وما أصله من النوى فبعد ستة أعوام.

وقال أبو الخير^(١): لا يُنْقَلُ شجر النَّارَنْج^(٢) حتى يُلْغَ قَدْرُ قامة
الإنسان، وإن نُقِلَ^(٣)، وهو أَقلُّ منذ ذلك، بَطْلَ (وسوف نذكر تدبيرها
إلى أن تلحق [أمَّها] في فَصْلٍ مفردٍ لذلك إن شاء الله تعالى، [وما ينبغي
لك فعله] إن أردت أن تعجِّلَ إطعامها، وتُقَرَّبَ فائدتها، بمشيئة الله تعالى).
ومن أحبَّ ألاَّ يُعْطَلَ الأحواض التي يُغْرَس النَّوَى فيها، [يمكنه أن]
يزرعَ فيها من الخُضَرِ ما يخرجُ منها قبل أن ينبت النَّوَى المغروس فيها،
وذلك مثل الكُرْبُر وشبيهه.

* * *

(١) قول أبي الخير الإشبيلي أحل به كتابه المطبوع.

(٢) النارنج: هو البرتقال، وقيل: هو (يوسف أفندي).

(٣) ابن بصَّال: يجعل النارنج في القصارى مدة عام، ثم ينقل إلى قصارى أخرى مطيبة بالزبل
البارد الرطب قدر نصف الإصبع، ويسقى بالماء مرتين في الجمعة، ثم تفرغ القصرية الثانية
بعد عامين وتنقل إلى المكان الذي أعد لها للترع فيه. والنارنج لا يتخذ غرسه إلا من
زرعيته (بذره) ولا يؤخذ منه وتد ولا نامية ولا غير ذلك (ابن بصَّال، ص ٨٢).

[الـ]... (فصل) [السادس]

[غراسة الملوخ]

غراسة الملوخ^(١) واختيار الأحسن منها

قال ابن حجاج (رحمه الله) في "المقنع" من كتابه^(٢):

أَجْمَعَ الفَلَّاحُونَ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى مَنْ أَخَذَ مَلَخًا مِنْ شَجَرَةٍ، وَقَطَعَ وَتَدَأَّ أَنْ لَا يَنْزِعَهُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَنَاحِيَةِ الْجَنُوبِ، وَمَنْ ذَكَرَ (ذَلِكَ) "يُونْيُوس" حَيْثُ قَالَ: تُنْتَزَعُ الْأَغْصَانُ مِنْ رَأْسِ الشَّجَرَةِ، وَمَا هُوَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ نَبَاتِهِ^(٣)، وَيُؤْخَذُ مِنْ جَانِبِ الشَّجَرَةِ الَّذِي يَلِي الْجَنُوبَ أَوْ الشَّرْقَ فَيُغْرَسُ فِي الْأَرْضِ.

وقال مَرْسِينَال^(٤): الْمَلَخُ وَالْوَتْدُ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ^(٥) أَوْ الْجَنُوبِ، وَلَا يَكُونَا أَصْلًا مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ؛ لِأَنَّ أَحْسَنَ

(١) ملخ الشيء وامتلخه: استله واجتذبه قبضاً، والملوخ هي الأغصان التي تجذب بالأيدي من الأشجار ثم تزرع.

(٢) المقنع، ص ٢٠.

(٣) قال ديمقراطيس: تقطع القضبان للغرس من كرم متوسط؛ لا قديم ولا حديث (المقنع، ص ١٩) والفلاحة الرومية، ص ١٨٤.

(٤) هو مرسينال الطنيسي (وقد سبق ذكره).

(٥) المتحف وباريس: ناحية الشمال (وهو سهو من المؤلف).

الملّخ الذي يلي الشّرق، ثم الذي يلي الجنوب، ثم الذي يلي الغرب، فأما الذي يلي الشمال فلا خير فيه^(١).

قال سوديُون^(٢): وإذا أردت أن تأخذَ الغرسَ من أيّ نوعٍ شئتَ؛ أكانَ قطيعاً^(٣) أو قليعاً^(٤)، أو ملخاً، أو وتدّاً، أو غرساً بأصله، فلا يؤخذُ إلّا ممّا يلي الشمس، فهي تحرّه وتذبّغه، وكلّما أحرّته الشمس كان أجودَ، وذلك له دِباغٌ، وهو أسرعُ تعلقاً، وهو أيضاً في شجرته أماً ثمرّةً. ومع هذا فالجذعُ الغليظ المتقارب العُقد، الحديد، خيرٌ من الظليل الأملس السَّبَط^(٥).

ولا تأخذُ غرساً أبداً من ناحية الشّمال، وما جاور الشّمال؛ فإنّه ظليلٌ، قليلُ الحمل، قليلُ التّعلق.

(١) قال النابلسي نقلاً من ابن العوام (علم الملاحه، ص ٢٠): الأغصان الصالحة للملخ تؤخذ من أشجار مزروعة من جهة الشرق أو الجنوب، وما كان من جهة الشمال فلا خير فيه.

(٢) المقنع: سوديوس (تصحيف) وتكرر ذكره في الفلاحة الرومية (ص ١٢٨، ١٨٦، ١٨٧) وسماه سوديون العالم، وسوديون الفيلسوف.

(٣) القطيع: المقطوع.

(٤) مدريد: خليعاً (تصحيف) الصواب: قليعاً؛ أي: مقلوعاً. ويجوز خليعاً أي مخلوعاً.

(٥) النابلسي (ص ٢٠): لا ينبغي أن يتجاوز عمر الأغصان السنتين، وأحسنها ما أخذ من وسط الشجرة من جزئها الأعلى، ولا خير في أغصان الظل السبطة.

وقال يוניوس^(١):

لا ينبغي أن تؤخذ الأغصان التي تنبت في ساق الشجرة؛ لكن ينبغي أن تؤخذ من أعلى الشجرة^(٢).

وقال سولون^(٣):

إنما كرهوا الناس في أصول الشجر؛ لأنه ظليل سبط، لم تدبغهُ الشمسُ بحرارتها الغريزية وهو معهود^(٤) بالرطوبة، وإذا كان كذلك لم يكذَّ يعلق.

(١) قول يוניوس في المقنع، ص ١٩، قال: لا تأخذ من أعلى الجفنة ولا من أسفلها، ولا مما ينبت في أصلها، ولكن من وسطها مما لا ن من الزرجون وتقاربت عقده، والجاسي من الزرجون لا خير فيه. وهذا قول مكرر أيضاً في الفلاحة الرومية، ص ١٨٤.

(٢) قول يוניوس محرف عن أصله، لأنه قال: لا يؤخذ من أعلى الشجرة ولا من أسفلها، ولكن من وسطها (المقنع، ص ١٩).

وقال يוניوس في موضع آخر من المقنع (ص ٩٢-٩٣) ما يدعم الرأي الذي ذكره ابن العوام: لا ينبغي أن تؤخذ الأغصان التي تنبت في ساق الشجرة، ولكن ينبغي أن تؤخذ من أعلى الشجرة.

(٣) سولون: ورد ذكره في المقنع مرتين (ص ٨٩، ص ١٢٣). وسقط قوله من المقنع ومن الفلاحة الرومية.

(٤) المتحف: معمورة (تصحيف).

قال: وزَعَم قومٌ من الفلاحين أنه^(١) يكون قليل الثمر، ضعيف الحمل؛ لأنه في أصل نشبه^(٢) من مادة الرطوبة عليها أغلب، والحرارة فيها ضعيفة.

قال سوديون: وأنا أقول: أمّا أن يكون بعد أن يعلق قليل الحمل فباطل؛ لأنه إذا غرس وعلق فقد برز إلى الشمس، وتمكّنت منه حرارتها^(٣)، فأوقدت الحرارة الغريزية فيه، فقوي وأوقر. وإنما كره منه قلة علوقه خاصة؛ لضعف حرارته، وأن رطوبته غير مستوفاة النضج.

وقد تقدّم [ذكر] الأشجار التي تُنجب مُلوخاً من غيرها.

وفي اختيار الأغصان للغرسة^(٤):

يُختار للغرسة من الأغصان الغلاظ^(٥) الياضعة، ممّا قد أطمع منها

(١) يقصد: الناشئ من الأغصان في أصول الشجر.

(٢) عبارة المؤلف ملتوية، وهو يقصد: أن الغصن الناشئ قليل الثمر، ضعيف الحمل، لأنه ناشب في أصل حرارته ضعيفة ورطوبته غالبية.

(٣) المتحف: وتمكّنت من حرارته (تصحيف).

(٤) يختار من أغصان الكرمة ابن ست سنين لا العتيق ولا المحدث وما تقاربت كعوبه وصفا لحاؤه (المقنع، ص ١٩-٢٠)، وغروس الزيتون: ينبغي أن تكون لينة صحيحة غير مشققة اللحاء، معتدلة الغلظ (المقنع، ص ٨٨، ٩٢).

(٥) قال ابن حجاج: أن تكون معتدلة الغلظ. ابن بصّال: غلظ الذراع.

الجذعُ بكثرة العُقد المُلس^(١)، الجلدة، السَّلمة من الآفات، ولتكن الأشجارُ
المأخوذ ذلك منها أكثرها حملاً، ولا خيرَ في الغصن السَّبَط^(٢) الذي في
الظلّ، وإنَّ أَسْرَعَ في العلوق؛ فإنَّه يكونُ قليل الحمل^(٣).

وليؤخذ من وَسَط ذَرَوَة^(٤) الشجرة، من أعلاها نَعْماً، من ناحية
الشرق، فإنَّ لم يكن ذلك فمن ناحية القِبْلَة^(٥)، فإن لم يكن فمن ناحية
الغرب، ولا يؤخذ من جهة "الجَوْف"^(٦) بوجه؛ لأنَّه يكون قليل الحَمَل،
وإنَّ أنْثَرَ سقط ثمره قبل إدراكه.

وقيل مثل هذا في الذي يؤخذ منه من جهة الغرب.

ووقت أخذ [الملوخ] من النهار بعدَ طُلُوع الشمس عليها، وتُملَخُ

(١) يُونيوس: أن تكون الأغصان ملساً، مأخوذة من ساق محدثة، وقال قسطوس: أن تكون
مستويات ملساً معتدلات من شجرة تؤتي أكلها كل عام، وقال ديمقراطيس: أن تكون
ملساً من ساق شابة (المقنع، ص ٩٧) و(الفلاحة الرومية، ص ٣١٢).

(٢) هو سَبَط وسَبَط وسَبَط.

(٣) القول السابق كله ذكره النابلسي (ص ٢٠)، وبعضه في المقنع (ص ٢٠).

(٤) المتحف: دور (تصنيف).

(٥) ناحية القبلة بالنسبة للمغاربة: الجنوبي الشرقي (ما بينهما).

(٦) يقصد: جوف الشجرة: داخلها، وكان حقه بعد أن ذكر الاتجاهات أن يقول: لا يؤخذ
من جهة (الشمال) فيطرد السياق.

بالأيدي^(١)، إن أمكن، وألاً تُقَطَّعُ بحديدٍ قاطع^(٢)، ويكون طول المُلخ نحو ذراعين، وإن زاد فلا بأس.

وتؤخذ المُلوخ في الوقت الذي يتكامل فيه ماؤها، وتمتلى منه، وتبتدئ باللقاح، وظهور الثَّوار، وتُغرسُ في الأحواض، وفي "الظُّرُوف" أيضاً، وتُسقى.

وصفة العمل في غراستها^(٣): أن يُحَفَرَ لها في أرضٍ بِحَوْضٍ حُفَرٌ قُبُورِيَّةٌ^(٤)، يكون طولها أكبر من عَرْضها، وعمقها — إن كانت للتثقل — نحو شبرين^(٥)، وإن بقيت في مواضعها فأكثر من ذلك، وعلى قدر المُلخ في صِغَره وكِبَره.

(١) النابلسي (ص ٢٠): تملخ باليد بلحائها.

(٢) قال قسطوس: لا ينبغي لشيء من الغرس أن تصيبه حديدة دون أن يأتي عليه عام (عامان) فإن ذلك يضره ويذهب بقوته (الفلاحة الرومية، ص ٢٦٢)، وقال ابن بصَّال: لا ينبغي أن يشمرَّ الشجر بحديد ولا بغيره (كتاب الفلاحة، ص ٦٢).

(٣) أي: غرسة المُلوخ، وهذا الوصف كرره ابن بصَّال في كتابه أكثر من مرة، انظر: ص ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، وص ٧٥، ٧٦، ٧٧، وص ٨٨.

(٤) أي: تشبه القبور.

(٥) ابن بصَّال (ص ٦٤): عمق الحفرة ثلاثة أشبار، وكذلك (ص ٧٥).

وَيُسَطُّ فِيهَا الْمَلْحُ مَمْدُوداً^(١)، وَيُقَامُ طَرْفُهُ مَعَ كَعْبِ الْحُفْرَةِ، وَهُوَ عَرَضُهَا، وَيَخْرُجُ مِنْ أَعْلَاهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَدْرُ طُولِ إصْبَعٍ.

وَيُخَلَطُ تَرَابُ وَجْهِ الْأَرْضِ بِزَبْلٍ طَيِّبٍ بِال^(٢)، وَيُرَدُّ عَلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ أَقْلٌ مِنْ مَلَأِ الْحُفْرَةِ قَلِيلاً، وَيُدْرَسُ التَّرَابُ بِالْأَقْدَامِ دَرَساً حَسَنًا.

وَقَدْ تُعْرَسُ الْمُلُوخُ عَلَى السَّوَاقِي^(٣) (على مثل هذه الصفة المتقدمة). وَقَدْ يُعْمَلُ عَلَى الْمُلُوخِ أَيْضاً [فِي] أَمْهَاتِ السَّوَاقِي؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يُعْمَلَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَرَادُ أَنْ تُعْمَلَ فِيهِ السَّاقِيَةُ، حَوْضٌ وَاسِعٌ عَلَى قَدْرِ طُولِ السَّاقِيَةِ، أَوْ عَلَى قَدْرِ كَثْرَةِ الْمُلُوخِ. وَيُسَطُّ فِي أَسْفَلِ الْمُلُوخِ، وَيَخْرُجُ مِنْ أَطْرَافِهَا فِي جَانِبِي ذَلِكَ الْحَوْضِ، نَحْوُ إصْبَعٍ مِنْ عَيْنٍ كُلِّ مَلَخٍ مِنْهَا، ثُمَّ يُرَدُّ التَّرَابُ فِيهِ، وَيُدْرَسُ، وَتُعْمَلُ فِيهِ السَّاقِيَةُ، وَتَكُونُ أَعْيُنُ الْمُلُوخِ مِثْلَ سَطْرِينَ، كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي هَدَفِ السَّاقِيَةِ، وَالْمَاءُ يَجْرِي بَيْنَهُمَا (وَسَيَأْتِي ذِكْرُ كَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ فِي غِرَاسَتِهَا فِي الْبَعْلِ، فِي بَابِ غِرَاسَةِ الْأَشْجَارِ الْكِبَارِ، وَالْبَقْلِ، وَمَا هُوَ تَتْمِيمٌ لَذَلِكَ، وَلَوْ أَحَقَّهُ وَأَسْبَابُهُ فِيمَا بَعْدَ).

(١) ابن بَصَال: يمد القضيب في قاع الحفرة، ويرقد بطولها، ويقام في جبهة الحفرة طول الكعب إلى وجه الأرض، ويرد عليه التراب (كتاب الفلاحة، ص ٦٥).

(٢) هذا قول ابن بَصَال. النابلسي: زبل قديم سليم.

(٣) النابلسي، ص ٢٠.

وَيُجْعَلُ بَيْنَ مَلْخٍ وَآخَرَ قَدْرَ ذِرَاعٍ فِي الْحَوْضِ أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا فِيمَا
يُنْقَلُ مِنَ الْأَشْجَارِ دُونَ جُرْزَةٍ مِنْ تَرَابِهِ، وَمَا لَا يَنْقَلُ مِنْهَا بِجُرْزَةٍ يَكُونُ
الْبُعْدُ بَيْنَهُمَا أَكْثَرَ (وَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ نَذْكُرُ مَقْدَارَ الْبُعْدِ بَيْنَهُمَا
إِذَا غَرَسْنَا فِي الْبَعْلِ، وَكَذَلِكَ نَذْكُرُ تَدْبِيرَ الْمُلُوحِ إِلَى أَنْ تُدْرِكَ - إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى -).

* * *

[الـ]... (فصل) [السابع]

[غراسة عيون أغصان الأشجار]

أَمَّا صِفَةُ الْعَمَلِ فِي غِرَاسَةِ الْعُيُونِ مِنْ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ، مِثْلَ:
عيون شجر التفّاح، والتين، والعنب، والياسمين، وسائر الفواكه الكثيرة
الرطوبة، واختيار الأجود منها لذلك.

قال الحاج الغرناطي^(١): يُخْتَارُ مِنْ عُيُونِ التَّفَّاحِ لَذَلِكَ الْمُلْسِ
الْمُنْبَعِثَةِ أَكْثَرُ انْبِعَاثٍ^(٢)، وَمِنْ شَجَرِ التِّينِ وَالْعَنْبِ وَالْيَاسْمِينِ الْمُنْقَابِرَةِ الْعُقْدِ،
وَيُرْتَجَى فِيهَا سَائِرُ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْمُلُوحِ.

ووقت غراستها فبراير ومارس، والعمل في ذلك مثل العمل في
غراسة الملوخ والأوتاد في الأحواض، وفي الخطوط على السواقي^(٣) (وانظر
تدبيرها بعد هذا إن شاء الله تعالى).

* * *

(١) الحاج الغرناطي؛ هو أبو عبد الله، محمد بن مالك؛ المعروف بالتغري نسبة إلى بلدة تغري في
غرناطة، وقد يكنى بابن حمدون الإشبيلي؛ لإقامته زمناً في إشبيلية، وله كتاب مشهور في
الفلاحة اسمه: "زهر البستان ونزهة الأذهان" لا يزال مخطوطاً. وقد أفاد منه ابن العوام
فوائد جلي.

(٢) ابن بصّال (ص ٦٤): يقصد من التفاح إلى القضيب المعقد، وهو أحسن من الأسبط.

(٣) انظر وصف ذلك وتفصيلاته، وصفة التكايس التي تتخذ في قنوات السواقي (ابن بصّال،
ص ٨٧).

[الـ]... (فصل) [الثامن]

[غراسة الأوتاد والملوخ أيضاً]

وأما غراسة الأوتاد والملوخ أيضاً، واختيار الأجود منها،
والأحسن لذلك من كتاب ابن حجاج (رحمه الله)، [قال]^(١): إنَّ العُصْنَ
المُحَدَّثَ الذي هو في السنة الثانية من نشئه هو الذي يصلحُ لَاتِّخَاذِ المَلْخِ
منه.

ويصلحُ للوَتْدِ ما كان لسنتين أو ثلاث للرطوبة التي فيها، فَإِنَّه إذا
وُضِعَ في الأرض قريباً من وَجْهها عُلِقَ سريعاً. وإن أَتَفِقَ أن يُؤْخَذَ العُصْنَ
المُحَدَّثَ كاملاً فلا يليق التعميق له، وإقراره في موضعه دون أن يُنْقَلَ منه.
والوَتْدُ القصير يسرع نباته ونَشْؤُهُ، والوَتْدُ الكبير لا يَدْفَعُ دفْعاً (هذا قول
سولون)^(٢).

ومن غيره^(٣): يُخْتَارُ من الأغصان والأوتاد مُوَافِقُ الصِّفَةِ المذكورة
في المُلُوخِ سوى [أن] يكون غِلْظُهَا نحو غِلْظِ الذَّرَاعِ إلى قَدَرِ غِلْظِ الرُّمَحِ،

(١) قوله في المقنع، ص ٩٧، والفلاحة الرومية، ص ٣١٢. قيل: من ساق محدثة، وقيل: ساق
شابة.

(٢) قال سولون: ينبغي أن تتخذ أوتاد الزيتون قصاراً في المواضع الجبلية والربى العالية، وتتخذ
في السهل أكبر كثيراً، لأن الأرض المتعالية يجتذب الغرس فيها مادة أقل من الغرس في
الأرض السهلة (المقنع، ص ٨٩).

(٣) هذا القول ذكره النابلسي (ص ٢١).

أو نَصَاب^(١) القَدُوم. وطول الوتد من ذراعٍ إلى أكثر من ذلك، ولا يُقَطَّع
بجديد قاطع^(٢)، ويُحَفِّظُ أن [لا] يتصدَّع قشرها^(٣) عند قطعها، وعند
بريها، وعند غراستها في الوقت المذكور قبل هذا.

وقيل^(٤): تُغرس أوتاد النَّارنج^(٥) في الرَّمْل^(٦).

وصفة العمل في غراستها في الأحواض وعلى السواقي^(٧): أن
يُعمَلَ وتد من عود بُلُوط، أو من خشب صُلب مثله، يكون أطول قليلاً
وأغلظ من الوتد الذي يُغرس. ويُضربُ ذلك الوتد في الموضع الذي تريد
أن تُغرس فيه الوتد المأخوذ من الشجرة حتى يغيب منه القدر الذي يُراد

(١) النابلسي: يد القدوم. ابن بصال (ص ٧٩) طول الوتد نحو ذراع وغلظه نحو نصاب
القدوم.

(٢) لا تشمر أغصان الأشجار بالحديد، لأنه يضرها ويفسدها. ابن بصال، ص ٦٢، والفلاحة
الرومية، ص ٢٦٢.

(٣) قال يוניوس: ما كان من الغروس عتيقاً مشقق اللحاء؛ فهو عسير النبات (المقنع، ص ٨٩).

وقال: ينبغي أن تكون الغروس صحيحة سليمة غير مشققة اللحاء (المقنع، ص ٨٨).

(٤) هذا القول ذكره النابلسي، ص ٢١.

(٥) النابلسي: النارنج والتوت والأترج والسفرجل والزيتون والجوز.

(٦) المتحف: الزبل.

(٧) ذكر ابن بصال (ص ٨٢) رأياً مخالفاً، قال: لا يؤخذ من النارنج (البرتقال) وتد ولا نامية
ولا غير ذلك، ولا يتخذ غرسه إلا من زريعتيه (بذره).

أن يكون العمق له، ثم يُخَرَّجُ ذلك الوتد، ويُعْمَلُ^(١) في موضعه الوتد الذي [يراد أن] يغرس، ويُضْرَبُ قليلاً، ويُجْعَلُ حوالیه في بقيّة الثُّقْبِ ترابٌ مُعْرَبَلٌ^(٢) أو رملٌ حتى يمتلئ الخلل (إن كان بينهما خلل) ويُسْقَى بالماء، فإذا تُرِكَ ذلك، أُعِيدَ الترابُ أو الرَّمْلُ حتى لا يبقى هناك خلل بوجهه.

وَلْتُغْرَسُ الْأَوْتَادُ صُفُوفاً، وَيُجْعَلُ بَيْنَ وَتَدٍ وَآخِرِ الْقَدَرِ الَّذِي ذَكَرَ فِي الْمُلُوحِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُضْرَبَ عَلَى رَأْسِ الْوَتَدِ الْمَذْكُورِ؛ لِيَتِمَكَّنَ فِي الْأَرْضِ، وَيُتَحَفَّظَ أَلَا يَنْشَقَّ، وَلَا يَتَصَدَّعَ قَشْرُهُ^(٣)، وَلَا سَيِّمَا وَتَدِ الْأَثْرِجِ وَغَيْرِهِ.

صفة أخرى:

يُحْفَرُ لِلْأَوْتَادِ حَفْرٌ فِي الْأَحْوَاضِ أَوْ عَلَى السَّوَاقِي، تَكُونُ كُلُّ حَفْرَةٍ مِنْهَا قَدْرُ طُولِ الْوَتَدِ^(٤)، وَيُوقَفُ الْوَتَدُ الَّذِي يُغْرَسُ فِي حَفْرَتِهِ^(٥)،

(١) النابلسي: حتى يغيب القدر الذي يراد حفره، ثم يخرج وينزل في موضعه الوتد الذي يراد غرسه.

(٢) النابلسي: تراب مزبل، أو زبل قديم حتى يمتلئ الفراغ.

(٣) المقنع: أن يكون غير مشقق اللحاء (ص ٨٨، ٩٢).

(٤) ابن بصّال، ص ٧٩: طول الوتد قدر ذراع، وغلظه نحو نصاب القدوم.

(٥) ابن بصّال: يعمل للأوتاد أحواض في الأرض الطيبة ليكون أسرع في إنباتها. ويكون بين وتد وآخر: مقدار ثلاثة أشبار.

وَيُرَدُّ عَلَيْهِ الثَّرَابُ، وَيُدْرَسُ^(١)، وَيَعْمَلُ فِي ذَلِكَ مَا سَوْفَ نَذْكُرُ فِي غَرَاةِ
الْبَقُولِ وَالْأَشْجَارِ. وَلَتَكُنْ الْأَوْتَادُ صُفُوفًا، وَبَيْنَ وَتَدِ الْآخِرِ الْقَدَرُ الْمَذْكُورُ
فِي الْمُلُوحِ (فِي الْفَصْلِ قَبْلَ هَذَا).

* * *

(١) ابن بَصَّال: يدرس بالأرجل حتى لا يكون هناك منفس.

[الـ]... (فصل) [التاسع]

[غراسة القضبان: النوامي واللفاف واللواحق]

وأما غراسة القضبان التي تُسمَّى النّوامي^(١) واللفاف^(٢)

واللواحق^(٣)؛ فينظرُ إليها، وما أمكنَ منها أن يُقْلَعَ بعُروقه، فيُقْلَعَ ويُغرسَ في موضعٍ آخر [من] التُّربة، أو في الموضع الذي يُطَعَم فيه، إنْ صلَح لذلك، فإن لم يمكنَ أن يُقْلَعَ بعُروقه، فيُحْتال حتى تُصيرَ له عروق، وذلك

(١) قسم ابن بصّال الغراسة إلى ثلاثة أقسام: زرايع (بذور) و نوامي، ونوى. والنامية من الكرم: القضيب عليه العناقيد. والجمع: نوام، والمقصود هنا: القضبان سواء أكانت أوتاداً أو ملوخاً أو أنقالاً.

(٢) اللفاف: هي قضبان الملوخ التي تغرس في الأحواض سطوراً على استقامة واستواء، أو تزرع على أمهات السواقي. وأصل اللفافة: قشرة النبات التي تلتف عليه. قال ابن بصّال (ص ٦٤): يعمد إلى قضيب التفاح المعقد غير السبط ثم يغرس ملوخاً في أحواض معدة لها، وتغرس لفاًفاً على استواء واستقامة لتشرب الماء شرباً معتدلاً وبعد عامين تنقل إلى الأحواض، فيخرج اللحاء سريعاً، وصارت له الأصول القديمة والفروع النابتة المستحكمة.

وقال في غراسة التين: يؤخذ من الشجرة المستحسنة قضيباً طوله شبر ونصف وفيه أجود عيون شجرة التين وقت جري الماء في العود، ثم تغرس القضبان لفاًفاً، وتقلع بعد عامين من تلك الأحواض، وتغرس في مغارسها الدائمة.

(٣) اللواحق: ما ينبت في أصول الشجر كالفسائل والعجز. قال قسطنطوس: رب غرس يكون من اللواحق التي تنبت في أصوله خيراً مما يغرس من بذره أو من نقله، ومما يغرس من لواحق الشجر التي تنبت من الأصول بالثقب والأوتاد: اللوز والكمثرى والتفاح والزيتون... (الفلاحة الرومية، ص ٢٦٠-٢٦١).

بالعمل الذي يُسمَّى "التَّغْطِيس" ^(١) أو بالعمل الذي يُسمَّى
"الاستِسْلاف" ^(٢) وعلى حسب ما يصلح فيه.

* * *

(١) التغطيس والتكبيس: سبق شرحهما (انظر: ابن بصال، ص ٧٧-٧٨).

(٢) الاستسلاف: سبق شرحه في الباب الخامس، الفصل الأول.

[الـ] (فصل) [العاشر]

[التغطيس والتكيس]

صِفَةُ التَّغْطِيسِ، وَيُسَمَّى التَّكْيِيسُ^(١) أَيْضاً

ينبغي أن يُتَقَدَّمَ أولاً فَيُخْتَارَ من النباتات المذكورة أَعْوَاهَا وَأَطْوَلُهَا، وَأَقْوَمُهَا، السَّالِمَةُ من الضَّرِّ، وَغَيْرِهِ من الآفَاتِ، وَيُتَخَيَّرُ^(٢) مِنْهَا مَا وَافَقَ الصِّفَةَ المذكورة فِي المُلُوحِ، وَيُتَحَفَّظُ أَيْضاً أَنْ يَكُونَ النَّبَاتُ مِنْ أَصْلِ مُرَكَّبٍ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ حَمَلاً جَيِّداً لَمْ يُرَكَّبْ، وَكَذَلِكَ المُلُوحُ وَالْعُيُونُ وَالْأَوْتَادُ يُتَوَخَّى أَنْ تَكُونَ من أَشْجَارٍ مُنْجَبَةٍ حَمَالَةً، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ، احتاجت إلى التركيب. فالغراسَةُ لِلجَيِّدِ مِنْهَا أولاً؛ فَإِنْ كَانَ لَهَا عُرُوقٌ فَتُنْقَلُ وَيُحْفَرُ لِكُلِّ قَضِيبٍ مِنْهَا (من أصل القضيبي إلى الخارج عنه) خَرَقٌ يَكُونُ عَمَقُهُ نَحْوَ شَبْرَيْنِ وَنِصْفٍ، وَطَوْلُهُ مِثْلُ طَوْلِ القَضِيبِ، وَيُمَالُ القَضِيبُ بِرَفِقٍ، وَيُمَدُّ فِيهِ، وَيَخْرُجُ سَيْرٌ مِنْ طَرَفِهِ الَّذِي فِيهِ الْعَيْنُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَعَ كَعْبٍ^(٣) ذَلِكَ الخَرَقُ، وَهُوَ عَرْضُهُ، وَلَا يُقَطَّعُ القَضِيبُ

(١) التكيس غير التغطيس، قال ابن بصال (كتاب الفلاحة، ص ٧٧-٧٨): التكيس: ما هبط من أعلى الدالية إلى الأرض، يمال القضيبي مع جسد الدالية تحت الأرض، ويخرج طرفه في المكان المرحب. وهو ما يسمى حالياً "الترقيد". أما التغطيس: أن يحفر حول الدالية وتغطس قضبانها جميعاً، وتخرج من كل الجهات.

(٢) يختار من القضبان: أكثرها حملاً، وأسلمها من الآفات، وأصحها من العاهات، وليكن القضيبي المتقارب العيون، غير متشقق اللحاء، من شجرة لا فنية ولا هرمة.

(٣) كعب الحوض: عرضه.

من الأصل، ويُترك يتغذى منه^(١)، ويُردُّ عليه التُّراب، ويُدرَسُ، ويبقى كذلك حتى تصير له عُروق في ذلك الخرق، وحينئذ ينقل (إن شاء الله) ويُعملُ هذا في كلِّ قضيب رطبٍ، يُمكنُ ذلك فيه.

وإن كان ذلك القضيب من عنب، وكان في جفنه^(٢)، وأردت أن تمُدّه إلى موضع يمكن أن تصلَ إليه، فيُعملُ فيه مثلما تقدّم.

وإن أحببت الإبقاء على الجفنة، وأن يتغذى القضيب منها ببعض المادة التي كان يغتذي منها أولاً، فاقبله في الموضع الذي يتصل به في الجفنة قليلاً يسيراً، وحينئذ تمُدّه في الخرق^(٣).

وأحبُّ ما يكونُ هذا في الفتى من الكروم في البعل، وأمّا في السقي [فتنجب] جميعها، وتسقى إلى انقضاء عام أو أزيد، ثم تُحزُّ بحديد قاطع في موضع العمل حزاً لطيفاً، وبعد ثلاثة أعوام إلى خمسة أعوام (بحسب ما يظهر من قوته) يُفصل [القضيب] عن الجفنة، ويَتَقَيَّ يغتذي

(١) يترك حتى يمضي عليه عامان، فإذا تم له عامان اكتفى بنفسه واغتذى بعروقه التي صارت له، ثم تقطع التكايبس التي تساق من أعلى الدالية. ابن بصّال، ص ٧٨.

(٢) الجفنة: هي الدالية.

(٣) قال قسطوس: يصبح الغرس الحديث عند ذلك بمنزلة صبي ترضعه ظفيران بمص ثدييهما. وهذا الغرس أسرع غرس الكروم إدراكاً وإطعاماً، وأكثرها نزلاً، فإذا أدرك هذا الغرس المحدث أقر في موضعه وقطع من أصول الجفنة الأولى (المقنع، ص ١٠٧)، والفلاحة الرومية، ص ١٩٠.

من عُرُوْقِهِ، أَوْ يُنْقَلَ إِنْ أَحْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ، فَإِنْ قَصُرَ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَصْلُحُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، فَتَمُدُّهُ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْعَامِ الْمَقْبَلِ.

وهذا في العنب قد يطعم من عامه^(١)، ووقت هذا العمل فيه قبل أن يفتح عيونه، وإن عمل بعد ذلك، فلا بأس، وأمّا سائر الأشجار فيعمل ذلك فيها في كل زمان؛ لأنّها غير منفصلة عن أصولها.

قال الحاج الغرناطي^(٢): كَبَسْتُ^(٣) الرِّيحَانَ والياسمين في سَمُومِ الصَّيْفِ، وفي سَمُومِ^(٤) الشتاء فَنجَبَا وأدركَا.

قال: وبعض الأشجار ليس لها نبات^(٥)، فإن قُطِعَتْ في أصلها على وجه الأرض؛ لضرّ أصابها، أو لهرم، أو لغير ذلك، يَنْبُتُ في أصلها أفرع وقُضْبَان، ويعمل فيها مثل العمل في النبات، من ذلك شجر النَّارَنْج^(٦) وشبهه.

(١) الفلاحة الرومية: وهذا الغرس أسرع غرس الكروم إدراكاً وإطعاماً، وأكثره نزلاً.

(٢) قوله في كتابه المخطوط: "زهر البستان ونزهة الأذهان".

(٣) سبق شرح التكيس وهو المسمى حالياً "الترقيد".

(٤) سَمُومُ الصيف: الريح الحارة، والحر الذي ينفد في المسام. والجمع: سمائم. وسموم الشتاء: البرد الشديد، وهو استخدام خاص تفرد به الحاج الغرناطي.

(٥) المتحف ومدريد: نبات، باريس: بيات.

(٦) النارنج كلمة سنسكريتية تعني الرمان الأحمر، ويطلق في بلادنا على ما يسمى يوسف أفندي أو البرتقال.

صفة أخرى تُشبه ما تقدّم: وذلك أنْ تَعَمَدَ إلى قضيب رَطْبٍ مُطَعَّمٍ، من شجرة كثيرة الحَمَلِ، طَيِّبَةِ المَطْعَمِ، وليكن طويلاً يلحَقُ بالأرض، وليكن قد جَمَعَ الصِّفَاتِ المذكورة في اختيار المُلُوخِ أو أكثرها، فيُرَبِّطُ في أعلاه شَرِيْطٌ أو حبلٌ قويٌّ، ويُمَالُ [العُصْنُ] حتى ينحني، ويلحَقَ أعلاه الأرض، ويُربطُ الحبلُ في وَتِدٍ قويٍّ؛ لئلا يقوم^(١) ذلك العُصْنُ قبل بلوغ المراد منه.

ويُحَفَرُ لأعلاه حفرة طويلة عمق شبرين أو أكثر، ويُمدُّ أعلاه فيها، ويُردُّ عليه التُّراب، ويُدرَسُ نَعْمًا على نحو ما تقدّم في التكبيس (وهذا نوع آخر منه) ويُتَعَاهَدُ الأَصْلُ والتكبيس بالسَّقْيِ والتدبير إلى أن ينقضي عامٌ؛ فإن ظهر من نُجْبِهِ وقوَّتِهِ ما يدلُّ على أنه يغتذي من عروقه التي صارت له في ذلك الحوض، وَيَسْتَعْنِي عن الإمداد من أصله، فيُفْصَلُ بينهما بحديد قاطع، وإلاَّ فَيُتْرَكُ حتى يظهر ذلك وَيُتَبَيَّنَ منه.

وبعد عام آخر^(٢) (ما بينه وبين قطع أصله) يحينُ نَقْلُهُ بقلع عروقه جُرْزَةٍ^(٣) من تُرابِهِ — إن كان ممَّا يحتاج إلى ذلك — والأشجار التي تحتاج إلى جُرْزَةٍ هي الأشجار التي لا تسقطُ أوراقها، ثم تُعْرَسُ في الموضع الذي يَصْلُحُ لها وتطعم فيه (إن شاء الله تعالى).

(١) يقوم: ينتصب قبل أن تذهب عروقه في الأرض.

(٢) هذا الوصف ذكره ابن بصّال، ص ٦٥.

(٣) الجرزة: الضمة من التراب الذي يلتصق بالعروق عند قلع النقلة.

وأنجب ما يكون هذا على السقي. وقد يتفق أن يعمل ذلك في شجرة التين^(١)، وقد يميل الغصن منها من تلقائه حتى يصير إلى الأرض، فيعمل فيه مثلما تقدم، وكذلك قد يملخ غصن كبير من شجرة مطعمة^(٢)، ويبقى وهو متصل بها غير منفصل عنها، وتصل أطرافه إلى الأرض، بتكيس أغصانه على صفة ما تقدم، فلا يزال يغتذي من الشجرة حتى يصير له عروق، فيستغني عنها، ويُفصل بالقطع منها، وهذا أفضل وأنجب من القضبان النابتة في أصول الشجر أو بمقربة منها؛ لأنها أسرع إطعاماً.

وقد يكون [الغصن] قضيياً، أو قُضباناً في أصل شجرة، أو على بُعد منها، لا يمكن تكيسه بالعمل المذكور، فيجمع عليه التراب، أو يُنقل إليه، ويكوم عليه منه كومة بقدر ما ينبت له فيها عروق، ويتعاهد بالسقي إلى أن يصير له عروق، ويعمل فيه مثلما تقدم.

وإن أُدخل القضيب في ظرف فخار جديد على صفة العمل في (الاستسلاف) ويُملاً بالتراب، ويتعاهد بالسقي إلى أن يصير له عروق، فذلك حسن.

(١) وصف ابن بصّال تكيس التين في كتابه (الفلاحة، ص ٦٥).

(٢) هذا الوصف ذكره ابن بصّال، ص ٧٧-٧٨، وابن حجاج في المقنع، ص ١٠٧، وقسطوس في الفلاحة الرومية، ص ١٩٠.

وما يُسمَّى (الإقلاب)^(١) و(التَّغْطِيس)^(٢) أيضاً، يُعمَل في جَفَان^(٣)

العِنَب، وفي العَرَائش إذا شَرَفَتْ^(٤)، وكذلك إذا كانت الكُرُوم كثيرة التركيب، وفيها موضعٌ كبيرٌ فارغٌ تَقْرُبُ منه جَفَنَةٌ أو غرسٌ كثيرٌ؛ فيُحْفَرُ لذلك حُفْرَةٌ كبيرة على قدر ما يغيبُ فيها جَرْمُها كَلَّةً، ولتكن الحُفْرَةُ عند أصلها من الجهة التي يراد أن تُقْلَبَ إليها، ومن جهاتها كَلَّها إن أُحتِيجَ إلى ذلك، ويحافظُ على أصلها وعرووقها الكُبْرَى التي هي عُمْدَتُها، أن لا تتقطَّعَ، ويُحَلُّ التراب عنه، وعن سائر عُرووقها الكبار، وتُخَرَقُ خُرُوقاً إلى الجهات التي يُراد إخراج عروق [الجفنة] منها، ثم تُقْلَبُ الجَفَنَةُ في تلك الحُفْرَةَ برفقٍ دون أن تتقطَّعَ أو تغيب في الحفرة، وتُخَرَجُ قضبانها من الجهات الفارغة التي تصلحُ لها، أو ما يعلّق منها، ويُقَطَّعُ ما يستغنى عنه منها، ويُردُّ التراب على ذلك كَلَّةً، ويُدرَسُ ناعماً على صفة العَمَل في الغراسة^(٥).

(١) أصل الإقلاب: من أقلب العنب: ييس ظاهره فحول من مكان إلى آخر، أو حفر عن أصله وطيب بالزبل بوساطة المقلب (فأس حديد تقلب بها الأرض للزراعة)، ثم زُبِرَ بالتراب الناعم.

(٢) التَّغْطِيس: الترقيد.

(٣) الجفنة: أصل الكرم، وشجرة العنب كلها، ومجموع قضبانها.

(٤) شَرَفَ شُرُوفاً: هرم وأسن.

(٥) الوصف السابق كله ذكره ابن بصّال، ص ٧٥-٧٦، ومجمل معناه في المقنع، ص ١٠٧، والفلاحة الرومية، ص ١٩٠.

ولا تزال تلك القُضبان تغتذي من الجَفْنَة، والجَفْنَة تغتذي من عروقها، وتنمو تلك القُضبان نمواً كبيراً، وتطعمُ من عامِها، وتصيرُ جَفَاناً^(١) في مدّةٍ يسيرة.

وتعلّقُ^(٢) تلك الجَفْنَة بعد مُدّةٍ، وكذلك العرّائش.

وملاكُ أمرها أن يُتَحَفَّظَ مِنْ أَنْ تُقَطَّعَ، ولا سيما عُرُوقُها^(٣)، ويُعْمَلُ ذلك قَبْلَ زَبْرِها^(٤)، ووقت ذلك الوقت المعلوم للغراسة، وعمله في الخريف أَوْلَى.

وكذلك يُعْمَلُ في (العَرِيش) يُمدُّ جَسَدُهُ^(٥) في خَرَقٍ، وتُمدَّد سائرُ فُرُوعه إلى الجهات الفارغة في خُرُوقٍ، ويُخَرَّجُ أَطْرَافُ زُرْجُونِها في المواضع التي تصلحُ لها.

ويعملُ فيها مثلما تقدّم؛ فَتُنَجَّبَ.

(١) أي شجرة كاملة.

(٢) المتحف: وتعفن (تصحيف).

(٣) ابن بصّال، ص ٧٦: ويتحفظ في قلعها بأصولها.

(٤) الزبر: أن تهيل التراب في الحفرة على الجذور.

(٥) قال ابن بصّال (ص ٧٧): يحفر على الدوالي، ويكشف عن أصلها وعروقها، وتجلس الجفنة في أسفل الحفرة، وتمدد قضبانها يميناً وشمالاً، ووراء وقداماً، ما امتدت تلك القُضبان، وتخرج رؤوسها من الأماكن الفارغة المرحبة، وتغطي بالتراب... الخ.

لي: وإن أُنْشِبَ^(١) في المواضع القويّة من جَسَدِهَا بِالثَّقْبِ^(٢)،
قُضِبَانُ العنب، قبل أن تُعْطَى بالتراب، وأُخْرِجَتْ أطرافُها في المواضع التي
تصلحُ لذلك على صِفَةِ العَمَلِ في باب التركيب، فالزُّرْجُونُ تُنْجَبُ
(بمشيئة الله تعالى) لأنّها تكونُ مغروسة مُنْشَبَةً معاً، وأنْجَبُ ما تكون
الْمُنْشَبَةُ والمكْبَسَةُ وشَبِهُهَا، إذا تُعَوِّدَتْ بالسَّقْيِ بالماء، ويُعْمَلُ هذا في
الخريف.

ولي: وإن ائْتَدِفْنَ بعض العَرِيشِ، وبقيت منه مواضع مُعَوَّجَةٌ
ظاهرة، لم يُقَدَّرَ على دَفْنِهَا، فتبقى كذلك، وتُقَطَّعُ بعد مدّة^(٣) (إن شاء
الله تعالى).

* * *

(١) الإنشَاب: من طرائق تركيب الغروس بين القشر واللحاء.

من نشب في الشيء؛ نَشَبًا ونُشُبًا: علق.

(٢) الثَّقْب: الخَرْق. والإنشَاب بالثقب يجري في ساق الدالية المغطى بالتراب.

(٣) قال ابن بصّال (ص ٧٥) تعدل الصفوف لتكون على استواء، وما خرج من القضبان على
وجه الأرض، نظر إليه، فإن كان طويلاً أو معوجاً قطع منه، وترك فيه ارتفاع عقدتين.

[الـ]... (فصل) [الحادي عشر]

[الاستسلاف]

صِفَةُ الْعَمَلِ الَّذِي يُسَمَّى "الاستسلاف" وهو عملٌ تُكثَّرُ به الأشجار، ويستعملُ في جميعها، وشبيه ذلك ما تقدَّم في "التكيس" وذلك أن تُؤْخَذَ (ظُرُوفٌ) جُدُدٌ مِنْ فَخَّارٍ، مثل: الْقُصَارَى^(١)، والقُدُورِ الْكِبَارِ الواسعة الأَفْئَامِ^(٢) وشبهها.

وَيَكُونُ عَدْدُهَا مِثْلُ عَدَدِ الْأَغْصَانِ الَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ فِيهَا هَذَا الْعَمَلُ. وَيُتَّقَبُ فِي كُلِّ ظَرْفٍ مِنْهَا ثُقْبَةٌ^(٣) بِقَدَرِ مَا تَدْخُلُ الزُّرْجُونَةُ^(٤) أَوْ غُصْنُ الرَّيْحَانِ، أَوْ الْيَاسْمِينِ، أَوْ الْكُمَثْرِ، أَوْ الْأَثْرُجِّ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّجَرِ كُلِّهَا.

ثُمَّ يُعْمَدُ إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي تَرِيدُ الْإِسْتِسْلَافَ مِنْهَا؛ فَإِنْ كَانَتْ شَجَرَةً فَالْكَهَّةُ فَيُنْخِثُ مِنْهَا مِنَ الْقُضْبَانِ وَالْغُصُونِ مَا يُوَافِقُ صِفَتَهَا الصِّفَةَ

(١) الْقُصَارَى: جَمْعُ قُصْرِيَّةٍ؛ وَهِيَ إِنَاءٌ مِنْ فَخَّارٍ وَاسِعِ الْفَمِ عَلَى هَيْئَةِ الْقُدُورِ يَزْرَعُ فِيهَا. وَأَصْلُهَا الْقَوْصَرَةُ: وَعَاءٌ لِلتَّمْرِ مِنْ قُصْبٍ.

(٢) الْأَفْئَامُ: جَمْعُ فَمٍ؛ يَسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ الْإِنْسَانِ مَجَازًا.

(٣) هِيَ ثُقْبَةٌ وَثُقْبَةٌ سِوَاهَا.

(٤) الزُّرْجُونَةُ: قُضْبِيبُ الْعَنْبِ، وَالزُّرْجُونُ قُضْبَانُهُ.

المُسْتَحْسَنَةُ المذكورة في المُلُوخ^(١) حيثما كانت في أعلى الشجرة، أو في ساقها، أو في أصلها.

وَيُنَقَّى^(٢) ذلك العُصْنُ من الشُّعْبِ إن كانت فيه، ويُرَدُّ إلى عين واحدة في أعلاه، ويُدخل أعلاه في الثَّقْبَةِ من أسفل الظَّرْفِ، ويخرج من فمه، ويهبط الظَّرْفُ فيه حتى يصلَ إلى مَنَبَتِهِ أو إلى عُصْنٍ يقف فيه، أو إلى الحَدِّ الذي تريدُ من كَمَالِ ذلك القضيب وقصره. أو إلى الأرض إن كان القضيبُ في شجرة مفردة، أو ذات شُعْبٍ منبعثة من الأرض، ويُعْمَلُ في مُنْتَهَاهُ إن كان لا يَصِلُ إلى الأرض.

[ويوضعُ] تحت الظَّرْفِ خِلْخَالٌ من خِرْقٍ مَفْتُولَةٍ أو حَبْلٍ لينزل الظَّرْفُ عليه، إذا انتهى إليه، فإن لم تُطِقِ الشجرة حَمْلَهُ، أو خِفَتْ أَنْ تَحْرُكَهُ الرِّيحُ إن كان في موضع مرتفع عن الأرض، فيُعْمَلُ تحته سريرٌ من الخشب، له أربعُ قوائم، أو كيفما تيسر.

ويُجْعَلُ عليه ألواحٌ لتكون الظُّرُوفُ عليه. ويوثقُ الظَّرْفُ فيه، والأغصانُ التي تقربُ منه بالرباط المحكم حتى لا تحركه الرِّيح.

(١) الصفة المستحسنة في المُلُوخ: أن يكون القضيب كثير العقد، سليماً من العاهات والأمراض، لا شقوق فيه... يختار من وسط الشجرة لا من أسفلها ولا أعلاها ولا جوانبها.

(٢) التنقية: التشذيب.

ثم يَضِيقُ ذلك الثَّقَبُ الذي تُقَبُّ في الظَّرْفِ لإدخال الغُصْنِ فيه، من داخله بأشَقَّاق^(١)، وجُصٍّ، وثرَابٍ عَلكٍ؛ لئلاَّ يخرج منه الماء والثرَابُ، ثم يُجْعَلُ في ذلك الظَّرْفِ من التُّرابِ الطَّيِّبِ: ترابُ أرض طَيِّبة، مخلوط بزبلٍ قديم طَيِّب، أَقلُّ من مِلْئه^(٢) قليلاً لأجل سَقْيِهِ بالماء، وتكون الغُصُونُ في وسط ذلك التُّرابِ، ويُدرَسُ^(٣) التُّرابُ باليد، ويُكَبَّسُ تَكْبِيساً^(٤) جيداً معتدلاً، ويُروى بالماء العَذْبِ.

وإن كان الظَّرْفُ في الأرض، وأمکن أن يُدْفَنَ فيها، أو يُكَوَّمَ عليه التُّرابُ فذلك حَسَنٌ.

ويُتَعَاهَدُ الأَصْلُ وذلك الترابُ الذي في الظَّرْفِ بالسَّقْيِ بالماء^(٥)، ولا يترك ذلك الترابُ في الظَّرْفِ أن يجفَّ^(٦)، ويتَوَالَى سَقْيُهُمَا مدَّة طويـلة حتى ينبتَ لتلك الفروع المَدْخُولَةُ فيه عُرُوقٌ، ويصيرُ نَقْلُهُ بعد مِضِيِّ عامٍ وأكثر، فإذا تُيَقِّنَ ذلك يُقَطَّعُ القُضِيبُ تحت الظَّرْفِ برفقٍ لئلاَّ يَتَخَلَّخَلَ

(١) الأشَقَّاق: صمغ شجرة الأشَقِّ، وتسمى: لزاق الذهب؛ لأنها تلحمه.

ومن الأشَقَّاق: عَلكُ الكَلَخِ وصمغ نوشادري.

(٢) مدريد: ميله (تصحيـف).

(٣) النابلسي: ويكبس التراب باليد.

(٤) مدريد: ويجلس تجليساً (تصحيـف).

(٥) النابلسي، ص ٢١.

(٦) النابلسي: يترك حتى يجف (فيه سقط).

التُّراب الذي فيه، ويُفصلُ عن أصله، ويُنقلُ بظرفِه إلى حُفْرَةٍ غراسَةٍ،
ويُكسرُ الظَّرْفُ برفقٍ، ويُحَفِّظُ أَلَا^(١) يتخلخلُ التراب الذي فيه. وتُتركُ
النَّقْلَةُ^(٢) بترابها ذلك في حُفْرَتِها، وتُغرسُ، وتُسقى بالماءِ إثرَ غراستها. وهو
غرسٌ مباركٌ وقلماً يخيَّبُ.

وإن كان الظَّرْفُ في الأرض، أو بمقربةٍ منها^(٣)، وهو إذا قُطِعَ
الغصنُ^(٤) منه، وخُلِفَ^(٥) في موضعه من الأصل الباقي هناك قُضِبٌ أو
قُضْبَانٌ، فإذا صار مثل الأوَّل، فيعملُ به مثلما تقدَّم^(٦).

ولا تزالُ تُكرَّرُ ذلك، حتى تصلَ من شجرة واحدة إلى ما تريدُ من
تكثيرها^(٧)، وإن كان ذلك الغُصْنُ في أعلى الشجرة أو في ساقها، أو في
موضعٍ لا يمكن دَفْنُ الظَّرْفِ فيه، فلا يُغْفَلُ عن شدِّ الظَّرْفِ، وربطه
بالأغصان المجاورة له، أو عمَلُ سرير خشب (على نحو ما تقدَّم) خوفاً من
أن تحرَّكه الرِّياح، فيتخلخلُ التُّراب، فيُفسده ذلك.

(١) المتحف ومدرید: أن يتخلخل، بإسقاط (لا).

(٢) ابن بصَّال: النقلة. مدرید: النبتة.

(٣) المتحف: منه.

(٤) المتحف: الفرع به.

(٥) المتحف: أخلف.

(٦) الفقرة السابقة مضطربة السياق، لم نتبين المراد منها.

(٧) المتحف ومدرید: تكثيرها (تصحييف).

وكذلك لا تَغْفَل عن سقيه، ولا يُتْرَك ترأُّبه يجفّ بوجه، مدّة عامٍ،
وأقلّ ذلك أن يُسْقَى مرّتين في الجمّعة، في غير فصل الحرّ^(١).

ولا تَغْفَل أن تَتَفَقَّد الظَّرْف من هُبُوب الرِّيح؛ لئلا يتحرّك الغصنُ
فيه، فإن كان ذلك فيرْزَمُ^(٢) الترابُ حَوْلَهُ نَعْمًا، وبعد عامٍ يؤخذ ذلك
الغصن أسفل الظَّرْف وقد لَقِحَ، وذلك دليلٌ على أن الغصن قد نبت له
عُرُوق في الظَّرْف وتَسْتَبِين فيه القوّة لأجتنابه الغدّاء من تراب ذلك
الظرف، بعروقه النابتة فيه.

ويُتَوَخَّى عند إدخال الغصن في التُّراب أن يُجْعَلَ في داخل الظَّرْف
من الأغصان الرِّقاق أو من العُقد ما يُتَعَجَّل فيه نبات العروق (إن شاء الله
تعالى) وإن قُطِعَت هذه الثَّقَلَة^(٣) المُسْتَسَلَفَة من شجرهما بعد عامين، فَحَسَنَ
أيضاً.

ذَكَرَ نحو هذه الصفة قَسْطُوسٌ وَغَيْرُهُ^(٤).

(١) النابلسي: في الشتاء يسقى مرة كل خمس عشرة يوماً، ثم كل ثمانية أيام. وقال قسطنطوس
(ص ٢٦١): وملاك الغرس ألا يغفل عن سقيه في الصيف.

(٢) رَزَمَ التراب يرزّمه رُزُوماً ورُزَاماً: جمعه في مكان واحد وثبته بحيث لا يتحرك من مكانه.

(٣) مدريد: البقلة (تصحيف) ابن بَصَّال: النقلة.

(٤) ذكر نحو هذه الصفة قسطنطوس في الفلاحة الرومية، ص ٢٦١-٢٦٢. ولم يذكر
الاستسلاف صراحة، ولم يسمه. وابن بَصَّال في كتاب الفلاحة، ص ٦٨، ٧٢، ٧٤. وابن
حجاج في المقنع، ص ١٠٧.

ووجه آخر في ذلك^(١): إذا فصل الغصن المستسلف من الشجرة، وقد صار نقلة بعروق، فيُغرس بظرفه، ولا يكسر الظرف، ولتكن الحفرة التي يُغرس فيها قبورية^(٢)، ويرقد^(٣) الظرف في الحفرة، وترقد النقلة فيه مكبسة، ويقام أعلاها مع كعب^(٤) الحفرة، ويرد عليهما التراب^(٥)، ويدرس نهما، وتتعاهد بالسقي.

وبعد عامين يكشف التراب عن الظرف، فتجد جسد النقلة قد نبت فيه عروق، واستغنت [النقلة] عن عروقه التي في الظرف، فتقطع النقلة برفق فوق فم الظرف بنحو أربع أصابع مضمونة، وتسقى من ساقها مع ما في الظرف، ويُخرج الظرف بما فيه من الحفرة، ويرد التراب على النقلة، ويدرس نهما، وتتعاهد بالسقي، ويترك أكثر ذلك الظرف في الأرض، ويترك فمه على وجه الأرض مع بقية ساق النقلة فيه، ويتعاهد بالسقي، فإنه يلقح. وينبت فيه نقلة ثانية، ويعمل بها مثلما تقدم، ثم يعاد الظرف إلى الأرض فتنبت فيه نقلة ثالثة، وهكذا يكرر العمل المذكور حتى تصل في تكثير تلك الشجرة إلى المرغوب.

(١) ذكر هذا الوجه ابن بصّال، ص ٦٥، والنايلسي، ص ٢١.

(٢) قبورية: تشبه القبر.

(٣) كأنه يشير إلى مصطلح "الترقيد" المستخدم في الوقت الحاضر.

(٤) الكعب: هو جبهة الحفرة (ابن بصّال، ص ٦٥).

(٥) النايلسي: يجعل طرفه في كعب الحفرة، ويترك أعلاه على وجه الأرض بطول إصبع (علم الملاحه، ص ٢٠).

وَيُعْمَلُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ (التَّكْبِيسِ)^(١) أَوْ (الإِقْلَابِ)^(٢) أَوْ (الاستِسْلَافِ) فِي جَمِيعِ الْأَشْجَارِ عَلَى السَّقْفِ، وَفِي الْبَعْلِ فِي الْأَرْضِ الْمُدْمِنَةِ^(٣)، وَقِسْ عَلَى هَذَا مَا يَشْبِهُهُ تُصِيبُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

وَإِنْ عُلِقَ عَلَى هَذِهِ الظُّرُوفِ إِنَاءٌ كَبِيرٌ مَمْلُوءٌ بِمَاءٍ عَذْبٍ، فِي أَسْفَلِهِ ثَقَبٌ لَطِيفٌ، يَسِيلُ الْمَاءُ مِنْهُ نَقْطَةً بَعْدَ أُخْرَى^(٤)، بِقَدَرِ مَا يَتَنَدَّى ذَلِكَ التُّرَابُ الَّذِي فِي الظُّرُوفِ [حَتَّى تَصْبِحَ] فِيهِ نَدَاوَةٌ مُعْتَدِلَةٌ، وَيَزَادُ الْمَاءُ فِي الْإِنَاءِ مَتَى نَقَصَ. وَذَلِكَ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُعْمَلُ فِي سَقْيِهِ، وَفِي سَقْيِ التَّرَاكِبِ (وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ، وَذَكَرَ مَا يَشْبِهُ هَذَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

* * *

(١) التَّكْبِيسُ: هُوَ التَّرْقِيدُ، وَمِثْلُهُ التَّغْطِيسُ، وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُهُ.

(٢) الْإِقْلَابُ: تَغْيِيرُ فِي تَرَبَةِ الشَّجَرَةِ إِذَا أَصَابَهَا عَارِضٌ مَرَضِيٌّ أَوْ يَبَسَ أَغْصَانُ أَوْ عَاهَةٌ مَا، يَحْفَرُ عَنْ أَصْلِهَا، وَيَسْتَبْدِلُ تَرَاهَا، وَتَطْيَّبُ بِالزَّبِيلِ، وَتَسْقَى بِالْمَاءِ.

(٣) الدِّمْنُ: السَّمَادُ الْمُتَلَبَّدُ، وَالدِّمْنَةُ: الْمَزْبَلَةُ وَمَا سُودَ النَّاسُ وَتَرَكَوْا مِنْ آثَارٍ، وَمَا اخْتَلَطَ مِنْ بَعْرِ وَطِينٍ عِنْدَ الْحَوْضِ فَتَلَبَّدَ، وَالْأَرْضُ الْمُدْمِنَةُ: هِيَ السُّودَاءُ مِنَ الرَّمَادِ وَالزَّبِيلِ.

(٤) هَذَا مَا يُسَمَّى الْيَوْمَ: الرِّيُّ (بِالتَّنْقِيطِ) وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا النُّوعِ مِنَ السَّقْيِ قَسْطُوسُ (ص ٢٧٣)، قَالَ: يَعْلَقُ فَوْقَ الشَّجَرَةِ كَوْزَ الْمَاءِ فَيَسِيلُ مِنْهُ نَقْطَةً نَقْطَةً، وَقَالَ قَسْطُوسُ (ص ٣١٦): شَجَرُ الزَّيْتُونِ مُعْطَاشٌ، وَعِنْدَ إِضَافَةِ الزَّيْتُونِ يَعْلَقُ عَلَى الشَّجَرَةِ (كَوْزَ الْمَاءِ) وَيَجْعَلُ فِيهِ خَرَقٌ أَوْ ثَقَبٌ مَا يَلِي وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَتِهِ.

[ال]... (فصل) [الثاني عشر]

[تدبير النوى والحب والملوخ والأوتاد]

وأما تدبير النوى، والحب، والملوخ، والعُيون، والأوتاد، والأغصان المذكورة قبل هذا، وحفظها، والقيام عليها حتى تُدرك وتكُمَل (إن شاء الله تعالى).

قال أبو الخير الإشبيلي وغيره: تُسَقَّى [الغروس] إذا فُرِغ من غراستها بالماء سقية رويّة، ولا تُتْرَك أرضها تبيّض من قلة السقي، بل تُسَقَّى يوماً، وتَغْبُ يوماً، مدّة ثمانية أيّام، ثم تُسَقَّى بعد ذلك كلّ رابع يوم، حتى تُتَمَّ خمسة عشر يوماً، ويظهر اللّقح في الأوتاد، فتُسَقَّى كلّ ثامن يوم.

وإذا أدركت المطر الجود أمسك عن سقيها، وإذا أغبّها^(١) المطر سقيت هكذا مدّة الشتاء^(٢)، تُسَقَّى كلّ خمسة عشر يوماً. وبعد ذلك الفصل^(٣) تُسَقَّى كلّ ثامن يوم، ويُزال العُشب^(٤) من

(١) غَبَّتْ الإبل غباً: شربت يوماً، وتركت يوماً. أَعَبَّ الماشية: ترك سقيها.

(٢) المتحف ومدريد: مدّة الشتاء.

(٣) يقصد: فصل الشتاء.

(٤) المتحف ومدريد: ويجود العشب من أصلها (وهو تصحيف).

أصلها في خلال ذلك، وتُنقَشُ^(١) أرضها برفقٍ، ولا يَقْرُبُ النَّقْشُ منها؛
لئلاَّ يؤذي عروقها لضعفها، ولا يُحرِّكُ التُّرابُ الذي يَقْرُبُ منها.

وتُسْقَى أرضها متى ابْيَضَّ وجهُ تراها، وبعد أربعة أشهر من
غراستها إذا لم يُشَكَّ في عُلوِّها وقوِّها، تُنقَشُ نقشاً جيداً إذا كَدَا^(٢)
تُرابُها، ثم تُزْبَلُ ما تحتلُّ الزُّبُلُ بأرواث ذوات الأربع، والرَّمَادِ، وزِبِلِ ابنِ
آدمِ أثلاثاً، ويُخلَطُ ذلك مع تُرابها بالنَّقْشِ؛ إلَّا أوتاد النَّارَنْجِ وأنواعه،
فَتُزْبَلُ بزِبِلِ الآدمي^(٣) مُفْرَداً، يُخلَطُ بالنَّقْشِ مع تراها، وتُعَبُّ ثمانية أيام، ثم
تُسْقَى بالماء، ثم يواظب ذلك بالعمارة والسَّقْيِ.

وقد ذَكَرَ كُلُّ هذا، ونذكره أيضاً في فصل غراسة كل نوع منها،
وبذلك يكون صلاحُها ونموُّها (إن شاء الله تعالى).

وأما أوتادُ السَّفَرَجَلِ والرُّمَّانِ وشِبْهَهُمَا، فَيُعْرَسُ معهما في
أحواضهما، قبل أن يطلَعَ لِقْحُهُمَا من الخُضَرِ ما يَحْتَاجُ إلى السَّقْيِ الكثير،

(١) النقش: الغمز بالمنقاش، وهو أدنى من المشق: الحفر الخفيف من وجه الأرض.

(٢) المتحف: طاب تراها. مدريد: كاب تراها (وكلاهما مصحف) الصواب (كدا تراها) من
كَدَتِ الأرض كَدَواً: أبطأ نباتها، فهي كادية. وتجاوز قراءته: (كبا تراها) يقال: كبا
النبت: بيس، والكابي: التراب الذي لا يستقر على وجه الأرض.

(٣) ابن بصَّال: النارج يزبل برمد الحمامات مخلوط بدم المعز أو دم ابن آدم الذي يؤخذ من
الحاجم والفصد (كتاب الفلاحة، ص ٨٢).

مثل: بَقْلُ الباذِنجان^(١)، فهو موافقٌ لها؛ لأنه يَشْجُرُ على الوَتْدِ، وَيَصُونُهُ مِنَ الشَّمْسِ. وقد تَقَدَّمَ أَنَّ (النَّوَى) وشبهها يُزْرَعُ في أَحْوَاضِها الكُزْبَرَةِ، وما يكون بقاءه في الأرض مثل بقائها مَّا يَخْرُجُ مِنَ الأرض مثل نبات النَّوَى^(٢).

وَأَمَّا قَدْرُ ما يَصْلُحُ بما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ السَّقْيِ بِالماءِ فَيَسْتَقَرُّ، فَذلك يَذْكَرُ (إِنْ شاء الله) في فصول غراستها.

والأَجْوَدُ أَنْ يُغْرَسَ مِنَ النَّوَى، والمُلُوخُ، والأَوْتَادُ، والعيون، والقُضْبَانِ في كل حفرة اثْنان؛ فَإِنْ خَابَ أَحدهما، لم يَحِبِ الآخر.

وَأَمَّا أَوْتَادُ الرُّمَّانِ^(٣)؛ فيغرسُ منها ثلاثة أو أكثر في موضعٍ واحدٍ؛ لأنَّ المرادَ التَّفَافِها لِيَقْلَ حَمْلُها؛ ولئلا تَحْرُقَ الشمسُ حَبَّها، إِذا كانت متباعدة بعضها عن بعض.

(١) قال ابن بَصَّال (ص ٦٢): ويوافق الوتد أن يزرع في أرضه، ما دام الوتد لم يطلع مثل الباذنجان لأنه يشجر على الوتد، ويصونه من الشمس.

مدريد: بقل الباذنجان.

باريس: نقل.

(٢) يريد: الشجر الذي أصله نوى.

(٣) قال ابن بَصَّال، ص ٦١: حكم غرس وتد الرمان خاصة أن تكون ثلاثة مجتمعة في موضع واحد، غير مفترقة ويسد الخلل بين وتد ووتد بالرميل والزبل.

وأوتاد الرُّمَّان والزَّيتون والسَّفَرَجَل إِنَّ غُرِسَتْ متكبَّسَةً^(١) لم
يَضُرُّهَا ذلك، ومُلُوخُهَا كذلك أيضاً. وقيل: إِنَّ جميع الأشجار مثلها،
ويُنْقَلُ جميع ما ذُكِرَ إذا أَدْرَكَ، وصَارَ نُقْلًا^(٢)، وظهرت قُوَّتُهُ، وذلك بَعْدَ
ثلاثة أعوام، إلى المواضع التي يُطْعَمُ فيها.

وقد ذكر قبل هذا من صفة العَمَل في تدبير ذلك في
(الترمدانات)^(٣) ما إذا نُظِرَ فيه مع ما ارْتُسِمَ في هذا الفصل بلغ على قَدَرِ
الغاية (إن شاء الله تعالى).

* * *

(١) التكبيس: الترقيد والتغطيس.

(٢) المتحف ومدريد: تفلأ (تصحيف) والصواب: النَّقْلَة: الشجرة تنقل من الأحواض بعد سنتين أو ثلاث إذا نبتت جذورها واغتذت بنفسها، وأصبحت مستقلة، والجمع: النَّقْل، وهو ما كثرت أوراقه وفروعه على التشبيه بنقل المكان: حجارته.

(٣) الترمذانات عند اليونانيين: الأحواض التي تزرع فيها الأوتاد والملوخ ثم تنقل منها.

[الـ]... (فصل) [الثالث عشر]

[مقدار الحفر للغراسات]

وأما مقدار الحفر للغراسات؛ فذلك يختلفُ قَدْرَ طول الحفرة، وعرضها، وعمقها، بحسب المغروس فيها، وبحسب طبيعة الأرض.

والأولى تعميقُ الأرض لئلاَّ يلحق عُروقُ الغرس فيها اختِرامٌ^(١) الأرض [من] عِمَارَتِهَا^(٢)، وتغيير الهواء، ولئلاَّ تُسَقَطُ الريحُ الشجرة المغروسة فيها، ولاسيما إن كانت ممَّا يُغرس لِيُسَقَى في موضعه.

وأما المُلُوخ والأوتاد، وشبه ذلك ممَّا لا يَسْتَقَرُّ في موضعه، ويُثَقَلُ (إذا استَحَقَّ) إلى الموضع الذي يصلحُ له، ولاسيما ما يغرس على السَّقْيِ منها، لا يَعْمَقُ حَفْرُهَا، لِيُعْطِشَها حرُّ الشمس، فتقبل الماء قبولاً حسناً، وتنمو بذلك.

وأما الحُفْرُ لِنُقْلِ^(٣) الزَّيتون، فكلُّما كانت أوسعَ وأعمَقَ وأطولَ، فذلك أجوَدَ.

(١) الاخترام: الثقب والشق والقطع والاستئصال والموت.

(٢) المقصود: العمارة الجائرة والحرث الذي يؤدي العروق.

(٣) قال يُونْيوس: ينبغي أن يكون عظم كل حفرة حسب طبيعة الأرض ويكون عمق الحفرة في الأرض المتعالية ذراعين وعرضها كذلك وفي الأرض السهلة أكثر من ذلك (المقنع، ص ٩٦).

ويحفر قبل غراستها فيها بعام^(١)، وتُغرس نُقْلُ الزَّيتون فيها في العام الثاني. ولي: جَرَبْتُهُ فَصَحَّ.

وقيل: إِنَّ الْأَرْضَ الرَّقِيقَةَ^(٢) تُغرسُ التُّقْلُ في الحُفْرِ فيها في وَقْتِ حَفْرِهَا لَعَلَّا تَذْهَبُ الشَّمْسُ رُطُوبَةً تَلْكَ الْأَرْضَ لَضَعْفِهَا.

وقيل^(٣): إِنَّ مَنْ أَحَبَّ اسْتَعْجَالَ الْغِرَاسَةِ فِي حُفْرَةٍ قَبْلَ تَمَامِ الْعَامِ، فَيُوقِدُ فِيهَا النَّارَ، ثُمَّ تُتْرَكُ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهَا الْغَيْثُ فَتَرَوَى، وتُغرس بعد ذلك.

وقال: وليكن عمق كل حفرة خمسة أشبار، وبين كل حفتين ستة أذرع. واسق الغرس كل يوم مرتين حتى يعلق (المقنع، ص ٥٣).

(١) قال ابن حجاج (المقنع، ص ٥٣): ينبغي أن تحفر لغرس الزيتون حفراً وتتركها "سنة" مفتوحة لتصيبها الرياح والشمس والأمطار فيطيب ترابها. وقال (ص ٩٦): والأجود أن تحفر الحفر قبل الغرس بسنة. وقال قسطنطوس (الفلاحة الرومية، ص ٣١٢)، تحفر حفر الزيتون وتترك على حالها سنة لكي يصيبها الريح والحر لتجف.

(٢) قال قسطنطوس: قد يغرس شجر الزيتون في الأرض الرقيقة الطيبة، وأجود مواضع غرس الزيتون الأرض الصماء الجرداء (المقنع، ص ٨٦).

وقال يוניوس: ينبغي أن تصير الغروس التي تكون في الأرض الرقيقة أكثر تقارباً من غيرها. قال ابن حجاج (ص ٩١): الأرض الرقيقة تصير غروسها أضيق فرجاً لأن زيتونها لا يعظم ولا يتدوح.

(٣) هذا القول لقسطنطوس في الفلاحة الرومية، ص ٣١٢، قال: إذا رأيت أن مدة سنة قد طالت؛ فيوقد في كل حفرة من تلك الحفر مدة شهرين، في كل يوم يحرق فيها شيء من الحشيش اليابس والقضبان اليابسة. فهذا أسرع لنباته، ومثله في الفلاحة النبطية، ص ٢٧.

ولا يُغرسُ غرسٌ في حُفْرةٍ خالية من الزُّبُل الطَّيِّب البالي؛ يُخَلَطُ مع تراب وجه الأرض، ويُلقَى على عروقها.

وفي "الفلاحة النبطية"^(١):

يُعمِّقُ الحَفْرُ للغُرُوس على قَدْر نزول حَرارة الشَّمس في عُمق تلك الأرض.

وقيل^(٢): تُعمِّقُ الحفرة لذلك قَدْر قَدَم واحدة في عَرْض شِبْر.

وقيل^(٣): قَدْر قَدَمٍ وَنِصْفٍ في سَعَةِ أَرْبَعِ أَصَابِع.

وقيل: تُعمِّقُ ثلاث أَقدام في سَعَةِ أَرْبَعِ أَصَابِع.

وقيل: إِنَّ التَّوَسُّطَ في ذلك أَن يُعمِّقَ ثلاث أَقدام تامَّة، وإنَّ زاد فنصف قَدَم، وإنَّ نَقَصَ فنصف قَدَم.

(١) الفلاحة النبطية، ص ٢٧.

(٢) قال قسطنطوس (الفلاحة الرومية، ص ٣١٢) عمق كل حفرة ثلاث أذرع أو ذراعين.

وقال يونيوس (المقنع، ص ٩٦): ينبغي أن يكون عمق الحفرة في الأرض المتعالية ذراعين، وعرضها كذلك، والأرض السهلة أكثر من ذلك.

(٣) ابن بَصَّال (ص ٦٠) يكون عمق الحفرة أربعة أشبار.

وقال النابلسي: عمق الحفرة في البلاد الحارة أربع أَقدام وفي البلاد الباردة ثلاث أَقدام، ولا يقل عن ذراع ونصف.

وقيل^(١): تُعَمَّقُ الحُفْرُ في البلاد الحارَّةَ أَرْبَعَ أَقْدَامَ، وفي البلاد الباردة ثلاث أَقْدَامَ، وهي البلاد التي ينزلُ فيها الثلج.

وفي "الفلاحة النبطية"^(٢) أيضاً: تنزلُ الشمسُ في الأرض المتخلخلة^(٣) إلى عُمُقٍ أَكْثَرَ مما تنزل في الأرض المادرة^(٤)، وكذلك في الأرض التي هي أَلْيَنُ وَأَرْقَّ منها.

والأرض المتشَقَّقة تصل حرارة الشمس من عُمُقِها إلى خمس أَقْدَامَ. والأرض السليمة من الشُّقَاق^(٥) تنزل الشمس فيها إلى ثلاث أَقْدَامَ، وإلى زيادة نصف قدم.

(١) هذا القول ذكره النابلسي، وقد سبقت الإشارة إليه في الحاشية التي سبقت هذه.

(٢) بعض قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص ٣١٧، وص ٣٣٦.

(٣) الأرض المتخلخلة إما طبعاً فيها أو يخالطها ثقل الماء الكدر، أو يسقط عليها الثلج فيغطيها وعندما ينحسر عنها تتخلخل (الفلاحة النبطية، ص ٣٣٦).

(٤) المتحف: الماررة. مدريد: الماردة (وكلاهما تصحيف).

ونرجح أن تقرأ: المادرة: التي فيها مَدَرٌ، وهو الطين اللزج المتماسك، والقطعة منه مَدَرَةٌ. وسكان القرى يطلق عليهم أهل المدر؛ لأنهم يبنون بيوتهم من الطين المخلوط بالتبن والزبل.

(٥) الشقاق: تشقق وجه الأرض، وهو ظهور الصدوع فيها.

وقيل^(١): يُعَمَّقُ الحُفْرُ في جميع الأرضين نحو ذراعٍ ونصف.

(ويأتي في الباب السادس المتصل بهذا تتميمٌ لما تقدم، وبيان ما أشكل وأُبهم، وإن كان في ذلك تكرارٌ فهو لزيادة فائدة، ولسياقه كلامٌ متّصل به، وسوف نذكر في فصل غراسة كل شجرة قدر حُفْرَها، ووجه العمل فيها).

* * * * *

(١) قال يُونْيُوس: ينبغي أن يكون عمق كل حفرة على قدر طبيعة الأرض، ويغلب أن يكون عمق حفرة شجرة الزيتون خمسة أشبار (المقنع، ص ٥٣، ص ٩٦).

وقال قسطنطوس (الفلاحة الرومية، ص ١٩٠-١٩١): لست أرى أن يكون عمق الحفرة دون ذراعين لأن الأرض قد تتشقق تشققاً عميقاً فيدخل حر الشمس من تلك الشقوق ويبلغ قعر الحفرة.

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الأول

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة.....
٢١	القسم الأول من الكتاب: الدراسة.....
	الفصل الأول: لفظة "الفلاحة" بين دلالتها اللغوية
٢٣	والاصطلاحية.....
٢٥	أ. الدلالة المعجمية.....
٣٧	ب. الدلالة في كتب تصنيف العلوم.....
٥٥	ج. الدلالة في كتب الفلاحة.....
٧٣	الفصل الثاني: ابن العوام، حياته ومؤلفاته.....
٩٣	الفصل الثالث: مصادر الكتاب.....
	الفصل الرابع: أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن
١٣١	العوام وقيمتة العلمية.....
١٧٧	الفصل الخامس: نشرات الكتاب وترجماته.....
	الفصل السادس: النسخ الكتاب الخطية ومنهجية العمل
١٩٩	في التحقيق.....
	أولاً: تحقيق نسبة كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن
٢٠١	العوام الإشبيلي.....
٢٢٩	ثانياً: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق....
٢٣٩	ثالثاً: المنهج المتبع في تحقيق النص.....

الموضوع	الصفحة
رابعاً: نماذج مصورة عن الأصول الخطية المعتمدة	
في تحقيق النص.....	٢٤٥
القسم الثاني من الكتاب: النص المحقق لكتاب "الفلاحة	
الأندلسية" لابن العوام الإشبيلي	
الأندلسي.....	٢٥٩
مقدمة المؤلف.....	٢٦١
- الفصل الأول (حضّ الرسول ﷺ على الفلاحة).....	٢٦٥
- الفصل الثاني (الوصايا في إصلاح المرء ضيعته).....	٢٦٧
- الفصل الثالث (أول من زرع).....	٢٦٩
- الفصل الرابع (أنواع فلاحة الأرض).....	٢٧١
- الفصل الخامس (معنى فلاحة الأرض).....	٢٧٣
- الفصل السادس (فلاحة الحيوان والطير).....	٢٧٥
- الفصل السابع (مصادر الكتاب).....	٢٧٧
- الفصل الثامن (المصطلحات المستخدمة).....	٢٨٥
- الفصل التاسع (أبواب الكتاب).....	٢٨٧
● أبواب الجزء الأول.....	٢٨٧
● أبواب الجزء الثاني.....	٢٩١
● أبواب الجزء الثالث.....	٢٩٥
● أبواب الجزء الرابع.....	٣٠٣

الموضوع	الصفحة
● أبواب الجزء الخامس.....	٣٠٩
● أبواب الجزء السادس.....	٣١٥
الباب الأول: في الأرضين.....	٣١٩
- الفصل الأول: في أنواع الأرضين.....	٣٢١
- الفصل الثاني: في أحوال الأرض: فسادها وصلاحتها..	٣٥٩
- الفصل الثالث: الأرض التي تحتاج إلى إفلاح وعلاج	
مختص.....	٣٦٩
- الفصل الرابع: إصلاح الأرض إذا خالط تراهما حجارة	٣٩٥
- الفصل الخامس: في صفات الأرض.....	٣٩٩
- الفصل السادس: مشابهة بابل للأرضين في الأندلس..	٤٠٥
- الفصل السابع: دلائل طيب الأرض.....	٤٠٧
- الفصل الثامن: طبائع تراب الأرض.....	٤١٥
- الفصل التاسع: الأرض التي لا تصلح للزراعة.....	٤٣٥
الباب الثاني: في الزُّبول.....	٤٣٩
- الفصل الأول: في الزبول: أنواعها ومنافعها وتديرها.	٤٤١
- الفصل الثاني: في كيفية عمل الأزبال.....	٤٥٩
- الفصل الثالث: أجود السرجين.....	٤٧١
- الفصل الرابع: كيفية استعمال الأزبال في الشجر	
والخضر والتعبير.....	٤٧٣

الموضوع	الصفحة
- الفصل الخامس: منفعة الأزبال ووقت التزيبيل.....	٤٧٩
- الفصل السادس: مقادير الأزبال.....	٤٨١
- الفصل السابع: قوى الأزبال.....	٤٨٥
- الفصل الثامن: علاج الأرض بالزبل.....	٤٨٩
- الفصل التاسع: ذرق الطير والأبعاد.....	٤٩٣
- الفصل العاشر: وقت التزيبيل.....	٥١١
- الفصل الحادي عشر: ما يحتمل الزبل وما لا يحتمله..	٥١٣
الباب الثالث: في المياه.....	٥١٧
- الفصل الأول: في أنواع المياه المستخدمة في السقي...	٥١٩
- الفصل الثاني: دلائل قرب الماء وبعده عن الأرض....	٥٢٥
- الفصل الثالث: في فتح الآبار.....	٥٣٧
- الفصل الرابع: تعديل الأرض ووزنها ليجري الماء فيها	٥٤٧
الباب الرابع: في اتخاذ البساتين، وترتيب غراسة	
الأشجار.....	٥٥٥
الباب الخامس: غراسة الأشجار.....	٥٦٥
- الفصل الأول: في اتخاذ الأشجار في البعل والسقي...	٥٦٧
- الفصل الثاني: في أوقات غراسة الأشجار والمملوخ	
والأوتاد.....	٥٨٩
- الفصل الثالث: وقت غراسة نوى الأشجار.....	٦٠٣

الموضوع	الصفحة
- الفصل الرابع: غراسة حبوب الأشجار التي ليس لها نوى.....	٦٠٧
- الفصل الخامس: غروس القصارى والظروف.....	٦١١
- الفصل السادس: غراسة الملوخ.....	٦١٣
- الفصل السابع: غراسة عيون أغصان الأشجار.....	٦٢١
- الفصل الثامن: غراسة الأوتاد والملوخ أيضاً.....	٦٢٣
- الفصل التاسع: غراسة القضبان: النوامي واللفاف واللواحق.....	٦٢٧
- الفصل العاشر: التغطيس أو التكييس.....	٦٢٩
- الفصل الحادي عشر: الاستسلاف.....	٦٣٧
- الفصل الثاني عشر: تدبير الحب والملوخ والعيون والأوتاد.....	٦٤٥
- الفصل الثالث عشر: مقدار الحفر للغراسات.....	٦٤٩
فهرس الجزء الأول.....	٦٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

